

بسم الله الرحمن الرحيم
هذه نسخة مهداة إلى الأديب الكريم الأستاذ عبد الله
الناظر المكي مع المحبة تيمناً
بالباحث عبد الحميد بن عبد الرحمن
١٤٠٤/٦/٢٥

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية

لدى بادية نجد
وأثر الدعوة السلفية فيها
منذ القرن العاشر الهجري وحتى سقوط الدرعية
١٤٩٤/م - ١٢٣٣/هـ / ١٨١٨ م

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث

إعداد
عبد الرحمن بن علي العريني
المعيد بقسم التاريخ في الكلية
إشراف

الدكتور / عبد الله بن يوسف السبيل
الأستاذ المشارك بقسم التاريخ في الكلية

الأمين العام للجامعة
١٤٠٣/هـ / ١٤٠٤م
١٩٨٣م / ١٩٨٤م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

ان الحمد لله وحده ، ونستعينه ونستغفره وننتوب اليه وأسأله العون والتوفيق
وأصلى وأسلم على رسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان
الى يوم الدين ، وبعد :

فقد كثرت الدراسات التاريخية العامة عن منطقة نجد في الآونة الأخيرة ،
و تلك بلا شك علامة صحو علمية تدل على عناية المهتمين من أبناء المنطقة وغيرهم
بتاريخها في نطاق تكامل الدراسات التاريخية في العالم الاسلامي من كل منطقة
أو بلد ، وبلا شك أن قيام أبناء هذه المنطقة أو تلك بهذه المهمة سيجعل البحث
التاريخي يتسم بشيء من العمق والاستقصاء لان " أهل مكة أدرى بشعابها " على الا
يجر ذلك الى التعصب الاقليمي ، بل يجب أن يرفع الى تكامل مثل هذه الدراسات
عن مناطق وبلدان وشعوب العالم الاسلامي ، ولنا في أسلافنا من المؤرخين
المسلمين أسوة حسنة حيث كانت الدراسات التاريخية الاقليمية تلقى اهتماما كبيرا
منهم الى جانب عنايتهم بالدراسات التاريخية العامة ، ومن هنا تكمن الضرورة
الى وجود دراسات تاريخية تفصيلية لكل منطقة في اطار التاريخ العام للعالم
الاسلامي ، ولا يعني هذا الانتقاص من الدراسات التاريخية التي قام بها بعض
الباحثين لبعض المناطق - ومنها نجد - وهم من غير أهلها فقد سدت هذه
الدراسات فراغا في المكتبة التاريخية ، وأيقظت الرغبة في البحث التاريخي عند
أبناء هذه المناطق .

واذا كان الباحث يعاني من صعوبة في الحصول على المعلومات التاريخية
في كثير من موضوعات البحث في تاريخ نجد ، فان منشاء ذلك قلة ما كتب عن فترات
هذا التاريخ من معاصرها ، وندرته في بعض الفترات ، وربما انعدامه في البعض
الآخر ، وعلى قلة هذه الكتابات أو ندرتها ونقل بعضها من الآخر فهي ليست

(١) الفاخري : الأخبار النجدية ص ٣ من مقدمة المحقق الدكتور عبد الله الشبل

بالتفصيل الذى يطمح اليه الباحث ، ويجده فى تواريخ البلدان الأخرى ، على أنه يمكن التماس العذر لمؤرخينا المحليين الذى كان من أبرز مسببات قسوة الحياة العامة التى كانت تضيق بخناقها كثيرا على النجديين فى تلك الفترات السابقة ، ويكفيهم فخرا أنهم استطاعوا أن يرصدوا بعض أحداث هذا التاريخ رغم تلك القسوة، ولو لم يكن ذلك بالتفصيل المرضى الذى يمكن أن يسد النقص فيه بالمقارنة بتواريخ البلدان المجاورة بل وغير المجاورة أحيانا لتفصيل قضية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية بحكم التأثير المتبادل بين نجد وهذه المناطق ، كما يمكن سد هذا النقص بالاطلاع على المصادر الأخرى غير التواريخ المحلية ككتب الفقهاء ، والشعير الشعبى ، ورحلات المفريين .

وقد لقيت قضايا التاريخ السياسى اهتماما أكبر من مؤرخينا المحليين ما تشجعه معه أو تدرأ أو تتعدم الإشارة الى جوانب التاريخ الأخرى فى بعض الأحيان ، وليس هؤلاء المؤرخون بدعا من المؤرخين المسلمين السابقين الذين كانوا يركزون اهتمامهم على القضايا السياسية حيث يعانى الباحث فى القضايا الأخرى أشد من المعاناة فى التاريخ السياسى على اختلاف بينها فى درجة هذه المعاناة بالنسبة لقضايا التاريخ غير السياسية ، وتتأكد هذه المعاناة وتزداد حين البحث فى قضايا التاريخ النجدي غير السياسية وخاصة القضايا الاجتماعية التى يلفها الغموض من أغلب الجوانب ، ورغم وجود جذور لهذه العادة الاجتماعية أو تلك على اعتبار أن كثيرا من العادات والتقاليد فى نجد لم تتعرض للتغيير منذ فترة متقدمة وحتى وقت قريب مما يبدو معه إمكانية دراسة هذه العادات المعاصرة وتطبيقها على الفترات السابقة ، فان ذلك لا يغنى عن البحث فى المصادر القديمة ، ولا يسمح بدراسة هذه العادات الحاضرة دراسة تفصيلية على أنها أمثلة للعادات القديمة الا بمقدار ما يتطلبه الربط التاريخى بين هذه الظواهر الاجتماعية ، أو حين تشج علينا المصادر القديمة بتفصيل واف عن هذه العادة أو تلك .

وبقدر ما يعانى الباحث الاجتماعى المعاصر فى دراسته للقضايا الاجتماعية المعاصرة فان معاناة المؤرخ الاجتماعى تتأكد وتزداد لان الباحث الاجتماعى يتعامل

مع أفراد المجتمع الأحياء ، وفئات الموجودة ، وهو ان يلقى بعض العنت من جراء رفض بعض الأفراد والفئات الادلاء بمعلومات صحيحة أو اعطاء بيانات واضحة ودقيقة فانه يمكنه اللجوء الى عدة أساليب لتحقيق أغراضه بينما يفقد المؤرخ الاجتماعي أى أسلوب من هذا القبيل عدا أسلوب البحث والتقيب في المصادر المكتوبة أو المروية ان وجدت ، على أن درجة اشباعها لنهم الباحث تختلف بحسب قربها أو بعد ها من عصرنا الحاضر حيث تشح تلك المصادر في فترة ما قبل الدعوة السلفية ، ويصدم الباحث معلومات الا في مجالات من هذه المصادر .

و تختلف معاناة الباحث الاجتماعي المعاصر ، والمؤرخ الاجتماعي في البحث عن الحياة الاجتماعية لدى بعض الفئات الاجتماعية النجدية عن بعضها الآخر ، ان بينما يستطيع هذان الباحثان الفوص في بعض تفاصيل الظواهر الاجتماعية لدى حاضرة نجد الى حد ما ، يحدا المعاناة العلمية في دراسة ظواهر الحياة الاجتماعية البدوية أشق ، على أن المؤرخ الاجتماعي تتأكد لديه المشقة وتزداد أكثر من الباحث الاجتماعي بل أكثر من تاريخه للحياة الاجتماعية الحضرية ، وذلك راجع لشح المصادر فيها يتعلق بحياة البدو عموما ، وفي مجالات معينة من هذه الحياة ، واختلاف المعادات والتقاليد بين قبيلة وأخرى بل بين فخذ وآخر .

وفي ضوء ذلك كله تم اختياري موضوعا لرسالة الماجستير هو " الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجري وحتى سقوط الدرعية (٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م - ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م) ، وقد تم هذا الاختيار بعد مشاورات متعددة مع أستاذي المحرف الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل ، الذي عانى معي في مراحل هذا الاختيار حتى خرج هذا البحث بعنوانه الأخير .

ولقد كان لا اختياري هذا الموضوع عدة أسباب منها :

١- أن البادية هي الأصل الاجتماعي لأي وجود حضري فأي أمة وخاصة العرب ،

"وعليك بالأسراب فانهم أصل العرب ومادة الاسلام^(١)، و تعتبر هذه الحقيقة من أبرز معالم الاجتماع التاريخي إذ أن البدو وأصل للحضر وسابقون عليهم ، والمراحل الأولية للحضر ناشئة عن البدوة حيث تتداخل تلك المراحل بالمراحل الأخيرة للبدو فيحدث أن يمارس البدوي في البداية حياة متداخلة بين البدوة والحضر حتى إذا تغلبت مظاهر الحضرة تناسى باديته وعاش في القرى والبلدان وأصبح حضريا بطبعه المكتسب ، بدويا بأصله ومنشأه ، وقد قرر هذه الحقيقة ابن خلدون في مقدمته فعقد لها فصلا بعنوان " فصل في أن البدو أقدم من الحضرة وسابق عليه ، وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها^(٢) " ، وتتضح هذه الظاهرة في المجتمع النجدي حيث ترجع الأسر النجدية المتحضرة إلى القبائل البدوية سواء تلك التي تحضرت منذ أمد بعيد كبنى حنيفة وبنى تميم ، أو تلك التي تضم بين أنفاسها وأفرادها بادية وحاضرة كقبيلة قبائل نجد .

٢- أن نسبة البادية عالية إذا ما قورنت بنسبة الحاضرة في تلك الفترة ، ولئن كنا نجهل هذه النسبة على وجه التحديد فمن المؤكد أنها كانت مرتفعة نظرا لعدم وجود مفرجات قوية لحركة الحضرة في نظر البدوي الذي كان متشبها بصحرائه إلى أقصى حد يؤيد ذلك قلة التحولات البدوية إلى الحياة الحضرية .

٣- طبيعة الحياة العامة في نجد في تلك الفترة إذ تكاد تكون فرص المعيشة متكافئة في البادية والحاضرة بل ربما كانت في البادية مهيئة أكثر منها في الحاضرة .

٤- الدور السياسي الأكبر الذي كانت تمارسه بعض القبائل البدوية في نجد سواء على حاضرتها أو باديته ، وهو دور أضفى على القبائل الأخرى قوة سيادة بجانب ضعف القرى والبلدان النجدية أمام سيادة البدوي أيما كانت قبيلته ، وقد حفل التاريخ

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢١٢/١٤ من وصية الخليفة عمر بن الخطاب لعثمان بن عفان رضى الله عنهما .

(٢) المقدمة ص ١٠٣ وانظر الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث .

النجدي منذ القرن العاشر بوجود عدد من القبائل البدوية مرهوبة الجانب والتي سيمر في الباب الأول طرف من أخبارها وتاريخها السياسي في نجد^(١).

٥- ما كانت تقوم به البادية في شبه الجزيرة من أدوار تربوية مهمة سواء كان ذلك في الجاهلية أو الإسلام حينما كان الوجهاء والأمراء من الحضرة يبعثون بأبنائهم إلى الصحراء ليقوموا فترة من الزمن بين أبناء البادية حتى يكتسبوا من عادات البدو الأصيلة التي لم تلوثها الحضارة وحتى يكتسبوا فصاحة في اللسان وبلاغة في البيان بأخذ اللغة من منابعها الأصلية ومن هنا فقد أطلق على البادية " مدرسة الأمراء ومقومة الألسن"^(٢) فقد بعث عبد المطلب حفيده نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كما بعث بابنه حمزة إلى بادية بني سعد بن بكر للاسترضاع والتفصح في اللغة واكتساب العادات الأصيلة، كما زاول النبي وغيره من الأنبياء مهنة من أهم مهنة البادية وهي رعي الغنم حيث رعاها في بني سعد، ورعاها على قراريط لأهل مكة، وقال " ما من نبي إلا ورعى الغنم قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا . الحديث"^(٣).

٦- الدور الاقتصادي البارز الذي كانت تقوم به البادية في التأثير على الحياة الاقتصادية في نجد سواء باشراء أسواقها بمنتجات البادية التي تشكل عناصر مهمة لتنشيط التجارة في نجد، أو باستهلاك ما في هذه الأسواق من السلع والمواد الغذائية ما يؤثر تأثيرا بالغا على الحياة الاقتصادية باختلاف بعض المواد المهمة كالتمر مثلا كما سيأتي^(٤).

٧- أن نسبة كبيرة من الحاضرة في نجد كانت تمارس جل الحرف البدوية حيث كانت هذه الحاضرة تعيش حياة متداخلة بين البداوة والتحضر، ولعل من أبرز هذه

(١) انظر الفصل الأول من الباب الأول
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٢٨٦/٣، ٢٦٩، وموضوع موقف الإسلام من البدو والبداوة في أول الباب الأول من هذا البحث.
(٣) ابن هشام: السيرة ١٦٨/١-١٧٧، ابن القيم: زاد المعاد ٣٣/١
(٤) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث فقرة المأكول.

الحرف رعي الابل والأغنام وتتبع المناطق الخصبة للرعي والاعتشاب فيحدث من جراء ذلك اقفار في بعض البلدان النجدية من أهلها وخاصة في فترة الربيع ، ومن هنا تتسلخ عن هؤلاء الحضرة أهم سمة فيهم وهي الاستقرار ، وتبرز فيهم أهم صفة في البدوى وهي الارتحال من منطقة لأخرى وتتبع مناطق الخصب والكلاء .

٨- أن اعتبار الصلابة بدوية يعني على البحث في البادية شمولاً أكثر حيث يتفق الصلابة مع عامة البدو في اجتواء القرى والبلدان ، والارتحال من منطقة لأخرى ، والعيش في الصحراء " التخلوى " ، وإن كانت هذه الفئة تختلف عن البدو واختلافاً شاسعاً من حيث الأصل الاجتماعي وبعض الصفات الجسمية وكذلك العادات والتقاليد التي يدل بها البدوى على الحضرة الأصيل ، وتعتبر أدنى اجتماعها في نظر النجديين حاضرة وبادية .

أما عن تحديد بداية البحث بالقرن العاشر الهجري ونهايته بسقوط الدرية سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م فلذلك أسباب منها :

١- أن القرن العاشر هو بداية العصر الحديث بالنسبة لتاريخ العرب حيث انضوت البلاد العربية تحت الحكم العثماني .

٢- أن هذا القرن هو بداية وصول الكتابة التاريخية النجدية إلينا ، ولهذا فليس مصادفة أن تبدأ السنوات السابقة عند ابن بشر (السوابق) بالقرن العاشر .^(١)

٣- أن معرفتنا بالأوضاع القبلية الحديثة لبادية نجد كان في القرن العاشر حيث أبرزت لنا أخبار هذا القرن وما بعده أهم القبائل البدوية التي كان لها صولة وجولة على منطقة نجد ، ويستطيع الباحث في هذا القرن وما بعده متابعة التحولات القبلية التي طرأت على مركز الزعامة لدى بادية نجد كما سيأتي .^(٢)

(١) الواقع أن السوابق ابتدأت سنة ٨٥٠ هـ وهو بدو عمران العيينة ولكن حصل انقطاع في السوابق حتى سنة ٩١٢ هـ ثم بدأت سنوات السوابق تتابع تقريباً .

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الأول .

٤- أن معرفتنا بالشعر العامي بدأت تزداد منذ القرن العاشر وحتى قيام الدعوة السلفية حيث يَصَوِّر هذا الشعر أصدق تصوير بعفرواحى الحياة الاجتماعية في نجد قبل قيام الدعوة التي بدأ تاريخنا المحلي ينتظم شيئاً فشيئاً بعد ها .

٥- أنه بقدر ما كان قيام الدعوة السلفية وانتشارها في نجد معلماً بارزاً في تاريخ المنطقة أثر بشكل مباشر على كافة نواحي الحياة وخاصة الاجتماعية حيث أدخلت هذه الدعوة المجتمع النجدى في تنظيم وتوحيد لم تكن تعرفه المنطقة من قبل فان سقوط الدرعية بشكل هو الآخر معلماً بارزاً في تاريخ المنطقة ان بدأ بعد الانحدار في الحياة الاجتماعية الى ما قبل الدعوة، علاوة على دخول بعض المؤثرات الخارجية التي صاحبت وتلت هذا السقوط، وتدل قصائد الرثاء الفصيحة والشعبية التي قيلت في هذا الحدث على أهميته كمعلم بارز في التاريخ النجدى الحديث، وقد أجاد قائلو هذه القصائد في تصوير رنة الأسى والحزن التي أصابت النجديين، والتي تشبه في قوتها الى حد ما تلك القصائد التي قيلت في سقوط بغداد على أيدي التتار، أو سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس.

وقد قسمت هذا البحث الى مدخل جغرافى وتاريخى حتى قيام الدعوة السلفية، وثلاثة أبواب وثمانية فصول، وفي البداية تحدثت في المدخل الجغرافى عن أهمية موقع نجد مبتدئاً بتحديد ما جغرافياً عبر فترات التاريخ حتى الآن من خلال أقوال الجغرافيين السابقين والمحدثين موضحاً بعض الملابس التى رافقت تحديد نجد ادارياً، ثم استعرضت بعض الأبيات الشعرية القديمة والحديثة الفصيحة والعامية التي تشيد بموقع نجد وجوها وأبرز معالمها، ثم

(١) عن أبرز ما قيل في رثاء الدرعية وتصوير حادثة سقوطها : الفاخري : ١٥ ابن خميس : معجم اليمامة ١/ ٤٢١-٤٢٤ ، الدرعية : العاصمى الأولى ٤٣٦-٤٤٦ ، وانظر أرجوزة ابن دعيج في هذا المقام : مجلة الدارة ع ٤ / س ٨ / ص ١٦٢-١٧٧ مع استعراض لها بقلم الدكتور محمد الشويعر .

تحدثت عن أهم المعالم التضاريسية لمنطقة نجد مبتدئا من الغرب الى الشرق مستعرضا أهم الجبال والهضاب والأودية ثم تطرقت الى المناخ وقد فصلت فيه بعض الشيء لاني ركزت على تأثيره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وهو ما تطلب مني ايجاد ربط بين القواعد المناخية للمنطقة من واقع كتب الجغرافية و ابراز بعض الأحداث المناخية وتأثيراتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية من واقع كتب التاريخ ، وتحدثت في المدخل التاريخي عن أبرز ملامح الفترات التاريخية للمنطقة منذ سكنى طسم وجد يس لها حتى قيام الدعوة السلفية وقد تطلب ذلك مني استعراضا عاما لتاريخ المنطقة في الجاهلية والاسلام عبر دله المتواليين مبينا أهم الأحداث التي مرت بالمنطقة وأبرز الأراء الذين حكموها اما بفرد ها أو بالتبعية مع بلدان أخرى متحدثا عن أبرز القوى السياسية التي خضعت لنجد لها .

وفي الباب الأول تحدثت عن الفئات الاجتماعية في نجد وقد مت لـه بمقدمة عامة شملت كل الفئات الاجتماعية لتقتصر فصول هذا الباب على أهمها الا أنني قبل الدخول في تفصيل الكلام عن أبرز هذه الفئات ضمنت هذا الباب نبذة موجزة عن نظرة الاسلام للأنساب حيث أن المجتمع النجدي يولي قضية الأنساب أهمية خاصة ، ونظرا لان هذا الباب يتحدث عن أبرز الفئات الاجتماعية ، ولان قضية الأنساب تشكل المحور الأساسي في التقسيم الفئوي للمجتمع النجدي ، ثم تحدثت بعد ذلك عن موقف الاسلام من البدو والبدو باعتبار مكانة البادية في المجتمع النجدي للأسباب السابقة ولجهل كثير من النجديين حاضرة وبادية بل بعض المتعلمين لأسس التعامل الاجتماعي بين البدو والحضر في ضوء الاسلام وحتى تكون تلك النظورتان هما وجهة نظري في هذا البحث ، ونظرا لكونهما غير داخلتين في هذا الباب بشكل مباشر فلم أدرجهما تحت فصوله الثلاثة التي تكلمت في أولها عن وضع بادية نجد القبلي حتى قيام الدعوة السلفية وقمت فيه باستعراض تاريخي عام عن أبرز القبائل البدوية التي قطنت نجدا منذ العصر

الجاهلي وحتى قيام الدعوة حيث ركزت فيما بعد القرن العاشر على تلك التي تبوأ مركز الزعامة في نجد وهي بنو لام ثم عنزة فمطير فقحطان التي كان دخولها الدعوة السلفية عاملا مهما في تبوؤها للزعامة القبلية في نجد ، ثم خصصت الفصل الثاني عن المطلب حيث تضمنت الدراسة الحديث عن أصلهم والآراء التي قيلت فيه ثم استعراضا لحياتهم الاجتماعية شاملة لمعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومدى تأثير الدعوة السلفية فيهم ، ثم تحدثت في الفصل الثالث عن حاضرة نجد بفئتيها معروفة النسب ومجهولته ، وقد أثبت في هذا الفصل رأيي الشخصي في هذا التقسيم الفئوي للحاضرة ، ولما كان الحديث عن هذه الفئة مجاله واسع ، ويجب أن تستأثر البادية بأكثر قدر ممكن من البحث في هذا الباب لأن البحث كله عنها فقد قصرت البحث فيه عن حاضرة نجد باعطاء استعراض عام لحركة التحضر التي مرت بها المنطقة وركزت على بناء القرى والبلدان باعتباره محور الحركة الحضرية ، وواضح من استعراض فصول هذا الباب ومقدماته استئثار البادية والمطلب بأكثر جوانب البحث فيه مما يجعله بابا رئيسيا من أبواب هذه الرسالة ، رغم كونه مخصصا للحديث عن الفئات الاجتماعية .

أما الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد قبل الدعوة السلفية وقسمته الى فصلين بحثت في الفصل الأول عن أبرز ملامح الحياة الدينية لدى تلك البادية قبل الدعوة وحرصت في هذا المجال على الاقتصاد على المصادر المحلية مركزا على تحليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه لأبرز ملامح هذه الحياة لأنها تعد الموجه الرئيسي للحياة الاجتماعية ، ونظرا لشح المادة في هذا الفصل وكونه فصلا غير رئيسي فقد اكتفيت باعطاء ملامح عامة عنه .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب بحثت عن أبرز ظواهر الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد لدى بادية نجد قبل الدعوة ، وهي ما تكفي لتصوير الحياة

الاجتماعية البدوية من غير تفصيل فى كل المظاهر لان كل ظاهرة تحتاج بحثاً مستقلاً ، وشرح المادة فى هذا المجال علاوة على أن ما هو موجود منها يتحدث عن المظاهر الاجتماعية البدوية بشكل عام ككل هذا يجعل من الضرورى الاقتصار على ما ذكرت على أنى حاولت ابراز ما تختطف فيه بعض القبائل عن البعض الآخر فى بعض الظواهر كالغزو مثلاً أما فيما سوى ذلك فيستحيل ابراز مواطن الاختلاف بين القبائل بلسه الأنحاز .

وقد ابتدأت هذا الفصل بالتحدث عن نظرة البدوى للحضري تلك النظرة التى أبرز ملامحها احتقار حياة الحضرو والاستقرار لان ذلك سبيلاً لا مآتة روح الشجاعة التى تعتبر من أهم صفات البدوى ، وقد زخر تاريخ العلاقات الاجتماعية بأحداث تبين كره البدوى للعيش داخل البلدان وقد استعرضت جانباً من هذه الأحداث لدى بادية نجد وقرنتها بما وجدته من أمثلة تاريخية ، على أن هذه العلاقة تتسم أحياناً بالصفاء والدليل على ذلك كثرة التزاوج بين الفريقين ، ثم تحدثت عن وضع المرأة البدوية وأنها تلقى التكريم والتقدير من مجتمع البادية لولا ما يشوب هذا التكريم أحياناً من اهانة كالتحجير مثلاً .

ثم تطرقت الى السرق والأرقاء وقد مت له بمقدمة ضافية عن حكم الاسلام فى الرق ولمحة عن الرقيق فى الخليج والجزيرة العربية فى العصر الحديث وتحدثت عن وضع الرقيق والخدم لدى بادية نجد والمعاطة الكريمة التى يجدونها من ابن البادية .

ثم قدمت أمثلة لبعض العادات والتقاليد البدوية كالكرم الذى يشكل معلماً بارزاً فى الحياة الاجتماعية لدى البدوى ، ثم المسكن ، والطب ، والمأكول والمشرب الذى بحثت فيه دخول بعض المشروبات المستجدة كالقهوة والتبغ ، ثم بحثت عن الخوة من جانبها الاجتماعى وهى ما يمكن أن يطلق عليها دبلوماسية البدو ، ثم أعصيت ملامح عامة عن نظام الغزو وما يتبعه أحياناً مسن السلب ، السرقة ، ، ختمت هذا الباب بنظام السطو الدخلى .

أما الباب الثالث فقد خصصته للبحث عن آثار الدعوة السلفية على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وقسمته الى ثلاثة فصول تحدثت في الأول عن مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية وهو استعراض تاريخي للغزوات التي شنتها حكومة الدرعية ضد بعض قبائل تلك البادية والمحاولات السلمية التي تمت لاختطافها وتطرفت فيه للغزوات التي حدثت من بعض القبائل ضد الدولة السعودية سواء كانت الغزوات من تلك القبائل منفردة أو متخربة فيها مع غيرها من القبائل ، أو باشتراكها مع القوى الخارجية ضد الدعوة ودولتها ، وتحدثت فيها عن نهاية المطاف لهذه الغزوات سواء من جانب الدولة أو تلك القبائل ، وقد ركزت في هذا الفصل على أبرز القبائل البدوية والتي توفرت لدى معلومات عنها وهي سبيع والسهول ومطير وعنزة والظفير وشمرد والواسر وقحطان وعتيبة وحرب على أساس أن الأخيرتين قبيلتان حجازيتان نجديتان ، وحاولت في الفصل الثاني أن ألتصم آثار الدعوة السلفية على الحياة الدينية لدى بادية نجد بإبراز ما استطعت إبرازه من تلك المعطيات الخيرة لتلك الدعوة المباركة في توجيه الحياة الدينية لدى البادية نحو المعتقد السلفي الصحيح ، والتشريع الرباني المحكم ، واستعرضت في هذا الفصل بعض نتائج الفصل الذي قبله على تلك الحياة فسي الصلاة والزكاة وسائر أركان الاسلام علاوة على القضايا العقدية مشيراً الى دور أهم جهة مسئولة عن تنفيذ البرامج الدينية وهي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي الفصل الثالث حاولت أن ألتصم آثار الدعوة على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وابتدأت بأهم قضية تشغل بال المجتمع النجدي وهي قضية الأمن بمفهومه العام وخاصة الأمن في المسالك وهو ما كانت تعكره البادية بالدرجة الأولى حيث أبرزت فيه جهود الدولة في تخفيف الروافد التي كانت تصد الفوضى وتعكير الأمن ، وتوسيع المناقذ التي تؤدي الى الرخاء الاقتصادي باعتبار أن الهدف الاقتصادي من أهم أهداف الغزو عند البدوي اذا لم يوجهه هذا الغزو نحو الأهداف الخيرة وهي التي جهدت الدعوة ودولتها في توجيهه

اليها ، ثم تحدث عن أثر الدعوة على الأخوة اجتماعيا بما حلال الأخوة
الاسلامية محل الأخوة القبلية والعرقية أو على الأقل عدم التعصب للأخيرة على
حساب الأولى ، ثم تطرقت الى أثر الدعوة على التحرك الجماعي وزعامة القبيلة
عرضت فيه بعض نتائج الفصل الأول من حدوث هجرات شبه جماعية من بعض
القبائل التي لم تطب لبعض أنفانها مظاهر الحياة الجديدة ، أو حدوث
بعض الهجرات المعاكسة باتجاه نجد من بعض القبائل التي والت الدعوة وتسلمت
بشكل أكبر الى نجد ، كما تحدثت عن أثر الدعوة في زعامة القبيلة وأخذت مثالا
لذلك من الدواسر وقحطان اللتين كان تعيين القيادة العامة فيهما يتدخل من
الدولة السعودية وهذا التدخل لم تكن هذه الدولة يدعاه فيه أن اختيار
شيخ القبيلة يعد من مسئوليات الامام في الاسلام ، وان كانت الدولة السعودية
مثلها في ذلك مثل الخلافة الاسلامية من قبل لا تعين للأمانة العامة الا أحد
أفراد القبيلة ، أو تكتفى باقرار ما تتفق عليه القبيلة^(١) ، و تطرقت بعد ذلك الى
أثر الدعوة على نظامي الرهبط والدخيل باختصار حتمه شح المادة لدى ، كما
ألمحت الى أثر الدعوة على وضع المرأة ببحث العلماء لأهم قضية كانت تعاني منها
المرأة البدوية وهي التحجير ، ثم تعرضت الى رأى علماء الدعوة في اللباس على
اعتبار أن كثيرا من أبناء البادية الداخلين في الدعوة اعتقدوا أن ذلك يفرض عليهم
نوعا معينا من اللباس حيث بين هؤلاء العلماء أن ليس هناك لباس مخصوص للدخيلين
في الدعوة ، ثم بينت رأى الدعوة في المشرب وخاصة أهم المشروبات التي جسدت
على حياة البدوي وهما القهوة والتبغ وختمت هذا الفصل برأى الدعوة في
بعض الاعتقادات الطبية وأساليب الترويح عن النفس ، وأنهيت هذا البحث
بخاتمة لخصت فيها أبرز الأفكار التي خرجت بها من هذا البحث .

وقد رجعت في ذلك كله الى بعض المصادر والمراجع الرئيسية والفرعية
استعرض بإيجاز أهمها وألمح بشكل عام الى بعضها ، فقد استفدت من مؤلفات

الشيخ أحمد بن محمد المنقور وخاصة كتاب " المسائل العديدة في المسائل المفيدة " وقد طبع أخيراً على نفقة الأستاذ عبد العزيز عبد العزيز المنقور أحد رجال الأعمال السعوديين ووزعه مجاناً وقد تفضل على فأهداني نسخه منه وميزة الكتاب جمع فتاوى العلماء النجديين قبل الدعوة بشكل رئيسي مع بعض العلماء من غير نجد ، وللمؤلف فيه بعض الآراء ويستطيع الباحث أن يرصد فيه كثيراً من القضايا الاقتصادية والاجتماعية التي ترد بشأنها بعض الفتاوى علاوة على بحث ما استجد على الحياة الاجتماعية في نجد كالقهوة والتبغ ويعرف في الأوساط الفقهية النجدية بمجموع المنقور ، وكذلك اطلعت على تاريخه الذي حققه الدكتور عبد العزيز الخويطر والكتاب على اختصاره يصور كثيراً من جوانب الحياة العامة في نجد قبل الدعوة ، علاوة على أن مؤلفه فقيه موثوق به ما يجعل الباحث يثق كثيراً بما كتبه فيه ^(١) ، أما كتابه " جامع المناسك الثلاثة الحنبلية " فهو يدل على حسن تنظيم المؤلف للحدوث عن المناسك وهو يصور بعض الأمور الدينية الخاصة بالحج ما يعتبر من الأمور البدعية ^(٢) ، وعلى أنه يصور الحياة الدينية لدى الحاضرة بشكل مباشر فإن استفادتي منه هنا غير مباشرة ، وقد اطلعت على تاريخ الشيخ حمد بن محمد بن لعبون واستفدت منه في جوانب البحث ، وكانت استفادتي مباشرة وقوية من كتاب الأخبار النجدية للشيخ محمد عمر الفاخري والذي قام أستاذي المشرف بإعداد دراسة وتعليق وتحقيق عنه ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وكانت استفادتي من تعليقات المحقق لا تقل عن استفادتي من الكتاب نفسه سواء كان في فترة ما قبل الدعوة أو ما بعد ها ، فيما يتعلق بالمتغيرات المناخية وبعض القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقد رجعت الى عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر في كثير من مواضيع الرسالة سواء كان في سوابقه لفترة ما قبل الدعوة ، أو بقية الأحداث التاريخية فيه لما بعد ها وقد اعتمدت - بمشورة أستاذي المشرف - على طبعة وزارة المعارف الأخيرة سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م التي حققها الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف

(١) د. عبد الله الشبل : أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية ص ١٥

(٢) أنظر على سبيل المثال ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٣٧ ، ١٣٩ من هذا الكتاب

آل الشيخ على أنى أقارن بين بعض الطبقات الأخرى وهذه الطبعة أحيانا إذا شككت في قضية قد يكون للطباعة دور في تحريفها^(١) ، وسبب اقتصاري على هذه الطبعة شمولها عن بقية الطبقات الأخرى نظرا لذكرها استراكات المؤلف على نفسه ، ولصدور فهارس شاملة لها من اعداد أحد باحثي دائرة الطك عبد العزيز ، ولم أكن في ذلك كله بعيدا عن ملاحظات الباحثين على ابن بشر كملاحظات أستاذي المشرف في دراسته لأهم المصادر النجدية والدكتور عبد العزيز الخويطر في كتابه عن عثمان بن بشر والشيخ مقل الذكير في مخطوطه العقود الدرية .

ومن أبرز المصادر التي رجعت اليها في فترة ما بعد الدعوة تاريخ ابن غنام المسمى " روضة الأفكار والأنعام لمرطاد حال الامام و تعداد غزوات ذوى الاسلام " وقد اعتدت على طبعة المكتبة الأهلية بالرياض عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م حرصا مني على تأصيل البحث وتوثيقه لأنها كتبت بأسلوب المؤلف ولغته ، وكان اعتمادي على ابن غنام كبيرا في بيان مواقفها بادية نجد من الدعوة السلفية لأنه لم يذكر أى جانب من جوانب التاريخ النجدى قبل الدعوة الا اشارات قليلة في أول الكتاب تصور بعض الجوانب السنية في الحياة الدينية لدى حاضرة نجد ، ويبدو أنه كان يعتقد أن في ذكر جوانب من ذلك التاريخ قبل الدعوة تقليل للدور العظيم الذى قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومن هنا يمكن فهم عدم عناية بعض مؤيدى الدعوة بدراسة تاريخ نجد قبل الدعوة دراسة تفصيلية وإبراز الجوانب المشرقة في هذا التاريخ ، والفروض أن لا تجربنا هذه الدراسة الى التقليل من ذلك الدور الكبير ، بل تدفعنا الى عقد مقارنة بين الوضع المتردى قبل الدعوة والحياة المثلى بعدها ، وأن لا نفعل الجوانب المشرقة في الحياة الاجتماعية في نجد قبل الدعوة ، تلك الحياة التى لا شك أن لها أكبر الأثر في حياة الشيخ محمد نفسه ان لم يكن الا ابننا من أبناء هذا المجتمع هزته الجوانب المشرقة

(١) انظر على سبيل المثال ص ٣٧٤ من هذا البحث .

فيه بأعجب بها ، وأثارت فيه الجوانب السيئة محاولة الاصلاح فقام بالتجدد بيد
 الدينى فيه ، ويلمح الباحث اعجاب الشيخ بالجوانب الضيقة فى هذا المجتمع
 فى كثير من كتاباته ، وخاصة حين المقارنة بين الهادية والحاضرة ، ومن هذا
 المنطلق كانت استفادته كبرى من مؤلفات الشيخ محمد نفسه سواء الرسائل
 الشخصية أو بقية المؤلفات حيث عكست على قراءتها بعد أن حصلت عليها مجتمعة
 عن طريق أسبوع الشيخ محمد الذى أقامته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
 كما اطلعت على البحوث التى ألقيت فى هذا الأسبوع واستفدت من بعضها
 استفادة مباشرة وبعضها الاخر استفادة عامة ، والبحث والتعمق فى مؤلفات
 الشيخ ضرورى لكل من يريد أن يبحث فى التاريخ النجدى باعتبار أن الدعوة
 السلفية محور هذا التاريخ فى العصر الحديث ، وباعتبار أن نظرات امامها
 تشكل عمقا تحليليا فى رصد كثير من نواحي الحياة العامة فى نجد ، كذلك كان
 استفادته كبرى من الدرر السنية فى الأجوبة النجدية التى جمعها الشيخ
 عبد الرحمن بن قاسم التى تعتبر مجموعة فتاوى وتقريرات علماء نجد منذ قيام
 الدعوة السلفية الى وفاة المؤلف فى مجالات العلم الشرعى المخططة وكان مجال
 استفادته منها فى رأى الدعوة وأثرها على بعض نواحي الحياة الاجتماعية
 لدى بادية نجد و صلبها ، على أن هذا الكتاب يحوى بعض آراء لبعض علماء
 نجد قبل الدعوة وان كان ذلك قليلا .

وتشكل المأثورات العامة من أمثال وقصص وقصائد مصدرا رئيسيا من
 مصادر هذا البحث وخاصة حينما تشح المصادر التاريخية وغير التاريخية
 المكتوبة باللغة الفصحى ، وما من شك أن النواحي الاجتماعية لدى الهادية
 النجدية صحيحة فى المصادر الفصحى سواء لما قبل الدعوة أو ما بعدها ، ومن
 هنا فقد حفل هذا البحث بقدر من هذه المأثورات وقد استفدت منها فى مصادر
 المكتوبة والمروية ، ولا يعنى هذا الاهتمام بهذه المأثورات تأييد الباحث
 للدعوات المعادية للفتنة الفصحى لغة القرآن التى يعتبر نشرها والتحدث بها
 من الوسائل الرئيسية لنشر الاسلام ، الا أنه وقد بدأ اللحن فى الأمة الاسلامية

منذ فترة متقدمة ثم شاع حتى طغت العامة فان الاصطدام بقطاع كبير في المجتمع يتكلم تلك اللغة من الصعوبة بمكان ولا يحقق الأهداف المرجوة من المحاضرات الجادة لنشر اللغة الفصحى على حساب العامة وفي هذا السبيل فلا بد من الأخذ بفكرة القضاء على العامة بدراستها وتأسيس بعض كلماتها وبيان ما لم يكن له أصل فصيح ، وهذه الفكرة أخذت بها وأنا أقوم بتحليل بعض القوائد العامة في الهوامش هذا التحليل الذي كان ضروريا لما تحمله بعض كلمات هذه القوائد من معان اجتماعية لابد من توضيحها ، وقد رجعت في هذا المجال الى بعض المعاجم اللغوية المعروفة كالقاموس المحيط للفيروز آبادي ، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، وقاموس رد العامي الى الفصحى تأليف أحمد رضا العاطلي .

ومن المصادر التي رحمت اليها : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب تأليف حسن بن جمال الريكي (١) نسبة الى بندر رزيك على الساحل الايراني من الخليج العربي) ورغم أن الكتاب قد حفل بقدر كبير من المغالطات والأوهام التاريخية فهو يعد مصدرا جيدا من مصادر الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى باعتباره معاصرا لأحداثهما ، ويزيد في أهمية الكتاب اهتمامه في القضايا الاجتماعية والاقتصادية وفيما عدا مغالطات وأوهامه فيما يتعلق ببعض القضايا العقدية والسياسية بالنسبة للدعوة ولنتها فهو قد سجل بعض معالم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في نجد قبل الدعوة وبعد ها لدى حاضرة

- (١) رغم أن محقق هذا الكتاب لم يكشف لنا عن شخصية واسم هذا المؤلف وهل هذا الاسم (الريكي) للناسخ او للمؤلف ولم يكتفنا نفسيهما في بذل جهد من هذا القبيل - وهو من أهم قواعد التحقيق - رغم كل ذلك فقد ترجح لدى اني حسن بن جمال بن أحمد الريكي هو مؤلف هذا الكتاب وربما ناسخه كذلك وذلك لما يأتي :-
- ١- ترجيح الشيخ حمد الجاسر لذلك في مقالة عن هذا المؤلف في مجلة العرب ج ١٠ / ٤ / ص ٩٤٠ .
 - ٢- ترجيح الدكتور منير العجلاني لذلك في كتابه البلاد العربية السعودية (١ / ٤٤) .
 - ٣- تأكيد عبد الواحد راغب (احد باحثي دار الملك عبدالعزيز) لذلك في مقاله عن هذا الكتاب ومؤلفه - نشرها في مجلة الدارة ع ٢ / ٢ / ص ٢٣٨ - ٢٤٩ وقد أورد عددا من الأدلة المقنعة في نظري في هذا المجال ليس هنا مكان البسط فيها وفي غيرها .
 - ٤- ان التحقق في قراءة الكتاب يؤكد ان الريكي هو المؤلف وربما المؤلف والناسخ معا وعلى سبيل المثال انظر ص ١٩٧ ، ٢١ .

نجد وباديتها وسط في بعض جوانب تلك المعالم ما لم يتوافر في المصادر المحلية ومالا يجد المتعمق في قضايا المجتمع النجدي أى ملاحظات جوهريه عليه من تلك التي يجدها في القضايا العقديّة والسياسية بل يتم ذلك عن معرفة جيدة من المؤلف ببعض تلك الجوانب الاجتماعية وتعتبر راسته عن قبائل بادية نجد - على قلة المعلومات فيها - من أحسن الدراسات عن هذه القبائل وعدل على معرفته ببعض أوضاعها القبلية ودرجة نفوذها في نجد وبعض مواقف تلك القبائل من الدعوة السلفية وجانب من التحولات الاجتماعية نتيجة لتلك المواقف على ما سيمر ذكره في الفصلين الأول والثالث من الباب الثالث من هذا البحث .

ومن المصادر المعاصرة التي رجعت اليها كتاب " كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهو وان لم يكن في مستوى ابن غنام والفاخرى وابن بشر من حيث كثافة المعلومات التاريخية عن نجد والدعوة السلفية والدولة السعودية وكذلك دقة هذه المعلومات فانه قد حفل بقدر لا بأس به من الجوانب التاريخية المفيدة عن تلك الفترة وخاصة الى ما بعد وفاة الامام عبد العزيز بن محمد بسنوات قليلة^(١)، وكنت قد حصلت على صورة لمخطوطته من الدكتور عبد الله المالح العثيمين الذي جلبها من باريس الا أنها لما لم تكن بالوضوح المرضي فقط طلبت من الكلية تمكينى من الحصول على صورة أخرى لها من أصلها مباشرة فأرسلت الكلية مشكورة - بعد أن أعطيتها رقم المخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس - الى الطلق الثقافى السعودى بفرنسا و طلبت منه تصويرها من الأصل مباشرة فتم ذلك وأرسل الى الكلية الصورة واستفدت منها استفادة جيدة خاصة في الفصل الأول من الباب الثالث ، ولما قام الدكتور العثيمين بتحقيق هذه المخطوطة وطبعتها الدارة في هذا العام فقد قمت بتغيير ترقيم الصفحات ففى الهناثر بما يتماشى مع النسخة المطبوعة المحققة وما يحقق استفادى من تحقيقها ، وقد بذل المحقق جهدا في التعرف على شخصية المؤلف ولكن لم يتوصل الى ذلك سواه في راسته عنها في أحد أعداد مجلة العرب أو في مقدمته عنها .

أما الكتب الأجنبية فقد ترجمت أجزاء من كتاب :

(١) (Notes on the Bedouins and Wahabys)

تأليف بركهارت نظرا لصلته المباشر بموضوع الرسالة ، واستفدت من هذه الترجمة في ثنايا هذا البحث .

وقد كرم أستاذي المشرف فجلب لي معه أثناء زيارته لجامعة اكستر نفسي بريطانيا جزء ٢ من رسالة الدكتور محمد الشبان مما له صلة بموضوع الرسالة ، وترجمت هذا الجزء واستفدت منه .

ثم قمت برحلة علمية الى العراق وبعض أقطار الخليج العربي وجمعت مادة من بعض المصادر الموجودة فيها والمتعلقة بهذا البحث ، وانتهزتها فرصة لتجميع عدد لا بأس به من الكتب التي تبحث في تاريخ هذه البلدان من مكتباتها التجارية ، ومما لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتاريخ النجدي .

هذا استعراض عام لأبرز المصادر التي رجعت اليها في اعداد هذا البحث أما بقية المصادر المساعدة والتي رجعت اليها في المواضيع الفرعية من هذا البحث فقد أعدت ثمتا بها في آخر الرسالة شاملا لها وللمصادر التي تحدثت عنها في هذه المقدمة ، ولن أتحدث عنها أو عن الصعوبات التي واجهتني أثناء اعداد هذا البحث فان أي جهد علمي لا يكون له طعم العلم ولذة الابتكار الا اذا كان قد صاحبه مصاعب ومتاعب ، ولا بد أن تشكل هذه المصاعب جزءا رئيسيا من مراحل اعداد أي بحث علمي ، تاركا تقديرا لذلك للأسادة الكرام أعضاء لجنة المناقشة ولمن يطلع بعدهم على هذه الرسالة .

(١) هو المستشرق السويسري جون لويس بوركهارت ولد في لوزان ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م ودرس في ألمانيا وبريطانيا التي تجنس بجنسيتها ورحل الى الشرق فاتقن العربية وقرأ القرآن وتفق في الدين الاسلامي ويقال انه اسلم وحج وتسمى بالحاج ابراهيم المهدي بن عبد الله بركهارت سجل شهادته في كتابه رحلة الى جزيرة العرب ، وملاحظات عن البسند والوهابيين ، والرحلة الى الشام ، والنوبة وله بعض المؤلفات الأخرى توفي في القاهرة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م وهناك مستشرق آخر يحمل اسم

ويسرني في ختام هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل الى من كان خلف أي فكرة ناجحة في هذه الرسالة أستاذي المشرف الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل الأستاذ المشارك بقسم التاريخ بالكلية الأمين العام للجامعة ، والذي كان لتوجيهاته القيمة ونصائحه السديدة الدور الأكبر في وصول هذه الرسالة الى هذه الدرجة التي أرجو أن تحوز رضا الأساتذة المناقشين ، علاوة على تذييله كافة الصعاب التي كانت تعترضني أثناء إعداد هذه الرسالة سواء كان ذلك بفتح مكتبته العامرة أمامي لأستعير منها استمارة مطلقة ، أو بانتهازه أي فرصة تتيج لي مزيدا من المعلومات حول هذا البحث عن طريق اطلاعه على ما يجد سواء داخل المملكة أو خارجها ، وما افادته لي في الجوانب العلمية والمنهجية لهذا البحث عبر مراجله الا مظهرها بسيطاً من مظاهر معاناته الشخصية لاخراج هذا البحث في صورته الأخيرة فله مني عظيم الشكر وجزيل الامتنان ومن الله سبحانه الأجر والمثوبة ، وطول العمر في الأعمال الصالحة ان شاء الله وأن يديم عليه سبحانه الصحة والعافية ويجزيه عن خير الجزاء ، كما أتوجه بالشكر الجزيل الى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بشكوريين فاقتطعوا جزءاً من وقتهم الثمين لقراءة هذه الرسالة والذين ستكون لملاحظاتهم وتوجيهاتهم الدور الكبير في تقييم هذا البحث وسد الثغرات الموجودة فيه ، ومن هنا فان ملاحظاتهم سواء على المادة أو المنهج أو الأسلوب تشكل عوامل رئيسية لنجاح هذا البحث فيما بعد ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم .

كما لا يفوتني أن أشكر عمادة كلية العلوم الاجتماعية ممثلة في عيدها السابق الشيخ محمد بن عرفة ، وعيدها الحالي الدكتور محمد سالم الموفسي وكذلك أساتذتي في قسم التاريخ وزملائي في الكلية عامة وقسم التاريخ خاصة ، وكل من أسدى الي معروفات تتعلق بهذا البحث والله يجزيهم كل خير ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(=) بركهارت كذلك ، للتفصيل (نجيب العميق : المستشرقون ١٢١/٢ ، ١٢٢ ، الزركلي : الاعلام ٩/٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ابحاث الندوة الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ٢/٤٥٣-٤٦٣ بحث الدكتور محمد سعيد الشعمس عن بركهارت) .

المدرسة :

أبرز ملامح نجد الجغرافية والتاريخية
حتى قيام الدعوة السلفية

٢ : نجد : الموقع والملاح الطبيعية :

١ - الموقع .

٢ - التضاريس .

٣ - المناخ وأثره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

ب : استعراض عام لتاريخ نجد قبل الدعوة .

أ - نجد بالموقع والملاح الطبيعية :

١ - الموقع :

تطلق العرب النجد والجليل - قليلا - على ما صلب من الأرض وشرف بحيث لا يصل في ذلك الى ارتفاع الجبل ، كما تطلقه على الطريق المرتفع أو الطريق عامة (١) ومنه قوله تعالى : " وهدىناه النجدين " (٢) أى طريق الخير وطريق الشر حيث اقتضت شئته سبحانه هداية الانسان لسلوك أيهما شاء (٣) .

والنجد بهذا المعنى يطلق على عدة مواضع الا أن أشهرها هو نجد المنطقة التي تقع في وسط شبه الجزيرة العربية ، والتي لا ينطبق عليها كلها مفهوم النجد الا أن كثرة المرتفعات والهضاب بجانب المنخفضات جعلها تشتهر بهذا الاسم دون غيرها من النجود حتى أصبحت تشكل اقليما جغرافيا له كيان اجتماعي تتماثل عاداته وتشابه تقاليده ، كما تشكل في فترات الجذب والفاقة مصدرا بشريا للبلاد المجاورة عبر التاريخ ان منها خرجت الموجات السامية التي عمّرت الأرض في الهلال الخصيب وبلاد الرافدين بل قد انتقل قسم من هذه الموجات الى مصر وافريقية ، كما خرج منها معظم جيوش الفتح بعد الاسلام (٤) .

ونظرا لاختلاف مستوى الأرض في نجد فان العرب تقول فيما ولي سراة الحجاز وسراة تهامة وهي العليا : " النجد " وتقول فيما ولي العراق وهي السفلى : " أرض نجد " (٥) .

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، طبع ونشر دار صادر ودار بيروت : لبنان ١٣٧٢/٥ ، ٢٦١/٥ ، ٢٦٢ ، عبد المؤمن البغدادي : مرآة الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ط (١) دار المعرفة . بيروت ، نشر الباز مكة المكرمة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م (١ / ٣٤١ - ١٣٥٧ - ١٣٥٩) ، محمد بن يعقوب الفهرز آبادي : القاموس المحيط . نشر دار العلم للجميع . بيروت ١ / ٣٤٠ ، محمد ابن علي الشوكاني : فتح القدير ط (٢) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م ٤٤ / ٥

(٢) سورة البلد آية (١٠)
(٣) الشوكاني : المصدر السابق ٤٤٤ / ٥ ، سيد قطب : في ظلال القرآن ط (٥) دار احياء التراث العربي . بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ٨ / ٣٠ - ١٩٥ ص
(٤) عمرو فوخ : تاريخ الجاهلية مطابع دار الكتب . بيروت نشر دار العلم للطالبيين بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ٣٦

(٥) الحسن عبد الله الاصفهاني : بلاد العرب تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ط (١) نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ٣٦ ، الحسن ابن احمد البغدادي : صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد الاكوع . نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ٣٢٨ .

ولما كانت نجد تقع في وسط شبه الجزيرة فقد أطلق عليها : " قلب شبه الجزيرة العربية (١) " وتشمل عدة مناطق . ففي الشمال منطقة حائل " جبل شمر " ومنطقة القصيم ، وفي الوسط منطقة الحارث والشعيب وسدير والوشم والمحمل وهي ما يطلق عليها اداريا : المنطقة الوسطى ، وفي الجنوب منطقة الخرج والأفلاج ، ووادي الدواسر (٢) ، ويمكن القول : ان منطقة الحارث تشكل قلب نجد وكانت تكون مع المنطقة الواقعة الى الجنوب منها منطقة اليمامة من الناحية الجغرافية في حين يشكل شمالها منطقة نجد في مساهماتها الى أن قلبا سمجد على هاتين المنطقتين بعد أن كانتا الى القرن الثامن الهجري يطلق على كل منها اسمها القديم (٣) .

وتحد نجد من جهة الغرب بحبال الحجاز والسراة وهو ما يعرف قد يما بالحجاز الأسود ، وما يتصل بهذين الجبلين المتلاصقين من حرار (٤) تتخفى تدرجها حتى تنتهي شرقا الى أرض لا يميزها عما حولها من الأرض ارتفاع ظاهر فتلتقي بأرض نجد غرب جبل " حصن " (٥) ويروي عن العرب : " أنجد من رأى حصنا "

(١) ك. م. تويتشيل ، ادوارد ج. جورج : المملكة العربية السعودية ترجمة شكيب الاموي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ص ١٦ .

(٢) وتضم نجد حاليا ثلاث مناطق ادارية كبيرة هي : امانة منطقة الرياض وتضم مناطق الحارث والشعيب وسدير والوشم والمحمل والخرج والأفلاج ، ووادي الدواسر ، ٢- منطقة القصيم ، ٣- منطقة حائل .

(٣) ذكر ابن بطوطة في عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م اليمامة باسمها وماصمتها حجرة ، ويهد وان هذا الاسم بدأ يضاف تدريجيا ليندرج تحت اسم نجد . (محمد بن عبد الله بن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، طبعة دار صادر . بيروت ص ٢٨٠ ، وراجع : امين سعيد : الخليج العربي ط مطابع الغد نشر دار الكاتب العربي . بيروت ص ٤٨) .

D.R.M. THE ALTENYAN HISTORY WRITING IN NAGD p.117

(٤) الحرار : جمع حره وهي الأرض التي فيها حجارة سود مجتمعة مكونة من مصورات الألأا والصخور البركانية متناثرة في شبه الجزيرة على امتداد جبال الحجاز والسراة من جهة الشرق الا انه يوجد حرار في مواضع اخرى كحرة رماح في الدنأ ، الا ان المشهور منها ما كان غرب نجد ، وقد فصل الجغرافيون المسلمون القول عن هذه الحرارة ، (الأصفهاني : بلاد العرب ١٤٠١ هـ ، عبد الله البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفى السقا ط (١) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م ، ٢/ ٤٣٥-٤٣٨ ، باقوت ، ٢/ ٢٤٥-٢٥٠ ، عبد المؤمن البغدادي ١/ ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤-٣٩٦ . د . محمد ابو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ط (٣) مؤسسة سجل العرب . القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ٢/ ٣٨ . د . محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم : المطابع الأهلية للأوقفت ، الرياض ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، المكتبة التاريخية (١) ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ص ١٠٦-١٠٨ ، عمر فروخ : المرجع السابق ٢٩ ، ٣٠ . د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ص ١١-٣٠) .

(٥) حصن : قال البكري : جبل في ديار عامر ، ومن اقبل منه فقد انجد ، أي شاهد هذا الجبل فقد صار في نجد لانه في أعلى نجد ، وهو يقع شمال تربة غرب الخربة ، قد يما كان لها هلة وقيل لحشم والآن للبقوم ، يوجد مواضع اخرى تحمل هذا الاسم ما بين مورد ما وقربة وجبل الا أن أشهرها هذا الجبل الذي قال فيها الشاعر (=)

كما أن بعض الجغرافيين المسلمين قد حددوا غرب نجد بذات عرق (١) التي هي نهاية الحجاز من جهة نجد وهذا التحديد يدخل في نطاق التحديد العام لغرب نجد الذي خصه هؤلاء الجغرافيون بالتفصيل (٢) .

أما من الشرق : فإن أرض نجد تبدأ بالانخفاض تدريجياً حتى تتصل بأرض هجر "الأحساء" ولا يشاهد المرء أي ظاهرة طبيعية توحي بأن أرض هجر منفصلة عن أرض نجد بل يعتقد أن هجر جزء لا يتجزأ من أرض نجد ، حتى أن الجغرافيين المسلمين قد حددوا نجدًا من الشرق بالخليج العربي من محاذة عمان جنوباً إلى البصرة شمالاً حتى ينتهي إلى أطام الكوفة ومن هنا جاء قولهم : كل ما وراء الخندق الذي حنقه كسرى ساور قرب الكوفة - فهو نجد . (٣) حلت سليمي بذات الجزء من عدن . وحل اهلك بطن الحنو من حضن (الأصفهاني : ١١ ، الهمداني : ٣١٩ ، البكري : ٤٥٥/٢ ، ياقوت : ٢٧١/٢ ، ٢٧٢ ، عبد المؤمن البغدادي : ٤١٠/١ ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ط (١) مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة الرياض ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ٣٢٩/١ - ٣٣١ ، شمال المملكة ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة . نشر دار اليمامة الرياض ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ٤٤٢/١ ، ٤٤٣ ، عبد الله بن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز . نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ص ٢١٠ ، ٢١١) .

(١) ذات عرق : سهل أهل العراق سميت بذلك لأنها تشرف على جبل عسيرة الذي بطريق مكة ويوجد عدد من الجبال والتقى والامكنة بهذا الاسم أشهرها هذا الموضع ، تعرف الآن باسم الضريبة حيث تقع على واد بهذا الاسم في أعلى نخلة الشامية ، وهي ملتقى حجاج شمال نجد بحجاج العراق وكانت الضريبة في الأصل جزءاً من ذات عرق ، أما اليوم فالضريبة أشهر من ذات عرق ، حيث تقع على واد بهذا الاسم (ابراهيم بن اسحاق الحربي الناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، ط مطبعة المتنبى . بيروت . نشر دار اليمامة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م من ٣٤٧ - ٣٤٩ ، الاصفهاني : ٣٣٩ ، الهمداني : ٦٤ ، ياقوت : ٤٥٦/٣ ، ٤٥٧/٤ ، ١٠٨ ، عبد المؤمن البغدادي : ٨٦٨/٢ ، ٩٣٢ ، ٩٣١ ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافي : ٨٠٤ - ٨٠٧ ، عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ط (١) دار مكة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ١٩٩/٥ ، ٢٠٠) .

(٢) البكري : ١٤٠/١ ، ياقوت : ٢٦٢/٥ ، مجلة العرب : ١ / ١٤ ص ٢٠ من

مقال للاستاذ محمد الفهد العيسى
(٣) مجلة العرب ، العدد السابق والصفحة السابقة

أن تميل الى الحرة (١) ، ولئن كان هذا التحديد لشرق نجد يتفق مع طبيعة الأرض، فإنه لا يتمشى مع التحديد الذى مر لأقاليم منطقة نجد الذى يخضع للمؤثرات الاجتماعية وأساليب الحياة العامة .

أما من الشمال فإن أرض نجد تحد بسواد العراق ومشارف الشام حيث تفصل صحراء النفود الكبير بين هضبة نجد وهاتين المنطقتين والى هذا أشار الهمداني بقوله : " وطرف نجد العليا ومراعى هذه البلاد وأعداد مياهها ود حولها وجبالها وقراها وبادها . الى أطراف الحجاز وأشرف الشام وسواد العراق " (٢) وتمتد هضبة نجد بصورة سهلية شمال حائل حتى بادية الشام (٣) .

ومن الجنوب تقف الكثبان الرملية الكبرى التى تمتد من عمان الى اليمن وهى رمال الربع الخالى أو ما تسمى قديما : " رمال الأحقاف " أو " رملة يبرين " . تقف هذه الكثبان حاجزا بين هضبة نجد فى الشمال ومرتفعات حضرموت وظفار فى الجنوب حيث يشكل هذا الربع حوضا تحيط به جدران أربعة هى هضبة نجد فى الشمال ومرتفعات حضرموت وظفار فى الجنوب ومرتفعات عمان فى الشرق ومرتفعات جنوب غرب المطلة وشمال غرب اليمن فى الغرب (٤) ويتخلل منطقة التداخل بين

(١) البكري ١٣/١ ، ياقوت ٢/٣٩٢ ، ٥/٢٦٢ - (٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩ .
(٣) د . عمر الفاروق السيد رجب : دراسات فى جغرافية المطلة العربية السعودية ط (٢) شركة الخدمات الصحافية والطباعة بيروت ، نشر دار الشروق . جدة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٤٤٤ .

(٤) الأصفهاني ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، الهمداني ٣١١ ، البكري ١/١١٩ ، ١٢٠ ، ٤/١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، وذكر انه يقال لها : يبرون ، ياقوت ١/١١٥ ، ١١٦ ، ٥/٤٢٧ ، ويشير الى أن " يبرين " لغة فيها ، د . محمود ابو العلا : المرجع السابق وذكر الهجرى انها كانت لبني سعد من تميم فغلبهم عليها القرامطة : (حمد الجاسر ، ابو على الهجرى وابحاث فى تحديد المواضع ط (١) نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ص ٣٨٩) .

نجد والربع الخالي وادي الدواسر الذي يستند مياهه من وادي تثليث (١) من السفوح الشرقية لمرتفعات عسير حتى تنتهي هذه المياه شرقا عند أطراف الربع الخالي قرب خط الطول ٤٦ شرقا تقريبا (٢) .

ومن الجدير بالذكر هنا التفريق بين التحديد الإداري والجغرافي حيث أشار بعض الجغرافيين المسلمين إلى تحديد منطقة نجد في كتبهم الجغرافية من الناحية الإدارية فأخرجوا بعض مناطقها وضموها إلى مناطق إدارية أخرى مما يتوهم معه بعض القراء أنهم اخطأوا في تحديد نجد أو يتوهم بعضهم أن هذه المناطق هي فعلا خارج منطقة نجد ، وكان هؤلاء الجغرافيون يستندون إلى أن أجزاء من منطقة نجد كانت تضم إداريا إلى ولاية المناطق المجاورة لها فقد كانت القصيم وأجزاء من شمال نجد تضم إلى والي المدينة في العهد الأموي ، وإلى والي طرق الحج في العهد العباسي (٣) مما جعل هؤلاء الجغرافيين يخرجون القصيم وأجزاء من شمال نجد كالحفر ومناطق من إقليم جبال شمر .

-
- (١) قال الهمداني : تثليث : واد بنجد وهو على يومين من جرش في شرقهم إلى الجنوب ، وعلى ثلاث مراحل ونصف من نجران إلى ناحية الشمال ، وتثليث لبنى زبيد وهم فيها إلى اليوم وبها مسكن عمرو بن معد يكرب الزبيدي (ت ٢١١هـ / ٦٤٢م) . وقد ذكر البكري عددا من القبائل قطنوها وذكر منهم بني تموم وبني واد وأن ذلك في فترات متتالية ، والوادي الآن من أشهر أودية المنطقة فيه قرى كثيرة وإمارة وتتبع إمارة عسير (الهمداني : ٢٥٣ ، ٣٣٩ ، البكري ١/ ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ياقوت ١٦ ، ١٥) وأشار إلى أنها موضع بالحجاز وذكر تثنيث موضع بالسراة ولعله يقصد به تثليث ، عبد المؤمن البغدادي ١/ ٢٥٥ ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافي ١/ ١٩٤) .
- (٢) د . د . محمود أبو العلا ٢/ ١٠٠ ، د . د . عمر الفاروق : ٤٤ ، محمود شاكر : نجد ط المكتب الإسلامي . بيروت ، دمشق ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م : ص ٥٢ ، ٥١ .
- (٣) الأصفهاني : ٣٤٠ من حاشية المحقق .

ومن هنا جاء قولهم: "إذا جاوزت عجلز (١) من ناحية البصرة فقد أنجست
وإذا بلغت من ناحية سميراء (٢) أو دونها فقد انجست" وقال بعضهم: "إذا جاوزت
الحضر فأنت في نجد" و"حد نجد من النباح" (٤) و"إذا جرت القصيم فأنت في نجد"

(١) عجلزة: الفرس الشدي، وجعل عجلز وناقعة عجلزة، وتطلق على النفود الذي
بازا الحفر وفيه ماء، وقال البكري: أنه في طريق الحج بين قريتي ابن عامر
قرب عنيزة، وفيهم من كلامه وكلام ياقوت أنه يمتد من الحفر إلى شرق عنيزة
ويصل العبودي إلى أن عجلز هو مورد الزريب الذي يقع في رمال القصيم
نسبتاً إلى قول المتقدمين: أن عجلز فوق القريتين، وأنه بالقصيم، وأنه في طريق الحج
والله أعلم (الحربي: المنايا ٥٩١، الأصفهاني ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣، البكري
١٨٧٢/٣، ٩٢٢، ياقوت ٨٦/٤، عبد المؤمن البغدادي ٩٢١/٢، الفيروز
آبادي ١٨١/٢، ١٨٢، حمد الجاسر: أبو طلي الهجري ٢٦٧، محمد
العبودي: بلاد القصيم. مطبعة نهضة مصر. القاهرة نشر دار النهضة
الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ١١٠٢/٣، ١١٠٩).

(٢) سميراء: بالفتح، وينطقها العامة بالكسر مع القصر: كانت مورد ماء طين
طريق الحج بين البصرة ومكة، قيل: أنها سميت برجل من عاد يقال له
سميراء، وقيل لأنها تقع بين جبال وأكام سوداء، عسكر فيها طليحة
الأسدي، يبدأ تاريخها الحديث منذ ٥٠٠ سنة عند ما عمرها أحد الشبارمة
مع أسرته من الحمران من تميم، وهي الآن تتبع إمارة منطقة حائل حيث تبعد
عن حائل ١٣٠ كيلو جنوباً ويقطنها مع الشبارمة أسر منها الجلاء من
الدهاشمة من عنزة، وهناك مواضع بهذا الاسم بعضها يضم أوله (الحربي
٣١٦-٣١٣، الأصفهاني ٥١، ٥٢، الهذلي ٢٨٦، البكري ٧٥٧/٣، ياقوت
٣٥٥/٣، ٣٥٦، عبد المؤمن البغدادي ٧٤٠/٢، حمد الجاسر: شمال
المملكة ٦٩٣-٦٩٥، عبد الله بن صقيه: بنو تميم في بلاد الجليلين
المطابع الأهلية للأوقست، الرياض بإشراف دار النهضة. الرياض ١٤٠١هـ -
١٩٨١م من ص ٦٨-٧٣).

(٣) الحفر: بفتح الحاء والفاء يطلق على الحفرة والتراب المستخرج منها،
والمقصود بها ركايا احتفرها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
(٢١ ق. هـ. ٦٠٢م - ٤٤٤هـ/ ٦٦٥م) على طريق مكة البصرة عند توليته
إمارتها ١٧هـ، وتقع الحفر الآن شمال شرق المنطقة وتعرف باللام أو بأضافتها
إلى الباطن الوادي المعروف قد بها بفلج حيث تقع على ضفافه وهي تتبع
الآن إمارة المنطقة الشرقية، وهناك عدة مواضع بهذا الاسم إلا أن أشهرها
هذا الموضع (الحربي ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٧٦-٥٨١، وذكر أنه كان يسمى
الحفير قبل أبي موسى ويروي قصة حفر أبي موسى لها، الأصفهاني ٢٤٧،
٢٧٦، ٢٩٤، وذكر أنه سمي بعد حفر أبي موسى له بحفر العنبر حيث قف
قطنه أناس من بني العنبر من بني تميم، الهذلي ٢٨٦، البكري ٤٥٧/٢،
١٠٢٧-١٠٢٩، الفيروزآبادي ٢٧٥-٢٧٧، ٢٧٢/٤، عبد المؤمن
البغدادي ٤١٢-٤١٤، حمد الجاسر: شمال المملكة ٤٤٧/٢، مقدمة
المعجم الجغرافي ٣٣٤، ٣٣٥، العبودي: بلاد القصيم ١٦١/١، ١٦٢).

(٤) النباح: شدة الصوت، ونباح الكلب: نباحه، وأنبج الرجل: خلط في كلامه
والنباح: الأكام العالية، وقد ذكر الأصمعي: عهد الطلح بن قريش
(١٢٢هـ/ ٧٤٠-٢١٦/٨٣١م) أنها سميت بذلك لكثرة أهلها، وكثرة
الأصوات، ولعل في ذلك بعض الصحة إلا أن الهذلي ذكر أنها عيون (=)

(١)

و: "القصيم من عمل المدينة" وكل ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد". وكل هذه التحديدات وما شابهها لا تعد وأن تكون ضمن التقسيمات الإدارية للولايات الإسلامية في فترة من الفترات.

وبعد : فلعل أشمل تحديد لنجد ذكره الجغرافيون المسلمون هو قولهم : "نجد هو اسم للأرض العربية التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام وهو الذي يمتشى مع التحديد الحالي الذي يحدد نجدا من الغرب بجبال الحجاز ومن الشرق برمال الدهنا وماسامتها ، ومن الجنوب باليمن ومن الشمال بالشام والعراق". (٢)

ويقرر ياقوت الحموي - وهو حجة في هذا العلم - أن الشعراء لم يذكروا موضعاً أكثر ما ذكروا نجداً ، فرغم الجو القاري القاسي بحرارته وبرودته صيفا وشتاء إلا أن لنجد سحرًا وروعة جعلت عدداً كبيراً من الشعراء يتغنون بها ويبدون أن ذلك لمراعيتها الجيدة التي تشتهر بها والتي كان يربى عليها أجود الخيول العربية ولنقاء جوها رغم قسوته إذ يخلو من الأوبئة التي تكثر في المناطق ذات الكثافة السكانية

(=) تنبع بالماء ، وقد أبدى الجاسر والعبودي علي أساس أن الأسياح حالياً تطلق على المناجق قدما ، وأول من أنجب ما لها عبد الله بن عامر بن كريز الأموي وهو صاحب وقاتح وأسير في العهد الراشدي والأموي (٤٠٠هـ/٦٢٥م - ٦٧٩م) وسميت بعد ذلك بعيون ابن عامر ، ويسندو أن عيون الجوار من عيون ابن عامر كذلك ، أما تاريخ المناجق والأسياح الحديث فيبدأ منذ أن حفر محمد بن فهد جد آل فهد - أول عيون الأسياح فسي أوائل القرن ١٣هـ/أواخر القرن ١٨م ، وهي الآن تتبع أمانة القصيم الإدارية وهناك أكثر من مناج قد يسمونها هذا (الحربى ٥٢٥، ٥٨٦، ٥٨٩ ، البكري ١٢٩١/٤ ، ١٢٩٢ ، ياقوت ٥/٢٥٦ ، عبد المؤمن البغدادي ٣/١٣٥٢ ، الفيروز آبادي ١/٢٠٨ ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافي ٢/٢٧١ ، شمال المملكة ٣/١٣٠٥ ، وعن تاريخ وجغرافية المناجق بالتفصيل العبودي ، بلاد القصيم ١/٣١١ - ٣٤٤ / ١١٩٠ / ١١٩١)

(١) عن هذه النصوص انظر الاصفهاني ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠

(٢) انظر ياقوت ٥/٣٦٢

(٣) د. عبد الله بن يوسف الشبل : تاريخ نجد والدولة السعودية

(٤) مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/٢٥٠
ياقوت ٥/٢٦٢ ، محمد مبروك نافع : عصر ما قبل الإسلام ط (٢) مطبعة السعادة مصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ص ٢١ ، وقد اشقى ابن جبير وابن بطوطة على جو نجد في رحلتيهما للاستزادة : محمد بن أحمد بن جبير ، الرحلة : طبع دار صادر ودار بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م نشر دار البازمكة ص ١٨١ ، ١٨٢
ورحلة ابن بطوطة ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

والأنهار التي تكون مياهها عرضة للتلوث، وكذلك أرضها التي تهب منها رياح غير صحية وخاصة حين تتعرض للأمطار أو الرطوبة على أقل تقدير، وقد قرر هــذـه الحقيقة أحد الشعراء الذي قدم الى بغداد فأصابه وباء جعله يكره العيش فيها رغم رغبته حيث قال :

أرى الريف يدنو كل يوم وليلىة . . . وأزداد من نجد وصاحبه بمدا
ألا ان بغدادا بلاد بغيضة . . . الى ، وان كانت معيشتها رغدا
بلاد تهب الريح فيها مريضة . . . وتزداد خبثا حين تمطر أو تندي (١)
ويؤكد هذه الحقيقة شاعرا آخر حيث يقول :

أذا العرش لا تجعل ببغداد ميتى . . . ولكن بنجد ، هذا بلدا نجد
بلاد نأت عنها البراغيث، والتقوى . . . بها العين والآرام والعفر والربد (٢)
وتشير أحد الشعراء النواحي الاجتماعية النجدية التي تتسم بالوضوح والصرامة سواء
كان ذلك في الأمور الدينية أو الدنيوية مما يتوهم معه الذي لا يعرف عادات أهل
نجد أن ذلك جفاء وظلّة، فيبدى هذا الشاعر إعجابه بأهل نجد حيث يقول :
ألا هذا نجد ، وطيب ترابـه . . . وظلّة دنيا أهل نجد ودينها
ويقول آخر : خليلي هل بالشام عين حزينة . . . تبكى على نجد لعلني أعينها

(١) باقوت ٢٦٥/٥ ، وقد اشادت اللبدي أن بلانت بجو نجد - انظر رحلتها
الى بلاد نجد ترجمة محمد انعم غالب ط (١) ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م منشورات
دار البعثة ، الرياض ص ٢٣١ ، كما اشاد لوبون نقلا عن بلغريف بجو نجد
مشيرا الى انه لم يرها هو انفع من حوها للصحة في العالم . (غوستاف لوبون
حاضرة العرب، ترجمة عادل زعير، الطبعة الثالثة دار احياء الكتب العربية
القاهرة . نشر دار احياء التراث العربي بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
ص ٥٨)

(٢) المين : جمع عينا وهي المرأة الحسناء ، أو واسعة الأعين حسنتهن (الدعة)
ومنه قوله تعالى " وحوور عين " الواقعة (٢٢) الآرام : جمع أرم وريم وهــبـو
حسن الخلق ، جارية مأرومة : جميلة ، العفر : جمع أفر وعفرا ، يطلق على
الطبي الذي يعلو بياضه حمرة أو الأبيض غير الشديد بياضا ، والمقصود :
نساء بيض خلقه وليس بياضا شديدا ، الريد : جمع ريدا وهي العنز السوداء
المشوبة بالألوان حمراء ، والمقصود النساء السمر بميل الى الحمرة
(الفيروز آبادي ١/ ١٨٨ ، ٢٩٣ ، ٢/ ٩٢ ، ٤/ ٧٤ ، ٢٥٢) .

ويقول آخر:

ألا هل لمحزون ببغداد تناح .: اذا ما بكى جهد البكاء مجيب
كأنى ببغداد ، وان كنت آمنا .: طريد دم نائى المحل غريب
فيا لائى فى حب نجد وأهله .: أصابك بالأمر المهم مصيب^(١)
ويروى أن عشرة من الخوارج جئ بهم الى عبد الملك بن مروان فأمر بضرب
رقابهم وكان ذلك اليوم يوم غمهورعد وبرق ، فلما ضربت رقاب التسعة وبقي العاشر
نشأت برقة من جهة الجنوب فأنشأ يقول على البدية هذين البيتين ، ولعله كان
نجديا :

تألق البرق نجديا فقلت لله .: يا أيها البرق انى عنك مشغول
بذلة العقل حيران بمعتكف .: فى كفه كعباب الماء مسلول
فقال له عبد الملك : ما أحسبك الا وقد حننت الى وطنك وأهلك أو قد كنت
عاشقا ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك ، وقد تأثر بهذين البيتين
لو سبق شمرك قتل أصحابك لو هبناهم لك ، خلّوا سبيله ، فخلّوه ، وهكذا كانت قوة
هذين البيتين ، وصدق شاعر قائلها سببا فى انقاذ حياته .^(٢)

ولئن كان من المتوقع أن يكون هؤلاء الشعراء من نجد ، فلا غرابة حينئذ نرى
حنينهم الى وطنهم فحب الوطن عزيزه وهبها الله فى نفس ابن آدم ، الا أن قوة
الفاظ هذه الأبيات ، وروعة معانيها تجعل من الأهمية بمكان اثباتها هنا ، والأهم
من ذلك أن نجدا قد تغنى بها من ليسوا من أهلها ، فهذا حافظ ابراهيم^(٣)

(١) يا قوت ٢٦٤، ٢٦٣/٥
(٢) عن الأبيات السابقة وغيرها مما قيل فى نجد قد يما أنظر : يا قوت ٢٦٢/٥ .
٢٦٥ ، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود الرياض سابقا م ١/١/١٣٩٠
١٩٧٠ م من ص ١٨-٢١ من مقال للدكتور عزة النص .
(٣) هو الشاعر محمد حافظ بن ابراهيم فهمي . أبوه مهدي من مصرى ، وأمه تركية
وحده لا مه أمين صرة الحج - وهو المال الذى كانت تبعث به مصر لخدمته
الحرمين فى موسم الحج - ولد حافظ فى الصعيد سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٢ م ،
توفى أبوه بعد سنتين ، وقيل أربع من ولادته ، ولم يرزق ولدا غيره ، انتقلت به
أمه بعد وفاة أبيه الى القاهرة عند أخيها الذى تولى تربية حافظ ، فادخله
مدرسة ، وانتقل مع خاله الى طنطا ، وبدأ نظم الشعر فى حداثة سنه ، واشتغل
محاميا ، وتخرج عسكريا فى الكلية الحربية برتبة ملازم ثان ، تعرف على الشيخ (=)

قد خص نجداً بذكر المعجب بهما جوها، وشاعرية طبيعتها حيث قد خصها
ببيت كامل بينما جمع البلدين والثلاثة في بيت واحد ويبدو أنه قد تأثر بجزالة
الفاظ الشعر الذي قيل في نجد، فقد قال فيها :

فمن ربوع النيل، وأعطف بنظيرة . . على ساكني النهرين واحد ح وأبدع
ولا تنس نجداً إنها منبت الهوى . . ومرعى الصبا من سارحات ورتع (١)
وهذا البهلول : أحد الشعراء الليبيين في القرن الحادي عشر والثاني عشر

(=) محمد عبد ، امتاز شعره بفضح الانكليز حتي لقب بشاعر النيل " توفي عام
١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ، له ديوان ، وترجم جزين من البؤساء ليهجو ، وكتب
في الاقتصاد وغيرها ، وكتب عنه عدة مقالات وكتب للتوسم : (ديوان حافظ
ابراهيم : تحقيق احمد امين ، احمد الزين ، ابراهيم الباري ، الطبعة
الثانية طبع ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م مقدمة
الطبعتين الاولى والثانية ٩١ / ٩٣ ، خيرالد بن الزركلي : الاعلام . الطبعة
الثالثة . بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ٦ / ٣٠٤ ، ٣٠٥)

(١) ديوان حافظ ابراهيم ١ / ١٢٨ ، والمقصود بالنهرين : دجلة والفرات ، دكتور
محمد بن سعد بن حسين : الشيخ محمد بن بليهد واثاره الادبية الطبعة
الاولى : مطابع الجامعة . الرياض ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ٨ / ٥٤

(٢) هو الشاعر الليبي احمد بن حسين بن احمد وينتهي نسبه بسيد الناس . ؟
اشتهر بالبهلول وهو لقب له ولوالده وربما لاسرته ، ويطلق لغويا على الفحاك
والجامع لكثير من صفات الخير ، والبهلول نعت من الصفة الثانية ، ولد بطرابلس
في اوائل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، ونشا نشأة
دينية صوفية ، والده من مؤرخي ليبيا ، رحل الي مصر وتعلم على ايدي بعض
علمائها له مكانة علمية وادبية لدى الليبيين ، له درة العقائد سبعون بيتا
والمعينة منظومة في فقه ابي حنيفة ، والمقامات الثورية على نعت مقامات
الحريري ، و (العزبة) في فقه مالك وعدد من الرسائل ، وديوانه الطلي بالقصائد
الرائعة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما فيها من الغلو الضمير
عنه شرعا ، توفي في رجب ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م وهناك اكثر من بهلول . منهم
بهلول بن بشر (توفي ١١١٩ هـ / ٧٣٧ م) أحد الخوارج ، والبهلول بن راشد
(١٢٨ هـ / ٧٤٥ م) - (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) أحد زهاد المالكية ومن اوائل ناشري
الذهب المالكي في تونس . ولعله من اجداده ، بهلول بن عمرو (١٩٠ هـ /
٨٠٦ م) الشاعر واحد عقلاء المجانين ، وشيخ الادب في الشام في القرن
الثاني عشر الهجري ، عبد الرحمن بن محمد البهلول : توفي ١١١٣ هـ /
١٧٤٩ م ، للتوسع : (موطا الامام مالك : قطعة منه برواية ابن زياد : تقديم
وتحقيق محمد الشاذلي النيفر الطبعة الثالثة ، دار الغرب الاسلامي . بيروت
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٧ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ١٠٣ - الفهرز
ابادي ٣ / ٣٣٩ ، احمد البهلول : ديوان البهلول ، شرح وتحقيق الطاهر
احمد الزاوي : الطبعة الرابعة . نشر مكتبة القاهرة ، القاهرة ، والمكتبة
الاسلامية بالبحرين ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م من ٣ - ٥ ، أحد البدري الحلاق
حوادث دمشق اليومية ، تنقيح محمد القاسمي : تحقيق ونشر : أحد عزت
عبد الكريم : الطبعة الاولى : مطبعة لجنة البيان العربي . القاهرة
١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ص ٩ ، ٤٠ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، الزركلي : الاعلام ١ / ١١٥ ،
٢ / ٥٦ ، ٥٥ ، على مصطفى المصراحي : ابن غلبون ، مؤرخ ليبيا ، الطبعة
الثانية دار العودة ، ومطبعة المتنبى ، بيروت ، نشر دار مكتبة الفكر - طرابلس
ليبيا ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ص ٥٠ ، ٥١ .

الهجريين قد تغنى بصبا نجد وأشاد بذكر نجد المنطقة، في معرض ذكره لطريق
حجه وحنينه الى الحجاز ويبد وأن الشاعر قد أعجب بصفا عقيدة أهلها
كصفا جوها ان أبرز حنينه وحنين ناقتة اليها بعد أن أطنب في ذكر أشواقه
الى بلد الحجاز مهد الاسلام، وهو في هذا قد نظر الى التكامل الجغرافي
الحيوي بين المنطقتين، وقد قال في مدح نجد أبياتا منها :

قصد تكما عوجا بنجد وسلمها . . على مدنف أضفى من الحب مغرما
خذوا من صبا نجد حد يثي اذا سرى . . ليخبركم عن شرح حالى وما جرى
وقد حث حادى العيس بالبيد أينقا

اذا ما رأت نجد يحن حنينها . . ويعلو اذا جن الظلام أنينها
الى نحو وادى الخيف ترنوعيونها . . قوائمها تشكو الوجى وجفونها
شكت مد معا لولا الزفير لأغرقا^(١)

وقال : وغصن شبابى بالقطيعه قد نوى . . جزى الله خيرا جيرة الحى واللوى
ومن حل فى نجد ورطة عالج^(٢)

وقال : يحن الى الوادى اذا فاح طيبه . . وان ذكرت نجد يزيد نحيبه
محب حفاه نومه، وحبيب . . صدى فى حشا ليس يطفى لهيبه^(٣)

ومدائه لمنطقة نجد ميثوته فى ديوانه سوا كان ذلك تلميحاً، أو تصريحاً بذكر
نجد أو مناطق معينة منها تصور الشاعر وكأنه من أهلها يعرف مناطقها المغمورة^(٤)

(١) عوجا : عرجا، مدنف : مريضا ملازما، مغرما : أسير حب، أينق : جمع ناقه
وادى الخيف : المقصود الخيف ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل
ويقصد هنا منى، الوجى : ما صلب من الأرض (ياقوت ٢/٤١٢، ٤١٣،
الفيروز آبادى ٣/١٤٠، ١٤١، ٢٧٨، ٤/١٥٦، ٣٩٨، وعن الأبيات :
ديوان البهلول ١١٤، ١١٥)

(٢) اللوى : منقطع الرمل، ووادى اللوى من أودية بنى سليم فى بلاد العرب
وهناك أكثر من لوى بعضها فى نجد، رطة عالج : هى صحراء النفود
الكبرى فى شمال المملكة (ياقوت ٤/٦٩، ٧٠، ٥/٢٣، ٢٤ حمد الجاسر :
شمال المملكة ٣/٨٧٢-٨٧٥، وعن الأبيات : ديوان البهلول ص ٣٥)

(٣) لعل المقصود بالوادى وادى الخيف . الديوان ص ٩٣، ٢٨١

(٤) انظر على سبيل المثال ص ٢٢، ٤٠، ٥٨، ٨٩

ويبدو أن الشاعر قد تعامل مع أهلها فأعجب بهم، أو درس منطقة نجد وما قيل فيها في كتب الأقدمين وشعرهم أو أن الشاعر كذلك لم يتعرض لفارقات قطاع الطرق فيما بين نجد والحجاز.

أما الشعر الشعبي فقد أجاد قائلوه بذكر قلب الجزيرة العربية النابض، والاشادة بمحاسنه التي عوضه الله بها عما افتقدته من الأشجار والأنهار والغابات، إلا أن هذا الشعر لا يرقى إلى مستوى الشعر الفصيح جزالة لفظ وقوة معنى، وسرعة فهم لأهل العربية عامة، وهذا ما حدا به إلى عدم إيراد أغلب ما قاله الشعراء الشعبيون في هذا المجال، لكن هذه الأبيات التالية التي قالتها إحدى شاعرات نجد الشعبيات يمكن أن ترقى إلى مستوى الشعر الفصيح الذي قيل في نجد في قوة الأداء، وصدق الاحساس اللذين يؤيدان دورا في هذا الشعر يعوض ما يفتقده من جزالة اللفظ الذي يتمتع به الشعر الفصيح، ولا غرابة في ذلك فالشاعرة تتحدث عن بلدها وموطن أهلها وعشيرتها حيث قالت :

يا حبي اللي من سما نجد غطاك. . . سحاب زرقا وصدر حنونـــــــــــــــــي
فيها ربيت ومنها أصلك ومنشاك. . . غطتك نجد بضافيات الرد ونـــــــــي
يا نجد قلبي لك حبيب وبهــــــــــــــــواك. . . كم عشت بك من ضافيات الشجونـــــــــي
يا للى رعيتنا عسى الله يرعــــــــــــــــاك. . . ويسقى ثراك من الحيا والمزونـــــــــي
يا قلب لا تبعد عن الدار بغطاك. . . خلك قريب من مظنة عيونــــــــــــــــي
عش وسط نجد اللي بها أيام مرساك. . . أيام والله غالية ماتهونــــــــــــــــي
في وسطها شوفك وحبك ونجــــــــــــــــواك. . . ربيعها لك يا فتوادى فتونــــــــــــــــي
يا نجد ياديرة هلى كيف أبنســــــــــــــــاك. . . منسك أنا يا نجد لويبعد ونــــــــــــــــي (١)

(١) الردون : جمع ردن وهما آخر الأكمام وهي عادة ما تكون واسعة وهي فصيحة لكن المفروض جمعها يكون على اردان أو ردن، ولما كانا اثنين فالصحيح أن لا يجمع بل يقال ردنان، ويبالغ في سعتها أحيانا حتى توصف بالضفاد ومثل البيت المثل " بردان طاح على متحف ردونه " وهي من طرز اللباس النجدي القديم. (الفيروز آبادي ٢٢٧/٤ العبودي، الأمثال ٢٥٥/١ رقم ٣٧٣)، ابنسك : أبى : فصيحة بمعنى رضى والمعنى كيف ارضى بنسبانك مثل منسك : مجموعة من ما بمعنى لا وانسك والمعنى لا يمكن أن انسك، الفيروز آبادي ٢٩٧/٤، وعن الأبيات، أغاريد السعوديه : صدى الذكري (=)

ولو تتبع الباحث ما قيل في نجد قديما وحديثا ، شعرا ونثرا ، من أهلها
أو من غيرهم لضاق المجال لانه يحتاج بحثا مستقلا ، ولكنها العامة لا بد منها
بعد ذكر موقع نجد المتميز في شبه الجزيرة العربية الذي دلت هذه الأقوال على
أهميته كقلب حنون لأمة الاسلام على أساس أن نجد ا قلب الجزيرة العربية
مهد الاسلام ، وعلى أساس أن اللغة التي نتكلم بها والأدب الذي نتغنى به
قد نشأ فيها ، ومنها خرجت الموجات السامية التي عمّرت الأرض في مصر والعراق
والشام ، كما خرجت منها معظم جيوش الفتح الاسلامي ، وفيها جرى معظم
التاريخ الذي ندرسه قبل الاسلام^(١).

(=) ديوان شعر ، الطبعة الأولى ، المطابع الاهلية للاؤفست ، نشر

د.الناصر ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ١٠

(١) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ص ٣٦ ، وعن بعض مدلولات كلمة نجد ، محمود

شاكر ، نجد من ص ١١-١٦

٢- التضاريس:

يمكن اعتبار منطقة نجد هضبة صحراوية بشكل عام حيث تضم مختلف أنواع الصحارى وحيث تختلف ارتفاعاتها بين ٤٠٠-٦ آلاف قدم فوق سطح البحر لتتخفف الى ألفى قدم شرقا حيث تنتهى الى أكثبة الدهنا^(١) الحد الفاصل بين نجد وشرق شبه الجزيرة.

واستنادا الى عدة عوامل جيولوجية، وتضاريسية، ومناخية مرت بشبه جزيرة العرب وما حولها عبر حقبة التاريخ القديمة، يمكن تقسيم سطح نجد الى قسمين رئيسيين هما :

١- القسم الغربى : وهو الامتداد الشرقى للدرع العربى الذى نشأ عن الانكسار العظيم الذى انفصلت بسببه شبه الجزيرة عن افريقية حيث كانتا تشكلان جزءا رئيسيا من قارة جوند وانا القديمة، وكان تأثر غرب نجد بهذا الانكسار أشد من شرقها، ويمتد هذا القسم من النفود الكبير شمالا حتى الربع الخالى جنوبا، ومن الهضاب الغربية غربا حتى الحافات الصخرية التى تقع غرب نفود السر والدحى شرقا، ويتكون هذا القسم من التكوينات العرقية القديمة من الصخور النارية التى أثرت فيها عوامل التعرية^(٢)

(١) د . عمر الفاروق : المرجع السابق ص ٤٤، وعن أنواع الصحارى . مجلة كلية الآداب جامعة الرياض العدد السابق من مقال للدكتور عزة النص.

(٢) عن هذه العوامل بالتفصيل : محمود شاكر: نجد من ص ١٧-١٩

(٣) د . عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية ط (١) مطبعة نهضة مصر نشر دار المريخ ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ١/٥٢، محمود شاكر: المرجع السابق ص ١٧ .

(٤) د . محمود أبو العلا : المرجع السابق ٢/٣٩، ٤٢٠ .

(٥) بيد وأن كلمة ERG محرفة من العرق الذى يحى بمعنى الكتيب المتطاوّل كما يحى بمعنى الجبل الفليط لا يرتقى لصعوبته بينما يخطئ كثير من الجغرافيين فيقولون : أركى وأركية وهى عرقية، كما أن الصحراء الحجرية " الحمادة " اخذها الغربيون عن العربية فسموها Hamad أو Hamada ويبدو أنها محرفة عن الهمود من قوله تعالى "وترى الأرض هامدة لاية ه الحج" (=)

فأوجدت بين هذه التكوينات أحواضا ملأتها الرياح بصغار الحما " الحصا " تشكل منها صحراوات حجرية " حمادات " تكون وعرة المسالك قليلة النبات وذلك في غرب هذا القسم، أما في شرقه فتملأ الرياح هذه الأحواض بالتراب بعد أن سقط منها صغار الحما لتشكل منها أكثبة رملية على شكل حافات رملية مستطيلة، أو عروق، أو قبابية الشكل أو هرمية أو أشكالا أخرى غير منتظمة حيث تضم الكثيب الصغير إلى جانب الكبير وتبدو بدية أمام الناظر^(١).

وأهم مظاهر السطح في القسم الغربي من هضبة نجد هي :
أ - جبال أجا وسلمى، وتعتبر جبال أجا أكثر ارتفاعا من جبال سلمى، وتمتد أجا حوالي ٦٥ كيلا من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وهي مجموعة كبيرة من الكتل الجبلية، وتتراوح ارتفاعات قممها بين ١٤٠٠ متر إلى ١٧٠٠ متر فوق سطح البحر كما يتراوح عرضها بين ١٠-٢٠ كيلا، وأعلى سلاسل جبال أجا وأشد ها تقاربا إلى بعضها هي الوسطى منها، أما الجنوبية فهي مقسمة إلى جبال متفرقة، أما جبال سلمى فتقع إلى جنوب شرق جبال أجا، وتمتد حوالي ٥٥ كيلا من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وهي أضيق من سلاسل أجا حيث يبلغ أقصى عرض لها ٧ أكيال بحيث تبدو أمام الناظر أقل ارتفاعا وامتدادا من أجا حيث ترتفع ١١٠٠ متر فوق سطح البحر وتتألف أجبال سلمى من عدد من الجبال والتلال، كما يوجد إلى الجنوب منها عدد من الحرات، وبشكل ما بين أجا وسلمى حوضا واسعا تتجمع فيه مياه الأمطار، ويبلغ أقصى بعد بينهما ٥٠ كيلا^(٢).

(=) وهي التي لا حياة فيها ولا عود ولا نبات ولا مطر، وقد عرفت الحمادات كمواضع في نجد ويطلق على الحمادة البيضاء " العبلاء " وقد يطلق ذلك على الحمادة عموما سواء كانت حجارتها بيضاء أو سوداء، كما يطلق عليها الأرض المسرازة وينطقها عامة نجد بأسقاط الزاي الأخيرة. (ياقوت: ٢/٢٩٨، ٤/٨٠، الفيروزبادي: ٣/٢٦٣، ٤/١٨٢، ١١/٤، مجلة كلية الآداب، العدد السابق ١٨٠).

(١) د. محمود أبو العلا ٢/٣٩، ٤٠، ٤٢.
(٢) حمد الجاسر، شمال المملكة ١/٤٠٦-٤٢٦ عن الحرار والحزون في شمال (=)

ب - تلال رملية يتخللها تلال صخرية على شكل جبال صغيرة، وتمتد ———
وادي الرمة شمالا الى وادي تثليث واتصاله بواي الد واسر جنوبا، وقسـد
قطعت هذه التلال عدد من الأودية الصغير والكبيرة أبرزها وادي الرمة^(١)
ووادي الد واسر.

٢ - القسم الشرقي :- يمتد هذا القسم من نفود السر والدحى غربا الى الد هناء
شرقا ويشمل تكوينات رملية على شكل نفد^(٢)، وتلال صخرية على شكل جبال^(٣) ويمكن
ترتيبها على النحو التالي :

١ - تكوينات رملية تشمل نفود السر ونفود الدحى وصعافيق وتنتشر فيها بعض^(٤)

(=) المملكة، د. ابو العلا : ٢/٤٢، ٤٣، د. عبد الرحمن الشريف، المرجع
السابق ٥٢، حسين حمزه بند قحى : جغرافية المملكة العربية السعودية
ط (٢) المطبعة الفنية الحديثة. نشر مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة
١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مجلة العرب ج ٥، ٦/٩ س القعدة والحجة ١٣٩٤هـ،
ص ٣٤٧، ج ٧، ٨/٩ س محرم وصفر ١٣٩٥هـ/ ٥٦٤، ٥٦٥، ج ٩، ١٠/٩ س
الربيعان ١٣٩٥هـ/ ص ٦٧٧، ٦٧٨، ج ٧، ٨/١٠ س محرم وصفر ١٣٩٦ هـ
ص ٥٥٦، ٥٥٧ من ترجمة الكتاب "شمال نجد" للمستشرق موزل، وعن قصة
أجا وسلمى وما كتبه الجغرافيون المسلمون عنهما : البكري ١٠٩/١ - ١١١،
٣/٧٥٠، ياقوت : ١/٩٤ - ٩٩، ٣/٢٣٨

(١) د. ابو العلا، المرجع السابق ٢/٤٣.
(٢) نفد : جمع نفود وهو كثيب الرمل الواسع، نسبيا، قال في القاموس : "فيه منفذ عن
عن غيره : أي مندوحة وسعة، وتجد في البلاد منتفدا : أي مراغما (الفهرز آبادي
٣٤١/١)

(٣) حسين بند قحى : المرجع السابق ٧٠، ٧١، د. عبد الرحمن الشريف : المرجع
السابق ٥٢.

(٤) صعافيق : قال البكري صفوق وصفوق قرية باليمامة سكانها يسمون
آل صفوق او الصعافقة، وهي تقع في منطقة سد ير قرب ميايض، وافاد ياقوت
بوجود قناة تجري فيها بنهر كبير، كما ذكر بانها تطلق علي اللثيم من الرجال
وجمعها صعافيق، ويوم صفوق من ايام العرب بين بني بكر وتميم، وتطلق
في لهجة النحديين على الاحق أو الذي لا يستقر على رأي أو سلوك معين،
أما صعافيق المقصود هنا والذي ذكره الهمداني باسم الشعافيق والذي
يبدو ان العامة قد سموه بصعافيق لان رماله تتحرك كثيرا فيقع شرق الزغبية
التابعة لعنيزة ويمتد غربي نفود الشماسية حتى نفود السر جنوبا. (الهمداني
٢٩٠، ٢٩٣، أحمد بن عبد ربه الاندلسي : العقد الفريد . دار الفكر
(=)

الواحات الزراعية.

- ٢- تلال صخرية مرتفعة نسبياً وتقع شرق المنطقة السابقة وتنتشر بين هـ — ذه التلال كذلك الواحات الزراعية.
- ٣- تكوينات رملية وتقع شرق المنطقة السابقة وتشمل نفود الثويرات والمظهور وقنفدة في الشمال وامتداد الدحى في الجنوب.
- ٤- تلال صخرية متناثرة أبرزها جبال طويق "العارض" الأفلاج و"المويرض" والعرض ويجرى في هذه المنطقة بعض الأودية أبرزها وادي حنيفة، ونساح، ووديان الأفلاج وتنتشر في هذه المنطقة الواحات الزراعية^(١).
- ٥- تلال صخرية تفصلها عن التلال السابقة تلك الواحات الزراعية والأودية السابقة وتوجد فيها بعض الصدوع أو "الخفوس" وأبرزها هيت، ومجزل، وجبيل، وتوجد بعض الهضاب كالعرمة والبياض، وهريسان.
- ٦- جدار الدهناء الرملى الذى هو عبارة عن شريط من الكثبان الرملية المتوازية ويفصل بينها عروق صخرية قليلة الارتفاع، ويقع هذا الجدار بين التلال السابقة غرباً والدبدبة والصمان شرقاً، ويعتبر الدهناء آخر امتداد لنجد من الشرق، وتختلف اتجاهات أكتبة الدهناء تبعاً لاتجاهات الرياح السائدة في المنطقة حيث تتجه في القسم الشمالى منها من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى، وفي القسم الجنوبى من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى حتى تتصل برمال الربع الخالى على شكل قوس من الشمال الى الجنوب^(٢).

(=) بيروت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ٣/ج ٦ / ٥٦، ٥٥، البكرى ٣/٨٣٣، ياقوت ٣/٤٠٧، الفيروز آبادى ٣/٢٥٣، عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ط (١) مطبعة الفرزق الرياض ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ٢/٧١، وعن تحديد صغافير (العبودى، بلاد القصيم ٤/١٣٥١، ١٣٥٢، وإفادة من استاذى الدكتور عبد الله الشبل)

(١) د. أبو العلا، المرجع السابق ٤٤، ٤٥، بند قجى ٧١

(٢) أبو العلا ٤٥، ٤٦، محمود شاكر. نجد ٢٨، ٢٩، بند قجى ٧٢ وللتفصيل فى تضاريس نجد. محمود شاكر. المرجع السابق ٣٠ - ٨٥.

٣- المناخ وأثره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية :-

من الممكن ادخال معظم جزيرة العرب مناخيا ضمن البلاد الصحراوية ان ليس للبحار المحيطة بها من أثر كبير عليها ، ذلك أن البحر الأحمر محاط بالجبال المرتفعة على جانبيه اضافة الى ضيقه وعمقه مما يجعل تأثيره مقصورا على تهامة ، والخليج العربي ضيق أيضا مع ضحالة مياهه الى جانب وجود جبال عالية في شرقه تحد من هبوب الرياح عليه واذا هبت عليه بعض الرياح فانها لا تؤثر الا على السواحل الغربية فقط . ويبقى التأثير الوحيد نسبيا لبحار شبه الجزيرة عليها من بحر العرب الذي يؤثر في سقوط بعض الأمطار على الجنوب الا أنه وان كان أكثر تأثيرا من غيره فانه يبقى محدود الأثر نسبيا لتركز التأثير من البحر الأبيض المتوسط رغم بعده ويبدو أن ذلك لسعته ولأنه يشكل منطقة ضغط منخفض حيث يصل تأثيره المناخي حتى جنوب الرياض .^(١)

أما نجد فلها مزاج مناخي عجيب شأن تاريخها العجيب في حقه المتتالية المتألق حيناً والدامس حيناً آخر في جوانبه السياسية والاقتصادية ، هذا المزاج لا يستطيع الباحث تحديد قاعدة مناخية له ، ان تشتد البرودة شتاءً حتى ليجمد المطر على أهداب عيون الابل وفي الصهاريج وحتى داخل غرف البيوت التي يفترض فيها الدفء ، وكان يهلك من الزرع ما كان في سنبله ، وتتضرر النخيل وثمارها منه ، حيث تتعرض عسانها للبيس وثمرتها للتلف أو الشح .^(٢)

(١) د . ابو العلا : المرجع السابق ٢/٦٤-٦٨ ، محمود شاكر . المرجع السابق ٢٣ ، ٢٤

(٢) الصهاريج : جمع صهريج ينطقها العامة صهروج تصحيفا ، وهو حوض بجميع فيه الماء والمصهرج المعمول بالصاروج "مغرب" وهي النورة ، ويبدو أنه من المواد الفخارية . (الفيروز آبادي ١/١٩٧) .

(٣) محمد بن عمر الفاخري : "الاخبار النجدية" دراسة وتحقيق وتعليق د . عبد الله بن يوسف الشبل ط مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، نشر لجنة البحوث والترجمة والنشر بالجامعة ص ٨٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢٠ . عثمان بن عبد الله بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد . تحقيق وتعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ط (٣) ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م على نفقة وزارة المعارف السعودية ، بشر ١/٣٧ ، ٦٤ ، ٢/٥٨ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ٢٣٠ ، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البسام : تحفة المشتاق في اخبار نجد والحجاز والعراق مخطوط منقول عن الاصل (=)

وتشتد الحرارة صيفا ويتلظى حرها وتقضى على الأخضر واليابس حيث يجف العشب وتتساقط أوراق الشجر، فاذا انحبس المطر عم القحط والمحل غالب نجس فيهلك كثير من المواشى من العطش والجوع ويصيب السكان من جراث ذلك مشقة عظيمة، فيضطر كثير من النجديين الى الرحيل عنها سوا بمفرد هم لطلب العيش والعمدة أو بأسرهم الى مناطق الخصب والنماء في شرق الجزيرة أو جنوب غرب العراق وخاصة البصرة والزيبر حيث كانت هاتان المنطقتان منطقتي جذب لسكان نجد إذ انقلبت نجد الى منطقة طرد لهم، ومن هنا جاء استئثار العراق وشرق الجزيرة باهتمام مؤرخي نجد^(١).

وكانت هذه الحرارة الشديدة كغيلة بضياى أى تأثير لأى كمية مطر تنزل على أرض نجد فبالإضافة الى الجذب الذى كان يتعرض له سطح الأرض، فان باطنها كان يتعرض للغور فيشير ابن بشر في سوابقه أن الآبار غارت في سنة ١١٢٨هـ / ١٧١٥م، وكان غور الآبار سببا من أسباب نزوح أهل نجد الى خارجها، فقد ضرب بعض أهل نجد رقما قياسيا في النزوح بسببه ففي سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م غارت آبار منطقة سد ير ما كان سببا في جلاء كثير من أهلها الى المناطق السابقة حيث لم يبق في بعض بلدانها الا أربعة رجال فقط ولم يبق فيها الا بئران فقط، بينما فقدت بعض بلدانها آبارها كلها^(٢)، هذا رغم أن استهلاكهم للماء كان ضئيلا جدا، ولكنها الحرارة الشديدة وشح المطر يجعلان الأرض تبخل بما في باطنها من ماء.

(=) بخط نور الدين شرييه عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م ص ٢٢، ٤٢، وقد ركز هؤلاء المؤرخون على ضرر هذا البرد على الزروع حيث أنها تشكل المصدر الرئيسى والوحيد للغذاء في نجد، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود مجلد ١ السنة ١ ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ص ٩

(١) الفاخرى ٤٨/٤٧ من مقدمة المحقق ٨٧/١، ابن بشر ٢/٢١٢، ٢١٣، إبراهيم صالح، ابن عيسى تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، منشورات دار البهاية، الرياض، ص ٦٦، محمد الله محمد بن بسام: تحفة المشتاق ١٩، ٣٧. (٢) يذكر الفاخرى ٩٨، وابن بشر ٢/٢٣٥ أنه لم يبق في بلدتي العمدة والعطار الا بئران في كل بلد منهما، وأنه لم يبق في العطار من السكان الا أربعة (=)

أما الأمطار فانها تسقط بشكل عام في نجد شتاء ولكنها تنفذ بـ (١) بين عام وآخر ، فبينما تكثر الأمطار غيثا في سنة من السنوات فتغصب الأرض، وتخرج من كنوزها الغذائية للانسان والحيوان وتتسع رقعة الأرض الزراعية نتيجة اعتماد الزراعة على مياه الآبار التي تتأثر بمستوى غزارة وشح الأمطار، كما أن هناك نوعا من الزراعة تعتمد على الأمطار وهى الزراعة البعلية فترخص نتيجة لذلك الأسعار، وينتشر الرخاء في معظم انحاء نجد وينعم البدو والحضر على حد سواء (٢) بينما يحصل ذلك تشح الأمطار في سنة من السنوات فيعم الجذب وينحط اقتصاد المجتمع ، فيسود الفناء لتكون الحياة شديدة على فئة كبيرة من المجتمع حيث تنعدم المواد الغذائية لديها ويستحيل حصول هذه الفئة عليها مما يدفعها الى أكل الجيف التي ترمى عادة في الصحراء بل بلغ الحال ببعضها أن أكلت جيف الحمير، والكلاب، وهذا أثر بشكل مباشر على الصحة العامة، وصحة البيئة حيث تنتقل الأمراض المعدية نتيجة انتشار الجيف وأكلها، ولهذا كانت ترتفع نسبة الوفيات. (٣)

(=) رجال، بينما يذكر ابن عيسى ص ٩٥ في السنة نفسها أن العودة لم يبق فيها ماء ولم يبين هل هذا على الإطلاق أم بقي فيها قليل ماء، وبين هـ—و والفاخرى أن جلاء بعض أهل نجد كان متتابعاً في هذه السنة والتي بعدها

(٩) د . أبو العلا : المرجع السابق ٩٢/٢

(٢) كمثال على بعض هذه السنوات، الفاخرى، ٤٩، ٥٠ من مقدمة المحقق، ابن بشر ٢/ ١٨٩٨، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢/ ١٢٦، ١٢٧، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٤١، ابن عيسى ٧٠، ٧٢، ٨٩، ٩٠، عبد الله البسام : تحفة ١٨، ١٩، ٢١، ٢٦، ٤٣، ٤٠، ٣٥، ٣٢، ٣٠.

(٣) يذكر الفاخري ص ٧٤ أنه في عام ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م اشتد الفلاء في نجد وأكلت الميتات والكلاب، وبين في ص ٩٩ أنه في ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤ م أكلت جيف الحمير، وذكر ابن بشر ذلك ٢ / ٢٣٦ في ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م وأن لحوم الحمير والجيف بيعت بأعلى ثمن، وأكلت الكلاب، واستمر هذا الفلاء والجوع في نجد نحو ست سنين ١ / ١٨٣، كما أفاد ابن عيسى ص ٩٧ أنه أكلت جيف الحمير كذلك، ومات كثير من الناس جوعاً بسبب ذلك، وللاستزادة :
(عبد الله بن بسام : تحفة ١٨، ١٩).

ويحدث في سنة من السنوات أن يفتح الله السماء بما منهم يضرب عليها ويغمر سافلها ، وتتعرض البلدان النجدية للخراب وغرق بعض منازلها ، (حتى أنه كان ينقل بعض أنقاض المنازل والنخيل الى القرى المجاورة) ، فيحدث ضياع للأموال والأمتعة والأموال ، كما تتعرض الزروع والمحصولات الأخرى كالنخيل وثمارها للتلطف مما يؤثر على المستوى الغذائي ، وتاريخ نجد حافل بأمثال هذه السنوات التي تتعرض فيها بعض البلدان لما يشبه الفيضانات التي قد تضطر ساكنيها بعد خراب بيوتهم المبنية من الطين الى اللجوء الى الصحراء وبناء بيوت الشعر فيها والخوف من الفرق يلازمهم ، وكان يأتي في بعض السنوات عاما لمعظم منطقة (١) نجد .

بينما تمر سنة من السنوات التي ليست عجافا ولكنها قليلة المطر وهي رغم قلة مطرها وتفرقه الا أن تأثيرها على مستوى الحياة أخف من سنى القحط والشدة حيث تؤثر على انتعاش فئة من المجتمع بحضرها وبدوها وان كان يحصل حولها حروب ومقاتل وهذه وأخف من سنى الفرق ، وليست في مستوى سنى الفيث من حيث المردود الاقتصادي على أهل نجد ، بل قد تتسبب قتلها في رحيلهم عنها . (٢)

(١) أحمد بن محمد المنقور تاريخ المنقور . تحقيق ونشر . عبد العزيز الخويطر ط (١) مطابع الجزيرة . الرياض ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ص ٧١ وذكر فيها خبر السيل العرم الذي خرب حريملاء عام ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م ، ص ٧٩ وقصة السيل الذي خرب جزءا من العيينة عام ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م ، ص ٨٠ ، وبين ضرر المطر على التمر في ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م بينما ذكر الفاخري ص ٨٦ أن المطر الأول كان في الصيف ونقل أخشاب حريملاء الى ملهم التي تقع شمال شرق حريملاء ، كما تعرضت حريملاء عام ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م لمطـر أطاح بقسم من منازلها وبيوتها ، كما تعرضت ثادق وحريملاء عام ١١٣١ هـ / ١٧١٨ م الى مطر خرب بعض منازلها ، كما تعرضت الخرج عام ١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م الى مطر خرب بعض منازلها ، وفي سنة ١١٣٧ هـ / ١٩٥٠ هـ هطل على حريملاء أمطار جرفت التربة واقتلعت الاشجار وهدمت بعض المنازل ، الفاخري ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ابن بشر ٢ / ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ابن عيسى : ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١١٧ ، ١٤٧ ، صالح بن ناصر ، الطعيس : مدينة حريملاء مطابع المجد بالرياض ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ص ١ / ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٥٦ ، ١٢٩

(٢) الفاخري ١٠٣ ، ابن بشر ٢ / ٢٤٠ ، البسام : تحفة ١٩ ، ٢٦ ،

وتتعرض منطقة نجد أحيانا أثناء الأمطار الى سقوط البرد : وهي قطع ثلجية تتجمد في طبقات الجو العليا على أحجام مختلفة لتنزل الى الأرض، البرد وان كان يساعد على زيادة كمية الماء النازل مما يؤثر على استفادة باطن الأرض وسطحها منها فهو قد يسبب أضرارا بالغة - اذا كان كبير الحجم أو صاحبه الريح - للمجتمع وخاصة الزروع حيث تتعرض سنبله للانكسار والتلف مما يؤثر على الحياة الاقتصادية، وقد يأتي أحيانا هذا الضرر على زروع احدى البلدان النجدية فقط مما يجعل ضرره محذرا، الا أنه في بعض الأحيان يأتي شاملا لكثير من البلدان النجدية متلفا لزروعها وثمارها مما يؤدي الى ندرة المواد الغذائية في مختلف أنحاء نجد^(١) وقد يتعدى ضرر البرد المواد الغذائية وخاصة اذا كان كبير الحجم - ليهلك ما وقع عليه من الطيور والبهائم، ويخسف السطوح ويهدم الجدران فيسقط البيوت والأواني، ويكسر الأشجار والنخيل ويهلكها - وذلك كما حصل في حريملاء^(٢) في شتاء عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م وعمام

(١) الفاخري ٩٣، ابن بشر ٢ / ٢٣٠، ابن بسام : تحفة : ٢٤ حيث ذكر أنه في سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م وقع برد كبير كان شاملا ان أظف زروع الخرج، وتالبية زروع العارض وضرم والمحمل وسدير.

(٢) حريملاء : ذكرها البكري باسم حرملاء وذكر أنها موضع تعلق ملهم وحريملاء تصغير لها، وسميت بهذا الاسم لان موضعها يكثرفيه شجر الحرمل الذي يستعمله أهل نجد لعلاج بعض الامراض الجلدية، ويروى ان سبب تصغيرها هو المثل القائل "خل حريملاء في كبد اهلها حينما قال احمد أبو ريشه لابنه يوسف عند ما وصف له حرملاء طالبا منه القدوم الى الشام في قصة طويلة، ثم عمرها بعد ذلك ال ابورباع من غزوة في القرن ١١هـ، ثم أصبح لها مكانة تنافس العيينة ما حدا بالشيوخ عبد الوهاب بن سليمان ان يهاجر اليها بعد خلافه مع ابن معمر، ثم وصل اليها ابنه محمد بعد ذلك مما يوحى بانها أصبحت المدينة الثانية في نجد بعد العيينة، وحريملاء الان قاعدة منطقة وادي الشعب المعروف قديما بقران وهي تتبع امانة منطقة الرياض وانجبت عددا من العلماء، ولها تاريخ حافل للاستزادة، (البكري ٢ / ٤٤٠، ابن بشر ٢ / ٢٠٥، ابن عيسى ٥٢، ٥٣، حمد الجاسر : مدينة الرياض عبر اطيوار التاريخ ط (١) نشر دار اليمامة، الرياض ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ٤٧، ٤٨، معجم انساب الاسر المتحضرة في نجد ط (١) مطبعة نهضة مصر القاهرة، نشر دار اليمامة، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م (١ / ٢٩٨-٣٠٠، عبد الله ابن عبد الرحمن البسام : علماء نجد خلال ستة قرون ط (١) مؤسسة الخدمات الطباعة، بيروت، نشر مكتبة النهضة الحديثة مكة ١٣٩٨هـ / ٢٠١٧، ٧٥٥، ٧٥٤، عبد الله بن محمد بن خميس : معجم اليمامة ١ / ١٧٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، عبد الكريم الجهمان الامثال الشعبية ط (٢) دار (=)

(١)

١٢١١هـ/١٧٩٦م حيث اعتبرت من خوارق العادات في نجد ، بل قد يتجاوز ذلك
ليهدم البيوت ، ويعرض الناس لموت محقق فيشرد هم كما حصل لهم ^(٢) عمام
١٣٧٠هـ/١٩٥٠م حيث لجأ أهلها الى الجبال خوفا من الموت، وقد صور الشاعر
عبد الله بن خميس هذه الحادثة في قصيدة مطلعها :

(٣)

ماذا جرى في الأرض أيتها السما . . . لنرى أديمك عباسا متجها

(=) الثقافة ، بيروت، نشر دار اشبال العرب ١٣٩٩هـ ٤٠، ٣٩/٣ مثل رقم
٢٢٤٦ ، ناصر الطميس : مدينة حريلا ، الكتاب بأكمله وعن وادي قمران
" الشعيب" (البكرى ١٠٦٣/٣ ، ياقوت ٣١٨، ٣١٩ ، عبد الله بن خميس
المرجع السابق ٢٦٨-٢٧٣)

(١) الفاخرى ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ابن بشر ١٠٧/١ ، ١٤٧ ، د . عبد العزيز الخويطر
عثمان بن بشر، منهجه ومصادره ط (٢) ، مطابع اليمامة ، الرياض ١٣٩٥هـ /
١٩٧٥م ص ٤٨

(٢) ملهم : عرفت كقرية منذ القرن (٢هـ) حيث أشار اليها الحربي كما أشار
اليها الهمداني مضيفا بأنها لبني غبر بن يشكر وأنها تشتهر بكثرة النخل
وجوده ، وذكر ذلك عنها ياقوت أيضا ، وتقع ملهم في أسفل وادي قران والشعيب
وأحيانا يضاف أسفلها اليها فيقال " وادي ملهم" كما يسمى " وادي الحنو" وهي
تقع شمال شرق حريلا وتبعد عنها حوالي ١٥ كم ، وهي تتبعها اداريا
للاستزادة : (الحربي ٦٧٨ ، الهمداني ٣٠٨ ، البكرى ١٢٥٩/٤ ، ياقوت
١٩٥/٥ ، ١٩٦ ، ابن بشر ٩٨/١ ، ١٨٣/٢ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٣٠ ،
حمد الجاسر : مدينة الرياض ص ٤٧ ، عبد الله بن خميس : معجم اليمامة :
٣٩٠/٢ ، ٣٩٤ ، صالح الطميس : حريلا ١٣ ، ٢٢٠) .

(٣) عبد الله بن خميس : المرجع السابق ٣٩١/٢

وتتعرض منطقة نجد لعنصر مناخى يترك آثارا سيئة واضحة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وهو الريح العاصف أو "العجاج" والعاصف "باللهجة النجدية"، وكان أكثر ما يتعرض لضرره النخيل والأثل التى يسقط منها بسببه عدد كبير قد يصل الى ألف نخلة ما يؤثر على شح أهم مادة غذائية وهى التممر كما كانت تتعرض للسقوط بسببه القصور، والأبراج مما يؤثر على مستوى الحياة الأمنية، ولخطورة هذا التأثير ولعلو هذه الأبراج ووقوعها فى بعد عن العمران فقد ضرب النجديون مثلا للريح الشديدة السيئة بقولهم: "عجاج يشيل المراقب"^(١) وكانت هذه الريح العاصف موضع اهتمام مؤرخى نجد، فيسجلون تاريخ حد وشهها ويحصون ما أحدثته من خراب سواء كان ذلك فى مساكن الناس، أو فى مزارعهم المحصودة وغير المحصودة، أو فى مزارعهم حيث أنها تقضى على كل أثر للربيع. وكانت تأتى أحيانا شاملة لمنطقة بأكملها بل قد تشمل مناطق نجد كلها، ومن العجيب أن ضررها فى النخل قد يقتصر أحيانا على قصارها ويسلم من ذلك طولها، وقد اعتبرها ابن بشر من خوارق العادات التى عم ضررها، وقد تتعرض نجد لأعصار فيه نار، وريح فيها صر تصيب الحرث فتهلكه كما حدث فى عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م.^(٢)

وهذه الريح العاصف غالبا هى التى تتكون فى جنوب شبه الجزيرة العربية على الربع الخالى وهى التى تسمى الكتلة الهوائية المدارية القارية حيث تندفع العواصف الرملية من الربع الخالى الى شمال المملكة مرورا بنجد محملة بالغبار والأتربة وتكون شديدة السرعة على شكل أعاصير، وتقل أو تنعدم معها الرؤية الأفقية، وتأتى غالبا فى أواخر فصل الربيع.^(٣)

(١) محمد بن ناصر العبودى: الأمثال العامية فى نجد: المطابع الأهلية للاؤست، الرياض نشر دار اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ٨٠٦/٢ مثل رقم ١٢٦٧

(٢) الصر: البرد الشديد، أو النار المحرقة التى للهبها صوت، والحرث: الزرع (الشوكاني: فتح القدير (١/ ٣٧٤)، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان. تحقيق محمد زهرى النجار، القاهرة نشر المؤسسة السعيدية: الرياض (١٢/ ١) ولمعرفة بعض سنوات الريح العاصف: (المنقور: التاريخ: ٦٣، الفاخرى: ٩٣، ٨٢، ٥٠، ابن بشر: ١/ ٣٠٣، ٢/ ٥١، ٢٣٠، ابن عيسى: ٨٢، عبد العزيز الخويطر: عثمان بن بشر: ٥٥)

(٣) د. محمود أبو العلا: المرجع السابق ٢١/٢

الا أن منطقة نجد الى جانب هذه الرياح العاصف تتعرض لرياح تحمل معها الأمطار التي يتسبب فيها التقاء رياح باردة برياح دافئة محملة ببخار الماء^(١) ان أن منطقة الضغط المنخفض جنوب خط الاستواء تخرج رياحا جنوبية أو جنوبية غربية دافئة محملة ببخار الماء وتلتقي بالرياح الشمالية الشرقية الباردة القادمة من منطقة الضغط المرتفع على غرب ايران فتتزل الأمطار - بقدره الله ومشيتته - على منطقة نجد مكان التقاء هاتين الكتلتين من الرياح ، ومن هنا كان اعتقاد النجديين بأن الرياح الشمالية الشرقية في الشتاء رغم برودتها فانها مصدرا للخير والفيث، ولعل ذلك ناشئ من اعتقادهم أنها عامل جذب للرياح الجنوبية والجنوبية الغربية الدافئة المحملة ببخار الماء فتلتقي بها فتسقط بسبب ذلك الأمطار، وقد أطلقوا على الرياح الشمالية الشرقية لنجد نسرية أو نسرى، وصوروا اعتقادهم الخير بهبوبها بهذا المثل القائل : "النسرى معه الخير يسرى" يريدون الرياح التي تأتي من جهة مطلع النسرى أنها اذا هبت هذه الرياح في الشتاء، فانها وان كانت باردة فان الغالب أن يتكون معها سحب مطر يسرى في الليل أى يستمر مطرا^(٢) . وقد وصف الخلاوى حركة السحاب، وتصريف الرياح له ما هو مظنة الفيث بان الله ومشيتته وبما تواتر لدى الناس عادة فيقول :

(١) د . محمود أبو العلا : مرجع سابق ٦٧/٢

(٢) محمد العبودى، الأمثال العامة ١٥٠٧/٤ مثل رقم ٢٥٠٩

(٣) هو الفلكى والشاعر الشعبي راشد الخلاوى النجدى وقد اختلفوا في نسبه هل هو صلبى أو خالدى أو رشيدى لعل ارجحها أنه صلبى من تواتر ذلك لدى الناس ومن استفاضة الحديث عن الصلب في شعره، وقيل أنه عاش في القرن التاسع، وقيل في القرن العاشر أو الحادى عشر وقيل في الثاني عشر وثار جدال بين عدد من الكتاب حول ذلك، الا ان اشارة الخلاوى للاحداث التي وقعت بين أهل أشيقر عامة وال مشرف خاصة وبين النواصر أهل الفرعة والتي أشار اليها مؤرخو نجد في السنتين ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م، ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م أشارته لذلك في شعره حيث رثى رئيس ال مشرف - والذي يبدوا أنه كان صديقا للشاعر - تدل دلالة الجدة على أن الشاعر كان عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م حيا كما قرر ذلك استاذى الدكتور عبد الله الشبل في رسالته للدكتوراه التي لم تنشر بعد ، فيكون قد عاش اواخر القرن الحادى عشر هجرى واوائل القرن الثانى عشر هجرى، وعلى اى حال فالشاعر لم يعلم النجوم ومواقع البروج والفصول الاربعة وهبوب الرياح ومواسم الامطار (=)

إذا صار منشأها جنوب ويممت . . . شمال ، فهي مثل الخريش المراح
(١)
وإذا صار منشأها شمال ويممت . . . جنوب ، لقيت الما على الحزم سايح

وتتخرم القاعدة المناخية لنجد أحيانا ، فعلى الرغم من تعرضها للبرد
القارس في الشتاء فانها تتعرض للبرد نفسه أحيانا في الصيف بد^١ من أوله حيث
يتضرر من ذلك الزرع الذي لم يشهد في سنبله بعد وخصوصا الزرع الصيفي مما يؤثر
على كمية مادة من أهم المواد الغذائية في نجد ، وتنتشر موجة البرد الصيفية فـ
مناطق من نجد حيث تضيف الى قلة الأمطار عاملا رئيسيا في وقوع الغلاء وشح

(=) في نجد ، وقد لازم منيع بن سالم أحد امراء بادية بني خالد في الاحساء
الذي لولا مدح الخلاوى له لما عرف كما مدح أحد شيوخ بني حنيفه ، كما
مدح محمد الربيعي من بني خالد الا ان صداقته كانت متميزة مع منيع ،
وبعد فالشاعر طويل النفس قد تتجاوز قصائده الالف بيت كما في قصيدته
البائية في الروضة ، وشعره مصدر من مصادر الحياة الاجتماعية والدينية
في نجد خاصة لدى البدو والصلب ، للتفصيل . (الفخرى ١٠٠ ، ابن بشر
٢٣٤ / ٢ ، ٢٣٨ ، ابن عيسى : ٩٥ ، ١٠٠ ، عبد الله بن خالد الحاتم : خيار
ما يلتقط من الشعر النبطي . الطبعة الثالثة نشر ذات السلاسل ، الكويت
١٩٨١ م . ج ١ / ١٩ - ٢٩ ، عبد الله بن خميس : راشد الخلاوى نشر
دار اليمامة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، الكتاب باكملته ، عبد المحسن ابابطين : المجموعة
البيهية من الاشعار النبطية ط (٣) مكتبة الرياض الحديثة ، الدباض هـ
١٣٩٨ هـ / ١٩٨٧ م ص ٢٣ - ٣٠ ، محمد القاضي ، روضة الناظرين ٢ / ٣٦٧ وذكر
انه من بني هاجر من قحطان وانه توفي ١٠١٠ هـ والله اعلم . د . عبد الله
ابن يوسف الشبل : اهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية . دراسة
تحليلية ، رسالة دكتوراه من جامعة الاسكندرية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ١٧ - ١٩ .
(١) منشأها : هي منشأوها مخففة من الهمزة اى جهة تكوين الله للسحاب الممطر
قال تعالى : وينشئ السحاب الثقال (الرعد ١٢) يممت : بتشديد الميم
مع الفتحة اتجهت ، الخريش : على وزن فعيل من الخرش وهو داء يصيب
الابل فلا تستقر بمكان او مرعى او مع قائد كأنها مضروبة بالخرش وهو المجن
والخريش المصاب بالخرش او الخراش الذي هو في الانسان قلة النوم من خفة
بعقل او لدغة من حية غير قاتلة وأصلها فصيح وفي المثل النجدي تصبيخ
خريش داء بان يصبح مخروشا من قلة النوم ، المراح : رمحة الفرس : رفسه
والدابة تضرب من دنا اليها برجلها ، والرمح خاص بالابل عند النجديين
ان الصقل للحمير ، والرفس للخيول والمقصود تشبيه السحابة الجنوبية بالخريش
المراح في عدم الاستقرار ، الفيروز ابادى ٩ / ٢٢٣ ، ٢٠ / ٢٧١ ، ٢٧٢ ، عبد الله
ابن خميس : راشد الخلاوى ١٠٩ ، ١١٠ ، ٣٦٧ / ٣٧٣ .

الغذاء في سنته والسنوات التي تليها الى أن يفيث الله المنطقة فتخصب الأرض ،
(١)
وتكثر المواد الغذائية البشرية والحيوانية وهكذا .

ولئن كانت منطقة نجد تشتهر بالامطار في فصل الشتاء كما مر ، فانها تتعرض
أحيانا لسحب صيفية لا تنقشع كما هي العادة بل ينهمر منها مطر غزير قد يستمر
لمدة عشرين يوما كما في عام ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م حيث دخل على الزروع المحصورة في
مخازنها فأعطنها وأنبتها في هذه المخازن من كثرته مما أثر على فساد كمية من
هذه الزروع وأدى الى حرمان أهلها من الاستفادة منها كمادة غذائية ، كما تتضرر
منه المساكن والمحلات التجارية وخاصة للبلدان التي تقع على ضفاف الأودية كما
حصل لعدد من البلدان النجدية عام ١٢١١هـ / ١٧٩٦م .
(٢)

كما انه قد تمتد فترة المطر من الموسم مرورا بفصل الشتاء حتى آخر الصيف
حيث يكثر الخصب ويخرج الله من كنوز الأرض الغذائية ما يفيض على الحياة البشرية
والحيوانية رخاء وجوا من البهجة والحبور ، كما تكثر المياه التي يستفيد منها
باطن الأرض ، ويستغل الاهالي تجمعها في الوديان لسقيا زروعهم وقد يؤثر هذا
على زيادة الكمية المزروعة قصحا حيث يرخس سعره ويستفيد منه كافة فئات المجتمع ،
وقد حصل هذا التتابع في المطر في الأعوام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م ، ٩١٧هـ / ١٥١١م ،
٩٣٠هـ / ١٥٢٣م ، ٩٧٠هـ / ١٥٦٢م ، ١١٢٢هـ / ١٧١٠م .
(٣)

وتبعاً لذلك فان نجدا تتعرض كذلك أحيانا الى وقوع البرد في فصل الصيف ،
والذي قد تكون قطعه كبيرة فيقضى على أغلب محصول القمح الرئيسي في نجد ، حيث
تتأثر بذلك الضرر عدد من مناطق نجد وليس منطقة واحدة فيعود شبح الشح
الغذائي حقيقة واقعة ، فترتفع أسعار القمح ليصبح عسير المنال على الفئات الفقيرة

(١) الفاخرى ١٧٧ ، ابن بشر ٢ / ١٣٧ ، ١٤٣ ، عبد الله البسام : تحفة ص ٢٦ ، ٣٠

(٢) ابن بشر ١ / ١٤٧ ، عبد الله البسام : تحفة : ٢٠ ، ٢١

(٣) الفاخرى : ٩٤ وذكرها سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م ، ابن بشر ٢ / ٢٣٠ ، عبد الله
البسام : تحفة : ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٣ .

ومتوسطة الحال ، ان يفسد هذا البرد ماتعب الانسان النجدى مدة طويلة
فى حرثه وبذره وسقيه وما قام به الغيث من دور كبير فى اتساع كمية الأرض المزروعة ،
ولئن كان من المتوقع نسبيا أن يعوض التمر النقص فى القمح فى المجتمع النجدى
آنذاك ، فان النخيل تكون قد حملت عذوقها فى الوقت الذى يكون فيه القمح
قد زهى ما يجعلها هى الأخرى تتعرض لضرر البرد فيشج المصدر الثانى من
المصادر الغذائية النجدية فيلجأ النجدى الى أكل الجيف أو الى مأكل الحيوان
من الأعلاف وما شابهها (٢) أو الى الجلاء عنها الى مراكز الخصب والنماء السابقة
كما مر.

وكانت العوامل المناخية تؤثر على تأخير اثمار النخيل وبعض الأشجار الأخرى
وذلك راجع الى تأخر دخول فصل الصيف مناخيا وان دخل فلكيا أو الى تعرض
ثمار النخيل الى برد شديد وهى لم تخرج من أكمامها ، وقد حصل فى عام
١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م أن تأخر نضج الرطب فى النخيل تأخرا ملحوظا ، ولم يبد فيها
الثمار الا بعد مضي شهر تقريبا من اثاره عادة ، وانذا أدركنا أهمية التمر
كمصدر غذائى رئيسى أدركنا الى أى مدى تكمن أهمية تسجيل مثل هذه الحادثة (٣).
وتظهر فى سماء نجد بعض الظواهر الفلكية التى تكون سببا فى تركيز المفاهيم
الدينية فى أفراد المجتمع ولعل أبرزها خسوف القمر وكسوف الشمس اللذين هما
آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فيلجأون اليه بالصلاة الخاصة بهما
" صلاة الكسوف " وقد حدث أن خسف القمر وكسفت الشمس فى شهر واحد هو
ربيع الأول عام ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م كما حدث ذلك أيضا فى محرم ١٢٠٨ هـ / ١٢٩٣ م

(١) عبد الله البسام : تحفة ، ٤٠ ، وقد ذكر ان ذلك حدث عام ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م .

(٢) المنقور : التاريخ ٦٦ ، وقد ذكر أن ذلك سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م حيث
سميت تبنان لكثرة أكلهم التبن .

(٣) ابن بشر ٢ / ٢٢٣ ، ولعل امتداد موسم الأمطار الذى يؤدى الى خفض درجة
الحرارة فى فصل الصيف سبب رئيسى لذلك .

كما قد خسف القمر مرتين عام ١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م وعام ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م كما كسفت الشمس في شهر رمضان عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م، وقد حرص مؤرخو نجد على تسجيل مثل هذه الحوادث لما لها من تأثير على المجتمع في تسجيل حالات الولادة والوفاة، والأحداث السياسية والاجتماعية الهامة بالمقارنة بهذه الآيات السماوية، وانطلاقاً من نظرة المجتمع الدينية بأن ذلك اختلال في نظام الكون له أسباب تفسر في أعمال البشر قرباً أو بعداً من طاعة الله عز وجل^(١).

وهناك ظواهر فلكية أخرى تظهر في السماء النجدية تثير الغزع والخوف والتساؤلات التي تجر إلى جدل ومناظرة دينية لتفسير هذه الظاهرة أو تلك، فقد حدث في عام ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م وعام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م أن ظهر في السماء عمود أبيض مستطيل من الأفق إلى وسط السماء، كما ظهر بعده نجم له ذنوب^(٢) يصدر ضوءاً لعله نتيجة تحركات بعض النجوم في ساحة السماء الفسيحة، ويستفيد النجديون من هذه الظاهرة في تسجيل أحداثهم وبخاصة الاجتماعية والسياسية بقدر ما تخيفهم وتشل حياتهم العملية بعض الشيء ولو مؤقتاً، ويحتدم النقاش حول هذه الظاهرة مما دفع بالعلماء إلى التدخل لعودة الحياة إلى مجاريها، وأن هذه الظواهر لا تعد وأن تكون آيات من آيات الله يخوف الله بهما عباده^(٣)، ولا يجب أن تؤثر على الحياة الاجتماعية بقدر ما تؤثر على الجانب السلوكي منها بين الإنسان وربه وبين الإنسان وأخيه، وقد حرص مؤرخو نجد على تسجيل مثل هذه الظواهر وخاصة المذنبات على اعتبار أنها ظاهرة غريبة تدعو إلى الاعتبار ومحاسبة الإنسان نفسه في سلوكه مع الله سبحانه، ومع ابنائه مجتمعه، كما أن هناك فكرة نجدية

(١) المنقور: التاريخ : ٦٦، ٦١، الفاخرى ٥١ و ١٢٥، ابن بشر ١/ ١٣٣،

١٩٢، ٢٠١٧، ٢٢٢، د. عبد العزيز الخويطر : عثمان بن بشر ص ٤٤

(٢) ابن بشر حيث ذكر حدوث ذلك في سنوات أخرى ٢/ ٨٧، ١٣٧، ١٩٦،

٢١٤، د. عبد العزيز الخويطر: المرجع السابق ص ٤٥

(٣) ابن بشر ٢/ ١٣٧، ١٩٦

(١)

أن هذه المذنبات لا تظهر الا في سنى القحط والجذب والفتن والأمراض
وتتعرض سماء نجد الى ظواهر فلكية أخرى تخفى الشمس عن ارسال أشعتها
الى الأرض مع فترة في الجو حتى يظن الناس أن الشمس قد غابت وهي لم تغيب،
كما يتغير لون أشعة الشمس حتى لتبد وكأنها قطعة خضراء وأحياناً حمراء وأحياناً
ذات ألوان أخرى اضافة الى ظهور ألوان في أماكن متفرقة من السماء ليس منها
الشفق أو جهة الفجر كما هي العادة، وقد تستمر بعض هذه الألوان أشهراً
ما يثير الفزع والخوف ويبعث في النفس تلمس أسباب حدوثها .^(٢)

وليس من المستغرب على مؤرخي نجد أن يعطوا الظواهر الفلكية اهتماماً
خاصاً لأن عماد الحياة الزراعية لدى الحضر هو معرفة الأنواء، كما أن قلعة
أو انعدام الناحية العلمية لدى البدو جعلهم يشغلون فراغهم بمعرفة النجوم
التي تساعدهم في معرفة الجهات في مفاوز الصحراء فأصبحت معرفة النجوم
والأنواء فن قائم بذاته لدى حضر نجد وبدوها على حد سواء، ساعدتهم على ذلك
صفاً سماء نجد وخلوها من الأنوار الصناعية، وللمناخ تأثير كبير في هذا
إذ أن الفوارق الحادة بين فصوله وأنوائه وأثرها على الحياة العامة، والظواهر
الفلكية الملفتة للنظر التي تصاحب هذه الفوارق جعلت النجدى شديد الملاحظة
لما يجرى في الجو والسماء .^(٣)

ويذكر ابن بشر أنه في عام ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م وبعد منتصف ليلة الثلاثاء
تاسع عشر جمادى الآخرة تطايرت النجوم في السماء كالجراد وكأنها شعل من النار
قد حلت مع جميع جهات السماء لينقض منها شهب تضيء الأرض، ويبقى موضع الشهاب
في الأرض مدة قبل زواله، ويبدو أنه بقى نور في الأرض لمدة ساعة حيث لم يشمر
(١) الفاخرى : ٥٠، ١٧٢، ابن بشر ٢/ ٨٧، ٨٨، ويؤكد المثل النجدى : "مثل
ابوعيب ما يظهر الا في السنين الرديئة" وجود هذه الفكرة . عبد الكريم
الجهيمان : الأمثال الشعبية ٧/ ٢٧٠ مثل رقم ٤٦٧٢

(٢) المنقور : التاريخ ٤٥، الفاخرى ٦٩، ١٧٠، ابن بشر ٢/ ٥٣، ٥٦

(٣) د . عبد العزيز الخويطر : المرجع السابق ٤٥، ومتابعة للتواريخ النجدية
السابقة تؤكد هذه الحقيقة .

ابن بشر الى نوع هذا التأثير على الأرض، الا أنه أشار أن الناس قد انزعجوا حيث قد استمر نوره حتى طلعت الشمس فأضاع نوره النهار، كما روى أنه أخبره من يثق به أنه رأى شهابا تنقض بعد طلوع الشمس كأنها الدخان، وذكر لهايتين الحادثتين أشباها ذكرها بعض المؤرخين المسلمين، وابن بشر في هذا لا يبين لنا أسبابا لذلك هل كان ذلك نتيجة لخروج نو أو دخول آخر، أو كان عقاب أمطار أو بروق، وان كان الذي يبد وأن ذلك نتيجة تحركات النجوم في السماء إلا أنه وهذا هو المهم أشار الى تأثير ذلك على المجتمع وهو الانزعاج والخوف والرجوع الى الله تعالى ومحاسبة النفس. (١)

ومما سبق يتبين أثر المناخ على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في نجد وأن هذا التأثير واضح من تأثير التضاريس مما جعل لدى النجديين وعيا مناخيا واهتماما بأحوال الطقس يستأثر بكثير من تفكيرهم حتى الآن إذ أن طلوع نو، ودخول آخر وطلوع فصل مناخي ودخول آخر قل أن يمر دون أن يتكلم عنه عامة النجديين في مجالسهم، بحيث أن كثيرا منهم يستطيع أن يعطيك ملامح الطقس العامة لكل نو أو فصل، وأثر ذلك على الحياة الزراعية، وتوقيت الغرس والبذر فيها مما أعطى هذه الزراعة نجاحا نسبيا بالرغم من قلة الامكانات المتاحة آنذاك، وتذبذب الظواهر المناخية، وقسوتها في بعض الأحيان. (٢)

(١) ابن بشر ٥٦/٢ وقد أشار اليها الفاخرى اشارة خفيفة ١٧٠ .
(٢) عن الفصول والأنواء العربية وتعريفاتها النجدية . عبد الله خميس: راشد الخلاوي من ٩٦-٩٨ ومن ١٠٧-١١٨ ومن ٣١١-٣٤٩، وعن النجديين المناخي د: عبد العزيز الخويطر، المرجع السابق ص ٤٦، ولقد كان تسجيل الظواهر الفلكية والمناخية من الأساليب التي اتبعها المؤرخون المسلمون فعلى سبيل المثال انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ ط (٢) دار الكاتيب العربي، بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ٦٠/٨، ابن كثير: البداية والنهاية ط (٣) مكتبة المعارف بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ٦١/١١

ب- استعراض عام لتاريخ نجد قبل الدعوة:

لقد تواتر لدى المؤرخين قدما وحديثا أن أول من ابتدأ العمران فـى
اليمامة التى هى أحد أقاليم نجد الآن - هم قبيلتا طسم وجديس، هذا العمران
الذى يسمى حضور طسم وجديس أو بتل اليمامة (١)، ويقال ان طسم كانت تسكن
الخصرة (٢)، وتسكن جديس الخصرة (٣)، وقد تسنت هاتان القبيلتان الرعاصة

(١) البتل : جمع بتيل : مساكن وحصون على شكل صوامع مستطيلة تنهى من
طين على ارتفاع مائة أو مائتى متر، ومن ارفعها كانت تنظر زرقا^١ اليمامة
لجيش تبع القادم الى نجد آنذاك، ويقرن بعض الباحثين بين اسلوب بناء
بتل اليمامة، وبين بناء الناذن الاسلامية الأولى المربعة الشكل، وقيل : ان
بتيل مكونة من بت بمعنى بيت، و" اهل" بمعنى الله فالمعنى بيت الله،
وهذا يعنى انها اماكن عبادة، وقيل : ان بتيل حجر جبل باليمامة سمى
بذلك لارتفاعه وانقطاعه عما حوله من الجبال، ويبدو ان هذه الحصون
سميت باسمه لارتفاعها، وهى كثيرة ولكن لم تعرف اماكنها حتى الان.
(الهيدانى ٢٨٤، البكرى ١/٢٢٤، ٢٢٥، ياقوت ١/٣٣٦، حسين خلف
الشيخ خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : مطابع دار الكتب
بيروت ص ٤٠، حمد الجاسر : مدينة الرياض : ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٤، عبد الله
ابن خميس : معجم اليمامة ١/١٣٥، ١٣٦، وسعد زغول عبد الحميد : فـى
تاريخ العرب قبل الاسلام طبع دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٦ م ص
٣٩٨، ٣٩٩).

(٢) الخصرة^٢ : هى حجر قدما ثم عرفت بها من باب تعريف القديم بالحد يث
ولثلا تختلط بغيرها فيقال خصرة^٢ حجر التى هى الرياض حاليا ونهيا عين،
بهذا الاسم، وهناك اكثر من موقع يحمل هذا الاسم بعضها بال وبعضها
بدونها الا أن الذى فى اليمامة معروفا هو خصرة^٢ حجرا أو الخصرة^٢،
وخصرة^٢ موقع آخر باليمامة (الهيدانى ٢٨٤، ياقوت ٢/٣٧٦، حمد
الجاسر : المرجع السابق ٢٠، ابن خميس : المرجع السابق ١/٢٩٢، ٢٩٣،
٣٨٦).

(٣) الخصرة أو الخصارم : تقع فى جو الخرج أسفل وادى الخرج أو قرب موضع
بلدة اليمامة حاليا، ازدهرت فى عهد بني حنيفة والاخيريين، وقد نازعت
حجرا السيادة، وهناك اكثر من موضع بهذا الاسم أشهرها هذا الموضع
(الهيدانى ٢٨٢، ٣٠٩، ٣١٢، البكرى ٢/٥٠١، ٥٠٢، ياقوت ٢/٣٧٧،
حمد الجاسر : المرجع السابق ٤٤-٤٨، ابن خميس : المرجع السابق
٢/٣٨٦-٣٨٩).

في اليمامة قرونا حتى أصبحت الغلبة لطسم على جد يس حتى فنيها على يد أحد
تياحة اليمن في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد في تفصيل ليس هنا مجاله
إضافة إلى ما يشوبه من الخرافات القصصية (١) .

ويبدو أن هؤلاء التياحة قد اصطنعوا قبيلة كندة التي اندفعت من اليمن
إلى نجد مؤسسة ملكة كندة فيها والتي امتدت من منتصف القرن الخامس الميلادي ،
إلى نهاية القرن السادس الميلادي (٢)

ثم سكن بنو حنيفة من بني بكر بن وائل اليمامة ، وكان أول من سكنها منهم
هو عبيد بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة متخذاً من الخضراء عاصمة له ، ثم
تواندت أنفاد بني حنيفة فنزلت قرى اليمامة الأخرى ، وذلك في القرن الخامس
الميلادي ، وقد ازدهرت حجر اليمامة في عهد بني حنيفة حتى أصبحت قصبة
اليمامة إلى أن بدأت الخضرة قبيل ظهور الاسلام تنازع حجر السيادة على اليمامة
بعد ما مربها حوادث أضعفت مكانتها لعل أبرزها تحريقها من قبل بني قيس ،
وحوادث أخرى زادت من هذا الضعف حتى أخذت الخضرة السيادة منها (٣) .

(١) عن اقصوصة طسم وجد يس . محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك
تصدير دار الفكر ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م من المطبعة الحسينية المصرية
م ١ / ٢ / ص ٣٨ ، ٣٩ ، محمد بن علي بن حزم : جمهرة أنساب العرب
تحقيق عبد السلام هارون طبع ونشر دار المعارف . مصر ١٣٨٢ / ١٩٦٢ م
٤٣٤ ، ٤٦٢ ، ٤٨٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٢٠٣ - ٢٠٥ ، محمد
مبروك نافع : تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٧ - ٣٩ ، حمد الجاسر ، المرجع
السابق ١٨ - ٣٤ ، د . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ١٢٠ -
١٢٧ .

(٢) للتفصيل في ملكة كندة : عمر فروخ : تاريخ الجاهلية من ص ٨٢ - ٩٤ ،
جونارا ولندر : ملوك كندة . ترجمة وتحقيق د . عبد الجبار المطلبي
ط . دار الحرية ومطبعة الحكومة . نشر جامعة بغداد ١٣٥٣هـ / ١٩٧٣م
(٣) الهمداني : ٢٨٤ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ٣٨ - ٤٨ ، د . عبد الله
الشبل : تاريخ نجد ص ٦٦ .

ولما ظهر الاسلام كانت زعامة اليمامة لهوذة بن علي (١) وقاعد تـــــــ
الخضرة، ويبدو أن زعامته كانت عامة لقسم كبير من بني حنيفة إذ لم يذكر المؤرخون
الا أن ثامة بن أثال كان يساميه في الشرف والرياسة وهو من أهل حجر التي تتنازع
سيادة اليمامة مع الخضرة (٢) .

وأرتد بنو حنيفة مع من ارتد من القبائل العربية بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم منقادين لمسيلحة بن ثامة وقيل ابن حبيب من بني عدي بن حنيفة

(١) هو هوذة بن علي بن ثامة بن عمرو بن بنو سحيم من بني الدول من بني
حنيفة يلقب بذي الشاج، كان صديقا لكري، أرسل له الرسول (ص) كتابا
يدعوه الى الاسلام فاشترط المشاركة في الامر فدعا عليه (ص) فلم يلبث
بعد ذلك الا قليلا حيث مات سنة ٥٨هـ / ٦٣٠م (الهمداني ٢٨٢، ابن حزم
٣١٠، ٣١١، الزركلي : الاعلام ٩/ ١١١، ١١٢، د. عبد الله الشبل :
المرجع السابق ص ٢٧)

(٢) هو ثامة بن أثال بن النعمان بن سلمه من بني الدول بن حنيفة صحابي
كان احد ملكي اليمامة، كاتبه الرسول (ص) ضمن من كاتب من الطوك يروى
انه جئ به في احد السرايا فأسلم، كما يروى انه كان قد أراد قتل النبي
(ص) فلما أسلم منع القمح عن مكة حتى اذن رسول الله (ص) ومدح النبي
النبي بابيات، ثبت علي اسلامه حين ارتد معظم بني حنيفة وقد نصحهم
عن اتباع مسيلحة وقال أباها يسبه ومن اتبعه، وقد اثر بثباته هذا على
بعض قومه فانضموا وياهم الى الملا بن الحضرمي لقتال مرتدي البحرين
واستشهد بعيد ذلك سنة ١٢هـ / ٦٣٣م . للتفصيل : (عبد الملك بن هشام
السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وزميله ط. مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٥هـ
١٩٣٦م : ٤/ ٢٥٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ابن جرير : تاريخ الامم والطوك
٣/ ٢٥٦، ٢٦٠، ابن الأثير : المرجع السابق ٢/ ٢٤٩، ٢٥١، يوسف
بن عبد الله بن عبد البر، الاستيعاب في أسماء الاصحاب ط (١) ١٣٢٨هـ
مطبعة السعادة : مصر ١/ ٢٠٣-٢٠٨، احمد بن حجر المسقلاني
الاصابة في تمييز الصحابة ط (١) مطبعة السعادة، مصر ١/ ٢٠٣، الزركلي
الاعلام ٢/ ٨٦) .

(٣) حمد الجاسر : مدينة الرياض ٤٨-٥٠، د. عبد الله الشبل : تاريخ نجد

المعروف بمسيلة الكذاب الذي كان قد أبدى شره قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، وتوفى عليه الصلاة والسلام ولما يقضى على شره، حتى قضى عليه وطلته ضمن من قضى عليهم من المرتدين في نجد كمرتدي بنى أسد وبنى تميم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وانقادت اليمامة للخلافة الراشدة (١) .

ويبدو أن القيادة الإسلامية في المدينة قد رغبت عن زعامة بنى حنيفة لليمامة ولو مؤقتاً خشية من ارتداد آخر، إذ ولّى عليها خالد بن الوليد - ولا يستبعد أن يكون ذلك بأمر الخليفة أبي بكر رضي الله عنهما - سمرة بن عمرو العبدي من بنى تميم الذين كانوا يشكلون مع بنى نضير وباهلة بادية اليمامة آنذاك، وفي هذا احساس - على ما يبدو - من الخلافة بأن البادية في اليمامة آنذاك أشد اخلاصاً من الحاضرة، وإن كان من المحتمل أيضاً أن يكون الهدف اخضاع البادية كما اخضعت الحاضرة بعد الارتداد، ومن تتبع أسماؤ ولاية اليمامة في الخلافة الراشدة سواء من ولّوا عليها وحدها أو من ضمت اليهم ولايتها بالتبعية يتضح تأكيد هذه الحقيقة (٢)، بل إن الأمويين أيضاً قد تطلّكهم الشعور نفسه فلم يتيحوا لبنى حنيفة حكم اليمامة، مما جعل بعض الحنفيين ينضمون إلى الخوارج فمعارضتهم للأمويين، إلا أنه يبدو أن قسوة بعض ولاية بنى أمية على اليمامة وخاصة إبراهيم بن عربي، وضعف الدولة الأموية في أواخر عهدها قد أتاح لبنى حنيفة

(١) للاستزادة، ابن جرير ١٦٢/٣، ٢٤٣-٢٣٥، ابن الأثير ٢/٢٠٣-٢٠٥،

٢٣١، ٢٣٩-٢٤٩، ابن كثير، البداية والنهاية ٥/٤٨-٥٢، ٦/٣١٧،

٣٢٧، حمد الجاسر: المرجع السابق ٥١-٥٧

(٢) البكري ١/٩٠، د. عبد الله الشبل، المرجع السابق ٢٧، ٢٨

(٣) هو إبراهيم بن عربي اللبني الكنانى أشهر ولاية اليمامة الأمويين تولاها في عهد عبد الملك بن مروان وأمد منه إلى عهد هشام بن عبد الملك مع عزله وأعادت في فترات قبل هشام، اتخذ العقير - قرب الطلي - مقراً له مع بقاء حجر قاعدة لليمامة وكان حكمه لليمامة حازماً وقد أطلق عليه الشيخ حمد الجاسر نتيجة لذلك لقب موطن الحكم الأموي في نجد وقد اشتهر بسجنه المخيف المرعب الذي ينفر منه اللصوص والمشهور باسم "دار" وقد توفى ودفن في العقير التي يوجد بها بعض آثار يعتقد بأنها آثار العقير وقصر بن عربي، وقد سجل بعض شعراء العهد الأموي الذين لا قوا من عذاب ورا وبلائه (الاضغاث) بلاد العرب ٣٦١، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم العمري ط (٢) مطبعة محمد الكتبي (=)

فرصة ولاية اليمامة بأنفسهم والانفصال عن الدولة الأموية بعد ما هزموا واليها (١) .
ولما سقطت الخلافة الأموية وقامت على أنقاضها الخلافة العباسية
سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م صارت ولاية اليمامة تضم في الغالب الى والى مكة
والمدينة واليمن الا أنها كانت ولاية اسمية ما جعل المنطقة تعاني من فراغ
قيادي تابع للخلافة سنوات متعددة، بل ان والى الأموى على اليمامة ظل
يحكمها لفترة من عهد بنى العباس، ويبدو أن كثرة تغيير الولاة العباسيين
على اليمامة بين فترة وأخرى اضافة الى وقوع ثورة في المنطقة التي بين اليمامة
والبحرين عام ١٦٧هـ / ٧٨٣م قام بها بعض العرب، جعل اليمامة تنعزل عن
الخلافة فترة، ولعل الخلافة انتهت بعد ذلك الى ضرورة وضع وال خاص لليمامة
والبحرين لكن سرعان ما زال هذا الاهتمام لتضم اليمامة الى وال يحكم عدة
أقاليم منها اليمامة بالتبعية، وأحيانا كانت تضم الى والى البصرة أو مكة أو المدينة
أو والى البحرين وان كان هذا قليلا (٢) .

ومن تتبع أخبار اليمامة في العصر العباسي الأول يتبين ما يلي :

- ١- عدم اهتمام الخلفاء العباسيين بشئون اليمامة ما جعلها تعيش فراغا
قياديا أدى الى استقلالها فيما بعد .
- ٢- اذا عين وال مستقل لليمامة فان ولايته لها شكلية وقالبا ما تضم الى والى
البصرة أو والى مكة أو والى المدينة ومن غير المتوقع أن يجعل والى مركزه
اليمامة بل من المتوقع أن يجعل مركزه اما احدى المدينتين المقدستين
أو البصرة، هذا بالاضافة الى أن بعض الولاة كان بمجرد تعيينه على اليمامة

(=) نشر دار القلم ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص ٢٩٨، ٣١١،
٣٣٣، ٣٣٦ يا قوت ١٣٨/٤، حمد الجاسر: المرجع السابق ٦١، ٦٢،
عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ١/٤٥٠، ٤٥١، ٢/١٦٩، د. عبد الله
الشبل، المرجع السابق (٣) .

(١) ابن الاثير ٣/٣٥٢-٣٥٤، ٤/٢٧٢-٢٧٤، حمد الجاسر: المرجع السابق
٦١-٦٧، د. عبد الله الشبل: المرجع السابق ٢٩-٣٢

(٢) ابن الاثير ٥/٦٩، د. عبد الله الشبل: المرجع السابق ٣٣-٣٥

بالتبعية يسندها الى وال آخر، وقد بتركها هذا مكتفيا بالاسم وهو يعيش خارجها
ما جعل الهمامة تعيش ظلالا قاتمة من الالهال أتاح لبنى الأخير استقلال بها
كما سيأتى، ولعل الخلفاء العباسيين فى تصرفهم هذا حيال هذه المنطقة
يدفعهم أحد هذه العوامل أو كلها مجتمعة (١) .

١- لم تكن المنطقة تشكل موردا اقتصاديا - ولو بسيطا - للدولة الإسلامية
فهى منطقة داخلية لا تقع على بحار حتى تكون منفذا تجاريا ولا يوجد
فيها أنهار حتى تزدهر فيها الزراعة .

٢- بعد المنطقة عن مركز الخلافة قلل من اهتمام الخلافة بها وجعل بالتالى
أهالى المنطقة لا يوالون الخلافة سياسيا (٢) .

٣- لم يكن يوجد بالمنطقة مركز دينى أو علمى يمكن أن يشد اليها الأنظار
بخلاف كثير من البلدان الإسلامية آنذاك سواء داخل الجزيرة أو خارجها
فقد كانت الأمية والجهل مسيطران على نجد ، وإذا وجد بعض العلماء
فإنهم لا يعرفون الخلافة بمزايا منطقتهم (٣) .

٤- يبدو أن الخلافة العباسية لم تكن تخشى من قيام ثورة فيها كما كانت
تخشى الدولة الأموية إذ لم يشر المؤرخون الى ثورة عدا ماسبق وهى فسى
المنطقة ما بين الهمامة والبحرين ما جعل الخلافة تلمثن الى الوضع
السياسى فيها وأنه لم يكن موال لها كليا فعلى الأقل لن يثور عليها .

ولقد كان العلويون يرون أنهم أحق من العباسيين ، وأصبحوا من كبار
المعارضين للخلافة العباسية محاولين الخروج عليها كلما سنحت الفرصة ممثلة
أما فى ضعف الدولة ، أو انشغالها بالفتن الداخلية أو بعد عدو خارجى ، وقبـد
ساعدهم أن العصر العباسى الثانى (٢٣٢هـ / ٨٤٧م - ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م) يعتبر

(١) د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٣٥

(٢) المرجع السابق ص ٢

(٣) المرجع السابق ص ٣ ، ٤

عصر انحلال الدولة العباسية ، وبداية التحولات السياسية ضد ها ، وظهور الدولة المستقلة داخل جسم الخلافة الإسلامية وظهور الحركات السياسية والدينية التي بدأت تنخر فيها حتى أفقدتها القدرة على صد الأعداء في الخارج ، أو قمع المناوئين في الداخل ، وليس هذا مجال التفصيل في محاولات العلويين الخروج عن الدولة العباسية سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، بله التفصيل في الدولة المستقلة عن العباسيين ، أو الحركات السياسية أو الدينية (١) ، ولكنها العامة للدخول إلى العهد الأخضرى في اليمامة ، الذي نجم عن نظرة العلويين للعباسيين ، واسقاط العرب من الديوان ، وإهمال منطقة اليمامة هذا الإهمال الذي جعلها تعيش فراغا قياديا وخاصة في الفترة التي سبقت قيام دولتي الأخويين العلوية بقليل إذ بقيت اليمامة بدون وال من الخلافة حيث لم تشمر المصادر التي بين يدي الآن إلى تسمية والي اليمامة العباسي في هذه الفترة (٢) .

استغل محمد الأخضر بن يوسف من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذه الظروف سواء تلك التي تعيشها منطقة اليمامة خاصة أو التي تعيشها الخلافة العباسية عامة فاستولى على اليمامة سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م بمقداره من هزيمته أمام الجيش العباسي متخذاً الخضرة قاعدة لحكمه الذي توارثه أبناؤه وأحفاده من بعده حتى بعد منتصف القرن الخامس الهجري بعد منتصف القرن الحادي عشر الميلادي (٣) .

(١) للتفصيل في الدولة المستقلة عن الخلافة العباسية د . حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ط (٧) مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة . نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ٣ / ٦٤ - ١٩١ ، وعن الحركات السياسية والدينية ٣ / ١٩٢ - ٢٣٠ .

(٢) د . عبد الله الشبل ، المرجع السابق ٣٦ - ٣٩ ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ج ٦ ص ١٣٩٦ هـ من ص ٤٥٩ - ٤٦١

(٣) علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط (٤) مطبعة السعادة ، نشر المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ٤ / ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ج ١ ، ط ١ ، المرجع السابق ٢٩ ، د . عبد الله الشبل ٣٩ ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ج ٦ ص ١٣٩٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، مجلة العرب ج ١ ، ٢ ص ١٤ ص ١٠٢ ، ١٠٣

والأخضرين شيعة على مذهب الزيدية ويقولون في نداءهم للصلاة: حسي على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر (١)، والزيدية وإن كانوا أخف فرق الشيعة تعصبا وبغضا لأهل السنة، فانهم يلتقون مع عامة الشيعة في الولاء السياسي لمبدأ التشيع ومن هنا كان الأخضريون على علاقة وطيدة مع القرامطة، ويشير أحد الباحثين إلى أن حصن الأخضر القريب من كربلاء ربما سمي باسم أحد أحفاد الأخضر الذي عينه القرامطة أميرا على الكوفة عام ٣١٥هـ / ٩٢٨م (٢).

ولئن صحت هذه الإشارة فانها تفيد أن للأخضرين دورا في نشر دعوة القرامطة في شرق شبه الجزيرة، ويعضده ما يجمع بينهما من التشيع لآل البيت، ومعاداة الدولة العباسية، وما تمخض عنه أو صاحبه من تيارات سياسية ومعتقدات شيعية جعلتهما تنظران إلى سائر الأمة الإسلامية بمنظار الحقد والكراهية.

ويؤكد هذه الحقيقة طبيعة السياسة التي اتبعوها في حكم اليمامة التي اتسمت بالجور والقسوة وسوء السيرة، فقد اضطر قسم كبير من أهل اليمامة إلى مغادرتها تاركين وراءهم أموالهم إلى البصرة بسبب حيف لحقهم من ابن الأخضر عام ٣١٠هـ / ٩٢٢م فأصبحت سياسة الأخضرين عامل طرد للنجديين من بلادهم تماما كما يفعل الجذب والقحط، واضطر قسم آخر من النجديين إلى الجلاء عنها بسبب هذه السياسة إلى مصر في مجموعات كثيرة ما جعل اليمامة تقفر من أهلها نسبيا طيلة فترة الأخضرين (٣).

(١) حمد الجاسر المرجع السابق ص ٧٦، د. عبد الله الشبل المرجع السابق ص ٤٠

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف نشر دار التراث بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ص ٣٣١، دائرة المعارف الإسلامية نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وزملاؤه ٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ١ / ٥٣٠، ٥٣١ د. عبد الله الشبل المرجع السابق ص ٣٩، ٤٠، عبد الجبار الراوي: البادية، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص ٥١-٥٦ وقد فصل فيها الكلام عن قصر الأخضر وقد صورته له لكنه لم يشر إلى أنه يرجع للأخضرين بل أشار إلى أنه ربما بنى قبل الإسلام وربما كان فارسيا.

(٣) ياقوت ٣١٩/٤، حمد الجاسر، المرجع السابق ٧٠، ٧٢ وعبد الله الشبل. المرجع السابق ص ٤٠

وقد كان للأخضر محمد سابقة في الجور والاضطهاد قبل أن يقدم اليمامة
ان غلب على مكة والمدينة بعد وفاة أخيه اسماعيل فنال الناس منه عناء شديدا ، ومات
كثير من أهل المدينة جوعا بسبب حصاره لها عام ٢٥٣هـ / ٨٦٧ م ، وانقطعت الصلاة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة حتى بعثت الخلافة العباسية جيشا
هزم الأخضر ، فهرب الى اليمامة في السنة نفسها ليمارس السياسة نفسها التي
يبد وأن بعض الثائرين يمارسونها على العامة فيسقطون العنت الذي يلقونه من
الخلافة على هؤلاء العامة الذين لا حول لهم ولا قوة^(١).

ومن المعتقد أنه بالإضافة الى عدم تقبل النجديين لهادئ الشيعة فقد
أعطت هذه السياسة السيئة عاملا مهما في عدم تثبيت أقدام المذهب الشيعي في
نجد ذلك أن النجدي رجل صحراوي لا يعرف الا الصراحة والوضوح في الأمور
الدينية كما مر ، ولا تعرف التقية التي هي من أهم مبادئ الشيعة اليه سبيلا^(٢).

ومن المتوقع - وان لم يشر المؤرخون الى ذلك - أن بعض النجديين الذين
فروا من سياسة الأخضرين قد عادوا الى بلادهم بمجرد انتهاء هذا الحكم
القاسي بعيد منتصف القرن الخامس الهجري حيث انتهى هذا الحكم بنهاية
مجهولة الأسباب لكن ليس منها استيلاء القرامطة كما يشير بعض المؤرخين ، وبقيت
أقسام كبيرة من تلك التي هربت ولم تعد الى نجد وخاصة تلك التي هربت الى شمال
افريقيا وبشكل خاص بعض من بني تميم وعامر وهلال حيث بقيت في تلك المناطق
الى اليوم^(٣).

على أن هذا الوجود الأخضر في نجد قد أثر بقاء بعض الأسر الشريفة
التي اندمجت في المجتمع النجدي والتي ترجع في أصولها الى الامام علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه ، وهم يتركزون في جنوبي نجد ، وقد جاؤوا بالحلف بنى حنيفة
ولا يبعد أن تكون الأسر الشريفة الأخرى المتفرقة في نجد من بقايا الأخضرين
وحافظت على أصلها الشريف ، ولم توافق بنى الأخضر في الاعتقاد بالمذهب الشيعي^(٤).

(١) المسعودي ٤/ ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٦

(٢) انظر ص ٨ من هذا المدخل

(٣) د. عبد الله الشبل المرجع السابق ص ٤١-٤٤ ، ابن خنيس : اليمامة ١/ ٤١ ،
مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية العدد السابق ٤٦٣-٤٤٦

(٤) حمد الجاسر : معجم أنساب الأسر المتحضرة ١/ ١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٠١ ، ٧٧٠ ،
ابن خنيس : المرجع السابق ١/ ٣٩

وقد كانت الأحساء وشرق الجزيرة في القرن الثالث وأوائل الرابع الهجري تابعة لليامة من الناحية الادارية، ويبدو أنها تتبعية مذبذبة حسب قوة الحاكم في هاتين المنطقتين (١)، لكن الوضع انعكس منذ أواخر القرن الخامس الهجري أي منذ سقوط الأخيضرين وحتى قيام الدولة السعودية ان أصبحت اليامة تابعة للأحساء، وتعرضت للتفكك والانقسام الى امارات صغيرة مجزأة، وأصبحت تعاني من عدم استقرار الحكام في بعض بلدانها وتنازعهم فيما بينهم، واعتداء القبائل بعضها على بعض، وغزوات القوى المحيطة بالمنطقة (٢).

وفي الوقت الذي بدأت فيه دولة الأخيضرين في الاحتضار، كان الضعف والانحيار قد بدأ يذبان في أوصال القرامطية في الأحساء، ولعل هذا من الموافقات التاريخية العجيبة ان سلمت شبه الجزيرة العربية من شرهما في وقت متقارب، ونتيجة لضعف القرامطة فقد استغله العيونيون - من بني عبد القيس - لينهوا حكم القرامطة للأحساء بعد الاستعانة بالخليفة العباسي القائم بأمر الله (٣) والسلطان السلجوقي ملكشاه حيث انتزع العيونيون الأحساء من القرامطة في حدود عام

(١) قال الأصفهاني في بلاد العرب ص ٣٢٦: "منير الأحساء.. احساء هجر، يدعى عليه لصاحب اليامة، وواليتها من قبل عامل اليامة، ثم ذكر ان جباية زكاة الأحساء ترد اليامة."

(٢) د. عبد الله الشبل: المرجع السابق ص ٤٥، حمد الجاسر: المرجع السابق ص ٧٩.

(٣) هو القائم بأمر الله عبد الله بن أحمد القادر بالله ابن الامير اسحاق بن المقتدر العباسي يكنى بابي جعفر أحد خلفاء بني العباس ولد سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م، ولي الخلافة بعد ابيه القادر بالله سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م في عهده تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة عدة مرات، واعتبرت الخلافة فترة ضعف، وفي عهده كذلك حدثت وحشة بينه وبين البساسيري أدت الى خروجه على الخلافة وقتله سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، امه أرمنية وقيل روميسة تسمى قطر الندى، توفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م وتولى بعده ابنه المقتدر بالله، وكان القائم ورعا دينيا زاهدا محبا للادب مؤثرا للعدل، للتفصيل (ابن الاثير: الكامل ٢١١/٧ حوادث سنة ٣٩١هـ، ومن ص ٣٥٤-٣٥٧، حوادث سنة ٤٢٢هـ، ج ٢/٨-١٢٠ حوادث سنة ٤٢٣-٤٦٧هـ، ابن كثير: البداية والنهاية ج ١١/٣٢٩ حوادث سنة ٣٩١هـ، ج ١٢/٣١-١١٠ الزركلي: الاعلام ١٩٠/٤).

(٤) هو ملكشاه بن ألب ارسلان بن شغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق، أحد سلاطين سلاجقة العراق، ولد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م تولى السلطنة بعد مقتل أبيه سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، وكان عمره حين وليها سبع عشرة سنة او ثمان عشرة سنة، استنصر نظام الملك، بدأ عهده باضطرابات (=)

١٠٧٦-١٠٧٧م (١) وأقاموا فيها حكومة تدعى بالتبعية للخلافة العباسية في بغداد، وقد بلغ العيونيون من القوة السياسية في شرق شبه الجزيرة ما جعلهم يمدون نفوذهم إلى نجد (٢) التي يبد وأن اسمها الحالي بدأ يحل محل الاسم القديم "اليمامة".

وقد استمر حكم العيونيين حتى منتصف القرن السابع تقريباً حين أثرت فيهم هجمات بني عامر بن عقيل الذين كانوا قد ساعدوا القرامطة أثناء هجوم عبد الله العيوني مع جيش الخلافة عليهم (٣)، إضافة إلى الصراعات بين أمراء البيت العيوني نفسه. هذه الصراعات التي يبد وأن بني عامر قد استفلوهـا بعد أن صاهروهم - بدافع سياسي على ما يبدو - فأخذوا يؤيدون هذا الأمير

(=) في أطراف البلاد الخاضعة للسلاجقة، اهتم بالحوائط الحربية والحضارية

الانشائية والعلمية، تزوج الخليفة المقتدى ابنته، يلقب بالسلطان العادل وبابه كان مفتوحاً لكل شخص، ويجلس للمظالم بنفسه، توفي ١٠٩٢م ويموت انتهى العصر السلجوقي الأول العصر الذهبي للسلاجقة، (١) الاثير ١١٢/٨-١٦٥، حوادث سنة ٤٦٥هـ - ٤٨٥هـ، ابن كثير ١٠٦/١٢ - ١٤٣، د. حسن ابراهيم حسن. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٢٥/٤-٣٣.

(١) وقيل سنة ٤٦٦هـ. حمد الجاسر "المنطقة الشرقية ط (١) مطبعة نهضة مصر. نشر دار اليمامة. الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٨٦/١، وقيل عام ٤٦٧هـ، د. عبد الله الشبل، المرجع السابق ٤٦.

(٢) حمد الجاسر: مدينة الرياض ص ٧٩، د. عبد الله الشبل: ٤٥، ٤٦، د. عبد اللطيف الناصر الحميدان: اماره العصفوريين: مسئل من مجلة كلية الآداب. جامعة البصرة العدد ١٥ عام ١٩٧٩م مطبعة جامعة البصرة ص ٧٨-٨١.

(٣) يبد وأن علاقة بني عامر بن عقيل بالقرامطة كانت منذ وجود القرامطة في شرق الجزيرة فقد أشار ابن جرير (١١/٣٦٤ سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م) إلى أن بعض الاعراب قد ساعدوا ابا سعيد الجنابي القرطبي في البحرين وصرح ابن الاثير ٩٣/٦هـ بأن بني عقيل من القبائل التي ساعدت ابا سعيد اما ابن خلدون ٩٨/٤، ٩١ فقد ذكر ان القرامطة كانوا يستجندون بقبائل من العرب في البحرين ويستعينون بهم في حروبهم ضد اعدائهم.

على حساب الآخر حتى اشترك بعض أمراء بني عامر مع بعض الأمراء الميونيين فـلى اغتيال الحاكم الميوني الذي استعان ابنه بأحد أمراء بني عامر أيضا وهكذا بدأ بنو عامر يسيطرون على دفة الحكم الميوني حتى استأثروا به عام ١٢٥٣هـ / ١٢٥٣م وقد استمروا فى حكم البحرين " المنطقة الشرقية " حتى عام ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م (١) وحكم منهم خلال هذه الفترة ثلاث أسر هى :

١- المصفوريون : بعد تعرض حكم الميونيين لحالة التمزق كما سلف اجتمع أعـيان الأحساء وافقوا على تسليم السلطة للشيخ عصفور بن راشد بن عبيدة زعيم بني عامر على أن يقوموا من جانبهم بخذلان الحاكم الميوني الفضل بن محمد بن مسعود واقناعه بعدم جدوى مقاومة بني عامر، فقبض الشيخ عصفور على الأمير الفضل وطرده من الأحساء، وهكذا تم لبني عامر ممثلين فى الشيخ عصفور الاستيلاء على السلطة فى الأحساء وكان ذلك على فترات بدأت بالعقد الثانى من القرن السابع الهجرى حتى العقد الرابع منه، أو منتصف هذا القرن /العقد الثانى أو منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، وقد تداول بنو عصفور الحكم حتى أوائل القرن الثامن الهجرى / أوائل القرن الرابع عشر الميلادى والذى يعنينا هنا هو امتداد حكمهم الى نجد (٢) .

٢- الجروانيون : تنتسب هذه الأسرة الى جروان، ولعله ابن ابراهيم بن عبد الله ابن جروان من بنى مالك أحد بطون بني عامر بن عقيل من بنى عبد القيس (٣) ، وقد قام حكمهم على أنقاض حكم أقربائهم المصفوريين الذى بيد وأن سعيد بن

(١) ابن خلدون : العبرود يوان المبتدأ والخبر . مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ٩٢/٤ ، حمد الجاسر : المنطقة الشرقية ١/٨٨ ، د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ص ٤٦ ، والحمدان المرجع السابق ٨٤ ، ٨١ .

(٢) اشار ابن خلدون ٩٢/٢ الى أن حكام الأحساء فى القرن ٧هـ هم بنو عصفور ، د . عبد الله الشبل ص ٤٦ ، والحمدان ٨٥ - ٨٨ ، ٩٢ ، والبحث كله عن بنى عصفور .

(٣) د . الحميدان : ١١٩ ، ١٢٣

(١) مفاصل الذي يقال انه من ذرية الشريف رميثة قد استولى عليه لفترة قصيرة (٢) من مطلع القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى حتى انتزع الحكم منه جروان المحتل انه ابن ابراهيم فى عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥-١٣٠٦ م ثم اعقبه ابنه ناصر فحفيد ابراهيم الذي أخضع حكم الجروانيين لحكومة هرمز (٣) التي كانت تسيطر بقوة على سواحل الخليج العربى وأنه بقى حاكما للأحساء تابعاً للمهرمزيين فى عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م ويبدو أن بنى جروان قد انصرفوا الى النشاط الاقتصادى وأن دفعوا مقابلاً لذلك نقل ولا هم السياسى وقوتهم العسكرية الى هذه القوة الجديدة (٤) .

(١) الشريف هو رميثة بن ابي نبي محمد بن الحسن بن علي الحسنى أبو عراد ولى مكة بالاشتراك مع أخيه حميضة ثم اختلفا وتقاتلا حتى استقل بأمانة مكة عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م ثم قبض عليه عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م فهرب ثم سجن عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م حيث قتل الماليك أخاه حميضة ثم انقرد أخوه مماليك عتيقة بالامر، ثم سجنه الماليك بمصر واعاد وارميته فحكم من سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٢٧ م - ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م، حيث ترك الامارة لابنيه ثقبقة وعجلان ثم توفي بمكة عام ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م قيل انه اظهر الزيدية فانكسر عليه الناصر قلاوون وارسل اليه عسكرياً ثم امنه، كانت امارته مكة فى وقته تتبع ممالك مصر، للتفصيل: احمد زيني دحلان: خلاصة الكلام فى بيان امراء البيت الحرام. تصوير عن الطبعة الاولى. المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٥ هـ ١٨٨٧ م من ص ٢٨-٣٠، الزركلى: الاعلام ٦١/٣، على بن حسين السليمان العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين الممالك طبع الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، توزيع دار حواء، القاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م الصفحات ٢٣-٣٩، ٤٦، ٤٦، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٨٤، ٢٥٣) والقول بان سعيداً من ذرية رميثة قد حضره المقارنة بين التواريخ المتعلقة بهذين الشخصين، كما رجح د. الحميدان ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١، انه من ذرية الشريف رميثة، أشار الشيخ حمد الحاسر: المنطقة الشرقية ٨٩/١، انه من بنى عامر والله اعلم.

(٢) هي حكومة قامت فى منطقة مضيق هرمز سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م واتسمت لتشمل ساحل الخليج العربى من ظفار جنوباً حتى البصرة شمالاً. للتفصيل د. الحميدان ١٠١-١٠٧ وعن علاقة العصفوريين بها من ص ١٠٨-١٣٣، وعن علاقة الجروانيين بها ص ١٢٣) وقد مر ابن بطوطة بهذه الدولة، وذكر امتداد سيادتها لعدد من بلدان الخليج وخاصة فى عهد السلطان قطب الدين تمهتن بن طوران شاه الذى اثنى على كرمه وتواضعه واتساع ملكه (رحلة ابن بطوطة ١١٧، ٢٣١، ٢٦١، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨) .

(٣) د. عبد اللطيف الحميدان ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، د. عبد الله الشبل: المرجع السابق ص ٤٦، وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته انه قدم الى اليمامة فى هذه الفترة وذكر حسنيتها وخصبها وان فيها انهار. ولعلها جد اول من الآبار، واشجار، وذكر ان فيها عدد من قبائل العرب يمثل بنو حنيقة أغلبهم، وان الامارة فيهم لطيف بن غانم - ولعله من بنى حنيقة - وسافر ابن بطوطة برفقته الى مكة لاداء الحج وذلك سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م. (رحلة ابن بطوطة ٢٨٠) .

ولئن كان من الصعب الجزم - في ضوء المصادر المتوفرة - بما اذا كان نفوذ هذه الأسرة قد امتد الى بلاد نجد ، الا أن سيطرتها مع عموم بني عامر على طريق قوافل الحج والتجارة من مكة حتى ايران يعنى أن لها هبة وسلطة على قبائل نجد الواقعة على هذا الطريق ، وان كانت هذه السيطرة تحت الحكم الهرمزي (١) .

٣- الجبريون : ركز بنو عامر اهتمامهم على الناحية التجارية باستغلال طرق القوافل متحينين الفرصة المناسبة لاسترجاع مكانتهم السياسية السابقة ، وقد تم لهم أخيرا على يد الفخذ الثالث وهم بنو جبر الذين استرجعوا سلطة بني عامر على بلاد البحرين في حدود منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ويبدو أنهم أنفوا أن يكون بنو عمومتهم الجروانيون عمالا للهرمزيين (٢) .

وقد بدأ حكم هذه الأسرة عند ما انتزع سيف بن زامل الامارة من آخر ولاية بنو جروان ثم تولاهما أخوه أجود بن زامل الذي وسع حكمه على حساب مملكة هرمـزـ والذى لقب برئيس نجد ورأسها مما يؤكد أن نفوذ هذه الأسرة قد امتد الى نجد (٣) ، وتشير بعض القوائد الشعبية كذلك الى امتداد هذا النفوذ الى نجد (٤) الذى استولى عليه راشد بن مفاص (٥) بعد ما دب النزاع بين أفراد هذه الأسرة عقب مقتل مقرر بن أجود بن زامل على يد البرتغاليين عام ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م ، وكان استيلاء راشد على حكم الجبريين عام ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م لكن لم تطل مدة حكمه

(١) د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٢٧ ، د . عبد اللطيف الحميدان

(٢) د . عبد اللطيف الحميدان ١٢٤

(٣) ابن بشر ٢ / ١٩١ ، ١٩٢ ، د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٤٧ ، د . عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب . مطبعة نهضة

مصر . القاهرة نشر دار العلوم ، الرياض ص ٩
(٤) تاريخ حمد بن محمد بن لعبون . (١) مطبعة أم القرى ٣٥٧ هـ (ص ٣٢) ، حمد الجاسر . مدينة الرياض ٨٣ ، عبد الله الحاتم : خيار ما يلتقط مجلة الدارة ع ٤ / ص ١ ص ١ / ٥٥ - ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، د . عبد الله الشبل ٤٧

(٥) وقد أشار ابن بشر (٢ / ٢١١) بأنه رئيس آل شبيب .

حيث استولى العثمانيون على هذه المنطقة بعيد منتصف القرن العاشر الهجرى
السادس عشر الميلادى (١) .

وبعد انضمام الأحساء للعثمانيين وانضمام الحجاز قبل ذلك . أصبحت
نجد محاطة من جميع جهاتها تقريبا بمناطق نفوذ عثمانية مما أتاح لأشراف مكة
استغلال هذا الوضع لصالحهم فبدأت غزواتهم لنجد ، ففي سنة ١٥٧٨ / ٩٨٦ هـ
غزا الشريف حسن بن أبى نعى (٢) بلدة معكال (٣) فى جمع يزيدون طــــى
٥٠٠٠ هـ بعد أن اخترق نجدا وأقام فى معكال فترة أسرف فيها جماعة من أهلها ،

(١) ابن لعبون : التاريخ ١٣٢ ، ابن بشر ٢ / ١٩٢ ، ٢١١ وان كان قد أخطأ
فى تحديد نهاية حكم الجبريين حيث ذكر أنه عام ١٠٠٠ هـ / حمد الجاسر :
مدينة الرياض ٨٣ ، المنطقة الشرقية ١ / ٨٩ ، د . عبد الله الشبل : المرجع
السابق ٤٧ ، الدارة ٤ ع / ١ س / ص ٦٨ .

(٢) هو الشريف الحسن بن أبى نعى محمد بن بركات ولد بمكة فى ٧ ربيعـــــــــــــــــ
الأول ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م ، تولى إمارة مكة ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م وتوفى غازياً
لنجد ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ، للتفصيل : (أحمد زهنى دحلان خلاصة الكلام
فى بيان أمراء البلد الحرام من ص ٥٦ - ٦١ ، الزركلى ، الاعلام ٢ / ٢٣٥ ،
الفاخرى : الأخبار النجدية . تحقيق د : عبد الله الشبل ص ٦٢ من حاشية
المحقق) .

(٣) معكال : كان بلدة منفصلاً عن حجر " الرياض " التى ضعفت فأصبحت عدة
قرى منها معكال هذا وقد طغى ذكر معكال هذا على المدينة الأم (حجر)
فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، وبدل الشعر الشعبي
على وجود حرب بينها وبين بلدة مقرن القريبة منها ، ومنذ عرفت الرياض كمدينة
وهو أحد أحيائها القديمة ، ويقع الآن بين شارع آل فريان شرقاً وشارع مكة
غرباً وشارع الأعشى جنوباً وميدان د خنة شمالاً ، ويبدو أنه كان يضم حــــى
د خنة .

للتفصيل : (ابن عيسى ص ٥١ ، حمد الجاسر : مدينة الرياض من ص ٨٧ - ٩٠ ،
عبد الله بن خميس معجم اليمامة ٢ / ٣٧٩ ، ٣٨٠)

وقتل آخرين ، ورجع بغنائم وفيرة بعد أن اتفق معهم على أن يدفعوا له مخصصا سنويا وأمر فيهم من يضبط الأمور لصالحه (١) .

وفي سنة ٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م غزا بلدان منطقة الخرج في جيش كثيف وهرقتسه مدافع ففتح هذه البلدان واتفق معهم على شروط وأموال وعين فيها أمراء من قبله لتنفيذ ما اتفق مع أهلها عليه (٢) .

وكانت غزوات الأشراف أحيانا غير محدودة الاتجاه في نجد (٣) لأنهم بهمهم أن يفزوا أكبر قدر ممكن من بلدانها ، وأحيانا تكون مقصودة أصلا إلى بلد معين اما لقطع أهله الميرة عن مكة أو تعرضهم لقوافل الحجاج الذين يشتكسون إلى الشريف ذلك ، أو الحصول منها على فنائم (٤) .

وقد حفلت كتب التاريخ النجدي بالحدیث عن معاملة الأشراف لهذه البلدان النجدية بالقسوة التي تتمثل أحيانا في اخلاء بعض البلدان من أهلها ثم هدمها (٥) . والتي يبدو أن سببها تأخر هذه البلدان عن دفع الصلح المفروض

(١) الفاخرى ٦٢ ، ٦٣ وقد أشار إلى أن ذلك كان عام ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م بينما أشار العصامي في سبط النجوم الحوالى " ٣٦٨ / ٤ أن ذلك كان عام ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م ووافقه ابن بشر ١٩٥ / ٢ ، حمد الجاسر: مدينة الرياض ٨٨ ، عبد الله بن خميس، معجم اليمامة ٢ / ٣٨٠ .

(٢) الفاخرى ٦٣ وأشار إلى أن ذلك كان عام ٩٨٨ هـ بينما أشار العصامي " ٣٦٩ / ٤ أن ذلك كان عام ٩٨٩ هـ ووافقه ابن بشر ١٩٥ / ٢ .

(٣) الفاخرى ٦٤ ، ابن بشر ١٩٥ / ٢

(٤) الفاخرى ٧١ ، ابن بشر ٢٠٨ / ٢ . عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد ابن عبد الوهاب مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، نشر دار العلوم الرياض ص ١٠ .

(٥) المنقور: التاريخ ٦٢ ، ابن بشر ٢١٧ / ٢ ، ابن عيسى ٧٠ ، وقد أشاروا إلى غزوة الشريف أحمد بن زيد (١٠٥٢ هـ / ١٦٤٢ م - ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٨ م)

لعنيزة وقد اتفق المنقور وابن عيسى على أن ذلك كان عام ١٠٩٢ هـ / ١٦٨٥ م بينما ذكر ابن بشر أن ذلك كان عام ١٠٩٦ هـ ، وقد فصل ابن عيسى في ذكر ما فعله بأهل عنيزة مبينا أنه أخلى العقيلية - محلة من محلات عنيزة - من أهلها وهدمها بينما لم يفصل المنقور وابن بشر في ذلك مكتفين بقولهما " فعل ما فعل " .

عليها ، أو تأخرها عن جلب التمور والحبوب الذي كانت نجد تصدره الى مكة منذ العهد الجاهلي (١) .

وان تعبير المؤرخين النجديين عن معاملة الأشراف لهذه البلدان كقولهم : " وفعلوا من القبح والفساد ما لا يعلمه الا الله " و " فعلوا الأفاعيل " و " فعلوا القبح والفساد " (٢) هذا التعبير كما يوحي بأن هناك قسوة وفظاعة في معاملة الأشراف للنجديين بعد الانتصار عليهم ، فانه في الوقت نفسه يعطى تصورا عن حجم هذه القسوة ، كما يعطى تصورا عن بغض النجديين للأشراف (٣) .

وقد كان من أهداف الأشراف في غزواتهم الى البلدان النجدية أيضا هو محاولة فرض سيادتهم على بعض البلدان النجدية ، كما حدث عام ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م حينما سار الشريف زيد بن محسن (٤) الى روضة سد ير (٥) وقتل رئيسها ،

(١) أشار المؤرخون المسلمون الى قصة ثمامة بن أثال الحنفي مع القرشيين عند ما أسلم وأنه عند ما أراد أن يعتنق الإسلام فأنكره فقال أحد همم دعوهم فانكم تحتاجون الى الهامة لطعامكم فخلوه ، وأنه لما أسلم كذلك قال له القرشيون : اصبت يا ثمام فقال لا ولكنني اتبعته خير الذي من محمد ، ولا والله لا تحمل اليكم حبة من الهامة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ذهب الى الهامة منع قومه من ارسال القمح الى مكة حتى اشدتكم القرشيون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسح ثمامة بارسال القمح الى مكة ، ابن هشام ، السيرة ٢٨٨ / ٤ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ٢٠٥ / ١ وأشار الى ان ميرة قرين ومنافعهم من الهامة ، ابن حجر ، الامامة ٢٠٣ / ١ ، قلت وهذا دليل على ان نجد كانت مصدر اغذائها لمكة . (الفاخرى ٦٤)

(٢) انظر ابن بشر ٢٠٨ / ٢ ، ابن عيسى ٧٠

(٣) من الناحية السياسية فقط والا فنجد تضم أسرا شريفة لها مكانتها العالية بين الاسر النجدية .

(٤) هو الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن ابي نبي - ولد في مكة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ويقال : انه ضمن السيرة لولا ما فعله في نجد ، وحدث في عهده فتن منها منع الحجاج الايرانيين من الحج بموجب أمر سلطاني ، وفتن اخرى تمكن من قمعها واستمر في الحكم مدة خمس وثلاثين سنة وشهر توفي عام ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ هـ (ابن بشر ٢٢٢ / ٢ ، ٢٢٣ ، احمد دحلان : خلاصة الكلام ص ٧٤-٧٩ ، الزركلي : ١٠١ / ٣) .

(٥) الروضة أو روضة سد ير : ذكرها الأصفهاني مشيرا الى انها لبني العنبر من تميم ، كما ذكرها الهمداني باسم روضة الحازمي وذكر ان فيها (=)

وولي غلمها رميزان بن غشام (١) وأجلى قسما من أهلها ليضمن ولا * البلدة له (٢) ،

(=) نخيل وحصون بينما ذكرها ياقوت باسم روضة الفقى نسبة الى وادى الفقى الذى تعتبر الروضة أعلى بلدة فيه، والروضة الحديثة من أكبر بلدان سد هر أسسها مزروع التميمى بعد أن اشتراه وعداولة نريته من بعده، ويبدو أن عمرانها لم يستكمل الا عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م وأمرائها منذ تأسيسها حتى الآن هم آل ماضى من آل تميم من بنى خالد الا فى فترة حكم رميزان فقط وللروضة تاريخ حافل فقد مرت بها أحداث كثيرة كما خرجت عددًا من العلماء والشعراء. للتفصيل: الأصفهاني: (بلاد العرب ٢٦٢، البهتانى صفة جزيرة العرب ٢٨٦، ياقوت ٣/٩٣، ابن بشر ١/٢٢٧، ٢٨٥، ٥٢٠، ٩٤، ٩٥، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٨، ٢٥٥، ٢٠٠، ١٩، ١٧/٢٠٣، ٣٠٥، ٣٠٤، ٩٥، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٣٧، ابن عيسى ٢٨٥، مقبل عبد العزيز الذكي - ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م - ١٣٦٣/١٩٤٤م طوق الحماة فى اخبار اليمامة مخطوط فى كلية الدراسات العليا كلية الآداب، جامعة بغداد برقم ٩٦٩، ورقة ١٥٤، ١٥٥، معجم اليمامة عبد الله بن خميس ١/٤٨٥-٤٨٩) هو الشاعر رميزان ابن غشام من آل أبى سعيد بن مزروع بن حميد بن حماد من بنى عمرو ابن تميم، كان رئيسا لبلدة أم حصار قرب الحولة حتى أخرجه منها ابن معمر عام ١٠٥٢هـ وقد أبعد عن إمارة الروضة حيث عاد لآل ماضى حتى قتل عام ١٠٧٩هـ، وأخطأ من قال عام ١٠٧٤هـ، وقد جزم مقبل الذكي بأنه لم يقتل عام ١٠٧٩هـ لأنه مدح دولة آل حميد، وقد مدح براك ابن غرير الذى مات سنة ١٠٩٣هـ، ولعل السبب فى مقتله هجاؤه المقذع أو كونه صنيعا للإشراف خاصة وأن الذى قتله من آل أبى هلال، وكان لرميزان صولات فى الشعر بينه وبين خاله جبر بن سيار الذى يعد مع رميزان من مصادر تاريخ فترة ندرة المصادر. (المنقور: التاريخ ٤٥، ٤٧، ٦٨، الفخرى ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٨٤، ابن بشر ٢/٢٠٦، ٢٠٨، ٢١، ١٤، ابن عيسى ٥٥، ٥٦، ٦٢، ٧٥، عبد الله البسام: تحفة المشتاق ٤٣، ٤٤، ٤٨، الزركلى ٣/١٠١، عبد الله البسام: علماء نجد ٢/٥٤٢، محمد بن عثمان القاضى: روضة الناظرين ط (١) مطبعة الحلبي. القاهرة ١٤٠٠/١٩٨٠ ج ٢/٣٦٧، عبد الله الحاتم: خيار ما يلتقط ١/١٠٣، ١٣١، مقبل الذكي: طوق الحماة ١٥٤، عبد المحسن الباطي: المجموعة البهية من الأشعار النبطية ١٠٢-١٠٦، حمد الجاسر: معجم أنساب الاسر المتحضرة ١/٣٨١، ٣٩٠، ٤٢٣، ٤٢٤، مجلة العرب ج ١١، ١٢، ص ٨٥٠

(٢) المنقور: التاريخ ٤٧، الفاخري (٧١، ابن بشر ٢/ ٢٠٨، ابن عيسى ٥٦

وقد أشار ابن بشر الى تكرار هذا الصنيع من هذا الشريف في منطقة سد ير (١) .
وكما كانت غزوات الأشراف تتجه الى المدن والقرى النجدية فانها كانت
تقصد كذلك القبائل البدوية التي يأتي تعرض قوافل الحجاج من قبلها سبيها
رئيسيا لهذه الغزوات، اضافة الى ما يهدف اليه الأشراف من الحصول على الفنائم
ورفض البدو طلبية طلبات الشريف المتمثلة في الحصول على كرائم الابل، وأصائل
الخيال، كما أن من أسبابها اعتداء القبائل النجدية على القبائل الشريفية
أو الموالية للشريف التي تقطن في المنطقة ما بين نجد والحجاز (٢) .

وعلى أي حال فلم تكن هذه الغزوات ضد بادية نجد بكثرة ما يشهرون
على حاضرتها .

ومن متابعة غزوات الأشراف لنجد يتضح أن النصر كان حليف الأشراف
نتيجة لضعف بلدان نجد وقلة مواردها وتفرقها، ولرغبة الأشراف الجدية في تقوية
قبضتهم على نجد اما بايعاز من الدولة العثمانية أو بحكم مسئوليتهم المباشرة لتأمين
طرق الحج والتجارة، ولعل أوضح معطيات هذه الغزوات أن نجدا أصبحت في
حكم التابع للأشراف، وأن الأشراف قد بسطوا نفوذهم على ما استطاعوا الوصول
اليه من الأراضي النجدية متملا ذلك في جباية الأموال وأخذ الهدايا، وفوق هذا
وذاك ابعاد الأمراء المحليين وتمييز ممثلين (٣) من قبل الأشراف كما سبق،

- (١) ٢٠٩/٢
(٢) ذكر مؤرخو نجد عدة وقعات بين الأشراف وبادية نجد وللتفصيل في ذلك:
(المنقور: التاريخ ٧٧، ٥٥، الفاخري : ١٠١، ٧٨، ٧٧، ٧٥ : ابن بشر
٢٠٩/٢، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٨، ابن عيسى : ٦٦، ٦٧، كما حفظ
لنا الشعر الشعبي قصة وقعة عظيمة بين أحد أشراف مكة في تلك الفترة
(القرن الحادي عشر الهجري) وبين قبيلة زعب السلمية، وللتفصيل :
عبد الله بن محمد بن رؤس : شاعرات من البادية طبع بأشراف دار الهامة
الرياض ص ٨٢ - ٩١، محمد بن احمد الثميري : الفنون الشعبية في الجزيرة
العربية . المطبعة العمومية دمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م من ص ١٧٨ - ١٨٦)
(٣) الفاخري ٦٢، ٦٣ من حاشية المحقق، وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
الدولة السعودية الاولى دار نافع للطباعة نشر معهد البحوث والدراسات
العربية . القاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ١٢٤، صالح بن حمد المقرئ
العلاقات السياسية لأشراف مكة بنجد من النصف الاول من القرن الثالث
عشر الهجري . رسالة ماجستير من كلية العلوم الاجتماعية لم تنشر بعد
ص ١٨، ١٩ .

بل تجاوز ذلك الى أحداث شرافة خاصة بنجد في محاولة منهم لضم نجد الى مكة
كما توحى بذلك عبارة ابن بشر أنه في سنة ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م كان شريف نجد
أحمد الحرث^(١) وان كانت هذه الشرافة شكلية ولم تكن مستقرة سياسيا كشرافة
مكة، بل كان الهدف منها اضافة نوع من السيادة الشريفة على نجد .

ولم تتعرض نجد لغزوات الأشراف فحسب، بل تعرضت لغزوات قبيلة بنس
خالد التي أخذت طريقها للزعامة في منطقة الأحساء بعد طرد العثمانيين عام
١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م (٢) .

وبعد أن تمكن بنو خالد من فرض سيطرتهم على الأحساء، وطوا نفوذهم
من قطر جنوبا الى الكويت وحدود العراق شمالا رنوا بانظارهم الى منطقة نجد ،
فبدأوا يفتنون عليها الفارات از في السنة التي تلت استتباب حكمهم (١٠٨١هـ -
١٦٧٠م) غزوا نجدا، وتتابع غزواتهم لها بعد ذلك كما حصل سلسلة
١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م، وسنة ١٠٩٨هـ / ١٦٨٦م، وقد نجحت هذه الغزوات وغيرها
في طرد النفوذ الخالدي الى أجزاء من منطقة نجد (٣) ، مما جعله ينافس النفوذ
الشريفي الذي تشير الأحداث الى بدو تضائله بعد بدو الغزوات الخالدية
على نجد كما تشير الى احتكاكه ببني خالد حول منطقة نجد قبل أن يشق بنو
خالد طريقهم للزعامة في شرق شبه الجزيرة حينما أرادوا قطع طريق الرجعية
على الشريف حسن بن أبي نعي في غزوته على نجد عام ٩٨٩هـ / ١٥٨١م التي مر

(١) ٢١٠/٢ وهو خطأ مطبعي والصحيح أحمد الحرث .

(٢) الفاخرى ٧٥، ابن بشر ٢/٢١١، ٢١٢، ابن عيسى ٦٣، وعبد الله الشبل
تاريخ نجد ٤٨، مجلة الدارة ع ٤/س/١ ص ٦٩ من مقال للدكتور
عبد الله العثيمين

(٣) الفاخرى ٧٥، ٧٨، ٨١، ابن بشر ٢/٢١٢-٢١٤، ٢١٨، ابن عيسى ٦٨، ٦٤
٧٣، عبد الله العثيمين :الرجع سابق، وأحمد أبو حاكمه : تاريخ
الكويت، مطبعة حكومة الكويت ٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ١/٧٤، مجلة
" الدارة" العدد السابق : ٦٩

ذكرها حيث تقابل الجيشان وكانت الدائرة على بني خالد فانهزوا، وغنم منهم الشريف ابلا وخيلا، ويهد وأن هذا الاحتكاك هو بداية التصادم بين القوتين الشريفية والخالدية، وأن نتيجته قد دفعت بهني خالد للانتقام ومناصفة الأشراف على نجد التي غدت مسرحا للفارات الشريفية والخالدية التي كانت تشن في وقت واحد تقريبا (١)، وعلى بادية نجد وحاضرتها على حد سواء.

ونتيجة لانشغال الدولة العثمانية بالحروب البلقانية والفتن الداخلية فقد تلاشى وجودها تقريبا في شبه الجزيرة العربية في هذه الفترة، فلم تمكن الغزوات الشريفية التي يسندها العثمانيون بالكثرة التي كانت عليه قبل ظهور بني خالد، وهذا ما أعطى الوجود الخالدي في نجد بالإضافة الى تعاطف أهل نجد النسبي مع بني خالد فرصة توسيع النفوذ (٢).

وقد مكنت هذه الفرصة بني خالد من جعل النجديين يحترفون بأن نفوذ بني خالد هو النفوذ الأقوى في نجد ومن جعلهم يسعون الى ارضاء زعيمهم بالهدايا وتقديم فروض الطاعة والولاء، وقد استغل بنو خالد هذا الاعتراف لاصطفاء بعض أمراء نجد الأقوياء كآل معمر أمراء العيينة - كبرى المدن النجدية آنئذ - وكان تأخر أو امتناع شيوخ القبائل أو أمراء المدن والقرى عن تقديم الهدايا لزعيم بني خالد سببا في شن غزوات كبيرة تعيد الخالدين محطمين بالغنائم، وتجعل النجديين يثوبون الى ولائهم لبني خالد (٣).

ولعل ما يفسر العلاقة الخاصة التي أولاها النجديون لبني خالد بعكس الأشراف أن بني خالد كانوا يسيطرون على المنفذ التجاري الشرقي لنجد، كما أنهم يلتقون معهم في عدم الولاء للدولة العثمانية بالقدر الذي يوليه الأشراف لها،

(١) ابن بشر ٢/١٩٥، د. عبد الله العثيمين: المرجع السابق ١١، مجلة

الدائرة العدد السابق ص ٦٩.

(٢) د. عبد الله العثيمين: المرجع السابق ص ١١، مجلة الدائرة: العدد

السابق ص ٦٩.

(٣) الفاخرى ٩٥، ابن بشر ٢/٢٣١، ابن عيسى ٩١، د. أحمد أبو حاكم

تاريخ الكويت ١/٢١٥.

، وان استعانة الأشراف بالعثمانيين في غزواتهم لنجد جعلتهم لا يجدون مسن
قبائل نجد وقراها الا العناد والاستبسال في الدفاع (١) .

كما أن هناك عاملاً آخر أmaal مشاعر النجديين نحو بني خالد وهـو
أن الأحساء وشرقي شبه الجزيرة والعراق كان عامل جذب لسكان نجد اذا انقلبت
نجد الى منطقة طرد لهم في سنى الشدة وانكسار الحال (٢) ، اضافة الى وجود
عدد من الأسر النجدية ترجع الى قبيلة بنى خالد تفوق عدد الأسر التى ترجع
الى الأشراف، كما أنه يبدو أن حكم الأخيضر بين الجائر لنجد جعل سكانه
يكرهون حكم من ينتسب اليهم، ويحرصون أن لا يكون له موضع قدم فى منطقتهم .

واذا كانت نجد لم تخضع - ولو شكلياً - فى تلك الفترة للعثمانيين ، فانها
لم تخضع خضوعاً مباشراً للأشراف، كما أنها لم تشهد استقراراً سياسياً داخلها
ابان نفوذ بنى خالد بل بقيت الحروب القبلية على أشدها ، وظلت النزاعات بين
القرى والبلدان النجدية قائمة ممتدة ، بل انها تتطور فى بعض الأحيان لتقوم
بين أفراد القرية الواحدة ، وأبناء الأسرة الواحدة (٣) .

وان قراءة للأحداث التاريخية فى هذه الفترة لتكشف لنا عن جوانب مهمة
فى الحياة السياسية الداخلية فى نجد ، تلك السياسة التى كان القتل أبرز
مظاهرها ، والمنفأ أوضح معالمها .

يقول المنقور (٤) فى تاريخه : " وشاخ - أى فى سنة ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م وأسن

(١) الدارة : العدد السابق ص ٦٩

(٢) المرجع السابق : العدد السابق ص ٦٩

(٣) د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٤٩ ، د . عبد الله العثيمين : المرجع
السابق ص ١٠ ، لوثر بـ ستودارد : حاضر العالم الاسلامى ترجمة عجاج
نويهج مع اضافات شكيب ارسلان الطبعة الرابعة دار الفكر : بيروت . القاهرة
١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م ١ / ٢٦١ .

(٤) هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن حمد المنقور من بنى سبيد بن
زيد مناهـ بن تميم ، يرجع نسبه الى أسرة منقر بن عبيد التى انجبت
مشاهير من أبرزهم قيس بن عاصم المنقرى (تـ نحو ٢٠هـ / ٦٤٠م) - من
سادات الجاهلية وحلمائها حرم الخمر على نفسه أسلم ومدحه الرسول صلى
الله عليه وسلم - ، ولد الشيخ أحمد فى الثانى عشر من ربيع الاول ١٠٦٧هـ /
١٦٥٦م فى حوطة سدير ، فقد امه وعمره اثنتى عشر سنة ، وفى الثانية
(=)

ابن حمد في الميمنة وقتل عمه ناصر، وفي السنة التي بعدها قتل دواس (١) .
ولم يكن من المستغرب في المجتمع النجدي آنذاك أن يتناول الأبناء
على آباءهم - في غياب الوازع الديني والسلطة القوية، وحباً في الزعامة تحت تأثير
بعض القوى النجدية التي تهدف إلى توسيع نفوذها في ما جاورها من البلدان التي
تكون مسرحاً لفتن بين الأسر النجدية يتطور إلى مواجهة قتالية هي انعكاس لتطاحن

(=) والعشرين من عمره توفي أبوه، وقد جد في طلب العلم على شيخه عبد الله
ابن محمد بن زهران قاضي الرياض (ت ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٧ م) وكان كثيرًا
ما ينقل عنه قضايا فقهية في الفواكه، واشتهر بالورع والديانة والقناعة والصبر
علي الفقر حيث كان يقاسي من عمله بالزراعة ويحضر الدروس في الرياض بعض
الأحيان في رحلاته الخمس إلى الشيخ ابن زهران وحج أربع مرات وتلمذ
عليه عدد من العلماء وألف عددًا من الكتب أبرزها مجموعته المعروفة باسم
الفواكه العديدة في المسائل المفيدة الذي يعتبر مرجعاً فقهياً وتاريخياً
 واجتماعياً لنجد، وكذلك تاريخه الذي حققه معالي الدكتور عبد العزيز
الخويطر، ومنسك شامل، توفي في بلدته الحوطة في السادس من جمادى الأولى
عام ١١٢٥ هـ / ١٧١٣ م وعمره ٥٨ سنة وأشهر أبنائه الشيخ إبراهيم
ولسد في ١٢ / ١١٠٣ هـ / ١٦٩١ م وتوفي ١١٧٥ هـ / ١٧٦٢ م ومن
أحفاده الشيخ ناصر المنقور سفير المملكة في بريطانيا وقبلها في إسبانيا
واليابان، والشيخ عبد المحسن المنقور مدير عام الحرس الوطني بالمنطقة الشرقية
- سابقاً - وجد في الوسيطي قرب حائل أسرة من المنقور ولكنهم
يضيفون بها في آخر النسب نزحوا من سدير إلى سميرا فالمستجدة
فالوسيطي وهي أسرة لها مكانة في الوسيطي .

٣ الفواكه في المسائل المفيدة، الطبعة الثانية نشر دار الآفاق الجديدة
بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م من ص هـ - ز من مقدمة الشيخ محمد المانع، تاريخ
المنقور: مقدمة الدكتور عبد العزيز الخويطر من ص ١١ - ٢٠، جامع
المناسك، الثلاثة الحنبلية تحقيق محمد زهير الشاويش الطبعة الثالثة. المكتب
الإسلامي بيروت دمشق ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م ص هـ، و من المقدمة، محمد بن
عبد الله بن حميد - السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. نسخة مصورة
عن مخطوطة خدابخش بئنه رقم ٣٤٦٨ ورقة ٦٤، عبد الله بن عبد الرحمن
البسام: علماء نجد ١٩٥٠-١٩٧٠، محمد القاضي، روضة الناظرين ١/ ٦١،
٦٢، عبد الله بن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين ص ٥٥، مجلة العرب ٩، ١٠ سنة
١٢ ص ٦٦٣

(٣) شاخ: أي أخذ المشيخة وهي إمارة القرية، تاريخ المنقور ٣١، ٤٨.

القوى الكبرى في نجد التي تستغل الخلاف بين الأسر في البلد الواحد ، وبين الأسرة الواحدة لتتنقل خلافها بين بعضها الى هذا البلد أو ذاك (١) .

وان الرغبة في استجلاء الوضع السياسي قبل الدعوة لتفرض علينا أن نضيف بعض الأحداث التي تلقى الضوء على معاناة سكان نجد من الضياع والفرقة اللذين أثمرتا القتال بين الأخوة والآباء وأبنائهم ، فهذا مرخان بن وطبان رئيس بلد الدرعية يقتله خنقا أخوه وشقيقه ابراهيم سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م ، والذي قتل هو الآخر سنة ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م (٢) ، وهذا عثمان بن ابراهيم يقتل ابنه ابراهيم طالبا للزعامة في بلد القصب (٣) وذلك عام

(١) ذكر مؤرخو نجد قصة قبض مانع وسمود ابني عثمان بن نحيط من بني العنبر من تميم رئيس بلد الحصون وأخراجه منها بعد بير رئيس جلاجل ابن عامر ولم يلبثا أن قتلاه ، وقد ذكر حميدان الشويعر هذه القصة في قصيدته التي يقول فيها :

مثل راعي جلاجل مع ابن نحيط . . أدركه من زمان وهو يسحره
فاظهره من كمين الذرا بالفضا . . ثم جود وأعطه ساكف المجهره
ثم قال احملوا يا عياله عليه . . واحد بلمه وآخر عقيره
مبيناً في قصيدة أخرى انه قد حذره حيث يقول فيها :

يا ابن ضحيط اذهب . . جا من صديق واضح عنوانها
وقد وقعت هذه الحادثة عام ١١١١هـ / ١٦٩٩م ، وكان دور كبار الأسرة النجدية يتمثل في ان ال مدلج اهل التويم قد أخرجوا منها ال تميم من بني خالد وأمروا فيها ابن ضحيط ، وكان قد هرب الى الأحساء بعد قتل ال تميم لانيه ثم تزوج من جلاجل وعاد الى الحصون ليتسلم أمارتها تحت ظل ال مدلج ، بينما كان ال حماد من الدواسر امراء جلاجل قد ساعدوا ال تميم على إخراج ال ضحيط من الحصون وجعل الأمانة في ال تميم ، وذلك عام ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م (المنقور ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، الفاخري ٧٦ ، ٨٨ ، ابن بشر ٢ / ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ابن عيسى ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، عبد الله الحاتم : خيار ١ / ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، مقبل الذكير : طوق الحمامة ١٤٨ ، الدارة ١ / ٤ ص ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) المنقور ٦٦ ، ٧١ وذكر أن مقتل مرخان كان عام ١١٠٠هـ ، الفاخري ٨٥ ، ٨٦ ابن بشر ٢ / ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ابن عيسى ٧٤ ، ٧٧ حيث ذكر ان مقتل مرخان كان عام ١٠٩٩هـ .

(٣) القصب ذكرها الاصفهاني ضمن بلدان الوشم باسم القصية تصغير القصبة وانها لبني امرئ القيس ابن زيد مائة بن تميم وقد اشتهرت بمناجم الطح من قد يم حيث ذكر البهذي ملح القصية ضمن املاح جزيرة العرب ، وقد خلط البكري بينها وبين القصيات الموجودة في عالية نجد ، وذكر ياقوت عددا من الأماكن تحت هذا الاسم مشيراً الى القصب هذه وللقصب تاريخ حافل حيث تعرضت لغزوات الاشراف ، وغزاها جيش الدعوة حتى أمنوا بها ، وبها عدد من المعالم الأثرية أبرزها قصر السياره ، وتنتج القمح وهي بلد الشاعر حميدان الشويعر ، وجبر بن سيار من كبار شعراء العامية في نجد ، كما انجبت عددا من العلماء ، وتقع الى الشمال الشرقي من شقراء تنبها (=)

فوزان بن (١)، ثم غدر ناصر بن حمد في فوزان فقتله، فتولى في التويم محمد بن فوزان فتتالاه عليه رجال فقتلوه منهم المفرغ وغيره من رؤساء البلد، وهم أربعة رجال فلم يستقم ولاية لأحد هم، فقسما البلد أرباعا كل واحد شاخ في ربما فسموا المربوعة أكثر من سنة، وانما ذكرت هذه الحكاية ليخبر من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الاسلام والسمع والطاعة، ولا نعرف الأشياء الا بأضدادها، فان هذه قرية ضعيفة الرجال والمال وصار فيها أربعة رجال كل منهم يدعى الولاية على ما هو فيه (٢) .

(=) اليها من التويم مع بعض قرابته ولا يعرف سبب تركه التويم، وقد وجد حرمه أطلال وموارد مياه بعد بني عائذ بن سعيد فعمرها، وقد مرت بحرمه أحداث ليس هنا مجال تفصيلها لعل أبرزها وقوفها في وجه الدعوة مؤيدة لشيخها عبد الله المويش (ت ١١٧٥ هـ / ١٧٦١ م) حيث غزاها الامام سعود ابن عبد العزيز (١١٦٣ هـ / ١٧٥٠ م - ١٢٢٩ / ١٨١٤ م) أكثر من مرة وقطع نخل قاضيها المويش وارتحل كثير من أهلها الى المجعة التي كان بينهم وبين حرمة عدا وحروب والزلفى والقصيم والزبير ومن هنا كان لاكثر الاسر في نجد والزبير أو اسر لاسر حرمة (الأصفهاني ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦١، الهمداني ٢٤٠، ياقوت ٢/ ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٢، ابن بشر ٥٤، ٨٣، ٨٥، ٨٢، ٢٨٨ / ٢، ٣٨، ٤٥، ٥١، ٥٨، ١٠٠، ١٦١، ٢٢٩، ٢٤١، ابن عيسى ٣١، ٣٢، ٨٢، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١٣٣، ١٦٨، ابن خنيس : المرجع السابق ٣٠٩ / ١ - ٣١١)

(١) بيان في الاصل ولعل الساقط كلمة مفيز: د . عبد الله الشبل : الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حياته ودعوته طبع على مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ونشر في اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٦ الحاشية .

(٢) انظر ٢/ ٢٢٩، وأشار المنقور في فواكه ١/ ١٣٣ - ٢/ ٣٧٠ الى ان روضة سد ير قرى متقاربة كل محلة منها قرية لها رئيس وأنها في حكم القرية المنفردة في اقامة الجمعة فلا يلزم ان تقام جمعة في كافة الروضة بل يقام في كل محلة جمعة، ويبدو ان مصدر هذه الفتوى خوف الفتنة بين أبناء القرية الواحدة اذا اجتمعوا لصلاة الجمعة .

ورجعوا الى ما تقدم من الأحداث والمقارنة مع هذه القصة العجيبة يتبين

ما يلي :

١- أن قول ابن بشر: " أكثر من سنة يهد وأنها تقرب أو تزيد عن العشرين سنة لأن أمير جلاجل قد غزا التويم عام ١١٤٢ هـ / ١٢٢٩ م ومعه ابن عم أمير التويم الذي كان قد التجأ الى جلاجل بعد أن طرده ابن عمه " أمير التويم مفيز بن حسين بن مفيز " هذه الغزوة قد حدثت بعد مضي اثنتين وعشرين سنة على تولي المربوعة إمارة التويم، يقول ابن بشر بعد هذه الغزوة: " وهرست المربوعة الذين تقدم ذكرهم، وهم أربعة أمراء في بلد التويم كل منهم يدعى الرئاسة لنفسه، فبهذه وغيرها يتبين لكل ذي لب نعمة الاسلام والجماعة والسمع والطاعة " (١) .

٢- لم تشر هذه القصة ولا ما بعدها من الأحداث الى نوع العلاقة التي كانت سائدة بين المربوعة، وليس من المستبعد أن تكون سيئة شأنها شأن أكثر العلاقات السائدة في نجد آنذاك .

٣- أن نجد لم يكن فيها أي مطمع اقتصادي أو غيره لأي قوة خارجية والا لا ستفلت مثل هذه الأحداث للانقراض على جميع البلاد النجدية، ولعل الله سبحانه وتعالى قد أراد أن تكون أرضا بكرًا تتقبل أي حركة محلية تدعو للإصلاح وجمع الكلمة، ولهذا فان المجتمع النجدي قد وجد في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خير منقذ له من الضياع السياسي واليأس الذي يسبح به دون أن يعرف أو يفكر كيف يتخلص منه (٢) . وعلى أي حال فان ما سبق من الأحداث لا يعد وأن يكون مثلاً لنا تزخر به مصادر تلك الفترة التي هي الأخرى لم ترصد كل ما كانت تعاني منه نجد

(١) انظر ٢/ ٢٣٩ .

(٢) تاريخ المنقور ٢٢، ٢٣ من مقدمة الدكتور عبد العزيز الخويطر، د. عبد الله الشبل : المرجع السابق ص ٦ .

من حوادث مفجعة ووقائع يشيب من هولها - ان بقى - الولدان ، وان أى مطلق على أحداث هذه الفترة ليفاجأ بهذه الحقيقة المروعة التى أوضح مظاهرها - أن الحياة السياسية والأمنية فى نجد قبل الدعوة حياة قلق وذعر وخوف وتحفز وتأثر لا ينقطع ترى بسببها الى مستوى يزيد على مستوى الجاهلية الأولى سياسياً على الأقل ، وقد قرر الفقهاء النجديون أن ما بين قرى نجد فى هذه الفترة مخوف حيث رتبوا على ذلك مجموعة من الأحكام الفقية منها أن الرجل اذا أمسك لصوصاً ليأخذوا متاعه ان كان من بلد معين - لعنه بسبب عدايتهم لأهله - فحلف بالطلاق ثلاثاً أنه من المدينة الأخرى كانها لأجل الخوف أنه لم تتعقد بيمينه ، وأنه يجوز أخذه اللقطة فى أنحاء نجد فى هذه الفترة للحفاظ لأن تركها يؤدى الى تلغها بأخذ الظلمة وقطاع الطرق لها ، وخاصة لمن يأمن نفسه عليها منهم ، وقرروا كذلك فتاوى أخرى تندرج حول هذا الوضع الأمنى فى تلك الفترة (١) .

ولقد كان أقوى اماره ظهرت فى نجد فى تلك الفترة هى اماره آل معمر فى العيينة وخاصة زمن رئيسها عبد الله بن محمد بن حمد بن معمر الذى تولى فى العيينة عام ١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م وتوفى عام ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م ، والذى قال فيه ابن بشر : " لم يذكر فى زمانه ولا قبل زمنه فى نجد فى الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث فسبحان من لا يزول ملكه " (٢) وقد زادت العيينة كبراً فى عهده ، وظهر فيها من التنظيم العمرانى ما لم يوجد فى البلدان النجدية الأخرى مما زاد فى عدد سكانها بعد أن أخذ يرتادها كثير من أهل نجد ، كنتيجة حضارية لجروها كأكبر مدينة نجدية آنذاك مما جعلها منطقة جذب بما توفره من فرص العمل والتجارة والاكتساب (٣) .

(١) المنقور: الفواكه العديدة فى المسائل المفيدة ١ / ٣٩٣ ، ٢ / ٣٦ ، ٥٤ ،

التاريخ : ٢٢ ، ٢٣ المقدمة السابقة .

(٢) ٢٣٦ / ٢

(٣) ابن بشر ٢ / ٢١٦ ، ابن خميس: اليمامة ٢ / ٢٠٠ ، ٢٠٢

والذى يبد وأن عبد الله بن معمر هذا كان ذا حنكة سياسية، وأسلوب قيادى حكيم وقوى مكنه من أن يوسع نفوذ امارة العيينة بضم بعض البلدان المجاورة اليها، كما أن امتداد امارته أكثر من أربعين سنة دون أحداث عنف تذكر، ففى الوقت الذى كان فيه أمراء البلدان لا يبقون مثل هذه المدة أو قريباً منها، بل ان بعض من سبقوه من أمراء آل معمر لم يستقر لهم الحكم دون ثورة عليهم وتحتيتهم هذا الامتداد مع هذا الاستقرار أتاح له فرصة الاهتمام بالجانب الحضارى (١) .

ولعل ما أضفى على حكمه نوعاً من الاستقرار والقوة وجود كبير أسرة آل مشرف العلمية وطلامة نجد فى وقته الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن مشرف (٢) الذى تولى قضاء العيينة فى فترة حكم هذا الأمير ومكث فيه فترة ليست بالقصيرة الى أن عزله خرفاش حفيد الأمير عبد الله اثر خلاف نشأ بين الشيخ وخرفاش، ولعل من الموافقات الحميدة أن ولادة امام الدعوة السلفية كانت فى العيينة فى امارة هذا الأمير الهمام ان ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م .

ومن تتبع تاريخ هذه البلدة فى تلك الفترة يستطيع الباحث أن يلمح الدور الكبير الذى كانت تمارسه امارة العيينة على مختلف البلدان والقرى النجدية وخاصة بلدان وادى حنيفة، هذا الدور الذى جعلها قاعدة فى هذا الوادى بل فى نجد كلها تقريباً تخاف وترتجى من قبل سائر البلدان النجدية بسبب قوتها السياسية والحضارية، وبسبب اصطفاه بنى خالد - أكبر قوة سياسية - محيطاً بنجد آنذاك - لأمرائها، هذا الاصطفاه الذى حال بين امارة العيينة واستمرار

-
- (١) ابن بشر ٢/٢٠٨، ٢١٦، ٢١٧، ابن عيسى ٦٩، ٧٠، ٧١ .
(٢) هو الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن على بن مشرف ولد فى العيينة وتلقظ على ابيه وولى قضاءها، وبعد خلافه مع خرفاش انتقل الى حريملاء حيث توفى بها عام ١٣٥٣هـ / ١٧٤٠م له كتابات فى بعض المسائل الفقهية (ابن حميد : السحب ١٩٣ تصوير عن مخطوطة تيمور رقم ١٤٤٥ ، تصوير مكتبة خدابخش بته ١٧١٥ ، عبد الله البسام : علماء نجد ٢/٦٦٩ ، ٦٧٠ ، الزركلى : الاعلام ٤/٣٣٣)

مارستها لدورها السابق عن طريق احتضانها للدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذ لولا الضغط الذي مارسه أمراء بني خالد (١) على عثمان بن معمر في أن يطرد الشيخ محمد عن العيينة، ويتخلى عن مؤازرة دعوته، لكان من المؤكد أن يكون لهذه الإمارة دورا سياسيا وحضاريا في نجد أكبر مما كانت تمارسه من قبل بأسلوب عشائري تحت ظل سيادة لسياسة نجدية، هذه السيادة التي لو احتضن ابن معمر الدعوة سحره من مخصصاته المالية التي تأتيه من الأحساء، كما ستحول بينه وبين الاستفادة من أملاكه الزراعية التي يبلغ ثمن ريعها ستين ألف ريال إضافة إلى منع تجار نجد عامة وتجار العيينة خاصة من الامتياز من منطقة الأحساء والقطيف، ومن جلب البضائع الخارجية عن طريق سواحلها (٢)، ولهذا فإن ابن معمر كما راعى مصالحه الشخصية، فإنه قد أثر المصلحة الاقتصادية العامة الظاهرة للنجد بين خاصة وأن سواحل شرق الجزيرة تكاد تكون المتفرد الوحيد للنجد بين في جلب بضائعهم ومؤنهم الخارجية إذا استثنينا سواحل غرب الجزيرة.

ولئن كان ابن معمر قد أثر المنفعة العاجلة على الآجلة فإن هذا بلا شك لحكمة الهية حتى تنتزع الدعية المكانة الأولى في نجد، وتحتضن هذه الدعوة لأنها تملك أكبر مقومات النجاح، وهو عدم وجود ولا سياسة خارجية لها (٣)، وإن كانت قد واجهتها عقبات شتى في نشر هذه الدعوة حيث أنها لم تكن تملك نفوذا في نجد كذلك الذي تملكه العيينة، والله سبحانه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع منه من يشاء.

(١) يعتبر سليمان بن محمد آل غريب (ت ١١٦٦هـ / ١٧٥٢م) المسئول الأول عن إبعاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن العيينة (د. أحمد أبو حاكمه تاريخ شرق الجزيرة العربية. منشورات دار الحياة. بيروت ص ١٦٤).
(٢) حسن بن جمال الريكي لمع الشهاب. تحقيق د. أحمد أبو حاكمه مطابع بيلوس الحديثة. بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م نشر دار الثقافة. بيروت

ص ٣٤.
(٣) لم يشر مؤرخو نجد إلى وجود علاقة حسنة بين أمراء بني خالد وآل سعود أمراء الدعية آنذاك بل ذكر ابن بشر (٢/ ٢٣٣) أن بني خالد أغاروا على الدعية ونهبوا فيها بيوتا وذلك عام ١١٢٣هـ / ١٧٢٠م بزعمه سعدون بن محمد آل غريب (ت ١١١٣هـ / ١٧٢٢م) فكان معه مدافع، ولا يبعد أن تكون هذه وغيرها قد أوغرت صدور أمراء آل سعود ضد بني خالد إضافة إلى عدم تقبل أمراء بني خالد وخاصة سليمان بن محمد لمبادئ الدعوة السلفية.

البَابُ الأول

الفَصْلُ الإِجْتِمَاعِيَّة فِي نَجْد

- توطئة :

- نظرة الإسلام للنَّسَاب.

- موقف الإسلام من البرد والبرادة.

الفصل الأول : معالم الوضع القبلي لبادية نجد معنى قيام الدعوة السلفية.

الفصل الثاني : الصلب : دراسة تاريخية واجتماعية :

أ : أصلهم . ب - هياتهم الاجتماعية ومدى تأثير الدعوة فيها .

الفصل الثالث : حاضرة نجد : أبرز الملامح العامة لحركة التحضر.

توطئة:

من المعلومات الأولية أن العرب قبل الاسلام كانوا ينقسمون الى قسمين كبيرين :

١- البدو : وهم أصل العرب، وليس لهم سكن مستقر فهم يتنقلون حيث تتوافر المراعى وموارد المياه.

٢- الحضر: وهم سكان المدن والقرى الذين يشكلون نمطا اجتماعيا منظما ببعض الشئ فرضته طبيعة الحياة الاقتصادية التى تتطلب الاستقرار حول الآبار وموارد المياه للزراعة، والحصول على مورد كاف - ولو نسبيا - للحياة الغذائية.

وبعد ظهور الاسلام طرأ تغيير حضرى أرقى على بعض فئات ذين الفريقين بحيث تحضر قسم من البادية، وازداد قسم من الحاضرة تحضرا، وصاحب ذلك أن شاب نقاءها القبلى دخول بعض العناصر الأخرى فى تكوينها الاجتماعى نتيجة انصوائها تحت لواء الدعوة الاسلامية واحتكاكها الحضارى بسكان البلدان المفتوحة، وهذا مايفسر اختفاء أسماء بعض القبائل العربية القديمة من قائمة القبائل العربية ^(١) حاليا.

والى وقت قريب فان غالبية أهل نجد ترجع فى أصولها الى القبائل العربية الأولى سواء كانت بدوية أو حضرية، وقد دعم هذا انعزال أهل نجد عن بقية البلدان المجاورة، هذا رغم وجود علاقات تجارية واسعة النطاق بين أهل نجد والبلدان المجاورة بل وغير المجاورة أحيانا كما مر، الا أن من المعلوم أن فئسة

(١) مكى الجميل : البداوة والبدو فى البلاد العربية. مطابع الشركة الثلاثية : عمان الأردن ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ص ٣٥، ٣٦، د. محمود ابو العلا مرجع سابق ١٧٠/٢

(٢) د. عبد الله الصالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١١، مجلة الدارة العدد الثالث من السنة الثالثة ص ١٢.

التجار ليست فئة كبيرة في المجتمع بالإضافة الى كون المقام قد يطيب لها في البلد المتاجرة معه أو فيه أو قد تعود منه بعد فترة قصيرة بحيث لا تؤثر على الحقيقة الاجتماعية القائمة بانفلاق المجتمع النجدي آنذاك .

وإذا كان قسم من أهل نجد يتعرض للجلاء عنها تحت الظروف القاسية التي تستتبع حالات القحط وانكسار الحال من جوع وخوف ومرض، وخاصة الى البلدان المجاورة ما يعتقد معه بتأثرهم بعادات وتقاليده هذه البلدان إلا أن هذا القسم ينطبق عليه ما ينطبق على فئة التجار .

هذا بالإضافة الى عدم وجود ما يفرى سكان المناطق المجاورة بالقدم الى نجد سواء كان ذلك للاستقرار أو الاتجار وعدم تعرضها لغزوات كبيرة من تلك التي تحدث تغييرا اجتماعيا ، كما لم تخضع لحاكم من غير أهلها جعل قاعدة حكمه فيها ، وبالتالي فلم تتعرض لمؤثرات اجتماعية من تلك التي تستتبع مجئ هذا الحاكم أو ذاك .

هذه العوامل وغيرها حافظت على الأصالة السلالية لعرب منطقة نجد مما جعلهم أقل العرب تأثرا بالمؤثرات الخارجية لغويا واجتماعيا وما جعلهم كذلك يحافظون على وحدة واستقلال كيانهم الاجتماعي واللغوي ، إذ لم يحصل لسكانها اختلاط واسع بالعناصر غير العربية لبعدها عن مراكز الامتزاج السكاني سواء كان ذلك في غرب الجزيرة حيث الأماكن المقدسة وما ينشأ فيها من اختلاط طبيعي مع الاجناس الأخرى أو في شرقها حيث تبدد مؤثرات الاجناس الشرقية وخاصة الإيرانية واضحة ، أو في شمالها حيث يمكن أن يحصل تأثير تركي على بعض الاجناس العربية فيه .^(١)

(١) د . محمود أبو العلا : مرجع سابق ١٦٢/٣ ، ١٦٣ ، مجلة الدارة ، المصدر السابق ١٢

وكما أنه من الممكن القول أن عرب نجد غالبيتهم يرجعون الى قبائل معروفة النسب ويمكن ارجاعها الى أصولها العربية الأولى التي تتوقف على معرفتها معرفة أصول القبائل الحديثة فان سكان نجد يمثلون أنقى السلالات السامية، فهم يمثلون العرب الخالص تقريباً^(١).

ورغم ما سبق، ومع أن نظرة النجديين قبلية تماماً تتفق فيها البادية والحاضرة على حد سواء فقد ضم المجتمع النجدي بالإضافة الى البدو والحضر الأصلاء المعروفة أنسابهم عدداً لا بأس به من الفئات الأخرى مجهولة النسب بعضها عربية ترجع الى أصول قبلية نجدية أو غير نجدية إلا أنها ضاعت أنسابها أو جهلت أو سلبت منها تحت أى سبب من الأسباب وأبرز عناصر هذه الفئسة الخضيريون كما سيأتى الكلام عنهم فى هذا الباب وبعض هذه الفئات من لا ترجع فى أصولها الى أرومة عربية، وتكون قد قدمت نجداً بطرق مختلفة - كالرق مثلاً - حيث كان للأرقاء فى تلك الفترة أوار اقتصادية كبيرة فى المجتمع النجدي، ولهذا كان اقتناء الرقيق يدل دلالة أكيدة على غنى المالك ما دفع بالشيخ المنقور الى تسجيل سنة شرائه لعبده مبيريك بما يوحى بأنه يفتخر بذلك لانه علامة على ثرائه، وتحدثه بنعمة الله^(٢).

ويبدو أن النجديين كانوا يحصلون على الرقيق شراءً من أسواق النخاسة فى الحجاز أثناء حجه، أو من مصادر أخرى كالذى يبقى من رقيق الأوربيين فى شرق أفريقيا ويجلب الى الجزيرة عبر مسقط واليمن، أو من بغداد كرقيق جورجيا^(٣).

(١) د. محمود ابو العلا، مرجع سابق ١٦٢/٣، مجلة الحرس الوطنى عدد ١١ السنة الثالثة محرم ١٤٠٣هـ/أكتوبر ١٩٨٢م، ص ٢ من مقال للشيخ محمد الجاسر حول أصول القبائل العربية الحديثة.

(٢) المنقور: التاريخ ص ١٩، ٥٨، د. عبد الله العثيمين: الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ص ١٤.

(٣) جورجيا هى إحدى جمهوريات قفقاسيا السوفيتية المعروفة عند الجغرافيين المسلمين بهلاد القيق وهى المعروفة قد يما كرج بفتح الكاف والراء واهلها هم المسلمون بالكرج بضم الكاف وسكون الراء، وجورجيا الحديثة تضم أكثر من جمهورية أكبرها جورجيا المعروفة سكانها بالكرج والتي عاصمتها تفليس على نهر كورا، للتفصيل: (ياقوت ٤/٤٤٦، ٤٤٧، محمود شاكر: قفقاسيا - طبع مؤسسة الرسالة نشر الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص ٦٧ - ٧٢، الموسوعة العربية ٦٦٢).

(١) وأرمينيا أو عن طريق القاهرة أو أسواق الشام.

ولا شك أن كثرة الرقيق، وخاصة في البادية تضي على المالك شيئا من الأبهة وخاصة إذا كان شيخا للقبيلة كما سيأتى، وتظهر أهمية هذه الأبهة بعد اعتناق هذه الكثرة حيث يد ينون لسيد هم بالولا^٥ مشكلين حاشية لهذا السيد يفتخر بهم، ثم ان هؤلاء الرقيق بعد عتقهم سواء كان ذلك في البادية أو الحاضرة يشكلون فئة اجتماعية أرفع مستوى من وضعها السابق، وتؤدي دورا في المجتمع أكبر من دورها في حال الرق.

(١) أرمينية: بالألف والطاء المربوطة. قيل انها سميت باسم أرمينط من احناف نوح عليه السلام من مراكز الأزد هار البشرى القديمة ان سكنت منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وتعرضت لعدد من الغزوات القديمة الى ان غزاها المسلمون سنة ١٩هـ/٦٣٩م، ثم في سنة ٢١هـ/٦٤٢م، وأكبر غزوة إسلامية لأرمينية سنة ٢٤هـ/٦٤٥م حتى قبلت ان تدفع الجزية، ثم بعد فترة حكمت من الاتراك السلاجقة ثم من المغول ثم من الصفويين ثم من الأتراك العثمانيين الى ان حدثت حرب القرم بين الروس والعثمانيين ٢٧٠هـ/١٢٧٢ - ١٨٥٣م - ١٨٥٦م التي اعقبها صلح استيفانو في مؤتمر برلين الذي ضم أرمينية الى روسيا مقابل ضم بعض الاراضي الى تركيا ثم مرت بفترات ضم احيانا لروسيا واحيانا الى تركيا الى ان وقعت معاهدة سيفر ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م التي ضمت أرمينيا الى الاتحاد السوفيتي لتصبح احدى جمهورياتها، الا انها مقسمة بشريها بين ايران وروسيا وتركيا مثل كردستان، وعاصمتها اريقان وعدد سكانها أكثر من مليوني نسمة يتكلمون الأرمينية التي هي فصيلة فرعية من اللغات الهندية الأوروبية، وفيها ٣٤.٠٠٠ مسلم. للتفصيل: (ياقوت: ١٥٩/١ - ١٦١، دائرة المعارف الإسلامية ١/٦٣٧ - ٦٧، محمود شاكر المرجع السابق ص ٦٦، الموسوعة العربية ١٢٣، ١٢٤).

(٢) ذكر صاحب اللمع انتشار الجوارى الكرجيات (من جورجيا) في نجد وكذلك الحبشيات، والزنوجيات، وخاصة لدى علية القوم، وأن من مصادر جلبهن اليمن ورأس الخيمة وغنائم الغزوات، اما الارمنيات فليس من المستبعد ان يكن من الفجريات حيث يشكل الفجرفة اجتماعية في أرمينية. (حسن الريكي لمع الشهاب ١٧٥، دائرة المعارف الإسلامية ١/٦٦٠)، ويبدو ان الاسترقاق من قفقاسيا بشكل عام كان قد يما في العالم الاسلامي. (غوستاف لوبون. حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتر ص ٤٦٠)

ومن هذه الفئات من تكون قد هربت من مسترقبيها الأوربيين وغيرهم أثناء ترحيلها عبر سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية والغربية والجنوبية فتأتى الى هذه المنطقة المنعزلة لتعيش بأمان محتمية باحد القبائل سواء تعرضت للرق أو لـم تتعرض له ، وقد تعمل فى مهن يحتاج اليها المجتمع النجدى ويأنف منها أبناء القبائل المشهورة فتستغل هذه الأنفة لتمارس ادوارا اجتماعية تحقق لها البقاء^(١).

كما أن هناك فئة تكون قد قدمت شبه الجزيرة للحج أو العمرة أو الزيارة أو المجاورة، ولئن كان أفراد هذه الفئة غالبا ما يستقرون فى مدن الحجاز إلا أن قسما منهم قد يتخذ من البلدان النجدية مسكنا له، اما فى طريق عودته الى بلده، أو تحت عوامل أخرى، ولعل مما يشجع اقامة هذا القسم فى نجد أنفة القبائل النجدية بدوية أو حضرية من بعض الحرف، أو جهل بعض أفراد المجتمع النجدى ببعض أنواع التجارة فيتخذ منها مصدر رزق له لا ينافس فيه أحد من النجديين^(٢).

ولعل من أبرز الفئات النجدية التى كان لها أدوار مهمة فى المجتمع هى فئة الصلب أو الصلبة، وتأتى أهمية هذه الفئة اجتماعيا من تعدد الأدوار التى تقوم بها فى تسيير حياة الاجتماعية فى نجد بما كانت تقوم به من أعمال ومهن لا يقوم بها غيرها من أبناء القبائل النجدية أنفة وشموخ نفس كالحرف والصناعات وجلو النحاس وما اليها، أو عدم معرفة كالقنص، والدلالة على المفاوز، ومسالك الطرق المجهولة، معرفة مواقع النجوم والاهتداء بها على الاتجاهات اضافة الى معرفتهم بالقوية بقاء الأثر تماما كمعرفة بنى مرة لها^(٣).

(١) مجلة الدارة: العدد السابق ١٣، مجلة العرب ج ٣، ٤٠ / س ١٤ ص ١٩٥

(٢) الدارة، والعرب. الاعداد والصفحات السابقة

(٣) حمد الحقيلى: كنز الأنساب ص ٢١٠، محمد المبودى: بلاد القصيم

١٣٦٧/٤، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٣١١، ٣١٥ - ٣١٧، مجلة العرب العدد السابق والصفحة السابقة.

محمد أسد، الطريق الى الاسلام: ترجمة ففيف البعلبكي، الطبعة الثانية (=)

ولا شك أن الصلب بممارستهم لهذه الحرف والمصناعات والأعمال الأخرى انما ينطلقون في ذلك من وعى اجتماعي مستغلين استنكاف أو عدم معرفة أبناء القبائل النجدية حاضرة وبادية لهذه الأعمال ، ومحاولين في الوقت ذاته إيجاد مكان يسارز لهم في المجتمع النجدي يعرض عن النظرة المتدنية من عامة النجديين تجاههم .

ومن أوضح معالم التعايش بين هذه الفئات الاحترام النسبي لمظاهر الحياة العامة والمهن المزاوله لدى كل فئة حيث تخلو كتب التاريخ النجدي المحلية وغير المحلية من أى اشارة تبين حدوث ما يعكس صفو الحياة في نجد من هذا الجانب كحدث فتن عرقية أو فئوية من تلك التي تحدث في كثير من البلدان ، ولم تجر صور الاحتقار التي كانت تمارسها بعض الفئات ضد بعضها الأخرى فتنه من هذا القبيل نظرا لعدم تطور هذا الاحتقار الى درجة الفتنة الخطيرة بل قد أعطت بعض صور هذا الاحتقار أمانا نسبيا لبعض الفئات كما سيأتى .

وفي هذا الباب سوف أتحدث عن أبرز الفئات الاجتماعية في نجد مسهدا بنظرة الاسلام للأنساب بشكل عام باعتبار أن المجتمع النجدي يولى قضية الأنساب عناية فائقة وتعتبر من أهم أسس التعامل الاجتماعي بين فئاته ، ومسهدا كذلك بموقف الاسلام من البدو والبدوابة بشكل عام أيضا نظرا لكثافة نسبة البادية في المجتمع في تلك الفترة وعلى اعتبار أن هذا البحث عن البادية النجدية ، ولجهل كثير من النجديين لأسس التعامل الاجتماعي بين البدو والحضر في ضوء الاسلام ، ثم يتبع ذلك اعطاء لمحة عامة عن وضع بادية نجد القبلى حتى قيام الدعوة السلفية ففى الفصل الأول ثم دراسة اجتماعية وتاريخية عن الصلب ومدى تأثير الدعوة السلفية فيهم في الفصل الثانى ثم اعطاء معالم تاريخية عامة عن حركة التحضر في نجد ، وتضمن الكلام عن الخضيريين في هذا الفصل نظرا لكون المعادات والتقاليد واحدة أو متشابهة الى حد ما لدى حاضرة نجد عموما .

(=) دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م . ص ٢٨١ ولعل من أبرز أوار الصلب نتيجته لمعرفتهم مفاوز الطرق هو دلالة أحد هم لمحمد اسد الكويت عند ما أنتد به الطيبك عبد العزيز لكشف مصدر الأسلحة الجديدة والنقود حديثة السك التي تصل بكميات كبيرة الى الإخوان حيث استطاع هذا الصلبي ان يسلك به ورفيقه زيد طرقا مجهولة معوجة لا تخلو من موارد مياه ، والأغرب من هذا هو ان هذه الطرق تقرب من تجمعات الإخوان حيث رأوا هذه التجمعات مرتين من غير ان يراهم أحد من الإخوان ليعلموا الكويت من جهة العراق حتى يتوهم من يراهم انهم عراقيون واستطاع محمد اسد كشف الدور البريطاني في امداد الإخوان بهذه الأسلحة والنقود والهدف من ذلك ضم ارجعهم الصلبي الى نجد من طريق آخر ، ولا شك ان لا احترام الصلب للسلطة دور في هذا ، وقد اورد محمد اسد هذا في قصة مشيرة بمدى اعجابه بهذا الصلبي الذي قال : ساقودك انت ورفيقك الى الكويت بحيث لا تستطيع طيور السماء ان ترانا ، ولا شك ان هذه الكلمة تبين مدى دقة الصلب في معرفة المفاوز ، كما تبين ان هذا الصلبي كان على ثقة قوية من نفسه هذه المعرفة ، وللتفصيل في هذه القصة . محمد اسد : (المرجع السابق ، من ص ٢٨١ - ٢٩٠) .

نظرة الاسلام للأنساب:

تتسم نظرة الاسلام للأنساب بالحكمة وبعد النظر فهو قد اعتبر فيها مبنيا أن معرفته مطلوبة مشروطة لا ذاتها ولا اما ينتج عن ذلك أحيانا من التفاخر المطفى والتناحر البغيض اللذين يجبران الى القتال والتطاحن بل ان الاسلام يحارب الأنساب من هذه الزوايا الا أنه ينظر الى أن معرفة الأنساب يجب أن تكون لهدف سام نبيل هو التعارف بين بنى البشر هذا التعارف الذى يهدف الاسلام به الى التعاون المستمر النهوض بجصع التكالييف والواجبات التى أمر الله بها من طريق رسله للاهتمام بهديه والتزود للحياة الآخرة وصارة هذه الحياة الدنيا ، هذه التكالييف والواجبات التى هى معيار التفضيل عند الله سبحانه .

والاسلام فى صورته الأخيرة يبحث أتباه الى معرفة الأنساب والتعرف على القبائل والشعوب فى كافة أنحاء الأرض ادعوها الى دين الله عز وجل ، واشراكها فى هذا الهدى ، وعدم البخل عليها بأى جانب من جوانبه ، وهو فى هذا يأزم أتباه بالمعطف على سائر الانسانية أن تنحرف عن جادة الحق والحيلولة بين أى قوة داخلية أو خارجية تصرف هذه الانسانية عن التعرف الى دين الله ، (١) وان يذكر الاسلام عموم البشر أنهم اخوة فى الأصل الانسانى

(١) ان الهدف الانسانى المجاهد فى الاسلام هو محور أهداف المسلم من هذا الجهاد . هذا الهدف الذى يستند الى طبيعة هذا الدين ان أنه يهدف الى تحرير الانسان - كل انسان - فى الأرض - كل الأرض - من العبودية للعباد ، والأهواء وسائر المعبودات الأرضية وغيرها حسية كانت أو معنوية الى العبودية لله وحده ، ومن هنا فالاسلام مأمور بالجهاد بكافة مراحلها بدأ بجهاد النفس ، ثم محاولة هداية البشرية الى هدى الله بأسلوب يجمع بين الرحمة والمعطف ، والقوة فى تحقيق هذه الرحمة والمعطف بحيث لا يستأثر بهذه الهداية لنفسه أو قومه بل يمنحها لأخيه الانسان فى أى مكان كان ، وبأى أسلوب يمكنه تحقيق هذا الهدف به ، ولعل فى تعبير رضى بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبه أرستم قبل معركة القادسية ما يؤكد ذلك حين سألهم واحدا بعد الآخر ما الذى جاءكم ؟ ! يكون الجواب : الله ابتعثنا انخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن فسق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى هدى الاسلام فأرسل رسوله بدينه

لأنهم من أب واحد وأم واحدة ، فهو يخص أتباعه بهذا التذكير لينظروا الى الإنسانية من هذه الناحية ، وأن المراحل التي مرت بالبشرية عبر تاريخها الطويل جعلتها تتفرع الى شعوب كبيرة تضم قبائل شتى متشعبة مجتمعة في آن واحد كتشعب أفصان الشجرة وهي بالتالى ترجع الى أصول قبلية ، وأن خفاء هذه الأصول أو جهلها أو سلبها عبر التاريخ تحت أسباب متعددة لا ينفي الحقيقة بأن كل بنى البشر يرجعون الى أصول قبلية ، ومن هنا فهم أحرار أصلاء لا فرق بين شعب وشعب أو قبيلة وقبيلة أو فرد وفردا لا بمقدار ما يحمله من هدى الله ، وتسخير كل امكاناته وطاقاته لنشر هذا الهدى بين الناس جميعا ، وهو ما هدفت اليه الآية بـ " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " .

وتؤكد الآية الثالثة عشر من سورة الحجرات جانبها من نظرة الاسلام نحو الأنساب حيث يقول الله سبحانه :

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ان الله طهم خبير " ، وسواء قرئت بالقراءة المشهورة " لتعارفوا " أو بالقراءة العروية عن ابن عباس رضى الله عنهما " لتعرفوا " فانها تبين هدف الاسلام من معرفة الأنساب وهو أن يعرف كل انسان أصله ونسبه ، ويتعارف عن طريق النسب مع اخوانه بنى البشر لتحقيق خلافة الله لابن آدم فى هذه الأرض ، وان كانت القراءة المشهورة " لتعارفوا " يمكن أن تحوى المفهومين معا بحيث أن السلم وان عرف أصله وحسبه فانه لا يتفاخر بذلك ، بل يسخره للتعارف والتعاون (١) .

= الى خلقه ، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفى الى الجنة أو الظفر " واذا حدثت تجاوزات لهذا الهدف عبر التاريخ الاسلامى فليس هذا عيبا فى هدف الاسلام من هذا الجهاد بقدر ما هو انحراف عن أسلوب تحقيق هذا الهدف كما يريده الاسلام ، والجهاد فى سبيل الله مجاله واسع ليس هنا مكان تفصيله وعلى سبيل الاستزادة ، (سيد قطب : ٩/٣ / ١٦٦ - ٢٠١)

(١) الشوكاني : فتح القدير ٦٧/٥ ، ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخارى ط شركة الطباعة الفنية ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م - ١٤ / ٤٠٣ .

وانا أمعنا النظر في ترتيب هذه الآية بالنسبة لسورة الحجرات ومجئها بعد آية النهي عن الغيبة والتجسس ، واحتقار بعض الناس بعضا ، والنهي عن الظنون الآثمة ، وبعد آية السخرية ، وآية تأكيد الأخوة اليمانية ، أمكننا فهم جانب من مراد الله - والله أعلم بمراده - في تنبيهه على تساوى البشر فى الشرف بالنسبة الى آدم وحواء ، وأن تفاضلهم انما يكون بالأمور الدينية بطاعة الله عز وجل واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم القائم بهذه الطاعة على الوجه الذى يرضى الله (١) ، اضافة الى تضمن هذه الآية التحذير الشديد من اتخاذ مسألة الأنساب مجالا للفخر ، فالتناحر فالتطاحن ، أو الغيبة والتجسس والسخرية واللمز نتيجة للفخر غير المنضبط بالضوابط الشرعية والآية بالاضافة الى ذلك ترمى الى تحقيق الهدف الأسى من التقسيم الفتوى للمجتمع المسلم فى اشاعة روح التعارف والتعاون فى سبيل الخير والمصلحة العامة المتضمنة مصلحة كل فرد فى هذا المجتمع ، لا كما تريد المذاهب الأرضية قديما وحديثا فى استغلال وجود أى فوارق اجتماعية فى اشاعة روح الطبقية والبغض بين فئات المجتمع وأفراده .

ومن قبل ومن بعد ففى هذه الآية كما يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدى (٢) رحمه الله : " دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة

(١) ابن كثير : التفسير ٢١٨ / ٤ .

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدى وينتهى نسبه ببني عمرو أحد كبار بطون قبيلة تميم التى تقطن بلدة قفار جنوب غرب حائل ب ١٥ كم ، ثم ارتحل قسم من هذا البطن ، وعمر المستجدة جنوب غرب حائل ب ١٢٥ كم حيث أصبحت أسرة آل سعدى من كبار أسر هذه البلدة ولا تزال ، ووفد قسم من هذه الأسرة الى عنيزة فى القصيم حوالى سنة ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ م وولد الشيخ عبد الرحمن فيها سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م ، وتوفى والده وأمه ولما يبلغ العاشرة من عمره فنشأ يتيما وان كان قد لقي الحنان من زوجة والده وأخيه الأكبر حمد ، الا أن هذا جعله يعتمد على الله ثم نفسه فى العلم والتحصيل فبز أقاربه وزملاءه حتى تتلمذ عليه كثير منهم فتوسع فى الفقه والتفسير والحديث اضافة الى كتب ابن تيمية وابن القيم ففتق ذهنه واتسعت مداركه نظرا لاطلاعه على هذه الكتب اضافة الى كثرة مشايخه واشتهار كل واحد منهم بفرع من العلوم ،

لأن الله جعلهم شعها وقبائل لأجل ذلك " (١) . ومن هذا المنطلق فسان
طما الأنساب المسلمين يحرصون على وضع هذه الآية في أوائل كتبهم موضحين ،

= حتى أدرك وأصبح مرجعا للعامة والخاصة بسعة أفقه وصرف وقته للتعليم ،
والارشاد والافتاء فتتلمذ عليه عدد كبير ، وألف مؤلفات كثيرة في كافة العلوم
الشرعية ومحاسن الاسلام ، والرد على المخالفين أهمها تفسيره المعسوف
وكان لتواضعه وزهده وفضته وحبه لنشر العلم أثر كبير في ذباغ صيته في سائر
بلدان القصيم حتى أطلق عليه لقب : علامة القصيم ، بل قد أطلق عليه أحد
المشايخ لقب عالم نجد ، وفي سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م أصيب بضيق الدم
وتعلب الشرايين لازمه حتى سبب له نزيفا في المخ توفي على أثره سنة
١٣٧٦هـ / ١٩٦٦م ودفن في عنيزة فضجبت القصيم بل منطقة نجد بأكلها
لفقده ورثاه أكثر من شاعر وناثر لعل أبرزهم الدكتور عبد الله الصالح العثيمين
الذي رثاه بقصيدة منها :

ما ن أقول عن المصاب ومهجتي : أما تفص وعبرتي تتكسر
ما ن أقول عن المصاب وانني : عما أحاول عاجز ومقصر
كيف التحدث عن مصاب فادح : أكبادنا من هوله تنفطر
كل امرئ فينا يذوب تعاسة : والبؤس في دمه يفور ويخر
الشيخ يندب بائسا متحسرا : والطفل يبكي نائحا يتعير
لم لا وقد فقدوا أبا ومهدبا : ورط بأنواع الفاخر يذكّر
لما بدا للحاضرين كيانا : والنمش يزهو بالفقيد ويفخر
هلعت لمنظره النفوس كآهة : وهذا على كل الوجوه تحسر
نظروا إليه فصعدت زفراتهم : والدع غمر في المحاجر أحمر
كل يحاول أن يغطي دمه : لكنه يلقي النقاب فيسفر
يتزاحمون ليحطلوه كأنهم : سيل يحوج وأبحر لا تجر
والحديث عن الشيخ يطول كما أن هذه القصيدة المعبرة طويلة
وللاستزادة ، (عبد الله البسام : طما : نجد ٢/ ٢٢٢ - ٤٣١ ، عبد الرحمن
ابن عبد اللطيف آل الشيخ : مشاهير طما : نجد وغيرهم ، الطبعة الأولى
بإشراف دار اليمامة . الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص ٢٥٦ - ٢٦١ ، محمد
القاضي : روضة الناظرين ١/ ٢١٩ - ٢٣٠ ، إبراهيم بن عبد آل عبد المحسن
تذكرة أولى النهى والعرفان ، الطبعة الأولى . مطابع النور . الرياض ٤ /
٢٩٣ ، عبد الله بن صقيه : بنو تميم في بلاد الجبلين ٥١ - ٥٥ ،

(٥٧)

(١) تهسير الكرم الرحمان : ١٣٩/٧

هدف الاسلام من العناية بالأنساب (١) التي كان العرب في جاهليتهم الأولى يعمتون بها لهدف التفاخر الكاذب والتناحر والاختلاف فجاء الاسلام بتهذيب هذا الهدف على طريقته في إبقاء ما كان يمارسه العرب من عادات طيبة أو لا تتعارض في مبادئها مع أصوله وتوجيهها نحو الوجهة السليمة والهدف الخير ، وهو كما نرى على العرب في جاهليتهم الأولى انصرفهم عن الهدف الأسى من تشعبهم وقبليتهم فانه — في الوقت ذاته — يوجه البشرية كلها الى هذا الهدف متى ما انحدرت عنه في جاهلياتها اللاحقة الى ما كان عليه العرب قبل الاسلام في هذا المجال .

وتمشيا مع أسلوب القرآن والسنة في اثارة نزعة الخير لدى الانسبان وتوجيهها نحو طاعة الله وتقواه فان هذه الآية تؤكد على هذه الناحية بأن مناط التكريم عند الله سبحانه هو التقوى والعمل الصالح لأن الله سبحانه كما أنه خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل لتحقيق التعارف والتعاون في سبيل الخير والبعد عن أسباب الفرقة والاختلاف فان هذا كله لكي يحققوا في أنفسهم أسباب تكريم الله لهذا المخلوق الأنساني على كثير من خلق ، وفي الوقت نفسه فهو تحذير لمن تسول له نفسه بالانحراف عن تقوى الله وطاعته بأن لن يحظى من الله بأى تكريم لأن أكرم الخلق عند الله هو أتقاهم له .

وتدور آيات القرآن الكريم في غالبها حول هذا المعنى خصوصا عندما تستشير في المسلم الاستعداد للحياة الآخرة " يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبه وبنيه " (٢) بل؟ ولا يسأل حميم حميما ، يبصرونهم يسود المجرم لسو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تلاه ، ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيهم " (٣) لتبين أن فى ذلك اليوم تنعدم الفائدة — الأنساب التي يمكن أن يجنى الانسان شيئا منها فى حياته الدنيا سواء كان

(١) انظر على سبيل المثال : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص : ١٠ .

(٢) سورة صحر : الآيات : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) سورة المعارج : الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

ذلك بالتفاخر أو التعاون إذ تزول كل مظاهر التواضع والتعاطف من غرط الحيرة واستيلاء الدهشة ، ويؤكد قول الله سبحانه : " فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون " (١) جانباً من النظرة الشاملة للأنساب في ميزان الله سبحانه ، والترغيب بهذه النظرة في الحياة الدنيا ، وتحقيقها في الآخرة الزاما من جانب النفس - بحكم هول الموقف - وحكما من الله في ذلك اليوم ، ولعل في هذه الآية توجيه من الله سبحانه أن تكون نظرة المسلم للأنساب في الدنيا مقدمة لواقع الحال بالنسبة لأي إنسان في الآخرة ، وبالتالي فهو توجيه بأن تتصف نظرة المسلم في كل أمور حياته بالاستمرارية في طريق الخير وعدم التقلب والتخبط وتحقيق الانسجام بين نظريته ونسبه في دنياه وآخراته ، ويبدو أن المساواة بين الناس في الأنساب في ميزان الله سبحانه كما تقرره هذه الآية وغيرها كانت من ضمن الأسباب التي أوجدت فئات لا حصر لها في العصور الإسلامية تجاهلت أنسابها تحقيقاً لبدأ الأخوة الإسلامية مما أدى إلى كثرة التداخل بين القبائل إضافة إلى الأسباب المعروفة من حلف أو جوار أو موالاة التي ربما كانت هذه الأخوة من الأسباب التي أدت إلى هذه الأحلاف والجوار والموالاة ، ولهذا فما لا شك فيه أن أصول القبائل قبل الإسلام أصفى منها الآن . إلا أن هذه الآية وغيرها من الآيات التي تدور حول مفهومها لا يمكن أن يستدل بها على أن للدين الإسلامي أثر قوى في عدم العناية بالأنساب (٢) ، فهو يهتم بها لكنه يدعو إلى عدم البالغة في ذلك بل توجيه هذا الاهتمام نحو أوجه الخير كما مر ، وبين هذا وذاك خيط رفيع للتفريق بينهما ، إذ أن

-
- (١) سورة المؤمنون : آية : ١٠١ ، أبو السعود : ٨٥ / ٤ .
(٢) مجلة الحرس الوطني : ١١ / ٣ / ١٤٠٣ هـ / أكتوبر ١٩٨٢ م ص ٢ ، من مقال للشيخ حمد الجاسر ، حول أصول القبائل العربية الحديثة ، وقد ألح فيها إلى محاربة الإسلام للأنساب من غير تفصيل في نظرة الإسلام ، الواقعية للأنساب ولم يفرق في استشهاده بآية المؤمنون ، بين ما تهدف إلى تصويره في يوم القيامة وبين ما تدل عليه آية الحجرات من اهتمام الإسلام بالأنساب وتوجيه هذا الاهتمام نحو الخير ، ولا شك أن الشيخ حمد لديه هذا المفهوم لكن كان الأولى به أن يوضح ما في نفسه للقراء بالنسبة لهذه القضية الخطيرة .

مساواة الاسلام بين الناس فى الأنساب لا يمكن أن يفهم منها بحال من الأحوال أن يجعل الاسلام من النظر للأنساب لاقية له (١) ، وفرق بين محاربة الاسلام للتفاخر البغيض فى الأنساب ، وأمره بالتعارف والتعاون فى سبيل الخير عن طريق معرفة كل انسان لأصله وحسبه من غير غمط الناس حقوقهم اذا جهل بعضهم نسبه أو سلب منه تحت أى سبب من الأسباب كما سيأتى :

وآية المؤمنون ان خصت الأنساب بنسيانها وتجاهلها فى يوم القيامة فانها فى الوقت ذاته تبين جانبها آخر من نظرة الاسلام للأنساب فى الدنيا وأنه اذا كان قد اعترف بها فى هذه الحياة لأنها من أقوى أسباب الترابط البشرى فانه يدفع الهم الى الاقتصاد فى الفخر بها لانها لن تغنى عن الانسان شيئاً فى حياته الأخرى ان رغم قوة فاعليتها فى هذا الترابط فان ما يصيب الناس من الأهوال فى يوم القيامة يجعلهم ينسون هذه الأنساب ويتجاهلون بها ومن باب أولى فان أى سبب آخر من أسباب هذا الترابط سوف يكون أكثر نسياناً وتجاهلاً منها (٢) وذلك كالصداقة مثلاً التى تنقلب فى ذلك اليوم الى عداوة كما فى قوله تعالى :

"الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين" (٣) ، وقوله تعالى :
"يا أيها الذين آمنوا أنفقوا ما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة" (٤) . كما أن أى اهتمام بشرى فى الدنيا سيكون نسيانه وتجاهله من باب أولى أكثر من نسيان - أسباب الترابط .

-
- (١) مجلة الحرس الوطنى : العدد السابق والصفحة السابقة .
(٢) عبدالرحمن بن سعدى : التفسير ٣٨٠/٥ .
(٣) سورة الزخرف : آية : ٦٧ . قال ابن سعدى فى تفسيره : الأخلاء يومئذ أى يوم القيامة . المتخالين على الكفر والتكذيب ومعصية الله بعضهم لبعض عدو " لأن خلتهم ومحبتهم فى الدنيا لغير الله فانقلبت يوم القيامة عداوة ، " الا المتقين " للشرك والمعاصى فان محبتهم تدوم وتتصل بدوام من كانت المحبة لأجله ، ٦٥٩/٦ ، ٦٦٠ .
(٤) سورة البقرة : آية : ٢٥٤ . قال ابن كثير ٣٠٥/١ ولا تنفعه خلة أحد يعنى صداقته ولا نسابته كما قال تعالى : "فان انفخ فى الصور فلا أنساب بينهم .. الآية" .

وقد أكدت السنة المطهرة جانباً من هذه النظرة الشاملة للأنساب ففى الاسلام حيث تضيف هدفاً آخر لاهتمام هذا الدين بالأنساب على اعتبار أن معرفتهم تطلع الانسان على قرابته فتؤدى به بالتالى - ان هدى الى ذلك - الى صلة الأرحام وذوى القربى التى يولمها الاسلام جل اهتمامه فى نطاق اهتمامه الشامل بالأنساب وتوجيهها نحو الخير ، وفى هذا المجال روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تعلموا مسن أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فان صلة الرحم محبة فى الأهل ، مشاة فى المال ، منسأة فى الأجل ، مرضاة للرب " رواه الامام أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه ، وحسنه (١) .

وهذا الحديث نص صراحة بالأمر بتعلم الأنساب لتحقيق هدف الاسلام الخير فى أمره بصلة الرحم لأشاة روح المحبة بين الأهل والأقارب والتعاون بينهم فى سبيل الخير وتحقيق الاكتفاء بكثير ما يحتاجه الانسان فى هذه الدنيا عن طريق التعاون فى توفير كافة متطلبات الحياة المتاحة بين الأقارب ، ولعل هذا معنى قوله : " مشاة فى المال " أما قوله : " ومنسأة فى الأجل فمن معانيها : ابقاء الذكر الحسن ، أو الخلف الصالح الذى يبقى ذكر سلفه ، أو مباركة الله فى عمره باستغلاله فى طاعة ربه ، أو نفى الله عن واصل رحمه الآفات فى عقله وفهمه بحيث يستغل أوقاته استغلالاً تزداد معه أنها فى زيادة ،

(١) الامام أحمد بن حنبل : المسند ، الطبعة الثانية . دار الفكر ، نشر المكتب الاسلامى - بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ٣٧٤ / ٢ ، محمد بن عيسى الترمذى : الجامع الصحيح " السنن " تحقيق وتصحيح عبدالرحمن محمد عثمان . طبع ونشر دار الفكر . بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ٢٣٧ / ٣ ، ويتفق مع الامام أحمد فى مسنده . من عبدالله بن المبارك حتى أبى هريرة ، الا أن الترمذى قال فيه : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، بينما قال ابن حجر فى الفتح (١٩٥ / ٢٢) أن الترمذى قد حسنه ، وقد أثنى على مسنده فى المسند ، كما أثنى على مسنده الألبانى فى الأحاديث الصحيحة وذكر أكثر من مصدر له ، كما أورد شاهداً له نصه : " اعرّفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم ، فانه لأقرب بالرحم اذا قطعت وان كانت قريبة ، ولا بعد بها اذا وصلت ، وان كانت بعيدة " وذكر مصادر متباهاً فى مسنده (ناصر الدين الألبانى : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط (٢) المكتب الاسلامى . دمشق ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ١٥٣ / ١ - ١٥٥)

أما لكون صلة الرحم مرضاة لله سبحانه فلا أمره عز وجل بصلة الأرحام في كثير من آياته (١) كما سيأتى ذكر بعض منها بعد قليل .

وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أكرم الناس ومعادتهم وأشرفهم ، أن أشرف وأخيار الجاهلية يبقون على شرفهم وخيارهم في الاسلام اذا فقهوا في أحكامه ولم يكتفوا به الا باسمه لأن الشرف في الاسلام لا يتم الا بالتفقه في الدين ، ويزيد هذا المعنى تأكيداً اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحكيم في الاجابة عن هذا السؤال حين قال : " ان أكرم الناس أتقاهم " ، ويوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ، وحينما قالوا له ليس عن هذا نسألك ، أردف قائلاً : " فعن معادن العرب تسألوني ؟ خيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الاسلام اذا فقهوا " ، متفق عليه . وفي رواية البخاري : " تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الاسلام اذا فقهوا " ، وهذا الحديث بقصته يبين مدى احترام الاسلام لأصول القبايل وأشرفها وأخيارها بما فيهم من مروات ومكارم أخلاق وعراقة أنساب وهو في هذا ينظر الى أن الأصول اذا كانت شريفة فان الفروع غالباً ما تكون كذلك مادة من مواد الخير وعنصر من عناصره ، وانما كانت الفضيلة في الاسلام للتقوى والعمل الصالح فانه اذا انضم اليها شرف النسب وعراقة ازادات فضلاً (٢) .

(١) ابن حجر: فتح الباري ٢٢/٩٥، ١٩٦٠.

(٢) ورد هذا الحديث كاملاً في الصحيحين برواية أبي هريرة ، وللتفصيل : فتح الباري ١٣/١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥ صحيح مسلم بشرح النووي ط (٢) دار الفكر - بيروت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ١٥/١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١

والاسلام فى معرض اعترافه بالأنساب بل اهتمامه بها لا ينكر على أى فرد أن يرفع نسبه الى آباءه وأجداده حتى ولو كانوا من أهل الجاهلية - أولسى كانت أو أخرى - لأن النبى صلى الله عليه وسلم اعتزى بأجداده وهم رؤوس الجاهلية ولكنهم أشرفها وكرماؤها فما يؤثر عنه على الله عليه وسلم قوله :

أنا النبى لا كذب : أنا ابن عبدالمطلب (١)

وكل هذا انطلاقا من قوله تعالى : " ولا تزواجة وزر أخرى " (٢) ، وهو فى هذا الصدد يتجاوز ذلك الى أحقية الفرد بالفخر بآبائه وأجداده حتى لو كانوا جاهليين متى ما كانت دواعى الفخر وأسبابه متوافرة فيهم ، ومتى كان هذا الفخر منضبطا بالضوابط الشرعية التى لا تتيح للفرد أن يغلو فى فخره فيخط الناس حقوقهم فيسخر منهم أو يفتابهم ، أو يقوم بأعمال من شأنها المساس بمشاعرهم ما حذرت من بعضها آيات سورة الحجرات السابقة لآية النسب ، بل قد اعتبر بعض علماء المسلمين الفخر المنضبط نوتا من التحدث بنعمة الله سبحانه ، وقر نوابه النهى عن الفخر المؤدى للتفضيل الذى يجر الى تنقيص الفضول تصريحها أو تلميحها ، وكذلك الفخر المؤدى الى الخصومة والفتنة (٣) .

ولعل من مظاهر اعتراف الاسلام بالانساب واقعيته فى ذكر النسب من مقاصد الزواج لدى الناس ، وعدم انكار ذلك وان كان قد أكد على أن الدين ينبغى أن يكون هو الأساس فى هذا المجال ، وقد ورد هذا فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " تنكح المرأة لأربع : لما لها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها فافقر بهنات

(١) ابن حجر : فتح البارى ١٦ / ١٤٥ عند الكلام عن الأحاديث الواردة فى قصة غزوة حنين ، ابن حزم : الجمهرة : ٤ ، ٥ من المقدمة .

(٢) وردت هذه الجملة فى عدة آيات وفى أكثر من سورة ، ويتضمن سياق كل آية مناسبة ورودها : الأنعام آية ١٦٤ ، الاسراء آية ١٥ ، فاطر آية ١٨ ، الزمر آية ٧ ، النجم آية ٣٨ .

(٣) النووى : شرح صحيح مسلم ١٥ / ٢٧ ، ٢٨ .

الدين تربت يدك^(١) رواه البخارى ومسلم، وقد ورد فى رواية أخرى النسب مؤكّد اللّحى
فى قوله "على دينها ومالها وعلى حسبها ونسبها" وقد أخذ بعض العلماء من هذا التأكيد أن شريف
النسب يستحب له أن يتزوج من نسبية، وأن تعارض نسبية غير دينه، وفيه
نسبية دينه قدمت ذات الدين على من فيها كافة الصفات الأخرى الواردة فى
الحديث (٢) أو ما سواها مما تعارف عليه الناس فى أى عصر من عصورهم،
ولهذا فقد أكد بعض العلماء على الكفاية فى النسب كشرط لنجاح السزواج
بغض النظر عن صحته أو عدمها، وتأكيد بعض العلماء النجدين على هذا
الشرط يوحى بتأصل النظرة الاجتماعية للتقسيم الفئوى للمجتمع فى نجد (٣)،
والفقهاء المسلمون عبر مراحل التاريخ لا ينطلقون فى هذا من نظرة قبلية ضيقة
ولكنهم ينظرون إليه كأسلوب لحفظ الأنساب كما يريد الاسلام، إلا أن طمأ
الدعوة وقفوا أمام هذه القضية وقفة حازمة مبينين أن هذا فساد كبير يتمارض
مع عموم رسالة الاسلام ومع قوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (٤) وهم
فى هذا كذلك يستندون الى أن قسما كبيرا من فقهاء الاسلام لا تشترط
الكفاية فى النسب فى النكاح (٥) مما ليس هنا مجال التفصيل فيه.

ومن أبرز علامات اهتمام الاسلام بالأنساب أو امره المتكررة فى القرآن
والسنة بصلة ذوى القربى والأرحام ابتداء من بر الوالدين وصلتهن

-
- (١) ابن حجر: المصدر السابق ١٦٢/١٩ وقد ورد فى صحيح البخارى:
"جمالها" بدون لام، النووى: شرح صحيح مسلم ١٠/١٥٢٤ وقد وردت
فيه "جمالها" فى حديث أبى هريرة الذى رواها البخارى أيضا بينما وردت
"جمالها" فى الحديث الذى رواه جابر بن عبد الله والذى أورد منه
البخارى الحث على زواج البكر فقط من دون ذكر مقاصد الزواج، فتح
الهارى ١٤٦/١٩ ١٤٧٠.
- (٢) ابن حجر: المصدر السابق ١٦٢/١٩.
- (٣) المنقور: الفواكه ٣٢/٢، محمد أمين السويدي: سبائك الذهب فى
معرفة قبائل العرب. نشر دار احياء العلوم. بيروت ص ٥٥.
- (٤) عبد الرحمن بن قاسم: الدرر السنية ط (٢) نشر دار الافتاء بالملك
١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ٣٢٥/٦.
- (٥) ابن كثير: التفسير ٣/٣١٩، والمتقدمون من اصحاب الامام احمد يرون أن
الكفاية فى النسب شرط لصحة النكاح، أما المتأخرون فيرونه شرطا للزوم.

والاحسان اليهم الذى قرنه الله سبحانه بعبادته عز وجل فى آيات متعددة (١) الى صلة كافة الأقارب والأرحام على اختلاف درجات قربهم (٢) .
والاسلام فى أمره بصلة الرحم انما ينظر اليها على أنها أسلوب من أساليب معرفة النسب ، كما أنه فى المقابل يبحث على معرفة النسب ليتحقق بها أوامره بهذه الصلة التى رتب الاسلام على تركها أقصى عقوبة فى الآخرة وهى عدم دخول الجنة (٣) ، اضافة الى ما يلقاه القاطع لأرحامه فى الدنيا من عذاب نفسى نتيجة الوحدة والبعد عن هو فى أمر الحاجة اليهم فى نوائمه ، وان بدا فى الظاهر أنه لا يكثر بهذه الصلة ولا يحسب لها أى حساب فانه يعانى من داخله ذلك العذاب النفسى الذى ربما جر الى الفساد فى الأرض كما قبيل سبحانه :

"فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم وأولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم" (٤) ، وهاتان الآيتان وان كانتا قد نزلتا لتقرير حالة المشركين فى مكة فى توليهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو من أقربائهم ، فانهما تتجاوزان الزمان والمكان لتقرنا بين

(١) ورد ذكر التعامل مع الوالدين فى القرآن الكريم فى سبعة عشر موضعاً كلها تدرج تحت البر بهما والاحسان اليهما . وإن كان ذلك بصيغة الأمر أو على سبيل الاخبار أو بصيغة النهي والتحذير من ايذاءهما ولو بصيغة التأفف أو تفير ملامح الوجه ، وفى بعضها يقرن الله سبحانه بين عبادته وحده وعدم الشرك به وبين الاحسان الى الوالدين وكذلك بين الشكر له وللوالدين ، كما ورد ذلك فى أحاديث كثيرة .

(٢) ورد الأمر بصلة الأرحام وذوى القربى فى آيات وأحاديث كثيرة لا مجال لذكرها هنا .

(٣) ابن حجر: ١٠/١٤ ، ١٩٤/٢٢٠ ، النووى : المصدر السابق ١٣/١٦ وقد أورد الحديث : " لا يدخل الجنة قاطع " متفق عليه .

(٤) آية : ٢٢ ، ٢٣ من سورة محمد ، وانظر لتفسيرهما ابن كثير :

المفساد في الأرض وقطيعة الرحم في ماثلة العقوبة المعجلة في الدنيا والآخرة
في الدار الآخرة (١) .

ويتميز الاسلام بحثه على هذه الفضيلة ليحقق من ورائها ما يهدف اليه
في غالب أوامره ونواهيه من تكاتف المجتمع المسلم وتناصحه ذلك أنه اذا حرص
كل مسلم على معرفة نسبه وصلة أرحامه عن طريق هذه المعرفة وسخر ذلك لتحقيق
التعارف والتعاون بين فئات المجتمع في الاهتداء بهدى الله ، ونشر هذا
الهدى بين من حرموه ، فان المسلم بهذا يحقق جانباً كبيراً من جوانب التكافل
الاجتماعي في الاسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو جزء من الجانب
المعنوي من هذا التكافل ، إضافة الى ما يتولد عن ذلك من استعداد نفسي
لتحقيق الجانب المادي من هذا التكافل في تقديم كل عون ومساعدة لكل من
يحتاجها من أرحامه ثم من سائر أفراد المجتمع المسلم (٢) .

(١) ورد في الحديث الذي رواه أبو بكره قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما من
ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في
الآخرة من البغي وقطيعة الرحم " رواه ابن ماجه وأبو داود ، وقد تابع سنده
ناصر الدين الألباني في مجموعة الأحاديث الصحيحة ووثق رجاله كما ورد عن
عائشة رضي الله عنها حديث بمعناه كما روى عن أبي هريرة مرفوعاً عن
النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " من قطع رحماً أو حلف على يمين فاجرة رأى
وباله قبل أن يموت " . رواه البخاري في التاريخ وأخرجه البيهقي من طرق
متعددة قال عنها الألباني : " انها صحيحة " . للاستزادة أبو داود ٥ /
٢٠٨ ، ابن ماجه ٢ / ١٤٠٨ ، ناصر الدين الألباني : سلسلة الأحاديث
الصحيحة ٢ / ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٧٠٦ - ٧٠٩ ، ٣ / ١١٤ .

(٢) ان نظرة في فهارس أسما كتب الحديث تؤكد أن الاسلام يهدف من وراء
حثه على صلة الأرحام تعميق أو اصر المحبة في المجتمع ككل مما يعطى تصوراً
بأن الاسلام في حثه على صلة الأرحام بمعرفة الأنساب والأصول لا يهدف من
وراء ذلك انزواء كل فئة أو قبيلة بأصلها ونسبها عن بقية فئات المجتمع بـ
يهدف من وراء ذلك الى توسيع قاعدة هذه الصلة لتشمل فئات المجتمع
باحترام أصولها ولو ضاعت أو جهلت ثم بالتعاون معها في سبيل الصالح
العام ولهذا نليس مصادفة أن يضع أئمة الحديث صلة الوالدين والبر بهما ثم
صلة الأقارب والأرحام المقربين والبعيدين ثم صلة الجار ذي القربى والجار

وعلى أى حال فقد حظى علم الأنساب - انطلاقاً من كل ما سبق -
باهتمام عدد لا بأس به من علماء الاسلام الذين حفظوا لنا عن طريقه - بادئ
ذى بدء - نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهمية ذلك فى حياة المسلم
الأمر الذى حدا بأحد علماء الأنساب الى اعتبار الشك أو التشكيك فى نسب
محمد صلى الله عليه وسلم - عن قصد - كفر ، أو نقص فى الدين ، إلا أن يكون
ذلك عن شدة جهل يلزمه معها أن يتعلم ذلك (١) .

وقد نظر علماء الأنساب المسلمون الى هذا العلم على أنه علم اسلامى
ينبغي على المسلم أن يكون على علم - ولو قليل - منه مستنديين فى ذلك الى
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم السابق بتعلمه ، إضافة الى أن الخلفاء الراشدين
كانوا من المهتمين به الذين يحضون على تعلمه ، وخاصة أبو بكر الصديق رضى
الله عنه فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر حسان بن ثابت
أن يأخذ عنه ما يحتاج اليه من علم نسب قريش ، لأنه رضى الله عنه كان من نسابى
العرب قبل الاسلام (٢) ، كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد حث على
تعليم الأنساب باعتبارها وسيلة لصلة الأرحام (٣) ، وكذلك عثمان وعلى وعبد

= الجنب ثم تعاون المسلمين بعضهم بعضاً فى نشر الفضائل والقضاء على
الريائيل إضافة الى عدد من الأبواب التى تندرج تحت هذا المفهوم . كل
هذا تحت كتاب الأدب كما فى البخارى مثلاً ، أو كتاب البر والصلوة
والآداب كما فى مسلم والترمذى ، أو كتاب الأدب كما فى سنن ابن ماجه ،
وأبى داود ، وغيرها من كتب الحديث ما يمكن الرجوع الى فهرسها
بسهولة .

(١) ابن حزم : الجمهرة ص ٢ من مقدمة المؤلف ، محمد أمين السويدي : سبائك
الذهب ص ٥ -

(٢) ابن حزم : المصدر السابق ص ٥ من المقدمة ، وقد أورد فيها فصلاً فى الرد
على من قال بأن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر ، عبد الرحمن بن حمد
المغيرة : الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب . مطبعة المدنى . القاهرة
١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ص ٥ من مقدمة الناشر ، ص ٣ من مقدمة المؤلف ، محمد
الحقيل : كنز الانساب ومجمع الآداب ط (٥) ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ص ١٧ - ١٩ .

(٣) روى عن عمر ، جزء من الحديث السابق : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به
أرحامكم " كما روى عنه قوله : تعلموا النسب ، ولا تكونوا كنبطى السواد اذا سئل

لا بأس به من الصحابة والتابعين من أئمة الفقه (١) .

وإذا كان فن الأنساب فن مربي أصيل قد عرفه العرف في جاهليتهم وتمسقوا فيه بحيث أصبح من مظاهر التفاخر والتناثر التي تحتفل بها أسواقهم حتى كان المختصون فيه يلقون المهابة والاحترام ، ويلقى رأيهم في نسب أي فرد أو قبيلة القبول والتأييد . (٢) ، إذا كان ذلك كذلك فإن الاسلام جاء بتنظيم هذا العلم وتسخيره لأهدافه العليا بما يحفظ لكل فرد في المجتمع المسلم كرامته التي كان يفتقدها في ظل التفاخر والتناثر البغيض الذي يحدث في أسواق العرب قبل الاسلام ، ومن هنا يمكن فهم ما ورد من الأحاديث والآثار في ذم الأنساب على أنها محمولة على النهي عن التعمق فيه حتى لا يشتغل المسلم بها عما هو أهم منها ، وحتى لا تكون مجالا من مجالات الفرقة في المجتمع كما كان يحدث قبل الاسلام ، كما يمكن فهم ما ورد في استحسانها ، وفضل تعلمها طس مافيه من الجوانب الخيرة التي سبق ذكر بعضها (٣) ، والتي فصل الكلام فيها وفي غيرها علماء الأنساب الذين قرروا بسببها أن هذا العلم ضرورة اجتماعية لتسيير دفة الحياة في المجتمع المسلم على أساس أن هذا من الأحكام الفقهية المنظمة لهذا المجتمع تدور حول الأصول والأنساب والأرحام ، ومن هنا كان اهتمام أئمة الفقه الاسلامي بهذا العلم باعتباره رافدا من روافد الفقه وأسلوبها من أساليب تحقيق التكافل الاجتماعي كما مر (٤) .

= أحدهم عن أصله قال من قرية كذا أو كذا " كما يروى عنه قوله : " تعلموا من النجوم ما تهتدون به ، ومن الأنساب ما تعارفون به وتواصلون طيه ، ومن الأشعار ما تكون هكما وتدلکم على مكارم الأخلاق " . ابن حزم : المصدر السابق ص ١٥ ، ابن حجر : فتح الباری ١٤ / ٤ ، المغیری : ص ٣ ، الحقیل : ص ١٥ .

(١) ابن حزم : ص ٥ ، المغیری : ص ٥ من مقدمة الناشر ، ص ٤ من مقدمة المؤلف ، الحقیل ص ١٥ .

(٢) المغیری : ص ٥ من مقدمة الناشر .

(٣) ابن حجر : فتح الباری ١٤ / ٤ .

(٤) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢ ، ٣ ، ٤ من المقدمة ، وقد ذكر ابن حزم وغيره من علماء النسب أن هذا من أئمة الفقه كسعيد بن المسيب وابنه حماد ، والزهري ، والشافعي ، وأبي حنيفة القاسم بن سلام وغيرهم كانوا مهتمين بالنسب .

موقف الاسلام من البدو والهداوة :

يوام الاسلام فى نظارته العامة نحو الهدو والهداوة - بين الجانب
الخير فى حياة البدو المتمثل فى وجود عناصر الخير فى هذه الحياة ، وبين
الوجه الهدوى المتخلف الذى يعيش حياة الجفوة والفلظة ، ومصاداة أى
أسلوب من أساليب التحضر والرقى ، وهو فى هذا المجال يهدف الى الجمع
بين التناقض المعجيب فى طباع هذه الفئة المهمة من الناس .

وغنى عن البيان هنا التفريق بين العرب والأعراب
هذه القضية التى قتلها بحثا عدد كبير من العلماء والباحثين قديما وحديثا ،
بعد أن كانت هاتان اللفظتان سرحا للخلط والجدل حول التفريق والجمع
بينهما وهو ما استغله عدد من المستشرقين المحدثين المفرضين استنادا الى
خلط بعض مفكرى (١) الاسلام السابقين بين هذين اللفظين ومفهوميهما ،
اضافة الى توسيع دائرة هذا الخلط من الشعبية (٢) فى العصور الاسلاميه

(١) كابن خلدون مثلا الذى خلط بين هذين المفهومين خلطا استغله الشعوب
قديما وحديثا ، وكذلك المستشرقون .

(٢) يبدو أن أساس مفهوم هذه اللفظة ما فسره بعض المفسرين واللغويين الشعوب
فى قوله تعالى : " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " حيث فسروا الشعوب
بأنها بطون المعجم والقبائل : بطون العرب ، ثم تطور مفهوم هذه اللفظة
لتطلق على كل من ليس عربيا ، ولا يرى للعرب فضلا ، ثم أطلقت على محتقرى
العرب عموما ، ومفضلى الأعاجم عليهم ، وقد اقترن لفظ الشعبية بظهور عدد
من الفرق التى كان لها الدور الرئيسى فى تفتيت العالم الاسلامى كالخوارج
والشيعة وما تشعب عنهما من فرق وأرتبطت بمفاهيم المروق والزندقة وقد عرف
العالم الاسلامى نوعين من الشعبية هى شعبية المشرق التى اقترنت بالشيعة
والتي بالغ بعض معتنقيها فى شعبيتهم بقصر اللغة العربية على العلوم
الدينية واهياء اللغة الفارسية وجعلها لغة للعلوم والآداب ، أما شعبية
المغرب والتي انتشرت فى الأندلس ، فقد فاخرت بحضارة الاسلام بلغتها العربية

السابقة حينما كانت هذه الشعوب تنظر الى الوجه البدوي المتخلف الذى كان يبرز أحيانا فى عصور الانحطاط الاجتماعى الذى يبنى به العرب ، فتنتطلق الموجات الأعرابية مدمرة المدن والقرى بأسلوب الملب والنهب ، وهذا الوجه كما أنه موجود لدى سوادى العرب المتخلفة ، فانه موجود لدى بواى الأمم الأخرى التى تنقسم الى فئتين رئيسيتين : بادية ، وحاضرة ، بل ربما يبرز هذا الوجه المتخلف بصورة أوضح عند بعض الأمم الأخرى أوضح مما لدى العرب ، وليس هنا مجال التفصيل فى هذه القضية التى تناولها عدد من الباحثين والعلماء فى القديم والحديث بالدرس والتحليل (١) .

= ومعتقداها السنن الصافي ، ولكنها أنكرت القول بفضل العرب على غيرهم ، وهى على أى حال أخف من شعبية المشرق ويبدو أن هذه الشعبية بنوعها كانت تزدهر فى عهود الانحطاط الذى يبنى به العرب نتيجة لبروز الوجه البدوي المتخلف ، أو نتيجة لاحتقار ساسة المسلمين فى المشرق أو المغرب لكل ما هو عربى أو يمت الى العربية بصلة . للتفصيل : (ابن كثير التفسير ٢١٨/٤ ، أبو السعود : التفسير ١٨٠/٥ ، الشوكاني : التفسير ٣٧/٥ ، ابن حجر : فتح الباري ٥/١٤ ، الفيروز آبادى ٨٨/١ ، محمد مرتضى ابن محمد الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالطبعة الخيرية - مصر سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م نشر دار مكتبة الحياة بيروت ٣٢١/١ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣١٥/١٣ ، ٣١٦ مادة شعبية) (١) مهما كثرت الأبحاث فى هذا المجال فان فهم مدلول أى لفظة لا يتم الا بالرجوع الى مصادر اللغة لأى أمة فيكفيها فى التفريق بين العرب والأعراب الرجوع الى مفهوم هذين اللفظين كما قرر علماء اللغة ، وكما هو متواتر لدى العرب ، قديما وحديثا ، فالعرب تطلق على أمة العرب سواء سكنت البوادي أو الحواضر والقرى ، أما الأعراب والأطراب فلا تطلق الا على ساكنى البادية ومن لم يفرق بين العرب والأعراب فانه يتعامل على العرب فى تأويله للآيات الواردة فى هذا المجال ، وذكر علماء اللغة أن ما تواتر لدى حاضرة العرب وأعرابها انك اذا قلت لأعرابي يا عري ههشش ، والحضرى اذا قيل له يا أعرابي غضب ، أما من تحول من الحضر الى البدو فهو قد تعرب أى صار أعرابيا بعد أن كان حضريا وهو ما ورد النهى عنه ، للتفصيل : (الفيروز آبادى ١/١٠٢ ، الزبيدي ٣٧١/١ مادة عرب ، أبو السعود : التفسير ٩٣/٥ ، الشوكاني : التفسير ٣٩٥/٢ ، ٥٩٦)

وانطلاقاً مما سبق فقد اتسمت نظرة الاسلام للبدو والهداوة بمراعاة مقتضى الحال التي تكون عليها طبيعة الحياة الاجتماعية لهذه الفئة في محاولة منه لرفع المستوى الاجتماعي لهذه الفئة الى ما يهدف اليه من كونه عقيدة مرتبطة جوهرية بوضع اجتماعي حضاري متقدم بغض النظر عن مكان أسلوب حياة هذه الفئة (١) ، فحينما تتغلب الجفوة على طباعهم والقسوة على قلوبهم فتبعد بهم عن المعرفة والوقوف عند الحدود والشرائع والأحكام نتيجة لتوحشهم ونشأتهم في معزل عن مشاهدة المصلحين ، وحينما ينظرون الى أى بذل جسي أو مادي في سبيل تقوية الجماعة المسلمة على أنه مغرماً وخسارة . حينما يحصل ذلك فان الاسلام يحارب في هذه الفئة تلك الطباع ، ويجعل من الجماعة المسلمة على وعلى تام بحقيقة بعض أفرادها من الأعراب الذين قال الله فيهم :

"الأعراب أشد كفراً ونفاقاً ، وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم ، ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ، ويترخص بكلمة الدوائر ، عليهم دائرة السوء والله سميع عليم" (٢) وإذا كان هذا التعبير بالحموم يعطى وضعاً ثابتاً متعلقاً بالبدو والهداوة كما فهم بعض المفسرين وكما يتبادر الى الذهن ، فان تعبير القرآن أبعد غوراً من ذلك ان ذلك من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله سبحانه : —

"وكان الانسان كفوراً" (٣) وان ذكر الآيتين : ٩٨ ، ٩٩ بعد الآية الأولى يؤكد تشعب جنس الأعراب الى فئتين ، وعدم انحصارهم في الفريق المذكور في آية ٩٧ كما يبدو من ظاهر النص الكريم ، كما يؤكد في الوقت

-
- (١) مجلة العربي الكويتية : عدد محرم ١٤٠٣ هـ / نوفمبر " تشرين ثاني " ١٩٨٢ ص ١٥ من مقال للدكتور محمد جابر الأنصاري .
(٢) سورة التوبة : آية : ٩٧ ، ٩٨ ، أبو السعود : التفسير ٥٩٣ / ٢ ٥٩٤٥ عبد الرحمن السعدي : التفسير ٢٨٦ / ٣ .
(٣) سورة الأسراء : آية : ٦٧ ، ومثلها : " ان الانسان لكفور " الحج آية : ٦٦ ، " فان الانسان كفور " الشورى : آية ٤٨ ، " ان الانسان لكفور مبين " الزخرف : آية ١٥ ، " ان الانسان لظلوم كفار " ابراهيم : آية ٣٤ .

نفسه أن المقصودين بشدة الكفر والنفاق هم من يتخذون ما ينفقون مفرما
ويترهبون بالمسلمين المصائب نتيجة هذا الكفر والنفاق والبعد عن مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدة معجزاته وسماع الآيات النازلة عليه ،
وإذا أدركنا سبب نزول هذه الآيات وخصوصيته على من يستطيع الانفاق من
البدودون الفقراء ، وعلى اقتضاره على بعض القبائل البدوية الذين كذبوا
الله ورسوله ، وقعدوا في مراتبهم ولم يكلفوا أنفسهم المجيء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمعتذروا اليه من تخلفهم عن إحدى غزواته ، إذا أدركنا
ذلك تبين لنا أن القرآن لا يهدف الى ذم عموم الأعراب بقدر ما يقرر حقيقة
عن بعضهم قد تتكرر في فترات التاريخ المتعاقبة (١) ، فلئن كانت العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فان في الآيتين تنبيه للجماة المسلمة على
مر التاريخ أن تكون على بينة من الوضع الاجتماعي للبدو كأي فئة اجتماعية -
ألهمها الله من عناصر الخير والتقوى كما ألهمها من عناصر الفجور والفساد .

وتؤكد الآيات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من سورة الحجرات
جانباً من نظرة الاسلام نحو البدو والهداوة كما تبين جهل هؤلاء البدو حقيقة
هذا الدين ، وهي في الوقت ذاته تشير الى تحسن أحوال قسم كبير منهم
بمخالطة بشاشة الايمان لقلوبهم فيها بعد ، ففي الآية ١٤ يقول الله سبحانه :
" قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فسي
قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئاً ان الله غفور رحيم " ،
ومرة أخرى فان تعبير القرآن الكريم بالأعراب على صيغة العموم لا يعنى بأي
حال عامة الأعراب مهما بلغوا من الجفاء ، فقد ذكر عدد من المفسرين أن
هذه الآية نزلت في نفر من بني أسد إحدى القبائل النجدية آنذاك - وليس
كل القبيلة فضلاً عن عموم الأعراب ، وقد قدم هؤلاء النفر المدينة في سنة
مجدبة مظهرين الشهادتين ، وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حال

(١) أبو السعود : ٥٩٤/٢ ، الشوكاني : ٣٩٦/٢ ، السعدي : ٢٨٦/٣ ، ٢٨٧ ،
سيد قطب : في ظلال القرآن : ٤٢ ، ج ١١ / ١٨ - ٢٠ .

قد وسهم : أتيهاك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وفلان هادفين من وراء ذلك الحصول على الصدقة ، والمنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدخول في الاسلام (١) ، وأن في لفظة " لما " التي تفهم التوقع ما يدل على أن القرآن يستشير في نفوس هؤلاء النفر ، والبدو عموماً في أى زمان ومكان ، نزعة الخير وحب الايمان ، ففي هذه اللفظة ما يشعر بإمكان حصول هذا الايمان بعد اطلاعهم على محاسن الاسلام وتذوقهم لحلاوة الايمان كما يشعر بأنهم آمنوا فعلاً فيما بعد (٢) ، وفي هذه اللفظة ما يطمئن أى ، دعوة تجديدية لهذا الدين بجدوى المحاولة مع هؤلاء البدو ودخول الايمان في قلوبهم متى ما استثيرت نزعة الخير فيهم ، ومتى ما كانت المحاولة معهم منظمة ليست عاطفية أو وقتية ، وقد وهم أحد الباحثين حينما ربط بين قلة الايمان مطلقاً مع الاسلام الظاهري في هذه الآية ، وبين حالة البدو الاجتماعية ما يفهم من كلامه أن الايمان الحقيقي لا يتطابق وحالة البداوة وما فيها من جفاء وظلمة ، وهو في هذا المجال يربط بين الحالة الاجتماعية للبدو وبين الحالة العقدية الأخلاقية على وجه الاطلاق وهو مالا يمكن الاقتناع به كما لا يمكن الاقتناع بربطه الذى قال عنه : انه وثيق بين الكفر والنفاق وحالة الهدو الأعرابية مطلقاً في آية التوبة السابقة (٣) ، ولا مجال للمقارنة بين الآيتين لأن آية التوبة نزلت في فئة من منافق الأعراب استحققت التعنيف والتبكيث والفضح ، بينما نزلت آية الحجرات في أولئك النفر الذين لجعلهم وروغبتهم في الايمان أدعوا لأنفسهم هذا المقام الذى هو أعلى مرتبة من الاسلام الظاهري ولما أنه لم يحصل لهم هذا المقام بعد - وعلم الله سبحانه حصوله منهم بعد ذلك - أدعوا

(١) أبو السعود : ١٨٠/٥ ، الشوكاني : ٦٧/٥ ، سيد قطب : ٧٢/٢٦٦ ج ٢/ص ١٤٤ ، محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، الطبعة الأولى ، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، الحاضرة ، نشر دار القرآن الكريم - بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ٥١/١٦

(٢) أبو السعود : ١٨١/٥ ، الشوكاني : ٦٨/٥ ، الصابوني : ٥١/١٦ ، ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدى رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ١٤٠/٧ : " وفى قوله : " ولما يدخل الايمان فى قلوبكم " أى وقت هذا الكلام الذى صدر منكم فكان فيه إشارة الى احوالهم بعد ذلك فان كثيراً منهم من الله عليه بالايمان الحقيقي والجهاد فى سبيل الله " .

(٣) مجلة العربي : العدد السابق ص ١٥ من مقال الدكتور الانصارى .

فى هذه الآية وعلموا أن ذلك لم يصلوا اليه بعد ، ولو كانوا فى مرتبة المنافقين لعنفوا وفضحوا كما فى سورة براءة ، وانما قال الله سبحانه لرسوله : " قل : لهؤلاء تأديبا لطيفا : " لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم " أى لم تصلوا الى حقيقة الايمان بعد ، وعليكم أن تعملوا على ترسيخ الايمان فى قلوبكم بما يقتضيه هذا الاسلام الذى سيحتسبه الله سبحانه لكم ولو كان ظاهريا ، ولا شك أن الله سبحانه بابرازه كرمه عليهم فى عدم نقصانه من أعمالهم شيئا ما بقوا على الطاعة والتسليم لله ورسوله انما يريد منهم أن يعتبروا هذا الاسلام هو المرحلة الأولية فى هذا الدين والتي سيقبلها الله منهم الى أن تستشعر قلوبهم الايمان والطمأنينة فيغفر الله لهم جهلهم فى هذه المرحلة ويعصمهم برحمته حيث يقبل توبتهم بعد أن يعلنوا صدقهم فيها (١) ، ثم ان القرآن بلسمته الحانية تلك يبين لهم حقيقة الايمان ويدعوهم اليها فى قوله سبحانه : " انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون " فهو كما ينفى عنهم صفة الايمان الكامل حال تشهدهم فقط فانه يهيب بهم فى الوقت نفسه أن يتصفوا بصفة المؤمنين بالله ورسوله الذين أتبعوا ذلك بعدم شك وارتياب بل ثبتوا على هذا الايمان المحض وأخذوا يزيدونه شيئا فشيئا الى أن وصل بهم الى مرحلة الجهاد فى سبيل الله لهداية البشر بعد أن حققوا الجهاد النفسى داخل جوانحهم فاستحقوا من الله سبحانه لوصف الصدق بمطابقة ما وقر فى قلوبهم بأعمالهم (٢) ، ويبدو أن هذه الآية بمدحها للمؤمنين بالله عز وجل قد استشارت فى نفوس هؤلاء البدو نزعة الغيرة والخير فى الوقت ذاته ، فتشهير احدى الروايات أنه لما نزلت هذه الآية جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون ، ولتأديبهم فى الجهل بحقيقة الايمان قال الله عز وجل : " قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله بكل شئ عليم " ولا شك أن التعبير بالتعليم فى قوله : " أتعلمون الله " كما يحمل فى

(۱) ابن كثير: ۲۲۰/۴ وقد رد فيها على البخاري في رأيه الذي يقول ان هؤلاء الأعراب منافقون يظهرون الإيمان، وانظر سيد قطب: ۷/۲۶۳ ص ۱۴۵.

(۲) ابن كثير: ۲۲۰/۴، ابن سعد: ۷/۱۴۰، ۱۴۱.

(۳) أبو السعود: ۵/۱۸۱.

مفهومة قسوة التأديب فانه يدل على التشنيع بعد هذا التماضى فى الجهل مع الله سبحانه الذى لا يطلع غيره ولا يجب أن يطلع غيره على حقيقة الايمان فى القلب لأن اثبات هذا الايمان ونفيه باللسان من باب تعليم الله سبحانه بما فى القلب وهو سوء ظن وأدب مع الله سبحانه باعلامه بما فى قلوبهم وهو الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وهو بكل شىء طيب ، وما العلم بما فى القلوب ان كانت سالحة أو فاسدة الا هبة فى علم الله الشامل المحيط^(١) ، ويكفى هذا تأديبا لهؤلاء البدو ، فاذا كان قصدهم من حلفهم بايمانهم وصدقهم المنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذ لهم واكثارهم للمسلمين بالمناجاة والنصرة ، وأنهم يستحقون على هذه المنة الثواب والثناء ، فان المنة لله عز وجل أن هداهم للإيمان اذا كانوا صادقين فى ايمانهم ، لأن الايمان - بما يضيفه من مكاسب ضخمة فى عالم الشعور والتفكير ، وفى عالم الجسد والأعصاب وفى جمال العمل والنشاط - هو كبرى المنن التى ينعم الله بها على عبد من عباده فى الأرض فهو أكبر من منة الوجود الذى يمنحه الله لهذا العبد ، ومن سائر المتعلقات به من نعم الرزق والصحة والحياة وغيرها ، ثم كرر الله سبحانه فى آخر السورة علمه بجميع المخلوقات واحاطته بجميع المكنونات ليقنع هؤلاء البدو ومن على شاكلتهم بسعة علمه سرا وعلنا ظاهرا وباطنا ولعلم الله سبحانه بما يؤديه التكرار من فاطية بقرع الأسماع والقلوب حتى تلين أو تقوم الحجة عليهم (٢) .

واذا علمنا أن سورة الحجرات يطلق عليها بعض المفسرين : "سورة الأخلاق والآداب" حيث قد أرشدت الى مكارم الأخلاق ، وفاضل الأعمال

(١) ابن سعدى : ١٤١ / ٢ ، سيد قطب : ٧م / ٢٦ ج ٢ / ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٢) ابن كثير : ٢٢٠ / ٤ ، وقد قرن بين تأديب الله سبحانه لهؤلاء الأعراب فى هذه الآية وبين تأديب رسول الله صلى الله عليه وسلم للأتباع بعد غزوة حنين حينما لم ينفلهم من غنائمها وصار فى نفوسهم شىء من ذلك فقال لهم : "يا معشر الأتباع ألم أجدكم غللا فهداكم الله بهي ؟ وكنتم متفرقين فالفكم الله بهي ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بهي ؟" - و اذا كانت كسب التفسير لم تحفظ لنا رد هؤلاء

وحيث أنها تستقل بوضع أساسات كاملة لعالم نظيف سليم رفيع كريم لقيام مجتمع مسلم يستند الى هذه الأساسات التي تكفل قيامه وصيانته في الوقت ذاته (١) اذا علمنا ذلك أدركنا الى أي مدى يدخل هذا التوجيه لهذه الفئة من البدو في اطار التنظيم العام والتوجيه الشامل للمجتمع المسلم الذي يركز عليه القرآن في أغلب آياته ، ومن هنا ينتفى أن تكون هذه الآيات قد قصدت أن تعامل هذا الصنف من البدو سواء الذين نزلت فيهم الآيات أو من يشبههم عبر فترات التاريخ معاملة المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكيد له بل عاملتهم معاملة المسلمين الذين لم يستحكم الايمان في قلوبهم فاستعملت معهم أسلوب التأديب الذي حفلت به آيات هذه السورة لتوجيه المؤمنين ، صحيح أنه كان أدبا قاسيا ولكنه كان بحجم الجهل الذي كان عليه هذا الصنف من الأعراب ، والذي قد يكون عليه فيما بعد من شابههم ، ولو كانت تعتبرهم منافقين لفضحتهم وفضتهم وأوردت مع الفضح والتعنيف نوع العذاب الذي يستحقونه ، ولضمنت الكلام ضهم مع الحديث العام عن المنافقين الميثوث في آي القرآن (٢) ، أو الحديث عن منافقي الأعراب خاصة الذي ورد في سورة التوبة . وان تضمن الكلام عن هذا الصنف من الأعراب ضمن التوجيه العام للمؤمنين في سورة الحجرات اضافة الى طول النفس الذي اتسمت به هذه الآيات في التأديب لهؤلاء الأعراب ومن يأتي بعدهم على شاكلتهم ليؤكد ما ذهب اليه بعض المفسرين من أن هذه الآيات تعتبرهم في عداد المسلمين الذين يرجى أن يخالط

■ الأعراب على هذا التأديب الرباني فانها قد حفظت لنا أنهم آمنوا فعلا بينما ذكرت المصادر رد الأنصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله آمن (أي أعظم منة وفضلا) ، سيد قطب : ص ١٤٧ .

(١) سيد قطب : م ٧ / ٢٦٦ / ص ١٢٥ ، محمد الصابوني : صفوة التفسير : ٥٣ / ١٦

(٢) ابن كثير ٢٢٠ / ٤ ، ابن سعدى : ١٤٠ / ٧ ، ولقد كان المنافقون يحذرون أن

الايمان بشاشة قلوبهم (١) ، وهى فى هذا الصدد تضع الاطار العام للتعامل من أى دعوة تجديدية لهذا الدين تجاه من هم على شاكلة هؤلاء الأعراب فى أى زمان ومكان ما يستلزم معه على أى مجرد أن يقف طويلا أمام هذه الآيات حتى يستطيع ضم هذا الصنف من الأعراب الى عداد المهتدين .

وتبين الآيات ١٢ ، ١٥ ، ١٦ من سورة الفتح جانبها آخر من نظرة الاسلام للبدو ، هذه النظرة التى تستند الى الطباع السيئة التى تتميز بها بعض فئات البدو والتى لم تتوافر لها سبل التقويم والترويض ، بل تهيأت لها سبل الانقطاع عن الله ، هذه الطباع التى من أبرز مظاهرها اثار الانشغال بالأموال والأهل والأولاد عن الجهاد فى سبيل الله ، واتباعهم لبداء الولاء والتأييد للأغلب فى منظورهم الغريب ، وهذا ما تؤكد عليه الآيات التاليفان حيث يقول سبحانه :
سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا .
يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً ، بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً (٢) ولئن كانت هاتان الآيتان قد نزلتا فى أعراب — قبائل حول المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلفوا عنه فى عمرة الحديبية (٣) ، فانهما تتجاوزان هذا السبب التاريخى بعموم لفظيهما وتصويرهما لهذه الطباع السيئة فى بعض فئات البدو وهن يظنون بالجماعة المسلمة عبر فترات التاريخ الظن السئ فيقعدون عن الجهاد فى سبيل الله معها متعللين بأموالهم وأهليهم — رغم أن كل الناس لهم أموال وأهل — وهم

= تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم من الكيد للاسلام وأهله فأنزل الله فيهم عدة آيات تكشفهم وتفضحهم كالأيات التى فى سورة النساء ، وسورة التوبة التى تسمى الفاضحة حيث فضحت أساليبهم فى أكثر من موضع وغير هاتين السورتين ، إضافة الى سورة كاملة باسمهم هى سورة المنافقين .

(١) ابن كثير : ٢٢٠/٤ ، أبو السعود : ١٨١/٥ ، ابن سعدى : ٢٤٠/٧ ، سيد قطب : ٧٢/٢٦٦ ص ١٤٥ .

(٢) سورة الفتح : آية : ١٢ ، ١٥ .

(٣) ابن كثير : ١٩٠/٤ ، أبو السعود : ١٥٨/٥ ، الشوكانى : ٤٨/٥ ، الصابونى : ٣٤/١٦ .

فى هذا المجال لا يتركون أى وسيلة قد تنطلى على الجماعة المسلمة أهدافها الا وأبرزوها مؤكدين صدقهم فهم يستغفرون ويطلبون أن يستغفر لهم لعل هذا الاستغفار يبرزهم عادقين فى أنهم موالون لأى دعوة لهذا الدين عبر مراحل التاريخ بغض النظر عن صدق هذا الاستغفار أو كذبه ، ولا شك أن هذه الفئة من الأعراب وأشباهاها فى كل زمان ومكان يقعدون عن تأييد أى دعوة ، اعتقاداً منهم بعدم الغلبة لأصحابها عندما يبدولهم ذلك فى تصورهم المحدود أو اعتماداً منهم على بروز قوة الباطل الظاهرة (١) ، وهكذا تظن هذه الفئة من الأعراب أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون فى عرة الحديدية الى أهلهم أبداً فهم سيقتلون ويستأصلون من قبل قريش وأحلافها ، ويظن أمثالها فى كل زمان ومكان أن لن ينقلب المؤمنون الى أهلهم أبداً اذا واجهوا الباطل المنتفش بقوته الظاهرة ، ولهذا فهم يتجنبون تأييد الجماعة المسلمة على مر التاريخ حبا فى السلامة يقينا منهم باستئصال شأفة هذه الجماعة من قوى الأرض المعادية ، واذا خيب الله ظنهم ، وقلب موازين القوى لصالح بنى حزمه واختصهم بمغانم كثيرة يأخذونها فانهم يفضون على المجاهدين أن لم يشاركوهم الغزوة التى فيها غنائم (٢) ، وقول الله سبحانه : " سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعوننا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدونا بل كانوا لا يفقهون الا قليلاً " (٣) هو من علم الله سبحانه بحالم يكن وسيكون ذلك أن هذه الفئة من الأعراب بمجرد سماعها اختصاص غنائم خيبر بأهل الحديدية من بايعوا رسول الله على القتال فى سبيل الله تحت سمرتها ، بمجرد سماعها خبر الغنائم والأموال رغبت رغبة شديدة فى اتباع المسلمين للحصول منها لكن الله سبحانه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشد أمانهم حبل اليأس باستحالة خروجهم مع المسلمين الى خيبر لأن فى خروجهم مخالفة لأمر الله وتدبيره من قبل

(١) سيد قطب : م ٧ / ج ٢٦ / ص ١٠٥ .

(٢) سيد قطب : م ٧ / ج ٢٦ / ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٣) الفتح : آية ١٥ .

فى اختصاص غنائم خيبر بأهل الحديبية مهما أشاعوا فى الناصر اتصاف النسبى وأصحابه بالحسد ، هذه الاشاعة التى كانت ناشئة عن عدم فقههم فى الدين بل فى الأمر كله الا قليلا منه وهو الحرص على الفنائم وأموال الدنيا (١) .

وعلى أى حال فرغم أن هذه الآية قد نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا السبب التاريخى المعروف لتريه كيف يكون التعامل مع هذه الفئة من الأعراب ، فانها تتجاوز هذا السبب لتصور طبيعة من طباع بعض فئات البدو عبر التاريخ - هذه الطبيعة التى تستند على الجشع والطمع وإثارة الأموال ، ثم هى فى الوقت ذاته تبين الأسلوب الذى ينبغى أن يعامل به من هم على شاكلة هؤلاء الأعراب لترويضهم على الاتباع لأى دعوة اصلاحية لا لمجرد الحصول على الأموال أو أى عرض من أعراض الدنيا بل لما تمنحه من هدى وخير وصلاح ، مع عدم امساك اليد عن الانفاق عليهم لاستيالة قلوبهم نحو الأهداف الخيرة (٢) .

ومرة أخرى كما فى سورة الحجرات نلمس طريقة القرآن الكريم فى التربية لئلا هذه الفئة من الأعراب وذلك فى قوله سبحانه :
" قل للمخلفين من الأعراب استدعون الى قوم أولى بأمر شديد تقتالونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا ، وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما " (٣) . واذا كان القرآن قد كرر ذكرهم بهذه الصفة " المخلفين من الأعراب " مبالغة فى ذمهم وتشنيعا لتخلفهم فانه قد منحهم الفرصة لمراجعة النفس والانخراط فى سلك الجهاد فى سبيل الله لمقاتلة أعداءه

(١) ابن كثير : ١٩٠ / ٤ ، أبو السعود : ١٦٠ / ٥ ، الشوكاني : ٥٩٧ / ٥ ، ابن سعدى : ١٠٠ / ٧ ، سيد قطب : ص ١٠٧ .

(٢) ان نظرة فى تاريخ العلاقات بين بعض فئات البدو والمحاولات التنظيمية الوطنية تؤكد بعد نظر موقف الاسلام من البدو ان ما ان وطئت قدما محمد على باشا أرض الجزيرة العربية للقضاء على الدولة السعودية الأولى وأغرى بعض فئات البدو بالمال للتحويل عن الولاة للدولة السعودية حتى انضوى تحت لوائه أو تحول عن الولاة لآل سعود وأثر السلامة على الأقل عدد من قبائل شبه الجزيرة .

(٣) سورة الفتح : آية ١٦ ، سيد قطب : ١٠٨ .

الاسلام سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، وسواء كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في عهود خلفائه أو في أى عهد من عهود الاسلام اللاحقة ، ولهذا فليس بذى قيمة كبيرة اختلاف المفسرين فى من هم القوم أولوالبأس الشديد وهل هم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم فى عهود خلفائه من بعده وان كان الأولى والأقرب أن يكون المقصود به فى عهد صلى الله عليه وسلم لتؤدى هذه الآية دورها فى امتحان هؤلاء الأعراب حول المدينة وليلمح صلى الله ايمان من كان منها على درجة من الايمان ويحقق من كان مترددا أو منافقا أو كافرا ، وبذلك يكون ما يتمخض عنه هذا الامتحان واضحا للأجيال اللاحقة . والله سبحانه فى هذه الآية يهيب بهم أن ينسوا ماضيهم فى التخلف ويلبوا داعى الجهاد ليؤتيهم أجرا حسنا - غنيمة ونصرا فى الدنيا ، وجنة فى الآخرة - والا فان العذاب سيكون ألينا مؤلما - أسرا وقهرا وقتلا فى الدنيا ونارا فى الآخرة - اذا حنوا الى تخلفهم فى الحديدية فتخلفوا مثله ، وذلك لتضاعف الجرم ، وتكرار الخطيئة (١) ، ولكن الآيات فى هذه السورة ، وهى تطهير النفس مع هؤلاء المخلفين من الأعراب فان ذلك راجع الى علم الله - والله أعلم - فى توفر عنصر الخير فى هذه الفئة من الأعراب ، وأنهم مادة طيبة من مواد الاسلام وعنصر مهم من عناصر انتشاره فى العالم كما هو الحاصل فى أواخر العهد النبوى وبعده من عهود نشر الاسلام ، ومن هنا فان التكرار مع هؤلاء المخلفين بمكاشفة نفوسهم لهم وللمؤمنين هو أسلوب من أساليب بيانه القرآن للنفس ، وعلاجه للقلوب بالتوجيهات الربانية الى قواعد السلوك الايمانى القويم (٢) ، ولهذا فان هذه الآية - وغيرها من آيات القرآن التوجيهية - تتجاوز السبب التاريخى الذى نزلت من أجله ليكشف الباحث من خلالها نموذجا حيا من نماذج نظرة الاسلام الشاملة نحو الهدو ، هذا النموذج الذى يرمى الى توجيه أى صاحب دعوة تجديدية لهذا الدين أن لا ييأس من تكرار المحاولة مع أبناء البادية لهم

(١) ابن كثير : ١٩١/٤ ، أبو السعود : ١٩٠/٥ ، الشوكانى : ٥٠/٥ ، ابن سعدى : ١٠١/٧ ، الصابونى : ٣٦/١٦ ، وعن الملاحظة على هذا الاختلاف : سيد قطب م ٧/ج ٢٦/٥٨٨
(٢) سيد قطب : الجزء السابق والصفحة السابقة .

الى دعوته باعتبارهم قوة معنوية لا يستهان بها متى ما أحسن توجيههم التوجيه الاسلامي الصحيح من غير تعصب أو غلو أو تطرف.

وعلى الجانب الآخر من أسلوب الحياة البدوية في توافر عنصر الخير في هذه الحياة يمتدح القرآن الكريم في قوله سبحانه: "ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا أنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم" (١) يمتدح قسما من البدو آمن بالله سبحانه وآمن بيوم البعث والنشور ولم يكتف بهذا الايمان فحسب بل قرنه ببذل سخى بمصاحبة نية صادقة بالتقرب بهذا البذل لله سبحانه لا كما يفعل الفريق الأول الذي لا يريد أن ينفق وإذا أنفق رياء وسمعة اعتقد أن ذلك مغرما وخسارة ، ان هذا الفريق الخير وهو ينفق من ماله لتقوية جانب المسلمين ، وتحقيق التكافل الاجتماعي فيما بينهم يحرص أشد الحرص بالاضافة الى توفر النية الصالحة في الاحتساب بهذا الانفاق وجه الله ما يكون سببا في التقرب الى الله عز وجل - أن يجعل ذلك وسيلة الى دعاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتبريكه لهذا بالقبول لأن ذلك دلالة على رضاه - صلى الله عليه وسلم - المنهني على رضى الله عز وجل وقبوله (٢) ، ثم يسارع القرآن بتضمينه الكلام أداتى ألا وان اللتين تفيدان التنبيه والتحقيق ليقرر لهذا الفريق أن هذه القرى مقبولة عند الله ، وهذه شهادة من جناب الله عز وجل بسلامة نية هؤلاء الأعراب ، وتحقيق رجائهم من دعاة الرسول لهم بعد أخذه نفقاتهم ، اضافة الى أن تنكير القرية يفيد التفخيم المعنى عن الجمع أى قربة عند الله عظيمة لا يعلم كتبها الا هو سبحانه الذى

(١) سورة التوبة : آية ٩٩ .

(٢) كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ، ولذلك سن لقابض الصدقة سواء لنفسه أو لغيره أن يدعو للمتصدق عند أخذه صدقته ولكن ليس له أن يصلى عليه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صلى على آل أبى أوفى لأن ذلك من خاصيات الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله يسمع عليهم" التوبة آية ١٠٣ . أبو السعود ٢/ ٥٩٥ ، الشوكاني ٢/ ٣٩٦ .

سيجعلها قرينة لهم لأن هذا غاية قصدهم من التقرب بها الى الله والحرص على دماء الرسول بعدها ، ثم ان في هذه اللفظة مجتمعة : " ألا انها قرينة لهم " من جزالة اللفظ ما يؤكد عظم هذه القرينة عنده عز وجل مما يستلزم معه احاطتهم برحمة الله الواسعة وتحققها من الله سبحانه بتوفيقهم لطاعته مع غفرانه لذنوبهم لحرصهم على الاستفادة من أعمالهم الصالحة استفادة المؤمن الذي يريد أن يكسب منها في حياته الأخرى رحمة وغفرانا من الله لا كاستفادة المنافق أو المتردد أو الكافر الذي يريد أن يكسب منها في حياته الدنيا ويتمتع بها كما تتمتع الأنعام فقط (١) .

وان في لفظة " من الأعراب " التي تعني من جنسهم على الإطلاق من الشمول والعموم ما يجعلها تعم كل أعرابي سواء كان عربيا أو غير عربي في أي زمان ومكان متى ما توافرت الدواعي التي جعلت هذا الفريق من الأعراب يحظى بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبول الله لأعماله الصالحة (٢) ، ومن هنا فان هذه اللفظة تجوز بهذه الآية من سببها التاريخي الذي ذكره بعض المفسرين (٣) الى عالم أكثر شمولاً وعموماً ليدخل في نطاق مدحها كل من خالط الايمان بشاشة قلبية بغض النظر عن أسلوب حياته الاجتماعية ، وهي في هذا المجال تؤكد أن ليس كل من كان أعرابيا فهو مذموم فالله سبحانه معبود في كل مكان وزمان ، ومتى ما أحسن استغلال فطر أبنائه البادية ووجهوا التوجيه الصحيح أمكن ادخالهم في عموم هؤلاء المدحيين ، وفي هذا المجال

(١) أبو السعود : ٥٩٥ / ٢ ، الشوكاني : ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ابن سعدى : ٢٨٧ / ٣ ،

٢٨٨ ، سيد قطب : ٤م / ١١ ج / ٢٠ ص ، محمد الصابوني : ٥ / ٤٤ .

(٢) أبو السعود : ٥٩٥ / ٢ .

(٣) ذكر أبو السعود والشوكاني في تفسيريهما أن هذه نزلت في عهد الله ذي الجاديين

وقوم من بني مكرن من مزينة وقيل هم الذين قال الله فيهم : " ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون " التوبة آية : ٩٢ وقيل نزلت في أسلم وغفار وجهينه .

أبو السعود : ٥٩٦ / ٢ ، الشوكاني : ٣٩٧ / ٢ .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدى فى تعليقه على هذه الآية : " وفى هذه الآية دليل على أن الأعراب كأهل الحاضرة منهم المدوح ومنهم المذموم ، فلم يذمهم الله على مجرد تعريضهم وباديتهم ، انما ذمهم - ويقصد فى الآية السابقة لهذه الآية - على ترك أوامر الله ، وانهم فى مظنة ذلك (١) .

وهكذا يتبين لنا أن النظرة القرآنية للبدو والبدواة - وهى أساس النظرة الاسلامية الشاملة فى كل القضايا - لم تنظر الى فئة الأعراب من زاوية قول الله تعالى : " الأعراب أشد كفرا ونفاقا " فقط وان كانت قد شملت قسما منهم بهذه النظرة لوجود ما يستدعى اطلاق هذه الصفة ، بل نظرت اليهم من زاوية قوله تعالى : " ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله . الآية " طمحا أن التدبر فى آيات القرآن التى تحكى هذه النظرة القرآنية بقسميها تعطى الباحث النصف الحق فى أن يرى تغليب النظرة التى ترى فى البدو عناصر من الخير أكثر مما فيهم من عناصر الشر والجفا والغلظة ، وان كان ذلك فى عموم وإيجاز - على طريقة القرآن الفريدة - تاركة هذه النظرة القرآنية هذا المجال مفعلا للسنة النبوية بأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته وأوصافه لتفصيل النظرة الاسلامية الشاملة نحو البدو والبدواة ، ومن هنا ينتفى الرأى الذى يقول ان الايمان الحقيقى الذى يتطلبه الاسلام لا يتطابق وحالة البدواة وما فيها من جفاً وغلظة (٢) ، لأن هذا الرأى ناشئ من عدم فهم لفهوم قوله تعالى : " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا " الآية ، هذا فضلا عن عدم الالمام بسببها التاريخى الذى مر ذكره .

وانطلاقاً من ذلك فان السنة النبوية بمختلف صورها تعطى وضوحاً أكثر وتفصيلاً أوفى لنظرة الاسلام الشاملة نحو البدو والبدواة فحينما يكون سكونى

(١) تيسير الكريم الرحمان : ٢٨٨ / ٣ .

(٢) مجلة العربى : عدد سابق ص ١٥ .

البادية مدعاة للجفاء في الدين والغلظة والبعد عن مراكز العلم والاصلاح والنفور منها فان الاسلام يدعو الى التحضر ومحاورة البداوة من جانبها السلوكي السيئ الذي يدفع باهل البادية الى الانشغال بباديته عن معرفة أبسط قواعد الدين ولعمل هذا هو مفهوم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من بدا جفا . . الحديث" ، وفي رواية: "من سكن البادية جفا . . الحديث" (١) ورغم التصريح بلفظ السكنى في البادية فان المقصود فيها يبدو - والله أعلم - ما يسببه هذا السكنى في البادية من المظاهر السلبية على السلوك الاجتماعي البدوي نتيجة البعد عن المراكز الحضرية ، ولا شك أن هذا الحديث يعني اذا تغلبت الجوانب السيئة في هذا السلوك الاجتماعي على ساكني البادية وهو في هذا المجال يتجاوز هذه الحالة ليشمل كل من تغلبت لديه الطباع السيئة للبدو سواء سكن البادية أم لا ، لأن من معانى " بدا " من اتصف بالبداوة ، وصار فيه جفاء الأعراب (٢) ، ثم ان هذا الحديث فيها يبدو - كان يعالج حالات فردية وان لم يتضح ذلك من سياق الحديث ، ويبدو أن ذلك أيضا كان في بداية الاسلام حينما كان بحاجة الى من يتفهم تعاملهم ويقوم بنشرها بين الناس ، وهذا يتعارض مع كون قسم كبير من الناس بادون في الأعراب ، ولا يمكن بحال أن يفهم من هذا الحديث على أنه ذم مطلق لحالة البداوة لأن هذا أيضا يتعارض مع أقول الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وأوصافه التي حوت مدح البداوة والتركيز

(١) ورد هذا الحديث بهذين اللفظين وتكلمته بعدهما كل على روايته : " من بدا جفا ، ومن تبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازداد عد من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ، رواه الامام أحمد في مسنده بسند حسن ٢ / ٣٧١ ، ٤٤٠ ، ٤٩٧ / ٢٩٧ ، ورواه كذلك مع أبي داود والنسائي بلفظ : " من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان افتتن " المسند ١ / ٣٥٧ ، سنن أبي داود ٣ / ٢٧٨ ، سنن النسائي ٧ / ١٩٥ ، ١٩٦ ، وانظر : الشوكاني : التفسير ٢ / ٣٩٧ وقد تكلم في سنده ، وانظر أيضا الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ٢٦٧ وقد أثنى على سنده .

(٢) الزبيدي : تاج المرويس ١٠ / ٣٢٠ .

على الجانب الخير فيها (١) .

ولا شك أن الاسلام عبر هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تضمنت النهى عن التعرب بعد الهجرة (٢) وهو انتقال المهاجر من البلد السنى هاجر اليها فينمزل عن المجتمع المسلم ويعيش في البادية منقطعا عنه . لا شك أن الاسلام عبر هذه الأحاديث وغيرها انما يضع الجذور الأولى لتوطين البدو وتحضيرهم سلوكا لا أسلوب معيشة فقط لأنه لا يريد من البدو ترك باديتهم بقدر ما يريد منهم أن لا ينمزلوا عن المجتمع المسلم ومن هنا جاء الثناء على التبدوى ضد حلول الفتن حينما تكون الظواهر الاجتماعية في أى مجتمع خضري خطر على سلوك المسلم ومعتقداته (٣) .

(١) قمت بجمع عدد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمهات الست وسنن الدارمي ، وسند أحمد بن حنبل ، وموطأ مالك ، وسواء تلك التي تدم حالة البداوة - بالنظر لسلباتها طبعاً - أو تلك التي تشي على هذه الحالة - بالنظر لدواعي هذا الثناء - إلا أن عرضها والتعليق عليها يتطلب مجالا أوسع من هذه النبهة عن نظرة الاسلام نحو البدو والبداوة والتي أردت اثباتها في هذا الفصل لتكون هي وجهة نظري في الحديث عن بادية نجد في هذا البحث بالملء نظرا لحساسية البحث في الحياة الاجتماعية لدى البادية .

(٢) مثل حديث الكباثر والتي ورد منها : " التعرب بعد الهجرة وفراق الجماعة " وان كان علماء الاسلام قد اختلفوا في مفهوم الكبيرة في الاسلام ومسمى خطورة بعضها على معتقد المسلم ، وتفاوت هذه الخطورة من كبيرة الى أخرى ومنها : " لعن الله آكل الربا وموكله " . الحديث وفيه : " والمرتد بعد هجرته أراهيا " . انظر (فتح الباري ٢٥ / ٣٣٦ / ٣٣٧ / ٢٧ / ٤٧) .

(٣) روى البخاري : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " ، ويروى الامام أحمد في مسنده أن شهاب بن مداح نزل البادية فسأب ابنه رجلا فقال يا ابن السدي تعرب بهذه الهجرة ، فأتى شهاب المدينة فلقى أبا هريرة فسمعه يقول ، قال : رسول الله صلى الله عليه : أفضل الناس رجلا ن رجل غزا في سبيل الله حتى يهبط موضعا يسوء العدو ، ورجل بناحية البادية يقيم الصلوات الخمسين

ولقد كان الصحابة انطلاقاً من هذا النهي عن الانعزال في البادية يعمدون من رجع من دار هجرته الى باديته من غير عذر مقبول كالمرتد تماماً يستحق المحاربة (١) ، وكل هذا خوفاً من أن تسيطر الأفكار السيئة عليه في باديته فيصبح خطراً على المجتمع المسلم ، ونتيجة لذلك فقد كان كل من يريد منهم أن يسكن البادية يستأذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستوثق الرسول من مدى تطبيعته لأحكام الاسلام في البادية - وخاصة أداء الزكاة - وعدم انعزاله عن المجتمع المسلم ، وقد أخذ العلماء من ذلك أن الهجرة ليست واجبة الا على من أطاقها أما من لم يطقها كالأعرابي المشغول بباديته وما شئت فانها ليست واجبة عليه بشرط الاستئذان من ولي الأمر بعد المبايعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (٢) .

-
- = يؤدى حق ماله ويمعبد ربه حتى يأتيه اليقين فجثا على ركبتيه قال : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة يقول قال نعم فأتى باديته فأقام بها . (انظر ابن حجر: فتح الباري ٤٨/٢٧ ، ٤٩ ، ٥٢٢/٢ المسند : أحمد : ٥٢٢/٢)
- (١) فتح الباري : ٤٧/٢٧ ، عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة . مؤسسة الأمل للطبوعات . بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ص ١٠٤ ، مجلة العربي العدد السابق ص ١٤ ، ١٥ .
- (٢) روى البخارى وسلم وغيرهما عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحجاج ابن يوسف فقال : يا ابن الأكوع ، ارتددت على قهيك . تعربت؟ قال : لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي في البدو ، كما روى البخارى وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فقال : وحك : ان شأنها شديد فهل لك من اهل تؤدى صدقتها ، قال نعم ، قال فاعمل من وراء البحار فان الله لا يترك من عطفك شيئاً . (ابن حجر : فتح الباري ٧١/٧ ، ١١٥ / ٦٠ ، ١١٧/٢٢ ، ٣٦٢/٢٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٣ ، الامام أحمد : المسند ٣/٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٥٥/٤ ، سنن أبي داود ٦/٣ ، سنن النسائي : ١٤٣/٧ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٢)

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذم اخلاص الحاضرة الى الزرعة تشاغلا بها عن الجهاد في سبيل الله وذلك في حديث العينة المشهور (١) ، فانه في المقابل قد ذم انعزال البدو وتشاغلهم برعى ابلهم وماشيتهم عن متابعة تعاليم الدين وأداء واجب الجهاد في سبيل الله عندما يفزوا المسلمين أعدائهم وذلك في الحديث الذي يرويه الامام أحمد في مسنده وفيه : " يفترق المسلمون ثلاث فرق فأما فرقة فيأخذون بأذناب الابل ، وتلحق بالبادية وهلك ، وأما فرقة فتأخذ على أنفسها فكفرت فهذه وتلك سواء ، وأما فرقة فيجعلون حيالهم خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلهم شهداء ويفتح الله على بقيتها " (٢) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يذم في هذا الحديث أسلها من أساليب المعيشة لدى البدو وهورعى الابل لا لذاته فهو مدح ولكن اذا اتخذ ذريعة للانشغال عن أداء واجب الجهاد اذا غزى المسلمون في عقر دارهم ، كما أن القطون في البادية هروبا من أداء هذا الواجب يعتبر في نظر الاسلام مذموما لأن فيه تشاغلا عن المسلمين بالابتعاد عنهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم ان يخص رعى الابل بذلك من دون بقية العواشي لما يتصف به راعى الابل من خشونة وفخر وخيلاء قد يمنعه نفسيا من اجابة أى

جميع

- (١) العينة أن شيطان من غيره بثمن مؤجل ويسلمه للمشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر يدفعه نقدا أما حديثها فهو عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم (وفي رواية تعلقتم - وفي رواية التبعتم) أذناب القروهميتهم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه الله منكم حتى ترجعوا الى دينكم " وفي رواية لأحمد وتتهون الى الله وواضح من هذا الحديث أن حلول الذل ليس لمجرد الزرع والحرق بل الانشغال بهما عن التدريب على القوة وأداء الجهاد في سبيل الله ، اضافة الى ما يلحق المزارع من حقوق وديون وخراج وعشر قد لا يستطيع القيام بها فيصيبه الذل والا فالقيام على الزرعة أمر محمود في الاسلام كما قال صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم يفرس غرسا أو يزرع زرا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة " (فتح الباري : ٦٧/٩ - ٢٢٠٦٩ / ٢٢٣ / ٢٢٤ ، وعن حديث العينة : الامام أحمد : المسند ٨٤ / ٢ ، سنن أبي داود ٢ / ٢٤٠٧٤١ الألباني : الأحاديث الصحيحة ١ / ١٦٠١٥ ، ١٧)
- (٢) الامام أحمد : المسند : ٤٥ / ٥ .

داع (١) كما أن رعى الأهل كذلك يتطلب انقطاعا عن المجتمع بعدا في المكان والزمان لأن الأهل لا تكفيها الرعاى القريبة ، إضافة الى أنها تمكث في الرعى أيما فتجعل راعيها في معزل عن المجتمع فيؤثر هذا على درجة جفاكه ، هذا بخلاف رعى الغنم وبقية المواشى الذى يضى ولينا على مستهنة ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قد زاول مهنة رعى الغنم بل لم يبعث نبي الا ورعى الغنم كما قال صلى الله عليه وسلم ما أكسبه وأكسبهم جميعا عليهم الصلاة والسلام حلما وشفقة على أممهم والناس أجمعين (٢) .

وفى مجال تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض طادات الهندو نهيه عن معاقرة الأعراب فى قول ابن عباس رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الأعراب ، وفى رواية : " المتباريان لا يجابان ولا يؤكل طعامهما " وفى رواية : " لا تأكلوا من تعاقر الأعراب فأنى لأمن أن يكون ما أهل به لغير الله " وفى رواية : " لا عقر فى الاسلام " وتتخلص هذه العادة السيئة فى أن يتبارى رجلان فى الجود والسخاء فيعقر هذا عددا من الأهل ويحقر الآخر مثله ويظلان يتزايدها حتى يحجز أحدهما الآخر وكانوا يفعلون ذلك رياء وسعة وتفاخرا وسهاة ولا يقصدون بذلك وجه الله فشبههم بما ذبح لغير الله ، وقد يكون سبب التحذير منه دخوله فى جطة ما نهى الله عنه من أكل أموال الناس بالباطل ، والتحذير الشديد الذى نهى الله عنه (٣) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٠ / ٢ - ٣٤ .

(٢) روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال نعم كنت أراها على قراريط لأهل مكة " . وقد فصل ابن حجر فى شرحه على هذا الحديث :

(١٠ / ٥ ، ٦)

(٣) أبو داود : السنن ٢٤٦ / ٣ ، وأورد فى ١٣٢ / ٤ بلفظ التبارى ، الزبيدى التاج : ٤١٥ / ٣ ، مادة عقر ، الألبانى : الأحاديث الصحيحة ٢٠٢ / ٢ ،

ويبدو أن من أسباب تحريم المعاقرة كذلك أنه قد جرت عادة بني الأعراب أن يعقروا عددا من الأهل على قبور موتاهم مكافأة لهم براحة في قبورهم ان الفكرة أنه لما كان صاحب القبر يعقر الأهل ثم يذهبها (١) ، للأضياف في حياته فينبغي مكافأته بمثل صنيعه بعد وفاته .

وعلى أي حال فرغم تعدد الأسباب الموجبة لهذا التحذير فان التفاخر والمكارمة تبقيان الهدف الرئيسي من وراء هذا التحذير لأنها مرتبطتان بمادة رئيسية من عادات البدو وهي الكرم الذي قد يجبر بهذه المفاخرة والمكارمة نزاعات ومشاحنات ربما تطورت الى حروب لأن المعجز من مثل هذه الحالة يعتبر مسبة في أوساط المجتمع البدوي ، وهي قديمة في الأعراب في الجاهلية بل قد استمر التنافس فيها حتى بعد الاسلام لدى فئة من البدو لم تستطع قلوبهم التفاخر مع هذا التحذير الشديد عنها (٢) ، بل بقيت لدى فئة من البدو حتى عصرنا الحاضر عنوانا للكرم ودلالة على الجود والسخاء (٣) ما جعلهم يتشبهون بها رغم تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم عنها ومن تشجيعها ، أما عقر عدد من الأهل أمام القبور فيبدو أن الاسلام أزالها لأنها تتعلق بأمر لا مجال للتهاون فيها لأثرها البالغ على معتقد الانسان ، ولأن العلم بالنهي عنها ما يعلم من الدين بالضرورة ، ولا يعذر في الجهل به بعد مجيء الاسلام .

(١) أصل العقر كشف مرقوب البعير وربطه أو فعل أي شيء بها حتى تنقسط فينحرها يتمكن ثم أطلق على النحر ، وقيل ان العرب في جاهليتهم كانوا اذا أرادوا نحر الأهل عقروها بقطع أحد قوائمها حتى لا تشرد ثم تنحروا وقد نهى الاسلام عن ذلك في كيفية نحر الأهل . الزبيدي : ٤١٥ / ٣ .

(٢) ذكر الزبيدي في التاج : أن غالب بن صعصعة أبا الفرزدق الشاعر طاق بصوار قرب الكوفة - سحيم بن وثيل الرياحي ، فعقر سحيم خسا من الأهل ثم بداله وعقر غالب مائة وفي هذا يقول جرير هاجبا الفرزدق بأبيه بذي بيه المدح حيث قال :

لقد سرنى ألا تعد مجاشع : من الفخر إلا عقر نسيب بصوار

الزبيدي : التاج ٤١٥ ، ٣٢٢ / ٣ مادة صوار ، وعقر .

(٣) لكن ذلك ليس في مستوى الأعراب في جاهليتهم الا أنه تبار على اكرام الضيف والصديق مقرونا بالتفاخر والتزايد في عدد ما يذبح من المواشي فاذا قدم ضيف أو صديق فان من يكرمه لاحقا يحرص على أن يزيد من سبقه أو لا يقل عنه وكل هذا من باب التفاخر والتباري بالكرم .

وإن رآك من الإسلام بوجود فوارق اجتماعية سلوكية بين الحاضرة والبادية ناشئة عن اختلاف أسلوب حياة كل منهما عن الآخر، وجهل البدوي بأسلوب التعامل بين الحضرة فقد ورد في الحديث عدم جواز قبول الشهادة من بدوي على حضري كما روى ذلك أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية " (١) .

وقد علل هذا النهي بعض العلماء لما فيهم من الجفاء في الدين والجهالة بأحكام الشرع مما يترتب عليه عدم ضبطهم الشهادة على وجهها وعدم اقامتها على حقها وتحملها وأدائها بخير زيادة ولا نقصان ، وعلل بعضهم ذلك باحتمال بعدها عن الحقيقة تحاملا على الحضري أو تعاطفا معه حتى ألحق الريبة الإمام مالك رحمه الله بكل من أشهد بدويا وترك جبرته من أهل الحضرة، وقال الإمام أحمد رحمه الله : أخشى ألا تقبل شهادة البدوي على صاحب القرية لهذا الحديث (٢)

(١) ابن ماجة : السنن ٧٩٣/٢ حديث ٢٣٦٧ ، أبو داود : السنن ٢٦/٤ ، ٢٧ حديث رقم ٣٦٠٢ وانتهى محققها على رجال أسناده بقوله : احتج بهم مسلم في صحيحه ، وقد أورد الحديث : الزبيدي في التاج ٣٢/١٠ ، مادة بدا ، وانظر مجلة العربي : العدد السابق ص ١٥ وصحيفة الجزيرة عدد ٣٣٥٣ ، الأحد ١٢ محرم ١٤٠٢ هـ / ٨ نوفمبر ١٩٨١ ص ١٧ فتاوى اسلامية .

(٢) أبو داود : المصدر السابق ٢٦/٤ من حاشية المحقق ، الزبيدي : المصدر السابق ٣٢/١٠ ، قائلا أن هذا مذاهب مالك والناس خلافه وليس كذلك أن هناك من يرى هذا الرأي غير الإمام مالك ، وانظر صحيفة الجزيرة العدد السابق والصفحة السابقة والعربي العدد السابق ص ١٥ وعلل صاحب المقال أخذ الإمام مالك بهذا الرأي لأنه بحكم البيئة أقرب إليه الفقيه إلى فهم الطبيعة الأعرابية البدوية مع العلم أن الإمام أحمد في رواية قد رأى هذا الرأي ، وهو أقرب من مالك في فهم هذه الطبيعة إلا أن هذا الرأي - سواء بالنسبة لمالك أو أحمد لا يعدو أن يكون تخريجا لهذا الحديث بغض النظر عن هذه التاويلات البعيدة .

وقد ذهب آخرون الى جواز شهادة البدوى على صاحب القرية اذا كان عدلا يقيم الشهادة على وجهها حاملين الحديث على من لا تعرف عدالتهم من أهل البادية أو من اشتهر بعد ما يرى منه معها ما يدعو الى رد شهادته وهم في هذا ينطلقون من حكم جيد بأن ليس كل أهل البادية جفاة بل فيهم من هو أرق عاطفة من كثير من أهل الحضرة، ويبدو أن عامة العلماء الذين رأوا هذا الرأي قد تركوا للقاضي فهم الطبيعة التي يكون عليها البدوى من غلظة أو رقة وتحامل أو تعاطف أو حياد مع الحضري حتى يمكن النظر في الشهادة من قبولها أو ردها كما في هذا الحديث^(١).

وعلى أى حال فالذى يظهر لى - والله أعلم - أن ليس في عدم قبول شهادة البدوى على الحضري ما يقدح في عدالته ان هناك فرق بين القدح في العدالة وبين عدم قبول الشهادة الذى له أكثر من مانع يمكن أن يدرج فيها اختلاف أسلوب الحياة بين الحضري والبدوى ما يجعل البدوى يجهل أساليب التعامل في الحاضرة فقد يخدع في استشهاد لا حقائق باطل أو ابطال حق، ففي هذا الحديث من دوحه للبدوى في الاعتذار عن الشهادة ألا يأتي بها على وجهها، والحديث بعد هذا وذاك يعطى الممرر لنظرة كل من البدو والحضر كل فريق نحو الآخر باختلاف أسلوب حياة كل منهما عن الآخر الذى لا يجب أن يبرر النظرة السيئة بين كل منهما ولا يجب أن يفهم من هذا الحديث تفذيتها لأن هذا ليس من أسلوب الاسلام الذى يريد أن تعيش فئاته الاجتماعية في وئام وتعاون مهما اختلفت أساليبها الحياتية.

وباعتبار توافر عناصر الخير في البدو وأكثر من عناصر الشر فقد زخرت السنة بأحاديث كثيرة تفصل نظرة الاسلام للبدو ومن هذه الناحية استنادا الى الآية الكريمة: "ومن الأعراب من يؤمن بالله" الآية، ونظرا الى أن فطرهم سليمة

(١) صحيفة الجزيرة العدد السابق الصفحة السابقة، وقد ذهب أحد في إحدى رواياته وعدد من الأئمة الى قبول شهادة البدوى على الحضري. محمد بن الحسين. الزوائد في فقهِ الإمام أحمد ط (٢) مطبعة البيان والفجالة الجديدة - القاهرة ٩٢٥/٢

فى الغالب لم تؤثر فىها أساليب الحضارة والترف فى الدنيا والاقبال عليها
ما يجعل نفوسهم مستعدة لقبول دعوة أى داع .^(١)

ولعل فى قصة البدوى الذى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
— ويروى أنه كان نجدياً — ما يؤكد صفاً فطرة ابن البادية وصراحته ، فقد
روى طلحة ابن عبيد الله قائلًا : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا نفقة ما يقول . حتى دنا فإذا هو
يسأل عن الاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات فى
اليوم والليله وذكر الصيام والزكاة قال فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على
هذا ولا أنقص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح ان صدق ، وقد
ورد مثل هذه الحالة فى رجال من البادية كلهم يقولون والله لا نزيد عليهم —
ولا ننقص منهم — والرسول يقول عن كل واحد منهم لئن صدق ليدخل الجنة ،
وفى أحد الحالات قال : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى
هذا^(٢) وجميع هذه الحالات تدل على قبول الحد الأدنى بأداء العبادة الواجبة
فى الاسلام من أبناء البادية ، وهى تدل على مراعاة من الاسلام للوضع الاجتماعى
للبدو وبالاكتفاء منهم بالتصديق بالدعوة وأداء أركان الاسلام وواجباته فقط^(٣)
نظراً لتوافر الفطرة السليمة فيهم ، وأهم أسرار نجاح التعامل وهو الصراحة فى
القول والوضوح فى العمل اللذين وان برزا فى صورة الجفاء والغلظة فانهما لا بد
وأن يظهر البدوى — ولو بعد فترة — على حقيقته فى ظهور الجوانب الانسانية
لديه متى ما استثيرت النزعة الخيرة فيه .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٣ .

(٢) ابن حجر : فتح البارى ١/ ١٨١ — ١٨٤ / ٨ ، ٢٣٤ / ٢٣٥ ، ١١٠ / ١١٠ / ٢٥ /
١٧١ ، ١٧٢ ، النووى : شرح صحيح مسلم ١٦٧ / ١٦٩ ، الامام مالك :
الموطأ ١٢١ ، ٢٢٠ . وعن الحالات الأخرى ، انظر : النووى المصدر السابق :
١٦٩ / ١ — ١٧٤ .

(٣) النووى : ١ / ١٦٧ .

والذى يبدو - والله أعلم - أن قبول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدد من أبناء البادية هذا الحد الأدنى من العبادات الواجبة منشأؤه ادراكه صلى الله عليه وسلم بتوفر الاستعداد النفسى لدى أبناء البادية لمتابعة تعلم وممارسة بقية شعائر الاسلام الواجبة والمندوبة واجتناب كل مانع عن الاسلام تحريما أو كراهة وذلك ان اعتقد بأصول الاسلام ومارس أركانه وواجباته العملية، ومتابعة لمواقف الهدى من هذا الدين تؤكد صدق هذا الادراك اذا اتبع أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم فى توجيه البدول لهذا الدين .

وتأكيدا من الاسلام فى مراعاته الحد الأدنى للعبادة الواجبة من البدو فى مراتبهم ، يروى أبو داود وابن ماجه بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله وتر يحب الوتر . أوتروا يا أهل القرآن ، فقال أعرابى : ما تقول ؟ ، فقال : ليس لك ولا لأصحابك ، وفى رواية ابن ماجه ، فقال أعرابى : ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ليس لك ولا لأصحابك .

وسواء كان الرد على الأعرابى من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من قبل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فقد أخذ من هذا الحديث عدم وجوب الوتر ان لو كان واجبا لكان الأمر عاماً^(٢) . وانذا كان الراجح هو أن الوتر سنة مؤكدة بدليل عدم ترك الرسول له لا فى الحضر ولا فى السفر فان فى هذا الرد على الأعرابى ما يدل على مراعاة الاسلام لوضع البدو فى كثرة الترحال فى قضية الوتر بأنه اذا لم يتجاوز عنهم فى الوتر فلا أقل من أن لا يؤكد سنيته عليهم - كما أكدها على الحضر ولو فى حال السفر ، أو أن الأمر قبل أن تتأكد سنيته بفصل

(١) أبو داود ١٢٧/٢ ، ١٢٨ ، وقد رواه بسنده عن علي بن ابي طالب بلفظ : يا أهل القرآن أوتروا ، فان الله وتر يحب الوتر ، وروى الزيادة عن ابن مسعود ، وانظر ابن ماجه ١/٣٧٠ .

(٢) أبو داود ١/١٢٨ من حاشية المحقق

(١)

رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حضرا وسفرا .

وعلى أى حال فهو مع الحديث الذى قبله - بحالاته المختلفة - يعطينا المعالم التى تهدىنا الى معرفة موقف الاسلام من البدو فى بداية دخولهم هذا الدين ، وهو موقف يحتاج من كل محاولة للإصلاح الاجتماعى فى صفوف هذه الفئة المهمة أن تستلهم المبادئ والدروس منه فى بداية طريق هذا الإصلاح بما يجمع بين روح العصر وأصالة الاسلام .

واهتماما من الاسلام بالحفاظ على طابع البداوة بوجهها الخير فى اكرام الضيف وإغاثة الملهوف مع أداء حق العبادة المالية والبدنية والاستعداد لداءى الجهاد ، فقد قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم تبوك بين الجهاد فى سبيل الله وبين حرص ابن البادية على إبراز الجانب الخير للبداوة وأداء واجب العبادة حيث قال : " ما فى الناس مثل رجل أخذ بعنان فرسه فيجاهد فى سبيل الله ويجتنب شرور الناس ، ومثل رجل باد فى غنمه يقرى ضيفه ويؤدى حقه " وهذا الحديث شبيه بحديث شهاب بن مدلاج الذى مر ذكره^(٣) ، وكلاهما يؤكدان على عظم أجر البدوى الذى يقيم شعائر الاسلام فى باديته ، ويؤدى مستلزمات التعامل الاجتماعى فى البادية من جانبها الحسن ، ويلتزم على عبادة ربه حتى يأتية اليقين وإذا كان حديث تبوك قد خص الرجل البادى فى غنمه فان حديث شهاب بن مدلاج قد عمم الثناء على البدوى بغض النظر عن نوع الرعى الذى يمارسه .

(١) لعل فى الحديث الذى روى فيه أن رجلا من أهل البادية سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل فقال باصبعيه هكذا مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل " لعل فى هذا الحديث ما يدل على تأخر تأكيد سنتها على البدو كما فى حديث ابن مسعود : " ليس لك " ابوداود ١٣١/٢ ، ١٣٢ ، النسائى ٢٣٣/٣ ، وقد أورد مسلم ٣٠-٣٣ بلفظ أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل ، وقد رواه فى أكثر من حاله .

(٢) الامام أحمد : المسند ٣١١/١ .

(٣) الامام أحمد : المسند ٥٢٢/٢ .

ويتأكد اهتمام الاسلام بالمحافظة على هذا الطابع بوجهه الخير بنظرته الى أن البداوة جزء مكمّل لحياة الحاضرة متى ما انقادت نفوس البدو الى هذا الدين، وفي هذا المجال فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم من تسمية البدو بالأعراب لما فيه من الإيحاء بالغلظة والجفاء والجهل التي تنتفي بالاهتداء بهدى الله إضافة الى أنه صلى الله عليه وسلم كان يحبه طعام البدو من لبن وأقط باعتبارهما من أهم أطعمة البدو التي لا تستغنى عنها الحاضرة، وفي هذا ما فيه من التكامل الاجتماعي بين البدو والحضر.

ولعل في قصة سلعة بن الأكوع التي مر ذكرها ما يدل على رغبة الاسلام ببقاء هذا الطابع البدوي بوجهه الخير، ذلك أن سلعة كأنه قد صار في نفسه شيء بسبب محبته للبادية وخوفه من كره رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك رغم أنه لـ في التبدوي، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن أزال هذا الخوف من نفسه سلعة بقوله: ابدو يا أسلم - الى أن قال: أنتم أهل بدونا ونحن أهل حضركم^(١).

ومما لا شك فيه أنه رغم أن هذا التطين موجه الى سلمة فإنه يتجاوزه ليشمل كل بدوي يحرص على إبراز عناصر الخير في نفسه، ولا أدل على ذلك من تكرر مثل هذه الحالة وتكرر تطين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابها بلفظه "أنتم أهل بدونا ونحن أهل حضركم"، وفي قصة البديّة "أم سنبلة" ما يزيد المسألة إيضاحاً فتروى عائشة رضى الله عنها قالت: أهدت أم سنبلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا فلم تجده، فقالت لها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يأكل طعام الأعراب^(٢)، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال: ما هذا معك يا أم سنبلة قالت: لبنا أهديت لك يا رسول الله

(١) الامام أحمد: المصدر السابق ٤/ ٥٥٥.
(٢) كان طعام الأعراب وخاصة الذبائح محرمة على المسلمين لأنها ما لم يذكر اسم الله عليها ثم ورد قصر ذلك على الذبائح ووضح هذا الحديث متى يكون محرماً ومتى يكون غير محرّم. ابن قاسم: الدرر ٦/ ٤٧٢

قال : اسكبي أم سنبله فسكبت فقال : ناولي أبا بكر ففعلت، فقال اسكبي أم سنبله فسكبت فناولت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب قالت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب من لبن وأبرد ها على الكبد : يا رسول الله انك كنت نهيت عن طعام الأعراب فقال يا عائشة : انهم ليسوا بالأعراب هم أهل باديتنا ونحن أهل حاضرتهم، وإذا دعوا أجابوا فليسا بالأعراب^(١).

والاسلام وهو يثنى على ابن البادية المحافظ على طابع البداوة واطهار وجهها الحسن، انما يهدف من وراء ذلك الى اذابة النظرة الاجتماعية السيئة بين البدو والحضر رغم حرصه على أن يحافظ كل منهما على أسلوب حياته مكمل للآخر والرسول صلى الله عليه وسلم فيما مر من الأحاديث وفي قصة مصادقته للبدوي زاهر^(٢) انما يضع الأسس لأسلوب التعامل الاجتماعى بين البدو والحضر في تجنب ما يثير النفوس، وفيما يرفع الكلفة بين الفريقين.

(١) الامام أحمد المصدر السابق ١٣٣/٦

(٢) روى الامام أحمد ١٦١/٣ بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا كان يهدى للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان زاهرا باديتنا ونحن حاضروه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، وكان رجلا دميما فأثاء النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال الرجل أرسلني من هذا ؟ فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألحق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه وجعل النبي يقول من يشتري العبد، فقال يا رسول الله انا والله تجدني كاسدا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكن عند الله لست بكاسد أو قال لكن عند الله أنت غال . كما روى في ٥١١/٢، ٥١٢ قصة البدوي الذي تنذر على المهاجرين والانصار في كونهم حضر وأهل زراعة فضحك الرسول صلى الله عليه وسلم من تنذره هذا ولم ينكر عليه .

وكننتيجة طبيعية لهذه النظرة الاسلامية نحو البدو أن تفهم قسم كبير من أبناء البادية رسالة الاسلام وآمنوا بها ، وأصبحوا أداة مهمة من أدوات نشرها ، وبلغوا بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم درجة أهلّتهم أن يرووا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم فيروى الامام أحمد بسنده أن رجلا من أهل البادية قال : أخذ بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمني ما علمه الله تبارك وتعالى فكان ما حفظته عنه أن قال : انك لن تدع شيئا اتقاه الله تبارك وتعالى الا آتاك - وفي رواية - أعطاك الله خيرا منه .^(١)

(٢)

كما يروى بسنده عن زيد بن عبد الله بن الشخير قال : كنا بالربد جلوسا فأتى علينا رجل من أهل البادية لما رأيناه قلنا هذا كان رجلا ليس من أهل البلد قال أجل ، فاذا معه كتاب في قطعة أدبهم قال : وربما قال في قطعة جراب فقال : هذا كتاب كتبه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر الحديث بتمامه .^(٣)

واذا كان قسم من البدو يروى الحديث كنتيجة مباشرة لايامه ، فان بعضهم يروى الحديث أثناء أسره أو أسر أحد أفراد أسرته أو قبيلته . هذا الأسر الذي يؤدي غالبا الى الايمان فيروى الامام أحمد بسنده أيضا عن عبد الله بن سوادة القشيري قال حدثني رجل من أهل البادية عن أبيه - وكان أبوه أسيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقبل صلاة

(١) المصدر السابق ٥ / ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) كذا في المسند ولعلها الريدة التي كانت من بوادي المدينة ومن يذهب اليها ينظرون اليه على أنه يذهب الى البادية .

(٣) المصدر السابق ٥ / ٧٨ ، وتام الحديث " فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني زهير ابن أقيش وهم حو من عكل انكم ان اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتهم المشركين واعطيتم الخمس من المغنم ثم سبهم النبي صلى الله عليه وسلم والصفي وربما قال وفيه فأنتم آمنون بأمان الله تبارك وتعالى وأمان رسوله .

(١)

لا يقرأ فيها بأمر الكتاب، وهذا الحديث يدل على حضور بدية ابن البادية في متابعة ما يحدث به الرسول صلى الله عليه وسلم وروايته بعد ذلك، كما يدل على حسن استغلال الاسلام لوضع الأسير في تعليمه أصول الدين ومبادئه وفي هذا رفع لمكانته، واستغلال لطاقته في التحديث ونشر الاسلام بعد ذلك.

ولقد وعى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهمية الدور الكبير الذى يمكن أن يقوم به أبناء البادية في نشر الاسلام وحفظ لغة القرآن اذ اما أحسن استغلالهم لهذا المجال انطلاقا من نظرة الاسلام نحو البدو في الموائمة بين عناصر الخير والشر في التركيب النفسى البدوى كأي نفس بشرية هذه النظرة التى لا شك أنها تغلب الجانب الخير وتسمى الى اثارته في النفس البشرية، ومن هنا فان عمر بن الخطاب كان يعتبر البدو أصل العرب ومادة الاسلام، وكان كثيرا ما يردد هذه الفكرة في حياته هقينا منه بأهمية الأصالة البدوية في المحافظة على اللغة والعادات والتقاليد الأصيلة لدى العرب والتى جاء الاسلام باقرارها وهو في هذا ينطلق من نظرة مدركة للأصل الاجتماعى للعرب والذى يعود الى البدوة ان أن العرب كانوا أصلا أمة بدوية تحضر بعض فروع قبائلها أو قبائل منها وبقي الأصل بباديته محافظا على موروثاتها الاجتماعية^(٢)، وكان عمر بن الخطاب يعتبر المحافظة على البدو أساسا من أساسات الحكم يحث عليه في مجالسه، ويأمر عماله بالالتزام به، لان البدو بما أنهم أصل العرب فانهم مادة الاسلام التى يتحرك بها وينتشر عن طريقها، ومتابعة لتاريخ انتشار الاسلام تؤكد صدق فكرة عمر

(١) المصدر السابق ٧٨ / ٥

(٢) ابن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٣٣ / ٥، وقد روى أن عمر بن الخطاب كان يقول : اربع من امر الاسلام لست مضيعهن ولا تاركهن بشئ أبدا وذكر القوة في مال الله، والمحافظة على المهاجرين، ثم الأنصار، ثم الأعراب.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ١٠٣ وقد عقد فيها فصلا بعنوان : "فصل في أن البدو أقدم من الحضرة وسابق عليه، وأن البادية أصل العمران والأماصار مدلولها"

رضى الله عنه ان أن انتشار الاسلام فى مراحل الأولى كان عن طريق العرب الذين يرجعون فى أصولهم الى البادية .

وقد بلغ من حرص عمر بن الخطاب على هذه الفكرة الأساسية تأكيداً على استمرار الايمان بأهميتها والعمل بمقتضى ما تحمله من حفظ لأصل العرب ولغتهم وتأكيد الدور الكبير فى نشر الاسلام والجهاد فى سبيله ، وهو فى هذا المجال يؤكد على استمرار العمل بها ليس فى عهد خلافته فحسب بل يوصى بها الخليفة الذى يتولى العهد من بعده - وقد جعل الأمر شورى بعده - وهو من هـذـه الناحية يؤكد على أهمية تضمين هذا المبدأ فى أى حكم اسلامى يأتى بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولما كانت سنة الخلفاء الراشدين معاملة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجوب العمل بها فان المحافظة على العرب عموماً والبدو بشكل خاص تعتبر اساساً من أساسات الحكم فى الاسلام .

ولعل فى تخصيص هذه المحافظة فى وصية عمر عند وفاته التى رواها البخارى فى صحيحه ما يعطى المحافظة على البدو والعناية بهم وضعاً خاصاً ضمن المحافظة والعناية بالمسلمين عموماً فقد قال فى وصيته بعد ما أوصى بالمهاجرين والأنصار ، وأهل الأمصار خيراً ، " وأوصيه بالأعراب خيراً فانهم أصل العرب ومادة الاسلام " ومن المؤكد أن المحافظة والعناية بالبدو باعتبار هاتين الميزتين قد استمر العمل به فى بقية عهد الخلافة الراشدة لىتركز الاهتمام بالبادية بعد ذلك باعتبارها مقوماً للألسن من اللحن وأسلوباً لحفظ العادات الموروثة التى كان يهددها الاحتكاك بأهل البلدان المفتوحة ومن هنا فقد أطلق على البادية " مدرسة الأمراء " حيث كان أغلب أمراء بنى أمية يقضون كثيراً من فترة صغرهم فى البادية حتى يعايشوا ما أثر عن العرب من ضروب الكرم والجود إضافة الى الدور الكبير فى تعلم اللغة العربية من أفواه الناطقين بها نطقاً صحيحاً ،

(١) فتح البارى ٢١٢/١٤ فى باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضى الله عنه ، وفيه مقتل عمر رضى الله عنه .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٢٦٨/٣ ، ٢٦٩ مادة (بادية) .

هذا التعلم الذى لا يتم الا بالمعايشة والاختلاط بالمجتمع البدوى ، ولا شك أن الخلافة الأموية بتنفيذها لفكرة عمر بن الخطاب قد سبقت بايجاد الفكرة القائلة بأن تعلم أى لغة لا يمكن أن يتم بأسلوب صحيح الا عن طريق الاحتكاك بأهلها والعيش داخل مجتمعاتهم .

وبعد : فيتبين لنا ما سبق انقسام نظرة الاسلام نحو البدو الى قسمين باعتبار وجود عناصر الشرف فى ابن البادية ، وتوافر عناصر الخير ، وهو فى هذا يوائم فى نظارته بين هذين الجانبين محاولا أن يغلب الجانب الخير فى حياة ابن البادية باعتباره أصل العرب ، وحتى يكون مادة من مواد نشر الاسلام كما كان من قبل ، والتفريق بين هذين الجانبين وتغليب الخير منهما أمر ضرورى فى كل محاولة للإصلاح والحكم على هذه الفئة الاجتماعية المهمة حتى لا يتغلب جانب الشر لدى هذه الفئة ، وحتى لا تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير .

الفصل الأول

ملاح الوضع القبلي لبادية نجد حتى قيام الدعوة السلفية :

لقد مررنا عند الكلام عن أبرز الملاح التاريخية في نجد قبل الدعوة أن بني تميم وباهلة ونمير كانت قبائل تشكل بادية الهامة قبيل الاسلام الا أن الواقع أن هناك قبائل بدوية أخرى كانت تقطن منطقة نجد الحالية فـس هذه الفترة فبالإضافة الى هذه القبائل الثلاث والتي يرجع اليها كثير من القبائل النجدية ، فقد ذكر المؤرخون والجغرافيون أن بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة كانوا يقطنون الفلج " الأفلاج حاليا " وما أحاط بها من البادية (١) ، وهم أبناء عم لبني نمير بن عامر ، كما أن بني هلال وبني سؤدة ابن عامر من قبائل نجد البدوية قبل الاسلام ، ويمكن القول ان بني عامر بن صعصعة بأفخاذهم الأربعة : نمير ، ربيعة ، وهلال ، وسؤدة من أبرز بادية نجد في تلك الفترة ان كانت منازلهم في نجد من الأفلاج حتى الطائف حيث

(١) البكري : معجم ما استعجم ٩٠/١ ، د : عبدالله الشبلي :

كانوا يصيفون بالطائف ويشتون ويربعون في نجد (١) .

وقد تعرضت بنو عامر - وعرضت نفسها - لوقعات متعددة فصلتها أيام العرب قبل الاسلام بينها وأحلافها من جهة وبين تميم وأحلافها أحياناً أو بين عدد من القبائل الأخرى حاضرة وهادية من جهة أخرى ، ولا شك أن هذه الوقعات قد أثرت على وضع بني عامر القبلي في نجد إذ بدأت قوة بني تميم بن مرفي الظهور والكثرة لتصبح أقوى قبيلة بدوية في الهامة قبيل الاسلام ، فقد امتدت منازلها من شمال شرقي منازل بني عامر إلى بلاد البحرين (منطقة الخليج العربي حالياً) لتشمل جل بلاد نجد حتى قسرب الفرات متداخلة هذه المنازل مع منازل بني حنيفة ، وعبد القيس ، وبكر وتغلب إضافة إلى تداخلها مع منازل بقية قبائل نجد (٢) .

ويتميز تاريخ بني تميم في هذه الفترة بكونهم بدواً خلاصاً إذ لم تكن لهم حواضر أو مدن ، كما يتميزون ببروز الناحية العسكرية البدوية لديهم إذ كسرت وقعاتهم العربية سواء كان ذلك داخل نجد ومع قبائلها البدوية أو الحضريّة

(١) ابن حزم : جمهرة ٢٧٢-٢٧٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، وقد فتيل فيها الكلام عن نسب بني عامر بن صعصعة ، البكري : ٧٨ ، ٧٧ / ١ وذكر فيها مغارسة ومزارعة شقيف لبني عامر على نصف مزارع الطائف بعد ما تغلبوا عليها وطردوا بني عدوان أصحابهم فكان بنو عامر يأتون في الصيف لأخذ نصفهم ثم يعودون إلى نجد حتى قويت شركة شقيف فطوفوا بالمزارع حائطاً واحتنعوا به عن بني عامر حتى أصبحوا هم أهل الطائف ، (ابن خلدون : المبر ١١ / ٦ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ط (٢) دار العلم للطالبيين - بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ٧٠٨ / ٢ ، ٧٠٩)

(٢) على سبيل المثال لهذه الأيام والوقعات انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦ / ٦ - ١١ ، البكري : ٣٦٥ / ٢ ، ٣٦٦ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، يا قوت : ١٠٤ / ٢ ، ٣٦ / ٣ ، ٢٧٢ / ٤ ، ٢٨٦ / ٥ ، ٢٨٧ ، الزبيدي : التاج ٣٥٦ / ٤ ، ٣٥٧ ، العبودي : بلاد القصيم ١ / ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٧٠٣ / ٢ - ٧٠٨ : عمر كحالة

أو خارجها مع الكمائن السياسية والقبلية المجاورة ، ولا شك أن هذا أكسبهم شدة بأس وقوة مراس تميزوا به عن أغلب القبائل النجدية آنذاك واستطاعوا أن يتغلبوا به على أكبر القبائل النجدية بادية وهي بنى عامر بن صعصعة ، إضافة الى تحديهم لسلطة الساسانيين التي حاولوا بسطها على أجزاء من شبه الجزيرة العربية ، هذا التحدى الذى تمثل فى سلب القوافل الفارسية المتجهة الى اليمن ومنها (١) .

ونظرا لاتساع منازل بنى تميم فى فترة متقدمة لمجى الاسلام ، فقد زامن ذلك كثرة فى بطونها وأفخاذها كثرة جعلت كل فخذ أو بطن يشكل قبيلة لوحدها لا يربطه بالقبيلة الأم أى رابط (٢) ، وقد أورد ابن حزم فى جمهرته عددا كبيرا من بطون تميم ، وعددا كبيرا من بطون بنى أمية تميم يلاحظ الباحث من خلالها أن الكثرة الكثيرة من البطون الأخيرة تتركز فى بنى زيد مناة ابن تميم على اختلاف فى كثرة بطون بنى زيد هؤلاء حيث تتركز هذه الكثرة فى بنى مالك بن زيد مناة بن تميم يلمها فى كثرة البطون بنو سعد بن زيد مناة ابن تميم (٣) ، ولا شك أن قدم هذا العدد الكبير من بطون بنى تميم يدل على سرعة فى تكاثر هذه القبيلة مما لم يكن متوفرا فى أى من القبائل النجدية بدل العربية عموما ، وقد صور أحد الشعراء الجاهليين كثرة بطون بنى تميم فى قوله بعد هزيمة بنى تميم فى يوم رحرحان الثانى :

وأسلبنا قبائل من تميم : لها عدد اذا حسبوا كثير (٤)

(١) على سبيل المثال لتحدى بنى تميم لسلطة الساسانيين انظر ابن عبد ربه ٦ / ٧١-٦٨ ، وانظر كحالة ١ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٤٣٤ -

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ٥ / ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٣) ابن حزم : جمهرة ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(٤) قال البكرى : رحرحان جبل غرب الهمزة ، وقال ياقوت جيسل قريب من عكاظ خلف عرفات ورجح البلادى فى معجم معالم الحجاز أن يكون المقصود بيوم رحرحان هو ما قصده البكرى على أن هناك أكثر من رحرحان غير هذا ،

وقد كانت كثرة شعراء وحكام بني تميم في الجاهلية (١) مع كثرة بطونها بالاضافة الى ما سبق ذكره من بروز الناحية العسكرية لديهم كل هذه عوامل جعلت المصرفة ببني تميم أكثر من غيرهم من قبائل العرب في فترة متقدمة من تاريخ العرب قبل الاسلام ان قلنا تذكرناحية من نواحي هذا التاريخ الا وتجدليني تميم طرفا فيها (٢) .

أما قبيلة بني باهلة فهم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان وقد نسبوا الى أمهم باهلة - ويبدو أنها كانت أقوى ذكرا من زوجها مالك وهذا يبين لنا جانبا من وضع المرأة في المجتمع العربي وتزوجها ابنه - معن بعده فنسب اليها أولادها منها كما نسب الى باهلة أبنا مالك وابنه - معن من غيرها لأن باهلة حضنتهم ، وقد توسعت قبيلة بني باهلة وكثرت أفخاذها ووطنها قبل الاسلام وان لم تكن بالكثرة التي كانت عليها تميم أو

-
- وقائل البيت لقيط بن زرارعة ، عن اليوم والموقع ابن عبد ربه : العقد ٦/٦ - ٨ ، البكري : ٦٣٢/٢ ، ٦٣٤ ، باقوت : ٣٦/٣ ، عاتق البلادى : معجم معالم الحجاز ٤/٢١ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ولهذا فان المثل النجدى " من ضيع أصله قال أنا تميم " قديم في مفهومه وان كان حديثا في لفظه حيث ورد ما يشبهه من الأمثلة القديمة (ككاشر بتميم) ، وهو يعنى أن أى انسان يضيع نسبه يمكن أن يلتحق بتميم لكثرة أفخاذها ووطنها مما يتعذر معه التحقق من صدق المدعى بذلك أم لا بخلاف القبائل الصغيرة الحجم وان كانت القاعدة النسبية أن الناس يؤمنون على أنسابهم (العبودى : الأمثال ٤/ ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ مثل رقم ٢٣٨٤) .
- (١) لعل أبرز هؤلاء أكثم بن صيفى (ت ٩هـ / ٦٣٠م) انظر ترجمته في الاصابة ١/ ١١٠-١١٢ ، ولم يدخله ابن عبد البر فى استيعابه فى الصحابة ١/ ١٢٨ - ١٣٤ ، الزركلى : الأعلام ١/ ٣٤٤ ، وكأثلة على حكم أكثم . انظر : أحمد بن محمد السيدانى : مجمع الأمثال تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . ط : مطبعة السنة المحمدية . القاهرة : نشر وتوزيع دار الباز . مكة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
- (٢) ١٨٢/٢ ، ١٨٣ (١) دائرة المعارف الإسلامية : ٤٧٥/٥ .

غيرها من القبائل الكبيرة الا أن هذه الكثرة يمكن أن توصف معها باهلة بأنها قبيلة عظيمة قبل الاسلام (١) .

وكانت مراعى بنى باهلة فى جنوب غربى اليمامة قولاها عدة موارد مياه فى هذا الموقع ذكرها الجغرافيون المسلمون وهى متداخلة مع مراعى بنى عامر بين صمصمة الى الشمال الغربى والشرقى منها ويشير بعض الباحثين الى أنهم ظلوا فى هذا الموقع الى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ثم بدأت جماعات منهم فى الاتجاه نحو الشمال الشرقى لشبه الجزيرة حيث قطنوا حول مساه الحفير - بالتصغير - قرب البصرة حيث موقعه على طريق الحجاج وهو على جانب كبير من الأهمية حيث يضمن لهم موردا اقتصاديا مهما سوا عن طريق سلب الحجاج القادمين أو الاستفادة منهم بطريقة أو بأخرى حينما يمضون بهذا المسار (٢) .

(١) ابن حزم : جمهرة ٢٤٤-٤٦٨، ٢٤٧، أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي : الأنساب - تحقيق عبد الرحمن المعلى اليماني ، ط (٢) نشر محمد أمين دمج بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ٦٧/٢ وقد وهم حينما ذكر أن باهلة هى بنت أمصر التى تواتر لدى النساب أنها باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، الزبيدي : التاج ٢/٣٠٦ ، ٢٢٨/٢ مادة عصر ، وهبل ، كحالة ١/٦٠ ، الزركلى : الاعلام ٢/٨٠٧ ، حمد الجاسر : معجم الأسر المتحضرة فى نجد ١/٣٤ ، وكان من عادة عرب الجاهلية الأولى أن كبير الأبناء يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته اذا لم تكن أما له وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة : " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا " النساء آية ٢٢ .

(٢) البكرى : ١/١١٨ ، ١٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٠٧ ، ٧٢٠ ، ٨٥٠ ، ٤٠١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩١ ، ياقوت : ١/٣٥٨ ، ٢/٢٧٧ وذكر فيها الحفير من مياه باهلة ، ٣/٣٦١ ، ٤/١٦٨ وذكر فيها عوسجة من معادن الفضة فى بلاد باهلة ، ٥/٤٣٣ ، كحالة : ١/٦٠ ، الزركلى : ٢/٨٠٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣/٣١٩ ، ٣٢٠ ، المبودى : القسم ١/١٢٦ .

ولم أستطع العثور فيما بين يدي من المصادر على أسباب واقعية وحقيقية
لما أشتهر عن العرب - وخاصة في جاهليتهم - من النظرة السيئة تجاه هذه
القبيلة على أنها سيئة السمعة، وأن النسبة اليها تعتبر من ألفاظ الهجاء ،
ومن استنكافهم النسبة اليها على اعتبار أنها حطة عندهم ، وكأن هذه القبيلة
في زعمهم ليست من الأشراف هذا الاستنكاف الذي اعتد الى بعض الباهليين
أنفسهم فيما بعد فنفوا نسبتهم اليها (١) .

وقد مال بعض الباحثين والنسابة ذلك بوجود نون من اللؤم ونقص المروءة
والبخل لدى بعض أفرادها (٢) ، الا أن أحد النسابة عندما سئل عن سبب
ضعة باهلة وغنى عند العرب قال : " لقد كان بهنهما غناء وشرف ، ولم يضعهما
الا إشراف أخويهما عليهما بالمآثر فدنؤوا بالاضافة اليهما " (٣) ، ومعنى هذا أن
اثنين من أخوة مالك بن أعصر وعمرو بن أعصر الثلاثة وهم ثعلبة وعامر ومعاوية
أبناء أعصر المنسوبون أيضا الى أمهم الطفاوة بنت جرم قد شرفا بالمآثر على
أخويهما مالك وأبناءه (باهلة) وعمرو وأبنائه (غنى) فألصقا بهما صفة
اللؤم والبخل ونقص المروءة فأخملا ذكر أخويهما فحمل بالتالي ذكر القبيلتين التي

(١) لقد حفل الأدب العربي شعرا ونثرا بأبيات وأقوال تحمل ذما لهذه القبيلة
يستنكف الباحث من إيرادها هنا لأن مجالها هو موضوع العلاقات الاجتماعية
السائدة بين القبائل العربية قبل الاسلام ، ولكن للرجوع لهذه الأبيات
والأقوال : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣٩/٤ ، ابن حزم : جمهرة
٢٤٦ ، ٢٤٥ ، السمعاني : الأنساب ٦٧/٢ ، الزركلي : الاعلام ٨٠٧/٢ ،
دائرة المعارف الاسلامية ٣/٣٢٠ .

(٢) ابن عبد ربه : ٣٩/٤ ، السمعاني : ٦٧/٢ ، الزركلي : ٨٠٧/٢ .
(٣) الحسين بن علي بن الوزير المغربي : أدب الخواص : أعده للنشر : حميد
الجاسر . المطابع الأهلية للأوفست - نشر النادي الأدبي . الرياض
بإشراف دار اليمامة . الرياض ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، والقاتل هو حسين بن
بكر الكلابي النسابة .

ترجمان اليهما ، وهذا تعليل مقبول الى حد ما اذا علم ما يحصل من كيد وحسد بين الأشقاء فكيف بأبناء الضرائر .

والذى يبدو لى أن ما زاد من سعة هذه النظرة السيئة بين العرب عدم مجارة باهلة لعامة العرب فى بعض عاداتها سواء الحسنة منها أو السيئة مما أضفى عليها استقلالاً فى وضعها القبلى . يجعل عامة العرب ينفرون منها ، ان لم يذكر النسابة ما يطمئن فى نسب أو شرف هذه القبيلة بل انها تعد من أصرح القبائل العربية نسباً رغم تحضرها بعد الاسلام . (١)

وعدا هذه القبائل فقد قطن بادية نجد عدد آخر من القبائل من أبرزها سلى وهو اسم لجلهمة بن أد من قحطان والذى ترجع اليه قبيلة طى السقى كانت مناطقها فى اليمن ثم خرجت منه متجهة شمالاً الى أن وصلت جبالى أجسا وسلى فجاورت وحالفت بنى أسد التى كانت تقطن هذه المنطقة ثم أزاحت طى أسدا عن بعض مراحمها وورثت عن بنى تميم منازلها فى شمال شرقى الجزيرة العربية ، وأجلت غطفان عن بعض منازلها فى منطقة ما بين المدينة والشام من الشرق حيث قطنت جزءاً من مراحم الحجاز والشام ثم ما لبثت أن أصبحت من كبار القبائل العربية ليد فى نجد وحدها بل فى كافة مناطق شبه الجزيرة العربية وذلك فى الفترة التى سبقت البعثة النبوية ، وقد أهلها ذلك لأن تدل على من دونها من القبائل فى قوتها ما أتاح لها توسيع مجالها الرعوى بين فترة وأخرى خارج منطقة شبه الجزيرة العربية ان يبدو أنها خرجت وراء الرعى عن شبه الجزيرة فى وقت متقدم من تاريخها وقد خاضت فى سبيل ذلك غمار

(١) حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ١ / ٣٤ .

عدد من الفزوات ضد عدد من القبائل النجدية وغيرها مما ليس مجال تفصيله هنا حتى استطاعت أن تنضم الى مجالها الرعوى والسكنى عددا لا بأس به من أحسن مواطن الرعى والسكن فى شبه الجزيرة وخارجها اضافة الى معرفتها بعدد وافر من موارد المياه والجباهل التى عدها الجغرافيون المسلمون خاصة بها وتفصيل هؤلاء الجغرافيين القول فى ذكر مواطن الرعى والمنازل وموارد المياه والبلدان والجباهل التى تعود لها يؤكد سعة المجال الرعوى والسكنى لهذه القبيلة العظيمة قبل الاسلام (١) .

ومن قبائل بادية نجد قبل الاسلام بنو أسد بن خزيمة بن مدركة — من مضر بن نزار بن عدنان وهى قبيلة قدمت الى نجد من الحجاز — موطن — القبائل العدنانية — وتعتبر من أقدم القبائل النجدية فهى أقدم من طىء وكانت قبل غلبة طىء على كثير من منازلها تقطن فى منطقة الجبلين وشمال شرقى نجد بوجه عام بل تمتد من شرقى المدينة الى الفرات الأسفل شاملة لمنطقة القصيم الا أنها لم تكن صاحبة السلطان المطلق فى هذا الاقليم المتسع بل تعيش على شكل جماعات متفرقة تتداخل مراعيها مع مراعى القبائل الأخرى المجاورة لها (٢) .

(١) عن نسب طىء وأخبارها : ابن حزم : جمهرة ٣٩٧-٤٠٤ ، كحالة ٦٨٩/٢ الزركلى ٣٣٧/٣ ، وعن أيامها ومواطن رعيها وسكنائها : ابن عبد ربه — ٨٥/٦ ، البكرى ١/٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٦٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦/٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٤٧٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٣/٣ ، ٧٥٠ ، ٧٨٢ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩١ ، ١١١٥/٤ ، ١١١٦ ، ١١٥٠ وذلك على سبيل المثال .

(٢) ابن حزم : ١٩٠ - ١٩٦ ، ابن عبد ربه ٨٥/٦ ، ٨٦ ، ٩٢ ، البكرى ١/١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ وقد اطنب البكرى فى تعداد منازل وموارد بنى أسد فى أجزاء الكتاب الأربعة تطلب فى فئانها ، ياقوت ١/٨٩ ، ١١٦ ، ١٥٤ ، وقد اطنب هو الآخر فى تعداد هذه المواطن كحالة ٢١/١ ، ٢٢ ، الزركلى ١/٢٩٠ ، دائرة المعارف الاسلاميَّة ١٠٠/٢ ، ١٠١ .

وتعد قبيلة أسد من القبائل ذات التاريخ الحربي الحافل فقد سجل المؤرخون لأيام العرب عددا من الغزوات مع عدد من القبائل النجدية وغيرها سواء القوية منها أو الضعيفة ، وسواء كان ذلك بمفردها أو بتحالفها مع قبائل أخرى ، وكان أبرز حروبها مع قبيلة طى التي أجلتها عن جزء من أراضيها وقبل ذلك كانتا تتحالفان مع بعضهما ضد بعض القبائل ، إلا أن أبرز منازعاتهم مع ملكهم حجر بن الحارث الكندي أقوى ملك نجدى فى عهده والذي كان يضم بالإضافة الى بنى أسد بنى غطفان هذه المنازعات التي انتهت بقتل حجر ليهم ابنه امرؤ القيس على وجهه فى سبيل تحقيق الثأر لابي له لكنه لم يستطع اخضاع بنى أسد لسلطة كنده ، ويبدو أن منازل بنى أسد بدأت تتقلص شيئا فشيئا حتى انحصرت قبيل الاسلام فى منطقة القصيم بفعل عدد من العوامل أبرزها تلك الغزوات وخاصة من قبيلة طى ، إضافة الى نزاعها مع ملوك بنى كنده الذى كان من نتائج بعض مراحلها نفى بعضهم الى منطقة تهامة بعد هزيمتهم (١) .

وتتداخل منازل قبيلة غطفان بن سعد بن قيس عيلان من مضر مع منازل قبيلة بنى أسد اذ تقع الى الشمال والشمال الغربى ، والغرب منها ، وتتقاسم

(١) العبودى : بلاد القصيم ١/ ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ وقد أورد قسما

كبيرا من مواطن بنى أسد فى القصيم دائرة المعارف الاسلامية ١٠١/ ٢ ،

١٠٢ ، كحال ١/ ٢٢ .

الأفخاذ الكبيرة من هذه القبيلة هذه المنازل ان تقرب قبيلة بني عمن بنين
بغض بن ريث بن غطفان من منازل بني أسد ، وتتداخل معها تداخل
ملحوظا (١) ، وتمتد قبيلة بني عمن مع بني أسد أكثر القبائل النجدية
تركزا في منطقة القصيم قبل الاسلام (٢) ، وتلحقها قبيلة ذبيان بن بغض
بن ريث بن غطفان حيث تقان في شرقي المدينة ما بين الحجاز وجبلى أجا
وسلمى متداخلة في ذلك مع منازل طى ، وكلب ، وتغلب ، وكانت المنافسة
بين عمن وذبيان - وفزارة منهم - قبل الاسلام على أشدها ان قامت بينهما
حروب كثيرة أبرزها حرب داحن والغبراء - وأخبارها معروفة - إضافة إلى
حروب أخرى مع بعض القبائل الأخرى فصل الكلام فيها المؤرخون لأقسام
العرب قبل الاسلام (٣) .

أما قبيلة بني عبد الله بن غطفان فكانت منازلها تتركز غربى القصيم حاليا
فيما بينها وبين المدينة ، وينسبون إلى عبد العزى بن غطفان ، ولما وفدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من انتم ؟ قالوا نحن بنو
عبد العزى قال بل أنتم بنو عبد الله وأصبحوا بذلك يشتركون مع عدد من

(١) عن غطفان وفخذها عمن : ابن حزم : ٢٤٤ ، ٢٥٠ - ٢٥٢ ، ابن
خلدون ٢/٣٠٥ ، ٣٠٦ ، السمعاني ٨/٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،
الزبيدي - ٤/١٨٣ ، البكري ١/٩٠ ، ٢/٤٣٦ ، ٤٨٧ ، ٥٤٥ ،
وانظر فهرس عمن فيه للتفصيل في أماكنها ومواردها ٤/١٥٦٥ ، كحالة
٢/٧٣٨ ، ٧٣٩ ، المبردي : بلاد القصيم ١/١٢٨ .
(٢) اشتهرت عمن بأنها من أبرز قبائل القصيم قديما ، ان لم تكن أبرزها
حتى قال الهمداني : " ومن أوطان الهامة القصيم لعمن " (صفحة
جزيرة العرب ص ٣١١) ، وان لم يكن ذلك على تحديده الواسع ففى
الوقت الحاضر .

(٣) ابن حزم ٢٥٠ - ٢٥٩ ، الهمداني ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ،
٣٣٢ ، ابن عبد ربه ٣/٤ ، ٤ - ١٠ ، ١٣ ، ١٤ - ٢٢ ، ٣٢ ، ٣٦ ،
الهمداني : مجمع الأمثال ١/٣٧٩ ، ابن خلدون ٢/٣٠٦ ، البكري
٤/١٥٤٤ ، ١٥٧٥ حيث حدد المحقق مواطن ذكر غطفان وذبيان
كحالة ١/٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٣/٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٩١٨ - ٩٢٠ .

القبائل العربية في اطلاق اسم " العبدلين " عليهم ، ويبدو أنهم مع بقية غطفان كان يحصل بينهم وبين قبائل المدينة كالأوس والخزرج مناوشات بحكم قرب المربع بينها (١) .

هذه العامة عامة عن الوضع القبلي لأغلب قبائل بادية نجد قبل الاسلام وبعد مجيء الاسلام بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعث دعوة سلمية الى نجد ، وكذلك سرايا عسكرية لاختضاع القبائل الهدوية في نجد لسلطان الاسلام ، الا أن اسلاما جماعيا من هذه القبائل لم يحصل حتى اذا جاء عام الوفود (آخر عام ٨ هـ وما بعده) ودخل الناس في دين الله أفواجا بعد فتح مكة ووفدت القبائل العربية من مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، وفدت في هذا العام وما بعده وفود بادية نجد والهاماة بمختلف قبائلها (٢) وآمنت بالاسلام ولما يدخل الايمان في قلوب قسم كبير منها الا أنه أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم الثناء على قبائل من بادية نجد ، وخص بني تميم بمدح (٣) يستطيعون أن يدلوا به على المسلمين عموما - ما داموا

-
- (١) ابن حزم ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، الزبيدي ٢/٨ ، الهمداني ٣٦٨ ، كحالة ٧٣٢/٢ ، ٧٣٣ ، العبودي : ١٢٩/١ .
- (٢) ابن حجر : فتح الباري ١٦/١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٠٢/٢ .
- (٣) روى البخاري في باب العتق ، والمغازي من طريقين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لا أزال - وفي رواية ما زلت - أحب بني تميم منذ ثلاث سمعتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها فيهم - وفي رواية سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم - : هم أشد أمتي على الدجال ، قال : وجاءت صدقاتهم فقال : هذه صدقات قومنا أو قومي أو قوم ، وكانت سبعة منهم عند عائشة فقال : أعتقها فانها من ولد اسماعيل وفيه تقديم وتأخير في الثنتين الأخيرتين حسب الطريقين (ابن حجر فتح الباري ١٠/٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٠٦/١٦ ، ٢٠٧) .

متمسكين بما يستحقون به هذا الدِّيح من حذب على تعاليم الاسلام .

وبعد وفاة الرسول - وكما هو معروف - ارتدت قبائل كثيرة من عرب شبه الجزيرة وتبعها قسم كبير من بادية نجد ، وسجل المؤرخون سابقة حسنة لقبيلة طيء بشباتها على الاسلام رغم ارتداد كافة مجاوريها (١) مبرهنة فسي هذا على صدق اسلامها كما برهنت في الجاهلية على عمق ايمانها بمكسارم أخلاق عرب الجاهلية .

وبعد القضاء على حركة الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعودة هذه القبائل النجدية الى حظيرة الاسلام - ما هو معروف لدينا - مجال التفصيل فيه - وجد قسم كبير من هذه القبائل في حركة الفتح الاسلامي ما يحقق رغبتها في القتال والفزوة ، هذه الرغبة التي وجهها الاسلام نحو الهدف الخير من الجهاد فيه لنشر هذا الدين وشمول هدايته للناس أجمعين (٢) ، ونتيجة لهذا فقد اتجه أغلب أبناء قبائل بادية نجد آنذاك مع جيوش الفتوحات الاسلامية سواء على شكل قواد أو جنود ، وحسب اتجاهات هذه الجيوش انساح أبناء هذه القبائل في البلدان المفتوحة ، فقد اتجه قسم كبير من بني تميم وأسد الى منطقة شرقي العالم الاسلامي من العراق الى ما وراء النهر مظهرين في هذه الفتوح الاسلامية ما عرفوا به من شدة البأس والهلاء الحسن (٣) ثم ما لبثوا أن خالطوا أهل البلدان المفتوحة بدءاً بالعراق مروراً بفارس حيث تركز قسم كبير منهم في منطقة خراسان وخاصة

(١) الطبري ٣ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، كحالة ٢ / ٦٩٠ ، ٦٩١ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٤٧٧ .

(٣) الطبري ٤ / ١١٨ ، وقد أبرز فيها دور بني تميم وأسد في القادسية

كحالة ١ / ١٣٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٤٧٧ .

ما يقع منها في أفغانستان الحالية حيث شارك بعض أفرادها في الحروب الداخلية فيها بعد أن انتهت مهمة الفتح الاسلامي لها ، ويلمح الباحث تركيز أخبار بني تميم في شرقي العالم الاسلامي في هذه المنطقة ما يعطى بعض الانطباع بوجود بقايا أسر منهم فيها حتى الآن ترجع في أصولها الى العرب الفاتحين وخصوصا بني تميم حيث تتضح فيهم أغلب صفات بني تميم في الجاهلية والاسلام من قوة بأس وتشدد فيما يتعلق بالأخلاق والعادات وعدم الانصياع لسلطة من لا يقتنعون بملاحية حكمة وتطبيقه للاسلام (١) وهذا ما يفسر دور بني تميم البارز في معارضة الخلافت الاسلامية منذ انتهاء عهد الراشدين سواء كان ذلك تحت مظلة الخوارج أو الحركات السياسية الأخرى (٢) .

وقد اغتفت النظرة السيئة من عامة العرب نحو باهلة بعد انتشار الاسلام وبعد أن أهلى قسم كبير منها بلاء حسنا في هذا الانتشار ، وخصوصا بعد أن برز منهم الأمير الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح

- (١) الطبري ٩١/٧ ، ١٣٩ ، ١٤٥/٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ابن خلدون ٣١٥/٢ ، ٣١٦ ، السمعاني : الأنساب ١٠/١ ، ١١ ، ٢٧ ، ١٥ من مقدمة المحقق الأول عبد الرحمن المعلى أورد فيها بطون تميم في خراسان ومخالطتهم أهلها و ٧٨/٣ - ٨٣ ذكر فيها السمعاني عددا من علماء بني تميم في خراسان ، ١٣٨/٧ - ١٤٣ ذكر فيها عددا من الأسر السمعانية التيممية في خراسان ، كحالة ١٣١/١ ، ١٣٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ٤٧٧/٥ .
- (٢) ابن خلدون ٣١٧/٤ ، ١٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ٤٧٧/٥ ، ٤٧٢/٨ .

ما وراء النهر وأمير خراسان ، وكذلك بنوه من بعده وعدد من الباهليين الذين برزوا في مجالات الحكم والعلم والاصلاح (١) .

ووصل انتشار بعض قبائل بادية نجد مع الفتوحات الاسلامية الى أقصى ما وصلت اليه هذه الفتوحات سواء في شرق العالم الاسلامي أو غربه بل أقصى غربه حيث وجدت بعض الأسر التي ترجع لهذه القبائل في الأندلس هذا عدا انتشارها في شمال وجنوب العالم الاسلامي آنذاك وأبرز مميزات هذا الانتشار بكافة جهاته الاختلاط مع أهل البلدان المفتوحة بأوضح صور هذا الاختلاط وهي المصاهرة (٢) .

وبدأت رويدا رويدا تندثر الأسماء الأولى للقبائل العربية - عدا بني تميم - لتبرز أسماء أفخاذ من هذه القبائل تتسنى باسم غير اسم القبيلة الأم لجهل هذا الاسم الا عند الرجوع الى سلسلة النسب (٣) ، اضافة الى قدوم قبائل بدوية الى نجد غير الأولى سواء كان ذلك من جهة الحجاز أو من جهة اليمن مصدرى الامداد البشري لجزيرة العرب ، وتتبع مراحل ذلك الانتشار ليس من مهمات هذا البحث بقدر ما يشكل تتبع بعض أخبار القبائل البدوية الرئيسة في نجد في الفترة التي تقرب من عصر هذا الباب - القرن العاشر الهجري - مادة مهمة من مواد هذا البحث .

وقد ذكر لنا المؤرخون واخبار يوالحن أخبار بعض هذه القبائل في

(١) ابن حزم : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، السمعاني : ٦٨ ، ٦٧/٢ ، الزركلي ٨/٢ .

(٢) ابن حزم ١٥٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢١ ، ٣٦٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٣٠ ، وقد أورد فيها وفي غيرها عدد من الأسر التي ترجع الى العرب الفاتحين في البلدان المفتوحة وخاصة الأندلس .

(٣) العبودي : بلاد القصيم ١١٨/١ .

تلك الفترة ، ويلمح الباحث بروز اسم قبيلة بني لام بن عمرو (١) أحد أفخاذ قبيلة طيء القحطانية والتي بدأ يبرز اسمها من بين قبائل بادية نجد منذ زمن متقدم ، وقد كان من أبرز ملامح أخبار هذه القبيلة في هذه الفترة هو تعرضها لركب الحجيج الذين يمرون بمنازلهم التي تحولوا إليها من جبل طيء أو بالأحرى التي كانت تمتد من جبل طيء إلى المدينة مع قضاء أكثر وقتهم في المدينة ومراح الحجاز الشمالية حتى عدهم بعض المؤرخين لتلك الفترة من بوادي الحجاز ، فقد تعرضوا لحجاج سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م عند عودتهم من الحج ويبدو أنهم لم ينجحوا في سلب ما أرادوا سلبه (٢) .

- (١) هذه القبيلة كانت فخذاً من قبيلة طيء ينتسب إلى لام بن عمرو بن طريف - غير لام بن عمرو بن عتاب الطائي أيضاً - وقد تكاثرت هذه القبيلة قبل الإسلام حتى ذكر لبعض أفرادها صحبة - على خلاف في ذلك - وكان لهذه القبيلة دور في صد التتر ، وكانت منازلهم مع بقية طيء في سهول الجبلين ولهم سهل معروف بهم (غوطة بني لام) وعبر مراحل التاريخ تفرق هؤلاء في البلدان وتركز بعضهم في العراق بالاسم نفسه ، وتنقسم هذه القبيلة إلى ثلاثة أفخاذ كبيرة هي : ١ - آل مغيرة ، ٢ - آل فضل ، ٣ - وآل كبير . وترجع كثير من الأسر النجدية إلى هذه الأفخاذ . وقد جرى نقاش طويل عريض حول هذه القبيلة وخاصة مغيرة كان من أبرز فرسانه الشيخ حمد الجاسر وابن خميس وكان مجال هذا النقاش صحيفة الجزيرة . للتفصيل عن هذه القبيلة وأفخاذها :
 (ابن حزم : ٤٠٠، ٣٣٩ ، ابن حجر : الإصابة ١ / ٨١، ٨٢، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ابن خلدون : ٢ / ٢٥٤، ٦ / ٧ ، المغيرة : الكتاب المنتخب من عمر ٩١ - ١٠٩ وفيه تفصيل كامل لمن أراد البحث في هذه القبيلة . ابن بليهد : صحيح الأخبار ٢ / ١٢٧، ١٢٨ ، الحقييل : كنز الأنساب ١٥٠ - ١٥٣ ، حمد الجاسر : جمهرة الأسر المتحضرة ٢ / ٧٣٧ - ٧٣٩ ، ٧٤٥ - ٧٤٧، ٨٤٢ - ٨٥٢ ، عبدالله الهسام : علماء نجد ٢ / ٤٣٨، ٤٤٠ ، عبدالله بن خميس المجاز : ١٠٩، ١١٠ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ٣ / ١٠٠٧ ، الزركلي : الاعلام ٦ / ١٠١ ، لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ١٠٥ ، صحيفة الجزيرة : الأعداد الصادرة فسي ٢٠ / الحجة ١٤٠١هـ ، ١٢ / ١٧، ٢٠ ، ٢٦، ٢٧، ٣٠ ، محرم ١٣ ، ١٥ / ١٨ صفر ١٤٠٢هـ وبعض المراجع التي سيرد ذكرها عند الكلام عن هذه القبيلة .
 (٢) اسماعيل أبو الفدا الأيوبي : المختصر في أخبار البشر . دار المعارف . بيروت ٧٤ / ٤ ، ابن خلدون : ٢ / ٢٥٤ .

وكانت هذه القبيلة من كبر الحجم في تلك الفترة ما جعلها تسيطر على أغلب الطرق ومرايح نجد أيضا على طريقة البدو في التحول السريع الى ما يجد من كلاً ، فقد حدث في سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م أن مرت بعنيزة (١) قافلة حجاج من شرقي العالي الاسلامي وكان فيها العلامة محمد الجزري (٢) ، ومجرد

(١) عنيزة: كانت منهلًا من مناهل العرب قبل الاسلام قال فيها البكري: قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم ، وذلك الوادي يسمى الشجى لأنه شجى بعنيزة أي صارت في وسطه قال عنتره:
كيف المزار وقد تربح أهلها : بعنيزتين وأهلنا بالعيلم
العيلم: في ديار بني عيسى ، وقيل ان الحجاج قد أمر بحفر موارد عيين
عنيزة والوادي ، وقد أكثر من الحفر واستخراج الماء للري والزراعة فيها
محمد بن سليمان العباسي (والي البصرة في عهد المهدي) ، قيل عمّرت
كبلد سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م وقيل سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ، وقد عمر قسماً منها
بطر من آل جراح من بني خالد يسمون الجناح ، وقسماً آل زهرى بن جراح
من سبيع حتى كثر جيران هذين البطنيين ، ويبدو أن الجناح كان أكبر ثم
توسعت لتكون أربع قرى متجاورة وهي : الضبط والخريزة والمليحة ، والعقيلية ،
وكانت تابعة للجناح حتى ضمت هذه القرى ليشملها اسم عنيزة التي كانت الى
وقت قريب أكبر بلدان القصيم وثانية المدن النجدية ، وهي الآن ثانية مدن
القصيم ، أطلق عليها أحد الرحالة اسم باري بنجد لما عرف عن أهلها من
لطف معشر ولين جانب للصديق والغريب ، وتعتبر من أهم المراكز العلمية في
نجد منذ فترة متقدمة وحتى الآن حيث خرجت عددا كبيرا من العلماء منذ تلك
الفترة وحتى الآن . للتفصيل : (الهمداني : صفة جزيرة العرب ٢٧٠ ، ٢٢٩ ،
البكري : ٣ / ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، باقوت : ٤ / ١٦٣ ، ١٦٤ ، ابن عيسى : ٢٣٢ - ٢٤٤ ،
عبد الله السام : علماء نجد ١ / ٢٥٣ - ٢٥٦ ، ٢ / ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٧٨ ، ٣ / ٨٣٨ ،
محمد العيسوي : بلاد القصيم ٤ / ١٦٣٨ - ١٧٥٠) .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي الشهير بالجزري نسبة الى جزيرة بن عمر
على الفرات ، شيخ الاقراء في زمانه ، ومن حفاظ الحديث ولده مشق ٧٥١هـ /
١٣٥٠م ونشأ فيها حفظ القرآن وعمره ١٢ سنة ، وأصبح من كبار أهل القراءات
فيها حيث ابنتى فيها مدرسة دار القرآن ، رحل الى مصر مرارا وكذلك بلاد
الروم (تركيا) ومايرا ، النهروان ، القى عصا التسيار في شيراز في فارس فولى قضاها
وتوفي فيها ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م ، ذكر له الزركلي ٢٣ ما بين كتابه رسالة تتركز في
القراءات وطبقات القراء والمناقب والحديث ، وله نظم وأراجيز في القراءات كثيرة
(الزركلي : ٧ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ / ١١٨ - ١٢٠) .

مضادرتها لعنيزة عرض لهمهنو لا م على بعد مرحلتين منها فنهبوا القافلة ، وخاصة ما مع الجزرى من تحف وهدايا كان يريد أهدائها لأعيان الحرمين ، فرجع وصحبه الى عنيزة لعدم استطاعته الى الحج سهيلا أو أنه عدل عن الحج خوفا من القبائل التى قرب الطائف ، وجلس فيها مدة شهر تقريبا نظم فيها " السدرة المضية فى قراآت الأئمة الثلاثة المرضية " ويبدو أنه كان معه بعض الكتب فرزها بنو لا م من الهدايا وردوها اليه فلما حصل عليها سافر الى المدينة بمساعدة أهل الخير ووصلها فى صفر ٨٢٣هـ / ١٩٢٠ م ، وصور فى الدرة هذه الحادثة التى تبين جانبها مهما من أحوال نجد الأمنية فى تلك الفترة ، كما تبين أسلوبها من أساليب الغزو والسلب لدى بعض قبائل نجد فى تحيين مجىء الليل وصبايتها المراد غزوهم كما سيأتى ببيان عند الكلام على أساليب الغزو لدى بادية نجد ، وقسالة الجزرى فى هذه الحادثة نظما منه هذه الأبيات :

غريبة أوطان بنجد نظمتهــا	:	وعظم اشتغال الهال واف وكيف لا
صددت عن البيت الحرام وزور الـ	:	مقام الشريف المصطفى أشرف العلا (١)
وطبقنى الأعراب بالليل غفلة	:	فما تركوا شيئا وكدت لأقتلا
فأدركنى اللطف الخفى وردنى	:	عنيزة حتى جأئنى من تكفلا
بحملى واهمالى لطيفة آتيا	:	فيارب بلفنى مرادى وسهلا
ومن بجمع لشملى واغفر ذنوبنا	:	وهل على خير الأنام ومن تـلا (٢)

(١) لا يجوز القصد لزيارته قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بل للصلاة فى المسجد النبوى والسلام على الرسول استنادا للحديث : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقال فيه : ومسجدى هذا ، ولحديث : " لا تجعلوا قبرى مهذا " أى مزارا .

(٢) عن هذه الحادثة : محمد بن أحمد الفاسى : العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين . تحقيق فؤاد سيد - مطبعة السنة المحمدية . القاهرة
١٣٨٤هـ ١٩٦٤م ١٣٨/٤ ، المبدوى : بلاد القصم ٨/ ١٦٤٨ ،
مجلة العرب : ١١ / ١٢٠ / ٩ / ٨٥٠ / ٨٥١ .

ونظرا لامتداد نفوذهم في المنطقة السابقة فقط سيطروا على طرق الحج المراقي والشامي والمصري ومن سار فيها من غيرهم ما جعل أخبار حجاج هذه المناطق تحفل بقصص تعرضهم لقوافل الحج القادمة من هذه المناطق ، ولم يكونوا يتورعون عن سلب حتى ملابس الأشخاص فيعيد وهم شبه عرايا ، وإذا لم يجدوا معهم الا الكتب أخذوها ، وإذا قربوا من منازل قبيلة قوية تقع قرب هذه الطريق تحالفوا معها - مؤقتا - لسلب الحجاج العابرين بهم ، وبسبب أن شكاوى الحجاج التي تصل الى السلطات الاسلامية دفعت هذه السلطات لعجزها عن تأديب هذه القبائل التحالف - الى ترتيب رواتب لرواد سائرها ليكفوا عن التعرض لركب الحجاج وكانت كل سلطة منطقة تتولى دفع الرواتب عن حجاج منطقتها (١) .

وقد حدث كثرة تعرض الحجاج للسلب من هذه القبائل وخاصة بني لام الى أن يضع اخباريو الحج تحديدات جغرافية للمناطق التي يتركز بها هؤلاء وتكون طريقا لقطاع الطرق منهم حتى يكون أمير الحج على أهيقوا استعداد اذا قرب منها بحراسة ركب الحج بالتهنيء بما يلزم من فرسان وأسلحة فمسد القرب من هذه المناطق وقد أسماها أحد هؤلاء الاخباريين محارس على أساس وجوب الحراسة عند قرب الحجاج منها (٢) .

كما بحث هؤلاء الاخباريون في بطون هذه القبائل في محاولة منهم لمعرفة الأسر التابعة لها وخاصة بني لام فمن كانوا يتعرضون لهم ، ولكن لم تكن معرفة نسبية واسعة الا أنها تعطينا الطارئ بهم فكرة عامة عن بطونهم وأسرتهم فيستطيع ابداء هذه المعرفة لهم ليحسبوا لاطمئنان منهم حيث تشكل المعرفة

(١) عبدالقادر بن محمد الجزيري : درر الفوائد المنظمة في أخبار الحجاج وطريق مكة المعظمة - المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م
٣٥٢ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥ ، حمد الجاسر : معجم الأسر المتحضرة ٢ / ٧٤٦ ، ٧٤٧ .

(٢) الجزيري : المصدر السابق ١٠٤ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ٢٢٧ .

السابقة بأبن البادية أمانا نسبها لمن يمر به في طريقه ذلك أنه إذا حدثه وهو يعرف أصله وقرايته اطمئن له البدوى ووثق به واستجاب أن يمسه بسوء فيمنحه الأمان والسلامة (١) .

وقد امتدت منازل بني لام في فترة من الفترات حول المدينة وشرقها وشمالها حتى جبلى طى ، وأطالي وادي الرمة ، وأغلب نجد ، على أنهم في فترة متقدمة كانوا يحترفون أقوى قبيلة نجدية تدين لها حاضرة نجد هاديتها بالولاء ما يمكن معه اعتبارها القوة السياسية الوحيدة في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر الهجرية ، وأن قوتها تكاد توازي قوة بني خالد في شرق الجزيرة العربية ، ونتيجة لهذا فقد كانت القوى السياسية المحلية والقبايل الأصغر لا تتقدم عليها في أي أمر من الأمور ، وكلتها هي الكلمة النافذة في نجد (٢) .

وقد صور جمعيتن اليزيدي (٣) قوة هذه القبيلة وأن كان ذلك في معرض مدحه لمقرن بن أجود زعيم الدولة الجبرية (٤) التي سبق الكلام عنها في المدخل: ونجد رعى ريمى زاهى فلاتها : على الرغم من سادات لام وخالد (٥) وأشار الى تقدمها على كافة القوى المحلية في نجد رميزان بن غشام حينما أشار الى ورود الناس لحركته المسطرة السبعين (٦) حينما قال : الى صدر اللامي والأجناب قلطت : حياضها فاما نزدها ترودها (٧)

-
- (١) المصدر السابق : ٥١٤ .
(٢) ابن بلهيد : صحيح الأخبار ١٢٧/٢ ، ١٢٨ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ٧٥١ .
(٣) هو جمعيتن اليزيدي من بني حنيقة من أهل الجزيرة أسفل المصانع قرب الرياض (حمد الجاسر : مدني لرياض ٨٣ ، ابن خنيس : معجم لرياضة ٢/٢٧٢) .
(٤) هو مقرن بن أجود بن زامل الجبري العامري تولى حكم الأحساء وأحيانا نجد بعد أبيه أجود ، وقتله البرتغاليون عام ٩٢٧هـ / ١٥٢١م (حمد الجاسر : المرجع السابق ٨٣ ، عبد الله الشيل : تاريخ نجد والدولة السعودية ١/٤٧ ، مجلة البارة ١٤/٤٨ ص ٢٨) .
(٥) قوله : رعى ريمى زاهى فلاتها : أي رعى جماعتي زينة فلاة نجد . وانظر عن البيت وما قبله ومعه ، ابن لعبون : التاريخ ٣٢ ، الصغيرى ١٠٤ .
(٦) هي حازر وضعه أهل بؤضة سدير بزقاة رميزان على وادي سدير حتى يرتفع طوره الى نخيلهم وما يزيد ياخذ مجراه مع وادي القفي الى بقية بلدان سدير ، ووضعوا له سبعين معبراً حيث سى حتى الآن حكرة السبعين . (ابن خنيس : المرجع السابق ٤٨٥/٢) .
(٧) اللامي : أي المراد اللامي ، الأجناب : الأجناب ، حياضها : أحواضها ، والمعنى أن بني لام هم المقدمون لأنهم أهل المنطقة . ابن بلهيد . المصدر السابق ١٢٨/٢ .

وفي مرحلة سابقة لأقول نجم هذه القبيلة تفرعت الى ثلاثة بطون كبيرة هي
مغيرة، وكثير ، وفضل حيث اقتسمت هذه البطون نفوذ القبيلة الأم وأصبح لكل
بطن منها قوة وهيبة في مناطق نجد كل حسب منطقته على اختلاف فيما بينهم في
درجة هذا النفوذ (١) .

وكانت بداية تدهور مكانة هذه القبيلة القوية في نجد متقدمة إذ بدأت مع
انقسام هذه البطون بعد انتهاء القرن العاشر على أن هذه البطون بقوتها
قد حافظت على درجة لا بأس بها من مكانة القبيلة في المنطقة .

ويروى ابن بلهيد أن السبب الرئيسي وراء تدهور هذه القبيلة وتحضر
بعضها ، ورحيل قسم كبير منها من نجد الى جنوب العراق هو الخيانة ، وعدم
المبالاة بالمهود والمواثيق وما يتصل بها من عادات حميدة ، ويبدو أن الاختلاف
بين البطون الثلاث ، وما يعتري نجداً من الجذب وهرور قوة عنزة ومناستها لها
أسباب لا تقل أهمية من السبب الأول في هذا التدهور (٢) .

وعلى كل فقد تحضر قسم كبير من هذه القبيلة وتفرق في البلدان النجدية
ورحل قسم كبير منها الى جنوب العراق ، واستمرت ملايح انهيارها من نجد من
تحضر ورحيل حتى قبيل بداية الدعوة السلفية حيث أصبحت منذ تلك الفترة من
القبائل العراقية المهمة التي تقطن قرب البصرة والى الوقت الحاضر ولا يمتسبب
الها قسم من سكان العراق ، وقد حفلت كتب التاريخ العراقي بأخبار عنها وعن
أدوارها في الحياة السياسية والاجتماعية في الجنوب العراقي (٣) .

(١) المصدر السابق : ١٢٨ / ٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٨ / ٢ .

(٣) انظر على سبيل المثال : س . هـ لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق

الصفحات ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٥٥ ، ٢١٠ ، وغيرها .

والذى لاشك فيه أن الوجود المعزى في نجد كان متقدما جدا عن رحيل بنى لام، وكانت منازل عنزة حول المدينة الى أعالي وادى السرمة، ومنذ القرن العاشر ولها صولة على طريق الحج تحدث عنه اخباريوالحج، وان كانت فسي هذا أو غيره لاتصل الى درجة بنى لام (١).

وفي المرحلة الأولى لهدوء ازدياد قوتها أخذت تتحرش بالقائل حول المدينة كعرب التي كانت في أوج قوتها تطردها الى خير، الا أن عنزة طالت أن استعادت قوتها وسيطرت على المنطقة التي حول المدينة بل على نفسها في بعض الأحيان، وكانت حرب لاتنزل الا بجوارها حتى استغلت عنزة هذا الجوار لاذلال حرب (٢).

وقد استمرت قوة عنزة في ازدياد حتى أجلت قسا كبيرا من بنى لام عن نجد وأصبح لها نفوذ كبير في منطقة القصيم الى عوالي المدينة وخيبر وقرب جبل طى حتى اذا بدأت سيادتها القبلية في الانحدار اجتمعت لها قبيلتي حرب ومطير كل في جهته ولهده حتى حدثت معارك بين عنزة وحرب التي استنكت هذا الجوار المذل فطردتها من المدينة، وذلك في وقائع المجللة المعروفة في تاريخ العلاقات بين حرب وعنزة (٣)، واستطاعت من جهة الشرق مطير أن تهزم عنزة بعد أن رفضت امبالها للرحيل من مراتبها التي سمحت

(١) الجزيري : المصدر السابق ٥٢٨، ٦١١.

(٢) عاتق بن غيث البلادى : نسب حرب . ط (٢) مؤسسه ودار مكية . مكة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٣٣، ١٧٠٠.

(٣) هي عدة وقائع حدثت في القرن الحادى عشر الهجرى بين حرب وعنزة انتهت بجلاء عنزة وسببها اهانة بعض شباب عنزة لابنة أحد أمراء حرب، وسميت المجللة لأن ابتداء أمرها تجهيز هذا الأمير الذى أهنت ابنته ذلولا ليست سوادا ولهبسرا كتبها كذلك سوادا وطاف بها على أمراء حرب لاستثارة نخوتهم حتى تجمعوا وحدثت تلك المعارك، وللتفصيل فيها : البلادى . المرجع السابق ١٧١-١٨٠، وقد ذكر فيها أن قصة سمعود عبد ابن هذال التي سيرد تفصيلها عند الكلام على الرق لدى بادية نجد قد حدثت في أعقاب تلك المعارك.

لها فترة الوبع بالوعى فيها وذلك فى وقعة الحجناوى سنة ١١٩٣ هـ ١٧٧٧ م (١) وبذلك تمكنت هاتان القبيلتان من طرد عنزة وحصرها فى نجد حيث تحضر بعضها وتفرق فى البلدان النجدية ، ورحل قسم منها الى شمال نجد ، وجنوب العراق لتحتل حرب منازلها فى المدينة وما حولها وتحتل مطير منازلها فى نجد (٢) .

ولقد كان جلاء عنزة عن وسط نجد شبه جماعى نتيجة لتلك المعارك من تلك القبيلتين ومن هنا فقد كان فراقها مؤثرا كما سيأتى فى قصة سمود رقيق بن هذال وكما سجل الشاعر الشعبي (٣) رحيلها متვნيا عودتها حيث قال :
نجد تهضم بالهكا للعمارات : ترجى الفزع من سرية أولاد واهيل
دقاق العلا بهى مايجون المشيشات : ودخنة لابن هذال صدق صاهيل
وابن السفر مايند كرحول اهانات : والشمرى حكه على سور حاهيل (٤)

(١) سيرد التعريف بالحجناوى ووقعتها تلك عند الكلام على موقف بادية نجد من الدعوة السلفية لأن لها أساسا بالموضوع . وللتفصيل : مقبل الزكير : المقود الدرية مخطوط رقم ٣١ ، ٣٢٠ .

(٢) ابن بلهيد : ١٢٨/٢ ، عبد الجبار الراوى : البادية ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
(٣) هو الزناتى من أهل الطرفية بالقصيم ويرجع فى أصله الى عنزة (المبودى : بلاد القصيم ١٩٥١/٣) .

(٤) تهضم : أى تصدع من كثر تمككه على فراق عنزة ، وهو هنا يصور أرض نجد وقد بلغ منها الحزن كل مبلغ ، المطارات : أحد أفخاذ بشر من عنزة ، ترجى الفزع : أى تأمل أن يفزع لها سرية أولاد واهيل : أى صفوة عنزة وأولاد واهيل نخوة عنزة ، دقاق : نحيف الرقاب وهو موطن ذم ويقصد احدى القبائل المعادية ولعلها مطير ، ماياتون ، المشيشات : جمع مشيشة وهى أماكن خصبة على الضفة الجنوبية من وادى الرمة ، دخنة : قرية كبيرة للبادية تقع فى الجنوب الغربى لمنطقة القصيم جنوب الرس كانت لفترة فأخذتها منها حرب ، ابن هذال : شيخ مشايخ عنزة ، صدق صاهيل : صدق وحقيقة ، ابن السفر : يقصد أمير السفر من حرب ، ما يندكر : أى ما كان يقرب حول أهانات : جبلان يقمان غرب الرس ، والشمرى حكه على سور حاهيل : أى أن أمير شمر لا يستطيع تجاوز حائل لامتداد نفوذ عنزة اليها . للتفصيل (المبودى ١٩٤٨/٣ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، عبد الله العنزى : ديوان الوائلى - مطابع الخرج - الرياض ص ٤٢)

وهو كما كان يرثى رحيل عنزة عن نجد فهو يصور قوة سيطرتها واحتلالها
لأبرز الأماكن الرعوية فيها وعجز كبار القبائل النجدية وغيرها أن تقرب من تلك
المناطق البعيدة من تلك القبيلة المرموقة.

وقد بقيت النظرة السيئة بين مطير النفوذ وعنزة حتى بعد أن دخلت في طاعة
الدولة السعودية الأولى ، وكانت كل قبيلة تتفخر بما كان لها من أمجاد فتشهر
بمنها الممارك وكانت تقع بينهما مثل تلك الممارك لولا تدخل أئمة الدرعية
بالإصلاح بينهما (١) .

وظل لقبيلة مطير النفوذ والغلبة على نجد ما بين حدود منطقة القصيم
إلى قريب من حدود الحجاز إلى أسافل نجد لا ينازعهم في ذلك منازع على
أن المناطق التي لم تقع تحت سيطرتهم كان أهلها يعترفون بقوة سطوة هذه
القبيلة (٢) ، وأبرز مثل ذلك مدائح الشاعر الشعبي محسن الهزاني (٣)

-
- (١) ابن بشر ١/٢٣١ ، ٢٣٢ ، ابن بطيعة ٢/١٢٩ .
(٢) ابن خلدون : المجازين البطانة والحجاز ١١٠ ، ١١١ .
(٣) هو الشاعر النجدي عبد المحسن واشتهر بمحسن بن عثمان الهزاني .
بفتح الهاء وكسرهما من الهزازنة من الجلاس من عنزة ، والهزازنة أول
من عمر الحريق عام ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م بعد ما أخذه مع نعام من
القواوة من سبيع ومحسن هذا هو ابن ربيعة نجد في زمانه لكنه كان
يتحلى بحفاف وشرف ، وقد عاش في أواسط القرن الثاني عشر وقد برع في
الشعر خاصة الغزل والفخر والمدح والتضرع إلى الله والوصف واشتهر في
شبه الجزيرة عامة ، وهو أول من أدخل الأوزان الشعرية المسماة بالسامري .
وقد تولى إمارة الحريق فترة لكنه تركها ليتفرغ لشعره ، ولم يخرج في آخر
عمره دررا من القصائد الوعظية قل أن يوجد مثلها في الشعر الشعبي
النجدي ، توفي في أوائل القرن الثالث عشر وقيل عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م
ولا يستطيع الباحث تحديد موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
إلا أن تكون قصائده الوعظية صدى لتلك الدعوة . للتفصيل (ابن بطيعة)

لرؤ سائهم لصلته بهم كوله فزل بمحبوته المطيرية حيث يقول :

بمنى وبين صويحي وقفه أحوال يا من يقود الصلح بينه وبينى

الى أن قال يمدح أحد شيوخ مطير :

يرعى بسهمائة وسبعين خيال حاميتها بمذلات العريش

مرابها ما بين إهانات والخال ناحين عنه الدوسرى والحسينى

ما هم ابن جبره جماعة الصال علوا هل الردات يا شبيب عيسى (١)

= ٢٠٤/٢ ، ٢٠٥ ، ابن عيسى ٥١ ، ٥٢ ، عبد الله الحاتم : خيسار
ما يلتقط ١/١٧٧ ، خالد الفرج : ديوان النبط المطبعة العربية
القاهرة نشر المكتبة الأهلية الرياض ١/٨ ، ٩ ، محمد سعيد كمال :
الازهار النادية ١٢/٨ ، ٩ ، ١٠ ، محمد القاضى : روضة الناظرين
٢/٣٦٢ ، حمد الحقييل : كنز الانساب ١٦ ، ومحمد بن سعد بن حسين
محمد بن بلهد وآثاره الأدبية ١/٣١٢ .

(١) يقول في البيت أن بينه وبين محبته عدة لقاءات ولكنها قاضية منسه
فمضى أن يأتي من يعقد صلحا بينه وبينها ثم يمدح أحد شيوخ مطير ولعله
الدوش شيخ علوا فيقول : انه اذا أراد أن يرعى صاحب معه سيمائة
وسبعين خيال لاظهار هيئته حتى يحمون هذا العرى بمذلات العريش
وهى السيوف الحادة مرابها : أى موطنها ، الخال : هو خال الدفينة
جبل قرب الطائف بجوار ما الدفينة ، ناحين عنه : أى محمد بن الدوسرى
الجمع الدوسرى ومعنى هذا حدوث منازعات بين مطير والد واسر
الحسينى : من الحسينات من بنى مسروح من حرب ، ويرى البيت ناحين
عنه الجعدرى : أى القحطاني ، بره تأخذ افغان مطير ، علوا : فخذ
آخر وفيه إمارة مطير وسوا أهل الردات لانهم مها انهزموا فانهم
يردون على عدوهم ، يا شبيب عيسى : المقصود اصابة شعر الحاجبين
بالشيب انظر عن الابهات : (الازهار النادية ١٢/٢٩ ، ابن خيسار :
المجاز ١١١) .

ويقول في موضع آخر يمدح علوا :

علوا مكسرة القنا بالمطاييق لا سافر المسويق ما عنه يقفون
قوم الى نشف الليل جمتا لريق وقفت سبا ياهم تراهم يردون
الى لحقهم طالب الدين بالحيق ردوا عليه وزادوا الدين بديون (١)
وما من شك في أن هذا يصور كيف توغلت قبيلة مطير في نجد فقد سكنوا
أغلب أنحائها ، وأصبحت لها الكلمة النافذة في الراعى الجيدة فيها تماشا
كما كان لعنزة ومن قبلها لبنى لام ، وأصبح من ارادات الرعى فيها من
القائل تطلب الجوار وتهدى الى رؤساء هذه القبيلة .

وظلت مطير على قوتها حتى أتى هادى بن ظالم الجحدرى الملقب باهمن
قرملة رئيس قبائل قحطان فاتفق مع الدوشان على أن ترمى قحطان من مراعى
مطير وتشرب من موارد ها على جوار بينهما ، وهاج هادى للدعوة السلفية
وهاجعت معه قحطان كلها حتى اذا توفى وخلفه ابنه محمد أخرج مطيرا من
طالية نجد حيث ارتحلت على دفعات الى شرقى شبه الجزيرة حتى منها غدير
كثير في نجد (٢) .

(١) القنا : الهام ، أو الرماح ، والمطاييق : التاريس المسويق : الضهزم ،
ما عنه يقفون : أى ما يتركونه حتى يزيدون من هزيمته ، الى نشف الليل
الخ : أى لا يملون من كثرة الحرب ، واقفت سبا ياهم : أى انصرفت ،
يردون أى يعودون لمكان المعركة استعدادا للآخرى ، طالب الدين :
أى طالب الثأر ، بالحيق : أى كاد أن يحيق بهم ردوا عليه بثأرا عظيما
من الأول . عن الابيات : (عبد الله الحاتم ٢٠٩/١ ، الأزهري
١٠٨/١٢) .

(٢) ابن بلهيد ١٣٠/٢ ، ١٣١ .

على أن لم يمض زمن طويل حتى اختلف ابن هادي مع قبيلة عتيبة القادمة من الحجاز والتي كانت تحمل شيئاً من الكره لقطان التي كانت تشن عليها الغزوات باسم الدعوة السلفية ، وكانت تستغل دخولها في طاعة الدولة السعودية الأولى لتكف وجودها في نجد مما سيرد الكلام فيه وعن بداية انتشار نفوذ قطان عند الحديث عن مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية ان شاء الله ليرود تلك الاحداث بعد قيامها وتحسب تأثيرها أحياناً (١) .

هذه أبرز ملامح الوضع القبلي لبادية نجد حتى قيام الدعوة السلفية لأبرز القبائل التي تسنحت نوى السيادة في أواسط نجد ، ومن هنا فان القبائل النجدية الأخرى التي لم تستطيع قبيلة أن تزاحمها فسي منازلها كالدواسر ، أو التي جلت عن نجد بعد قيام الدعوة كالسظفير أو تلك التي لم تكن بقوة تلك القبائل وكثرتها كبقية القبائل الأخرى . هذه القبائل ليست من اختصاص هذا الباب الذي يعطى ملامح من الفئات الاجتماعية في نجد ونهضة عن تاريخها فقط لان التفصيل في هذا المجال يخرج بالبحث من عنوانه .

(١) ابن بلهيد ١٣٠/٢ ، ١٣١ .

الفصل الثاني

الصلب : دراسة تاريخية واجتماعية

أصلهم :

يمكن اعتبار الصلب (١) كالهدوء فئة خلوية فهم يتفقون مع البدو وفسى
سكنى الصحراء على اختلاف بينهم فى شكل السكن وقربه ومعدده من المساكن
الحضرية ، ولكنهم من جهات متعددة يختلفون عن البدو وأشد الاختلاف فهم
يتميزون عنهم بعلامح جسانية أبرزها بياض البشرة ، وزرقة العيون ، وشقيرة
الشعر ، ورقة الجلد (٢) ، وأهم من هذا وذاك اختلافهم عن البدو فى الأصل
الاجتماعى غير الواضح ، والعادات والتقاليد التى يختلف فيها هذان الفريقان
اختلافا لا مجال للمقارنة بينهما فيها ، وما ترتبى للصلب بعد البدو الا بمقدار
ما يجمع بينهما من عدم السكنى فى القرى والبلدان .

وقد اختلف النسابة والمؤرخون فى أصل هذه الفئة على ثلاثة آراء
رئيسية ، وبعض الآراء الجانبية التى ستمر مشوشة فى ثنايا هذا الفصل بعضها
الى الاشاعة أقرب :

الرأى الأول : أن أصلهم من الهند ، وهذا الرأى يستند الى أن غجر الهند
(البانجاراز) هم أصل هذه الفئة ، ويرى هذا الرأى قسم

- (١) من معاني مادة صلب : الشدح والجلجى قال فى القاموس والتاج : الصلب
كسبر ، والصلبى ، والصلبية ، والصلبى حجارة المسن قال الشطخ :
وكان شجرة خضراء وحنينة : لظ تشرف صلب مغلوق .
والصلب : الشد يد من الحجارة أشدها صلابة ، والصلبى بالشد يد ماجلى وشدح
منها أى حجارة المسن ، ومنح مصلب : مشحون بالصلبى ، وتقول سنان صلبى
وصلب أيضا مسنون (الفيروز آبادى ٩٣ / ١ ، الزهدى ١ / ٢٣٣٨)
(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ٣١٤ / ١٤ ، ٣١٨ مادة صلب .

كبير من دارسي تاريخ الشعوب الذين يؤكدون أن قسا كبيرا منهم قد ترك الهند في هجرة واسعة على جهل بتحديد تاريخ هذه الهجرة أو سببها ، وفي هجرة جديدة لاحقة انقسم الفجر الى قسمين كبيرين عند وصولهم الى واسط آسيا فاتجه قسم جنوبا الى شبه الجزيرة والعراق والشام وغربا صوب مصر وشمال أفريقيا ، وفريق آخر اتجه الى الشمال والغرب الى أوروبا بل حتى وصلت جماعات منهم الى أمريكا عام ١١٢٨هـ / ١٧١٥م ومن هنا انتشروا في بلدان هذه المناطق (١) .

وطبيعي أن هذا الرأي يعتقد بأن الصلب في شبه الجزيرة يلتقون عرقيا بالنور في الشام والأردن ، والفجر في مصر والشمال الأفريقي ، والحلب (٢) في السودان ، و (Gypsies) في كافة بلدان أوروبا وربما أمريكا اشتقا من اسم مصر بالانجليزية اعتقادا من الأوربيين بأنهم مصريون حيث ينتشر هذا الاسم في كافة بلدان أوروبا ويروونه أصلا للتمسية عامة وتتفرع عنه تسميات فرعية لكل بلد أوروبي على أن هناك تسميات أخرى في آسيا ليس هنا مجال التفصيل فيها (٣) .

-
- (١) جرجي زيدان : طبقات الأمم - دار التراث . بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م ص ٢٣٦ ، مجلة العربي عدد ٢٩٦ رمضان ١٤٠٣ هـ / يوليو ١٩٨٣م ص ١٠٢ من استطلاع عن البانجاراز في الهند .
- (٢) من معاني مادة حلب : الاجتماع من كل جهة قال في القاموس والتاج : وحلب القوم يحلبون حلبا اجتمعوا وتألبوا من كل وجه ، وأحلبوا عليك اجتمعوا وجاءوا من كل أوب . (الفيروز آبادي ٥٧/١ ، الزبيدي ٣٣/١ مادة حلب) .
- (٣) جرجي زيدان : المرجع السابق ٢٣٦ ، مجلة العربي العدد السابق ص ١٠٢ .

ومن أبرز الأدلة التي يدعم بها هذا الرأي وجهة نظره أن هذه الفئات تتفق فيما بينها على الطواف في الأرض بين الناس وإتهان السرقة والسؤال ، والسحر ، وممارسة كافة الصناعات التي يستنكف أهل البلدان الأصليون القيام بها ، وكما تتفق هذه الفئات فيما بينها فأنها تلتقي في ذلك مع البانجاراز الأصل الاجتماعي لهذه الفئات ، علاوة على الاضطهاد الذي تلقاه هذه الفئات كذلك من كافة القوى المحلية سواء كانت سياسية أو اجتماعية ، فإذا فقدت الاضطهاد السياسي عولمت بنظرة اجتماعية متدنية وقد تلقى اضطهادا سياسيا واجتماعيا في آن واحد كما حصل من قادة بريطانيا وهتلر والمجتمعين الانجليزى والألماني (١) .

وهذا الرأي كما يراه عدد من دارسي تاريخ الشعوب فإن مجتمع الفجر في الهند نفسه يرى هذا الرأي وينسج حول أصلهم بعض الأساطير ، ودراسة المجتمع الفجري في الهند تسند هذا الرأي ، إذ أن مساكنهم تشبه تماما مساكن الصلب والفجر والنور وبقية الفئات التي ترجع الى هذا الأصل الاجتماعي (٢) .

وما حداني الى تسجيل هذا الرأي رغم عدم اشارته الى صلب نجد هو وجود أصل لهذا الرأي لدى بعض عامة أهل نجد ، إذ يرى هؤلاء العامة ثبوت الصلة الجنسية بين صلب نجد والفجر والنور وسائر الفئات الأخرى التي تعود الى ذلك الأصل ، على أن هؤلاء العامة فضلا عن ذلك يرون أن أصل هذه الفئات واحد يعود الى غجر الهند الذين رحلوا منه وتفرقوا كما يقول هذا الرأي ، وإن كان لا يمنع أن يكون هذا الرأي قد تأصل نتيجة لمقارنة بين أوضاع الفجر في الهند وصلب نجد قد تكون تمت خلال الرحلات التجارية بين الهند ونجد (٣) .

(١) جرجي زيدان : المرجع السابق ٢٣٦ ، مجلة المربي العدد السابق ص ١٠٥ .

(٢) مجلة المربي : ص ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

(٣) من مرويأتي الشفوية المحفوظة عن هذه الفئة .

ويرى فريق من أهل هذا الرأي أن أقرب هذه الفئات الى صلب نجد قربا من ناحية الأصل وتشابهها من ناحية العادات والتقاليد هم النور الذين تؤكد الدراسات الاجتماعية والتاريخية عنهم هذا التشابه الدقيق في الكثير من أساليب الحياة (١) .

الرأي الثاني : أنهم جماعات من بقايا الأم القديمة التي كانت تعيش فسي الجزيرة فجهل أصلها ويستدل صاحب هذا الرأي على ذلك بأنهم من أعرف القبائل بمواضع الجزيرة وأن منهم أدلاء مشهورين يعرفون مغاير الطرق ، والسير عن طريق النجوم (٢) .

وما من شك في معرفة الصلب بكل هذا حيث قد تواتر لدى النجديين قوة معرفتهم بها ، ولا أدل على ذلك من تلك الحادثة العجيبة التي تؤكد قدرة الصلب على هذه المعرفة والتي مر ذكرها في أول هذا الباب حيث استخدم فردا منهم موفد الملك عبدالعزيز - محمد أسد - (٣) لكشف مصدر

-
- (١) دائرة المعارف الاسلامية : ٣١٩ ، ٣٢٠ .
 - (٢) صاحب هذا الرأي هو الشيخ حمد الجاسر : مجلة العرب ج ٦٠٥ / ١٤ ص ١٤٢ ، وبعض باحثي دائرة المعارف الاسلامية .
 - (٣) هو ليهولك فايس سابق - محمد أسد وابيس ولد سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م في مدينة ليفو والنسابة سابقا البولندية حاليا ولما بلغ عمره ثلاثا وعشرين سنة قام بزيارة للشرق الأوسط وأصبح فيه مراسلا لمجلة (فرانكفورت ترابتنونج) وقد مر بمراحل بحث طويلة عن الحقيقة أسلم بعدها ، وتعرف على الملك عبدالعزيز فهادقه ومحضه النصيح ، وأدى بعض الأدوار في قضية الاخوان ، وتتميز كتاباته عن الاسلام بالعمق والحيطة لأنه دخله بعد دراسة متأنية رغم أنه من أصل يهودي ، كتب عن الملك عبدالعزيز وعن قضية الاخوان كتابة جيدة ثم رحل الى باكستان فعين مثالا لباكستان في الأمم المتحدة وتسلم قبله وبعده عددا من المناصب في حكومة باكستان ويرى جلال كشك أنه يعيش الآن في منطقة طنجة ، ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرسة ، وأصول الفقه الاسلامي والطريق الى مكة الذي ترجم تحت عنوان الطريق الى الاسلام ، والاسلام على مفرق الطرق ،

الأسلحة الجديدة والعملات حديثة السك التي تصل بكميات كبيرة الى الاخوان فاجتاز بالموفد رفيعه طرقا ومفاوز عبر تجمعات الاخوان واستطاع عبر دلالته أن يكشف جانبها من سر تلك القضية التي أرقت الملك عبدالعزيز ، ولا شك أن تاريخهم حافل بمثل هذه الحالقوان لم تصل اليها في خضم التعميم التام الذي تتعرض له قصصهم وأخبارهم من النجديين حاضرة وبادية .

ويبدو أن هذا الرأي يستند كذلك الى معرفة الصلب الدقيقة بالقصص ما يقتضى معه أن يكونوا على معرفة سابقة بالحيوانات القديمة في شبه الجزيرة وأماكن تكاثرها وهذا يستلزم وجودا قديما في المنطقة لم يتوافر لأبناء القبائل المعروفة التي كانت تنزح الى نجد وتقيم فيها فترة ثم يرحل قسم كبير عنها (١) . ولقد كان دور الصلب فيما يتعلق بالقصص مهما ان من المعتقد أن تكون معرفة رجال القبائل لأصول هذه المهنة عن طريقهم ، حتى أصبحت فيما بعد مفخرة من مفاخر أبناء البادية ، وقد عرفت بعض الموارد التي كان الصلب

(=) للتفصيل عنه : (كتابه الطريق الى الاسلام ، وهو باكمله يحكى قصة حياته نجيب العقيلي ، المستشرقون ط (٤) دار المعارف ١٤٠٠ / ١٩٨٠ / ٢٩١ عرفات كامل العشي : رجال ونساء أسلموا ، ط (١) نشرالدار الكويتية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ١ / ٥٤ - ٥٩ ، محمد جلال كشك : السموديون والحل الاسلامي ط (٣) شركة مودى جرافيك . لندن ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٠ م ص ٢٩١ ، صحيفة الجزيرة عدد ٣٩٥٦ الجمعة ١٩ شوال ١٤٠٣ هـ ص ٩ من مقابلة مع مترجم الملك عبدالعزيز محمد عبدالله الطانع ذكر فيها أنه أول ترجمة قام فيها هي بين محمد أسد والملك عبدالعزيز) .

(١) المبودى : بلاد القصيم ١٣٦٧ / ٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣١٧ / ١٤ ، عر كماله : معجم قبائل العرب :

يرتادونها ويصيدون فيها الحيوانات والطيور البرية، وقد صر لنا حميدان الشويهر (١) دور الصلب ومهارتهم في الصيد ما جعلهم يحسبون

(١) هو أشهر شعراء العامية في نجد واسمه - علي ما ذكر أحد رواة الشعر الشعبي مؤخرًا - حمد بن ناصر السيارى، من السيارية من الدعوم من بني خالد ولقب بحميدان الشويهر تحقيرا له لسلطة لسانه، ولد في بلدة القصب، ونشأ فيها وبدأ يقرض الشعر وأبرز ملامح شعره خلط الجد بالهزل في مجالات السياسة والاجتماع والأخلاق، ولا تزال أشعاره سائرة على الألسن لأنها من النوع الخفيف، ولأن فيها مجالا للحكمة والسخرية والتندر والاذاع حتى أن بعض جامعي شعره قد أسقطها إلا أن عامة الناس تعرف هذه الأبيات ولعل ذلك للأسلوب الذي صاغها به والذي هو سر عظمة شعر حميدان، وقد ذكر بعض جامعي شعره أنه كان على درجة من العلم ولكن شعره غلب علمه ولا شك أنه كان على درجة من الثقافة الاجتماعية، ويعد حميدان حطيثة عصره إذ لم يسلم حتى أصدقاؤه بل حتى زوجته وابنه ونفسه ونقد مجتمعات وسكان البلدان التي زارها نقدا لاذعا، فقد كان يعطى اهتماما للجوانب غير المشرقة في المجتمع، ولعل ذلك لكونه قد عاش في شطف من المعيش كما أنه قد وصف بأنه قبيح نحيف ذو لسان سليط حتى لم يسلم من هجاء رجال العلم والدين وإن كان يركز على المتاجرين بالدين منهم، وقد جر له أسلحه هذا المتاعب في حياته حتى لقبه من هجاءهم "كليب القصب" وهرب إلى الزمير ليكون حارسا في أحد مساكنها، لكنه حين أتى نجد ليملا الدنيا ويشفل الناس، فعاد ومروا في طريقه على عدد من البلدان النجدية فخرج بتلك الأبيات التي أصبحت سجلا يفتخر بها المدوح ويتوارى منها المهجس، وقد غطت شهرته على شخصيته فلا نعرف شيئا عن ولادته وأسرته، يقال: إنه هجا عبد الله بن معمر أمير العميين (ت ١١٣٨هـ / ١٧٢٦م) فأهدر دمه فتوسل به زوجته وأخرج قصيدة عصاة في مدحه حتى عفا عنه وأجازه، أدرك بدء الدعوة السلفية وقومها تقويها صادقا، ويقال: إنه سبها ولم يثبت ذلك، عاش حتى هرم وقيل توفي سنة ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م أو بعدها بقليل إلا أن التضمن في شعره وفي الأحداث التاريخية فقد شهد أواخر الفترة بين لنا أن حميدان عاش بعد هذا التاريخ فقد شهد أواخر موقعة الوطية قرب ثمرذا بين عبدالعزيز بن محمد وبين أهل ثمرذا وأثنية ومات سنة ١١٦٣هـ / ١٤٧٩م حيث أشار إليها في شعره، كما أنه أشار إلى وقعة الفيل بضرط سنة ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م حيث أسر فيها

عبد الكريم بن زامل أمير أثينة وذكر ذلك حميدان في شعره ، كما أنه ذكر وقعة الصحن قرب ثرمدا التي أثار فيها الاسام عبدالعزيز بن محمد علي ثرمدا عام ١٨٠٠ هـ / ١٧٦٦ م وذكر حميدان لوقعة الغفيلي في قوله :
 قل بهض الله وجه جيران دارنا : الى نشدوا وش كان عنا وكسان
 حضرت لهم في عفة القور وقعة : بها الطرحا شروى الهشيم تسوان
 وقفوا وقفينا معيفين بيننا : وراحب تناعى ليمعة وأحزان
 مهبضة ربط الكريم بن زامل : سنا الوشم راعى منسف واجفان
 وهو في الأبيات التالية يرجع الذكرى الأليمة لمقتل آل زامل في وقعة الوطنية ويذكر وقعة الصحن حيث يقول :

ناديت بالجربا رزمن وسبهان : وصيت تناجيني جدوث المقاسر
 باليتهم يحسون يوم وليلة : ويشوفون كون بالصحنات باكسر
 وهذه الأبيات تدل على أن حميدان كان عام ١٨٠٠ هـ / ١٧٦٦ م لا يزال قيد الحياة وليس كما ذكروا بعض جامعي شعره أنه توفي سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م . للتفصيل : (ابن غنام : روضة الأفكار والأفهام ط (١) مكتبة ومطبعة الحلبي مصر نشر المكتبة الأهلية - الرياض ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٧ م
 ١٥ / ٢ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٦٤ ، عبد الله البسام : تحفا لمشتاق (مخطوطة) الورقة ٨١ ، ٨٥ ، خالد الفرج : ديوان النبط ١٤ / ١ - ١٧ وعن شعره من ص ١٦ - ٧٨ وعن الأربعة الأبيات السالفة ١ / ٢٤ ، محمد سعيد كمال : الأزهار النادية في أشعار البادية . ج ٣ / ٩ - ٥٥ / ٩٢ ، عبد المحسن أبابطين : المجموعة البهية

٦٤ - ٧٨ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ٣ / ٣٦٧ وقد ذكر فيها وفاة حميدان سنة ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م وهذا وهم منه الا أن يكون خطأ مطبعيا محرفا عن ١١٨٨ هـ فهذا محتمل ، حمد الجاسر : معجم أنساب الأسبر المتحضرة ١ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، حمد الحقييل : كنز الأنساب ومجمع الآداب ، الطبعة الخامسة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ١٤٢ ، سعد بن محمد بن نفيسة : اضامة من التراث . منشورات دار الوطن - الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، عبد الله الحاتم : خيار ١ / ١٣٩ ، ١٧٣ ، عبد الله الشبل : أهم المصادر النجدية ٢٠٠٩ ، مجلة مركز البحوث التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ع/ص من بحث لأستاذي الدكتور عبد الله الشبل بعنوان تاريخ ابن عباد : ص كلية الآداب جامعة الملك سعود : مصادر تاريخ الجزيرة العربية مطابع الجامعة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ١ / ٣٨٥ ، ٣٨٦ من بحث للدكتور عبد الله المشيم ، صحيفة الجزيرة عدد ٣٩٣٠ الجمعة ١٤ رمضان ١٤٠٣ هـ (من مقال بقلم الراوية الشعبي ابراهيم اليوسف) .

روادا فيه قوله متغزلا :

عينا عمن ريم حفل واستدار : شم وشاف زيلة ظعون الصلب (١)

وللصلب مهارة عجيبة في القنص ، وجلد عظيم عليه ، وهم لهذا يكمنسون ساعات طوالا للفريسة في حفر يحفرونها عند موارد المياه ، فلا يرجعون حتى ينالون من فريستهم ، وهم في سبيل ذلك يلبسون ملابس فطرية من جلود الغزلان أو غيرها من حيوانات البر ، ويكون شعرها هو الظاهر بحيث يبدو أحدهم وكأنه أحد هذه الحيوانات فتأنس به فيصيداها ، وإذا لم يتيسر ذلك لبسوا من الألوان التي تحاكي لون الرمال في الصحراء لتناسب ظروف الأرض فيها ، وتمكن الصياد من التوصل لفريسته بنجاح (٢) .

وكما استفلهم البدو في معرفة القنص وأساليبه فقد استخدموهم أدلاء في جولاتهم وغزواتهم البعيدة إذ من المتواتر عدم تهيئة الصلبي ، وتحسنت أى ظروف من ظروف المناخ فالصلب يستطيعون ارشاد مجموعة بدوية غازية الى مورد ماء أو مرعى بلا خطأ أو تردد أو معاناة ، ومن هنا فهم يسدون خدمة عظيمة للبدو عن طريق افادتهم من القنص والدلالة التي يعرفون عن طريقها جل أخبار البدو القاصية والدانية وتحركاتهم القبلية وغزواتهم ضد بعضهم البعض أو ضد الحضر (٣) .

(١) حفل : أى خاف ، استدار : هرب مسرعا بعد أن تحقق من مصدر روعه ، شاف : رأى ، زيلة الزيلة والأزوال : جمع زول وهو الشبح الذى

يتراى من بعيد سواء كان حقيقة أم خيال ، ظعون : جماعات :

(خالد الفرج : ٦١/١)

(٢) كحالة : ٦٤٧/٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣١٧/١٤ .

(٣) كحالة : ٦٤٧/٢ .

ويبدو أن هذا الرأي يميل إلى رأى ذكره عدد من الباحثين من أن أسلاف الصلب كانوا في مركز اجتماعي واقتصادي أرفع من مركزهم الحالي بكثير، ولكنهم فقدوا هذا المركز لخطر سلبهم ودناءة أخلاقهم مما شابه ذلك وينتهي هذا الرأي إلى القول بأنهم من أصل عربي خالص (١) استنادا إلى أحد التفسيرات اللغوية لمادة صلب الذي يقول: "عربي صلب خالص النسب، وامرأة صلبة كريهة المنصب عريقة" (٢) ويؤكد وجود مثل هذا الرأي في المجتمع النجدي قول راشد الخلاوي عن الصلب وأصلهم الاجتماعي والتحويلات التي طرأت عليه:

الصلب أجواد نما الجود جدهم : نزار الذي صلب العرب بن صلابيه
أجاويد قوم قلب الله قلوبهم : بحيلات سوطات القوم خابيه
قوم طفوا والناس في جاهلية : وأزى بهم شرك تطامى خابيه
ولا عندهم إلا ابلين دليلهم : دطاهم ولبى القوم لا بلبس جابيه
دط القوم قاموا كالسكارى لصوته : وإلى صحوا أضحوا لداعيه نايبه
دهى القوم باخلاق رمت كارعزلهم : وطابت محاديهم مدى ادهر داييه (٣)

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٤/٣١٠، ٣١٩.

(٢) انظر الزبيدي : تاج العروس ١/٣٣٨ مادة صلب.

(٣) نما الجود : أى أصل الجود ومنبعه ، حيلات سو : تحيل على أخلاق سيئة ، خابيه : سيئة أو معيبة أزى : أقعد عن معالي الأمور ، تطامى : تكاثرت ظلماته ، والغابيب : جمع غبة وهى الماء العميق ، جابيه : مجيبة أو مطيعة ، نايبه : منية ، كار : طبيعة ومادة وأصلها فارس ، محاديهم : أصولهم ، داييه : دائرة ، (عبد الله بن خصص : راشد الخلاوي ٢٥١ ، ٢٥٢).

وإذا ثبت أن الخلاوى يرجع إلى صليب ، فإن هذا القول من باب رد الفعل تجاه الازدراء والنظرة السيئة من المجتمع النجدى تجاههم ، أما إذا ثبت أن الخلاوى من بنى هاجر من قحطان (١) فإن هذا القول لـه دلالة العظيمة ويجوز أن يكون له مستند من الحقيقة خاصة وأن بعض كبار الباحثين في أصلهم يرون احتمال هذا الرأي ، ولا يبعد أن يكون هذا القول صدق لبعض ما تواتر لدى النجديين من ثبوت أصل عريق للصليب وعدم تعرضهم - في أى فترة من الفترات - للاسترقاق ، وأن السبب في انحطاطهم اجتماعيا هو ما قدره الخلاوى تماما - وأن كانوا يختلفون معه بأنهم ليسوا عربا (٢) - ومن هنا فإن رأى الخلاوى يتفق مع ما تواتر لدى النجديين من نظرتهم للصليب بأن ديانتهم ضعيفة ، وأن السبب في سقوط وضعهم الاجتماعى واندثار عزتهم هو تخلفهم باخلاق سيئة اوقعتهم في حمة الردى لوقعت بهم من عن معالى الأمور ومجاراة العرب الصرحاء في الاخلاق الكريمة من كرم ، وهزة نفس وإباء ، ويؤكد الخلاوى أن أصل واستمرار هذه الاخلاق فيهم هي التي عاينتهم على مختلف فترات التاريخ بحيث أصبحت من المعالم الرئيسية فى حياتهم الاجتماعية .

والذى يظهر أن هذا الرأى يميل إلى أن الصلب هم أهل البلاد الأصليون وأن تعرضهم للازدراء راجع إلى قلة عددهم وضآلة شأنهم واستيلاء

(١) ذكر القاضى فى روضته ٢ / ٦٧٤ أن الخلاوى من بنى هاجر من قحطان كما أن ابن خميس فى طبعته الأخيرة لكتاب الخلاوى روى عن بعض أمراء البدو وشاهيرهم أن الخلاوى من بنى هاجر وأن ذلك متواتر لديهم .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٤ / ٣١٠ ، مروياتى الشفوية عن هذه الفئة .

القبائل القادمة الى نجد عبر الموجات البشرية المتلاحقة على مواطنهم ويلمح الباحث تشبيه هذا الرأي هؤلاء الأقوام بسكان أمريكا الأصليين "الهنود الحمر" الذين طردهم القادمون الأوروبيون عن مواطنهم وأستولوا عليهم وأصبحوا بعد ذلك يكيلون لهم مختلف أنواع الاحتقار ، مع الفارق الشديد بين الفريقين في كون الصلب رغم احتقار النجديين لهم وترفعهم عن مخالطتهم بشكل عام فئة اجتماعية راقية اذا قيس أوضاعهم الاجتماعية بأوضاع المنبوذين في العالم سواء في أمريكا او غيرها ، ولا أدل على ذلك من تلك الحصانة الاجتماعية التي يتمتعون بها كما سيأتى بعد قليل .

الرأى الثالث : أنهم من بقايا الصليبيين ، وهذا الرأى لا يستند الى مستند تاريخى أو عرقى بل كل ما يوجه به قوله هو التشابه اللفظى بين الصلب والصليب ، وقد ظهر هذا الرأى أول ما ظهر سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م ، في مقال في احدى المجلات الفرنسية التي تصدر بباريس ، وتلقفه في العالم العربى بقايا الصليبيين فعلا "موارنة لبنان" واثبت ذلك الرأى ونشره في المنطقة بطرس البستاني (١) ، وانتشر انتشارا واسعا بين بعض المثقفين العرب ، ولقى قبولا لدى كثير من عامة الشعب حاضرة وهادية في نطاق ما ينسجونه حولهم من التهم في أصلهم ومعتقدهم وأخلاقهم (٢) .

(١) هو بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني من كبار علماء وأدباء لبنان المسيحيين ولد سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م في احدى قرى لبنان وتعلم العربية وآدابها وعددا من اللغات ، وتعين مدرسا فترجما للقنصلية الأمريكية ببيروت ، ثم استعانت به في بعض الأعمال الادارية الأخرى ترجم التوراة من المبرية للمبرية ، وألف "محيط المحيط" معجم لغوى ، ودائرة المعارف كما أسس عددا من الصحف. توفي في بيروت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م . للتفصيل فيه : الزركلى : (الاعلام ٣١/٢) .

الموسوعة العربية ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٢) الحقييل : كنز الأنساب ٢١٠ ، عبد الكريم الجبهيان : الأثال الشعبية ٣/٥٥ ، ٤/٢٦٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٣١٠ ، مجلة العرب ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ / ١٤٧ ص ١٩٧ ، ٤٧١ .

ورغم ما ذكره عدد من الباحثين عن الصلب من أن المرء يستبين فسى عاداتهم آثارا من المسيحية القديمة والعناصر السبائية ، وأنهم مسلمون بالاسم فقط ، رغم كل ذلك فان الباحث لا يمكن أن يقبل بمثل هذا السراى الا بثبوت وجود مثل هذه العادات والمعتقدات وهو ما يتطلب معايشة لأحوال الصلب لم يقم به أى من الباحثين الغربيين عنهم فيما يبدو ، ثم ان تزعم هؤلاء الباحثين لهذا الراى يلقى حوله ظلالا من الشك ، على أننا لو أطلقنا لأنفسنا العنان فى قبول كل ما يقال عن معتقداتهم لتهنا فسى خضم الآراء المتعددة عن ذلك ان هناك من يقول انهم يعبدون النجوم والشمس ، وانهم يحتمون للصابئة بصلة معتقد ، وأن فهم من آثار اليهود فى صلاتهم (١) ، وقد رد على جوانب من هذا الراى محرر مادة صليب فى دائرة المعارف الاسلامية بقوله : (ان هذا القول بعيد الاحتمال كل البعد لاسباب عملية ولان الاشارات التاريخية التى توحى اليها بمثل هذا القول نفتقدها تماما (٢) .

وقد لقي هذا الراى شيئا من القبول لدى بعض الكتاب النجديين والذين لا شك فى أن قبولهم أو اقتناع بعضهم بهذا الراى الى حد ما هو الا صدق لما انتشر بين بعض الكتاب العرب عن هذه الفئة من الناس وما دعم ذلك من نظرة سيئة من عامة النجديين تجاههم ، هذه النظرة التى جعلتهم يرسمون حول هذه الفئة دوائر قاتمة من الشك فى أصلهم ومعتقداتهم (٣) .

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٣١٨/١٤ ، ٣١٩ .

(٢) أنظر ٣١٠/١٤ .

(٣) الحقيق : ٢١٠ ، الجبهان ٥٥/٣ ، ١٥٠/٤ ، ٢٦٥ ، ٤٥٠ ، ٢٨٥/٥ ، ٣١٢ ، وقد ذكر فى كل هذه الصفحات هذا الراى بقوله يقال انهم من بقايا الصليبيين الا أنه فى ٢٦٥/٤ قال عنهم من بقايا الصليبيين وترك صيغة الاحتمال ، وانظر مجلة العرب الاعداد والصفحات السابقة .

وليس من المعروف هل كان لو سمهم (١) الذى يقال انه على شكل صليب دور فى نشر الاعتقاد بأنهم مسيحيون ، ومن بقايا الصليبيين خاصة اذا علمنا بأن طامة أهل نجد وخاصة البدو ينسجون حولهم كثيرا من الاتهامات فى نطاق خوفهم من الاختلاط بهم حفاظا على عدم احتزاج دعاتهم النقية بدما^٥ هؤلاء الصلب - على حد اعتقادهم - ، ويرجح محمد أسعد أن هذا هو السر فى كل هذه الاشاعات العرقية والعقدية من هؤلاء (٢) ذلك أن نساءهم جميلات جدا تغرى شباب البدو فى عقد علاقات الحب التى قد تتطور الى زواج وهو ما يحقته البدو وخاصة رؤساؤهم ، ومن هنا

(١) الوشم لفظة فصيحة تعنى وضع علامة مميزة سواء على الانسان أو الحيوان ولكنها معروفة نجديا باطلاقها على العلامة المميزة للحيوان بكميها فى النار اما على صفحة عنقها أو أذننها ، وطرق عملها وانواعها معروفة لدى العرب منذ القدم ، وقد اخذ النجديون خاصة البدو بقسم كبير منها فلكل قبيلة أو فخذ وسم خاص به تعرف الدواب العائدة اليه وبشكل هذا أسلها من أساليب الحفظ على العاشية لدى بادية نجد ، ويتميز هذا الاسلوب بالمعرفة وعدم اعتداء أى قبيلة على وسم الأخرى ما لم تكن مخالفة لها ، وإذا أمكن عقد مقارنة بين وسم القبائل العربية القديمة وبين وسم الحديثة أمكن التعرف على المزيد من ملامح الاتصال التى تجمع بين القبائل العربية قديما وحديثا . (الفيرز باوى ١٨٦/٤ ، الزهيدى ٩٢/٩ ، ٩٣ ، المبودى : الاثال العامة ٥٧٥/٢) .

(٢) الطريق الى الاسلام ٢٨٠ ، وقد ذكر احتمال أن يكون أصلهم من شمالي شبه الجزيرة ، واستبعد امكانية قبول الرأى الثالث .

فقد وقف كبار الهد وأطام رغبة بعض شبابهم في هذا (١) ، ولا يبعد أن يكونوا في سبيل ذلك قد أخذوا يشتمون على الصلب في أصلهم ومعتقداتهم لعل هؤلاء الشباب يحتشمون عن مزاجية الصلب (٢) ، وما من شك فسي تسامح الصلب في القضايا الاخلاقية ، والنسب هي التي جعلت الهدوى كما يقول محمد أسد : " يرسم دوائر سحرية من الازدراء والاحتقار حولهم دفاعا غريزيا ضد امتزاج الدم الهدوى مع الصليبي " (٣) .

ورغم قبول بعض الكتاب النجديين بهذا الرأي - على غير جزم كامل بصحته - فقد أكد الشيخ حمد الحقييل في كنز الأنساب أن لهجة الصلب وسحتهم لا تؤيد مثل هذا الرأي (٤) ، كما أكد الشيخ حمد الجاسسر بأن هذا القول لا يرتكز على أساس ، وأن التشابه اللفظي لا يصح سندا في الحكم على انهم من الصليبيين ، وألقى في ختام كلامه الشك حول هذا الرأي لأن أول من نشره البستاني في دائرة معارفه وهو مسيحي ربما كان يدفعه الى ذلك أهداف مريبة (٥) .

وعدا هذه الثلاثة الآراء الرئيسية فهناك آراء هاشمية ليس هنا مجال التفصيل فيها الا أن عرضها هنا ضروري لتصوير جوانب من نظرة النجديين تجاه هذه الفئة ، كما قد تعطى الباحث بعض الأضواء التي تنير له طريق البحث عنها .

(١) الجبهيمان : ٣١٢/٥ وأورد مثالا يتداوله شباب الهدوى يدل على أسر نسبهم

الصلب لقلوب هؤلاء الشباب وهو : " قلبي خذنه بنات صليب " .

(٢) محمد أسد : الطريق الى الاسلام ٢٨٠ ، عبدالله بن ردا سرشاعرات

من الهادية ١٨٢ .

(٣) انظر محمد أسد : المرجع السابق ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٤) ص ٢١٠ .

(٥) مجلة العرب : ج ٥ ، ٦٠ / ١٤٣ ص ٤٧١ .

وفي هذا المجال تقول بعض الاشاعات النجدية ان أبا الصلب قد لحقته دعوة من أبيه نتيجة لاغضابه له حيث دعا عليه دعوة أسقطته وأسقطت عقبه بمين القبائل، على أن أحد الآراء تقول: ان مركز الصلب الحالي وعاداتهم توحس بأنهم كانوا ضحايا حرب مدمرة عظيمة نشبت بين الأمم، ويبدو أن هذا الرأي يؤيد في بعض جوانبه الرأي الأول في وجود صلة جنسية بين بعض الفئات التي تشبه الصلب في الكثير من نواحي الحياة (١).

كما يقول أحد الآراء ان أجداد الصلب قد خذلوا الحسين بن علي رضي الله عنه وأتباعه في وقعة كربلاء (٦١١هـ / ٦٨٠م) وبذلك يكون لهم ضلع في جريمة هذه المقتلة، وهذا يوحي بأن الصلب كانوا من الشيعة لأنهم هم الذين خذلوا الحسين ومن قبله أباء عليا وأرادوا التكفير عن ذلك بالمغالاة في حب علي وأبنائه، وفي هذا ما يوحي بأن أصل الصلب من شبه الجزيرة وأنهم تفرقوا في البلدان حولها كالعراق والشام وبقي منهم قسم في شمال شبه الجزيرة، ومعنى هذا الرأي أن وحدة اقليمية تجمع بين الصلب والنهر في هذه المناطق ولا تشمل غيرهم من الفئات المشابهة لهم كما يقول الرأي الأول (٢).

ولا يجد الباحث ذكرا لهذه الفئة في المصادر اللغوية العربية باللفظ الذي تعرف به الآن بل يجد ذكرا لفئة من الناس كانت معروفة في ذلك الوقت وتتشا به أوصافها مع الصلب، وقد أطلق عليها اسم الزطائف (٣)، ويقرر أحد

-
- (١) دائرة المعارف الإسلامية: ١٤/ ٣٢٠، ومروياتي عن هذه الفئة.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ١٤/ ٣١٠، ٣١١ وقريب من هذا الرأي اعتبار نخالة المدينة - وهم شيعة - من الصلب - على أن في هذا نظر .
واسمهم في الدوائر الرسمية نخليون، ويحيك بعض المؤرخين عنهم اشاعة تقرب من القول بأن للصلب صلة بقصة كربلاء. (أحمد السباعي: تاريخ مكة ط (٤) دار مكة . نشر نادي مكة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٩٤، ٩٥).
(٣) قال في القاموس والتاج: (الزعنفة طائفة من كل شيء، والزعنفة من كل شيء الرذل الردي، والزعنفة القطعة من القبيلة تشذ وتتفرد أو هي القبيلة القليلة تنضم الي غيرها من الأحياء الكيرة، وما تخرق من أسفل القبيلة يشبه به رذال الناس، والزطائف أجنحة السمك وبها شبهت الأدياء لأنهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الأجنحة بمعظم السمك، وقال الزهرى:

الباحثين أن الزعانف يشبهون الصليب تماما ان لم يكن الصليب يرجعون نفس أصلهم للزعانف (١) ، ويبدو من الاطلاع على أوصاف كل من الفتيتين وجاهة هذا الرأي الى حد ما ، ويمكن اعتباره مؤيدا للرأي الثاني من جهة رأيا مستقلا من حيث أنه ينظر الى الصليب على أنهم قد تعرضوا للنهذ منذ فترة متقدمة مما يوحي بأنهم من القادمين اليها ، ويبقى هذا الرأي قابلا للنقاش وربما القبول ، والى أن تتوافر الأدلة المؤيدة له يظل من الآراء الجانبية التي تبحث في أصل الصليب .

ومن الجدير بالذكر هنا التفريق بين الصليب والسيدان حيث يتمتعون بأخلاق أعلى من الصليب ، ويختلف الصليب عنهم بأنهم أعرق نسبا ، ويسمى السيدان " السيار " لامتثالهم الطواف في الأرض وهم يتفقون مع الصليب في هذا ، كما يتفقون معهم في أغلب المهن والحرف التي يقوم بها الصليب ، ويختلفون عن الصليب بعد مصاربتهم في القصر والدلالة ، ويمتدحون في عداد الأرقاء المحررين أو الفئات المجهولة أنسابهم عند الحضر ، ويتفقون مع الصليب في المسألة ، وقد يتبع الصليب أو السيدان أفراد من القبائل المعروفة فيتمرضون للاحتقار ، ويبدو أن هذا من أسباب احتقار فئات ترجع الى هذه القبائل المعروفة (٢) .

" كل جماعة ليس أصلهم واحد ، كما تطلق على النساء الخناثس ، وقد تجمع على الزعانيف بمعنى الجماعة المتفرقة من الناس ، ومنه قول عمرو بن ميمون : اياكم وهذه الزعانيف الذين رغبوا عن الناس وقارقوا الجماعة " انتهى بتصرف . (الفيروز آبادي : ١٤٨/٣ ، الزبيدي : ١٢٨/٦) .

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ٣١٠/١٤ .

(٢) ابن رداي : ٢١٦ ، ومروياتي عن هذه الفئة .

حياتهم الاجتماعية ومدى تأثير الدعوة السلفية فيها :

يؤدى صلب نجد أدوارا اجتماعية مهمّة رغم ما كانوا يعانون من نهب المجتمع لنجدى
فهم يقومون بكافة أعمال الحدادة المعروفة آنذاك كطرق وصنع بعض الأدوات
الزراعة ، والسكاكين ، والأسلحة ، ولقد كانت القوة الصلبة (نوع من السيف
التي يصنعونها) تحظى بالقبول والاعجاب من سائر النجديين لحدتها (١)
وعموما فهم يقومون بكافة الأعمال الحديدية ، وقد بلغوا بها درجة وصفهم بها
الباحثون الغربيون بأنهم حدادون مهرة (٢) نتيجة انبهارهم بدقة مشغولاتهم
الحديدية علاوة على أنهم يصنعون ويصلحون كافة الأدوات المنزلية وغيرها من
النحاس سواء كان ذلك صنعا أو رقعا أو جلوا لما علاه الصدا فى بطنه وهو
ما يسمى بالربابة (٣) (بتشديد الراء مع كسرهما) كما أن منهم نجارون مهرة
يقومون بصنع كافة ما يحتاجه المجتمع النجدى من الأواني المنزلية الخشبية ، وأشد
الابل ، وسروج الخيل ، ومحامل الحمير (٤) ، وشكل عام فان شغل الخلاصة
وهم الصلب لا يتقدم عليه عمل لدى النجديين حاضرة هادية ، كما أن لديهم قدرة
تامة على قيادة الأثر توازى قدرة بنى مرة لها (٥) .

(١) عبد الكريم الجبهان : الأثال الشعبية ٢٨٥ / ٥ وذكر الشل : " قرّة صلبى
تحقرها وهى تقصر العظم " .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ٣١٦ / ١٤ .

(٣) الربابة بمعنى الجلو والجلل لم يجد لها أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة الا
أن تكون من الرب الذى هو بمعنى الإصلاح قال فى القاموس " رب الأمير
أصلحه " ، أو تكون من البياض والتبييض قال فى القاموس أيضا : " الرباب
السحاب الأبيض " أما الجلو ففصيحة ، قال فى القاموس : " جلا السيف
والمرأة جلوا وجلأ صقلها ، وجلبت الفضة جلوتها " (الفيروز آبادى ٧٠ / ١) ،
٣١٣ / ٤ ، ٧١)

(٤) المحامل : جمع محمل بفتح وكسر الميم . جمع يطلق ويقصده التثنية ،
وهى فصحة الا أنها فى الأصل كانت لما يحمل فيها على الحمير قال فى
القاموس : " والمحمل كجلس شقان على الحمير يحمل فيها لأن الجمع
محامل " أما المقصود بها هنا فهي شقان بنجران من الأخشاب ليحمل فيها على
الحمير (الفيروز آبادى : ٣٦١ / ٣) .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية : ٣١٧ ، ٣١٦ / ١٤ ، محمد أسد : الطريق السى
الاسلام ٢٨١ .

وبالإضافة إلى ما كانوا يمدون المجتمع به من الحيوانات والطيور البرية نتيجة القنص فهم يمدونه كذلك بجلود ووبر وريش هذه الحيوانات والطيور ، كما يقومون بتربية الخنم وأحياناً الأبل ، ولكنهم اشتهروا بتربية الأتн البهيمة السريعة الجري ، ويعتبر الصلب بشكل عام من أشهر مربي الحمير ، ويقال انهم يصيدون حصر الوحش ويروضونها ويستغلونها في الانتاج والتجهيز وقد انتج اهتمامهم بهذه التربية حميراً تحتفظ بمستوى عال من القوة والخدمة ما جعلها تحظى بتقدير عظيم من سائر النجديين بل ذكر بعض الباحثين الغربيين ان هذه الحمير كانت تصدر إلى أوروبا في بعض الأحيان ، وقد اشتهروا كذلك بمعرفة علل الحمير وعموم الحيوانات (١) .

ويسدى الصلب خدمة علاجية للمجتمع النجدى وهم في هذا يستخدمون كافة أنواع العلاجات المعروفة آنذاك من تحسين للألم بالأيدى طبقاً لأصول فنية أشاد بها الباحثون الغربيون ، ومن استعمال للمراهم التى يجلبونها من المراكز التجارية ، ومن استعمال للمساحيق والعشروبات من نباتات البهية المحلية وغير المحلية يصنعونها ويدخلونها في هذه العلاجات ، علاوة على دقتهم وحدقتهم في معرفة مواطن الكلى لمعظم الملل ، وهم بعد ذلك لا يتورعون عن استخدام كافة أنواع السحر في سبيل هذا العلاج ، وعبر كل هذه العلاجات ، وما حذقوه من التجارب فهم أطباء النجديين عموماً والبدو خاصة يثق بهم كلا الفريقين حاضرة ياديه (٢) .

ومن أبرز مظاهر حياتهم الاجتماعية والتي سببت لهم احتقاراً متأصلاً من النجديين ضعف نفوسهم وتطلعها لما في أيدي الناس مما جعلهم يمتنعون السؤال الذى لا يمتنه أحد الا سبب له ذل ومهانة فكيف بمن استتراً اعتناناً

(١) عمر كحالة : ٦٤٧/٢ ، دائرة المعارف الاسلامية : ٣١٦ ، ٣١٥ / ١٤ ،
المبودى : الأمثال العامة ٧٣٤ / ٢ وأورد الشل رقم ٢١١٦٢ للصلبى
أبخص بمكاوى الحمار " أى أعلم متى وكيف وأين يكوى الحمار اذا
مرض .

(٢) كحالة : ٦٤٧/٢ ، دائرة المعارف الاسلامية : ٣١٢ / ١٤ .

ونشأ عليه أولاده ، ومن هنا جاء المثل النجدي قاسيا على الصلب ومبالغا في وصف حياتهم حيث يقول : " صلبى حياته ماهيب لله ورزقه على خلق الله " (١)
الا أنه على قسوته ومبالفته فهو يصور أحد أسس حياتهم كما يصور فكرة تأصلت عندهم لدى النجديين ، وهي قبولهم أى شئ في سبيل هذه الصهنة مهما كان حقيرا وفي هذا يقول أبو حمزة العامري (٢) راثيا ابنة عمه :

ما أسلى منك الآن سلى الصليبي عن حيا : الله أو يسلى الطفل عن ديد أمه الخالي (٣)

وقد بلغ من بغض النجديين وخاصة باديته للصلب والذي كان نتيجته لتأصل النظرة السيئة تجاه هذه الفئة ، بلغ هذا البغض حد التشاؤم من رؤية أى فرد من هؤلاء أحد الصلب عند القيام بأى عمل مما يدفعه الى تركه ، وهم ينسجون حول هذه الفكرة صورا من الاشاعات عن هذه الفئة تندرج كلها حول التشاؤم وعدم رؤية المرء ما يسهره اذا عرض له أحد هؤلاء وكما يقول المثل في هذا " عرضة صلبى " (٤) .

- (١) عبد الكريم الجهمان : الأمثال ١٥٠ / ٤ .
(٢) هو أبو حمزة العامري السبعمي لهفدنا رواية الشعر الشعبي بأى معلومات عنه غير لقبه ونسبه الذين أخذوها من بيته الذي يقول فيه :
يقول أبو حمزة من سلالة عامر : خيالها المعصوف بالهيجائسي
وهو من شعراء أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين ، ويرى فهد الربيعان في كتابه المربعات أنه من سلالة عامر بن عقيل بن عمر — المربعات ، (فهد الصمد الربيعان : المربعات — مطابع البادية . الرياض ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ١ / ٣٣ ، ٩٨ ، ٣٣ / ١ ، عبد الله الحاتم : خيار ما يلتفظ ١ / ٣٣ ،

- (٣) سلا وأسله : أنساه فتسلى : نسي ، حيا الله : استعمل نجدي لم أر له أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة وهو يعنى أى شئ مهما كان قليلا أو صغيرا ، ديد : الثدى وهي كلمة آرامية لا أصل لها من العربية وتنطق في الآرامية (ديدا) أما الديس — وينطق بها بعض النجديين خاصة البدو — فقال فيها الفيروز آبادي : " الديس : الثدى عراقية لا عربية " .
والآرامية هي لغة الآراميين الذين يعود أصلهم الى شبه الجزيرة العربية و أطلق عليهم لك الاسم وانتشرت لغتهم في مناطقهم الجديدي أي بادية العراق والشام . (الفيروز آبادي ٢ / ٢١٨ ، ٤ / ٣٤٤ ، المبودي : الأمثال ١ / ١٢٣ ، الموسوعة العربية ١٠٩ ، وعن البيت : عبد الله الحاتم : خيار ١ / ٣٤) .
(٤) المبودي : ١٤ / ٨١٤ ، ١٥٤ .

ويبدو أن ارتباط لفظة الصلبي في نجد بمفاهيم التدني الأخلاقي ، وعدم الاهتمام بالنظافة العامة ، وعدم الالتزام باليهود والمواثيق . يبدو أن هذا هو السبب الرئيس في كره الصلب لاطلاق هذه اللفظة عليهم إذ أنهم يرغبون في اطلاق لفظة الخلاوية ومفرد ها خلاوى حتى أنه اذا أطلقت على أحدهم خلاوى هش وهش واذا أطلقت عليه صلبى غضب ونفر منك وعلاوة على ما سبق فإن ارتباط لفظة الصلب بهيئتين النجديين جعلت هذه الفئة تنفر منها ، ثم ان لفظة الخلاوية تقربها من عامة البدو لاتفاقهما في سكنى الهادية والتخلوى فيها ، ومن هنا فإن اطلاق لفظة الصلب فيه معنى الذم كما أن لفظة الخلاوية فيها معنى المدح لهذه الفئة ، حتى أنه قد توارى لدى النجديين اذا أرادوا أن يذموا شخصا لاهتهم بنظافته قالوا عنه صلبى ، بل ان البدو يسمون أحيانا بعض أولادهم باسم صلبى اذا رأوا فيه بروز بعض صفات الصلب (١) .

ونظرا لحب الصلب للمسالمة ، ونأهيم بأنفسهم عن التورط في المنازعات التى تنسب بين القبائل العربية ، وعدم وقوع مثل هذه الغزوات بينهم كذلك ، فلم يكونوا أعداء طبيعيين لأى أحد في نجد حاضرة وهادية رغم امتثالهم للدلالة التى قد تؤدى الى احدى الغزوات ، ومن هنا فقد كفوا أنفسهم حمل السلاح ما عدا أسلحة الصيد ، على أن هناك عاملا آخر جعل حياتهم آمنة في صحراء نجد الموحشة ، وهو احتقار النجديين عموما والبدو خصوصا للصلب إذ ينظر المجتمع النجدى الى كل من تعدى عليهم أو غزاهم نظرة ساقطة باعتباره - وخاصة في نظر قومه - فاقدا لشرفه سواء كان هذا التعدى بالسلب أو بأى ضرب من ضروب التعدى الجسدية وغيرها ومن هنا جاء المثل النجدى معبرا عن أمن الصلب في تركهم مواشهم ترتع دون خوف من سارق حيث يقول هذا المثل :
الخلوى أباهره همل (٢) أى لا يمكن أن يقرها أحد ، وتلك نعمة أمنية

-
- (١) الجهيمان : الأثال ٢٦٥/٤ ، وأورد فيها المثل "طهارة صلبى" ، ومرويات الشفوية من هذه الفئة .
(٢) أباهره أحد صيغ الجمع للبحير فصيحة ، وهمل : بمعنى مهمل متروك ليلا ونهارا فصيحة ، وسيرد الكلام عند أثر الدعوة على الحياة الاجتماعية لدى هادية نجد على تنظيم الدولة السعودية الأولى المستمد من تنظيم الاسلام لأوضاع الهمل ، (الفيروز آبادى ٣٧٥/١ ، ٢٦٥/٤ ، ٧١/٤ وعن المثل : الجهيمان ٣/٥٥) .

يفتقد لها سائر المنبذين في أنحاء العالم بل تحت الصلب بها بين عامسة النجديين وسط مجتمعهميش حياة القلق والرعب والخوف في كل لحظة مسن لحظات حياته (١) .

ومن جهة أخرى فان لهذا الأمن أساسا رادى في أغلب الأحيان ان أن الصلب غالبا ما يلجأون الى القبائل المروحية الجانب مقابل اتاوة " ضريبة الاخاوة " ويدعى من يقوم بهذا العمل من القبائل حامى ، وتتركز هذه الحماية في القبائل التي تتركز مواطنها في شمال نجد بحكم تركز الصلب فى هذه المناطق ، ان أن بعض أفراد من البدو قد يطمعون في حيوانات الصلب الكبيرة من الابل والخيل على أن ذلك نادرا ندرة وجود مثل هذه الحيوانات لدى الصلب لأنهم في غنى عنها (٢) .

وان براعة الصلب في تعدد الأدوار الاجتماعية المهمة التي مرت تعطيلنا تصورا لما كان عليه الصلب من وضع اجتماعي استغلوه لها لحهم حتى يبقى المجتمع النجدي حاضرة وبادية بحاجة اليهم ، وشكل خاص فالبدو يقدروا في الصلبي براعته في تلك الأدوار ، ان أنه رغم احتقاره للأعمال البدوية ومن يقوم فيها بحاجة ماسة اليها ، ولذلك فهو يتطلع الى الصلب في الحصول على حاجاته منها ، وهذا عامل مهم لحصانتهم في المجتمع النجدي حيث استطاعوا بهذا الوعى الاجتماعى أن يكونوا من أنفسهم فئة اجتماعية مهمة لاغنى للمجتمع عنها فهي قد جعلته يكتفى بنفسه بنفسه الى حد ما فيحتاج اليه من حرف أساسية لتسيير دفة الحياة فيه (٣) .

-
- (١) عمر كحالة: ٦٤٧/٢ ، محمد أسد ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/١٨٣
(٢) الحقيقل ٢١١ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٣١٦ ، ويمكن عقد مقارنة بين ما ذكره محمد أسد ص ٢٨٠ من احتمال أن يكونوا من شالي شبه الجزيرة ، وبين تركزهم فيها فعلا واحتوائهم بالقبائل الموجودة في المنطقة كذلك ، كما يمكن عقد مقارنة بين ذلك كله وما ذكره محرر مادة صليب في دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٣١١ من تركز الصلب في وسط شبه الجزيرة وشمالها فقط ، وعدم شمر الرحالة الغربيين الذين رحلوا الى جنوبى شبه الجزيرة علسى اناس منهم .
(٣) محمد أسد ٢٨٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٣١٧ .

وإذا كان من الصعب الانسحاق وراء الروايات الغربية حول معتقدات الصليب ، والتي المحت الى شيء منها في الرأي الثالث عن أصلهم ، إذا كان هذا من الصعب لأنها لا تملك دليلاً على صحة وجود مثل هذه المعتقدات ، فإن من الضروري هنا عرضها هي وغيرها حتى نتمكن من الوصول الى رأى الدعوة فيهم ، وحتى نصل في النهاية الى مدى تأثيرها في حياتهم العامة بها كان هذا التأثير محدوداً .

ولعل من أبرز آثار المسيحية التي يذكر بعض الباحثين أنها موجودة في الصليب هي استعمال الصليب ، والعباد في اليوم العاشر والأربعين بعد الولادة وأنهم حين يصلون يمدون أذرعهم حتى تكون على شكل صليب ، وأن فهم بعض آثار الصابئة ويحجون الى مركز الصابئة في الشام (حران) حيث لأقربائهم فيها شعائر وترانيم للصلاة ، كما يروى بعض الباحثين كذلك أنهم يعبدون النجوم وخاصة النجم القطبي ونجماً في كوكب الكيش ، وما من شك أن لدور هذه النجوم في تسهيل مهمتهم كأدلة مشهورين عامل كبير في هذه العبادة ان صحت ، ويقرن أحد هؤلاء الباحثين بين الصليب وبين اليهود فيزعم أن فهم آثاراً من اليهود حيث يصلون ثلاث مرات في الشروق ، وفي الظهر ، وعند الغروب ، ويغرب أحد الغربيين في القول حينما يدعى ان لجميع الصليب بطريقة واحدة وأن الكهنة والكاهنات ينتشرون بينهم حيث تنعم الكاهنات باحترام خاص ويطلق على الواحدة منهم فقيرة (أى ناسكة متعبدة) ويكرم الصليب ومعهم هذا الباحث أنهن يشفين المرضى بمجرد وضع أيديهن عليهم ، وقد خلص من هذا الباحث في دائرة المعارف الاسلامية من هذه الأفكار الى احتمال ايمان الصليب بالمسيحية سرا (١) .

ورغم عدم اثبات الباحث الى صحة وجود هذا الزخم الهائل من الأفكار الدينية لدى الصليب والتي حفلت بها وغيرها دائرة المعارف الاسلامية فان من الصعب ادخالها في دائرة النفي بل تبقى تحت دائرة الشك ، وقريب من هذه

الأفكار مذكروه نيهير (١) من أنه كان يوجد في منطقة نجد صابئة ومسيحيون من اتباع سانت جون وقليل من اليهود ، وإذا أضفنا الى ذلك أن هذه المعلومات استقاها نيهير من بدوى وقد يكون صليبا اشتبه به نيهير - وهو من شرقي شبه الجزيرة وليس من نجد ، فإن الشك والجذر يجعلان الباحث يستبعد صدق هذه المعلومات ، علاوة على أن صدرها من هؤلاء الغربيين يزد الباحث شكسا وحذرا أكثر (٢) .

ويلج الباحث شبه اتفاق بين الرحالة الغربيين الذين زاروا نجد فسي تأكيدهم على الوجود المسيحي واليهودي والصابئي في نجد ، فيقرر بلجريف (٣) وغيره أن ديانة الصابئة كمبادأة النجوم والشمس والقمر ، وأن عدم الظهور ومراسيم

(١) هو كارستن نيهير ولد في هانوفر التي تقع شرقي ألمانيا الغربية سنة ١١٤٥هـ / ١٧٢٣م وهو دانمركي الأصل ولما تعلم شيئا من العربية أرسلته حكومة الدانمرك مع بعثة هو خاصها ، ولما وصلوا اليمن ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م مات جميع أفراد البعثة ماعدا فابحرالي سقط فيغداد فالموصل وطار الى بلاده عن طريق استانبول ١١٨١هـ / ١٧٦٧م ، صنف بالالمانية ما رآه في بلاد العرب ثم ترجم الى الفرنسية فالانجليزية " تحت عنوان : رحلات عبر بلاد العرب وأقطار أخرف في الشرق " ويعتبر أول كتاب نقل أخبار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أوروبا ، ولكنه لهصل نجدا ، مات في الدانمرك سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م . للتفصيل : د : عبدالله المشيم : نيهير ودعوات الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحث نشر في مجلة كلية العلوم الاجتماعية ع / ٢ ص ١٢٩٨هـ / ١٩٧٨م من ص ١٧٥ - ١٨٣ ، الزكلى : ٦٣ / ٦ ، سمود الندوى : محمد بن عبد الوهاب . ترجمة عبد السلام البستوى ، ط (١) مطبعة زمزم . مكتبة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، د : صلاح العقاد رحلة كارستن نيهير بحث قدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (البحث باكمله) جاكين بيرين ١٤٦ - ١٧٨) .

(٢) مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد السابق ١٧٧ من مقال الدكتور المشيم ، د : محمد محمود الصياد : الرحالة الاجانب في الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر . بحث قدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ص ١٢ .

(٣) هو الرحالة الانجليزي وليام جيفورد بولغريف ولد يهوديا سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م ويقال أنه اعتنق المسيحية فصار أبيا وانتقل من انجلترا للعمل بالهند

الزواج غير الشرعية كلها كانت معروفة في نجد ، ولا يبعد أن يكون بلجريف قد استقى هذه المعلومات من نبيير بشكل خاص وأن يكون الصلب هم المعنيون بوجود هذه الأفكار بينهم ، بل يقرر أحد الغربيين أن السلفيين قد حفظوا عموماً مسيحياً في بعض بلاد نجد ، وهو ما لم تشر إليه المصادر المحلية المؤيدة للدعوة وهي الحريصة على إبراز أي عمل تقوم به الدعوة من أجل تغيير الحياة الدينية في نجد إلى الأفضل (١) .

ورغم أن الباحث بل الانسان العادي الذي لديه أدنى اطلاع على حياة النجديين قبل الدعوة - ولو من خلال الروايات الشفوية على الأقل - يستنكر القول بوجود مثل هذه الأفكار الدينية في نجد حتى بين الصلب ، رغم كل ذلك فإن الاطلاع على مثل هذه الأفكار الغربية ضروري لمعرفة رؤية المؤرخين الغربيين تجاه القضايا التي لها مساس بالعالم الاسلامي ، خصوصاً وأن بعضاً من الباحثين قد يقبل بوجود مثل هذه الأفكار .

= المؤسسات التبشيرية في لبنان تحت اسم الأب ميخائيل ، أرسله نابليون الثالث إلى جزيرة العرب لمعرفة أوضاعها السياسية ، وغبة ظاهرة في شراء خيول عربية ، وتزها بزي الطب فوصل نجدا عام ١٢٧٤هـ / ١٩٦٨م وزار معظم أقاليمها ، وصنف عنها رحلاته ولكنه تعامل فيها على السعوديين الذين اشتبهوا بحقيقة أمره فتعامل على المنطقة سياسياً واجتاحتها حيث ذكر أن الرياض في عهد الامام فيصل بن تركي أكثر فتحاً وهدنة من دمشق وصيدا إلى غير ذلك من الترهات التي بأنف الانسان من ذكرها ، مات سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م . للتفصيل : (د : عبد الفتاح أبو علي - الدولة السعودية الثانية . نشر مؤسسة الأنوار . الرياض ص ١١٦ - ١١٨ ، د : جمال زكريا قاسم : الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . بحث قدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٠ - ٢٤ ، أميين الريحاني : نجد وملحقاته ط (٤) مؤسسة الريحاني - بيروت ١٩٦٦ ، ٩٧ . جاكين بيرين ٢٩٨ - ٣٢٢ ، مسعود الندوي : المرجع السابق ٢٣٩ ، ٢٤٠ . (١) جاكين بيرين ٣١٤ ، ٣١٩ ، ديكسون : الكهنة وجاراتها . ط (١) نشر جاسم الجاسم ١٩٦٤هـ / ١٩٦٤م ص ١٥١ ، د : محمد أنيس والدولة للمطبعة . ط دار الجيل ، نشر مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، محمد مبروك نافع : عصر ما قبل الاسلام ص ٧ .

وإذا كان أهل مكة أدري بشعابها فان معرفة معتقدات الصلب يجب أن تستقى من النجديين أنفسهم الذين تواتر لديهم أن هذه الفئة تشبه فسي معتقدا كفار البوادي قبل الدعوة الذين كانوا يعيشون في جهلاء، ولكنهم كانوا مادة خاما لم تنتشر بينهم تلك المعتقدات التي تحدث الرحالة الغربيون لاثبات وجودها في المنطقة، ويصور ذلك الخلاوى الذى سبق :

قوم طغفوا والناس في جاهلية : وأزرى بهم شرك تطامى غاييه (١)

وإذا فوجود الشراكيات والبعده عن الدين عند الصلب صورة من صور البعد عن الدين والجاهلية لدى البدو وبشكل عام، ويمكن أن يضم إليها تلك الصورة المعبرة التي ذكرها الخلاوى أيضا عن البدو وربط الصلب كذلك فيط يتعلق بالحياة الدينية حينما قال :

فان سلت قومي يا منيع فلا تسل : أحجار وأشجار يعبدون غاييه (٢)

والبيت وما بعده سيرد ذكرها عند الكلام على الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة .

ولقد كانت الدعوة واقعية في نظرتها لتلك الفئة التي يلف بها الغموض من كل جانب حينما تطرق بعض علماء الدعوة لمقيدة هذه الفئة في معرض حديثهم عن الصيد الى صيد الجلاء (٣) وهو صيد الصلب، وذكروا فيه أن هؤلاء القوم مثلهم في هذا مثل كثير من بادية نجد في تلك الفترة غاية في الكفر

(١) عبدالله بن خميس : الخلاوى ٢٥٢ .

(٢) المرجع السابق : ٢٣٧ .

(٣) الجلاء : لم أجد لهذه اللفظة أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة الا أن تكون بمعنى الرمي قال في القاموس : " جلى بهصره تجلية رمى به " فيكون المعنى صيد الرمي ، وأضاف ابن خميس معنى آخر حينما قال : " وقتل الصيد وجليه : أى تقديده وتبيسه وبعده وأهداؤه " وذكر بيرين نقلا عن بركهارت تسميته بلحوم الطرائد . (الفيروز آبادى ٣١٣/٤ ، عبدالله بن خميس : من أحاديث السر . ط (١) مطابع شركة حنيفة . الرياض ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ٢١٩/١ ، جاكين بيرين ، جاكين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ترجمة قدرى قلعجي ، دار الكاتب العربى . بيروت ، مكتبة النهضة ببغداد ، ص ٢١٩

والضلال ، وأنهم في حكم المرتدين الذين لا يصلون ، ولا يزكون ، ولا يدينون — بالشرع ، ولا يؤمنون بالبعث ، ولا يرون التسمية على الصيد كما هو مشهور لديهم وبالتالي فذبيحتهم حرام ، وهذه النظرة من بعض علماء الدعوة لاشك أنها مبنية على معرفة لعقائدهم وأسلوب حياتهم (١) .

وقد اشتهر لدى الصلب أكلهم للجيف وعدم تخرجهم وهم يصيبون الحيوانات والطير طامة عن صيد وأكل الحيوانات والطير ما له ظفر أو ناب وما اشتهر تحريمها ، بل يأكلون في هذا كل ما يمكن أكله بلا حرج من عرف أو شرع حيث ذكر بعض الباحثين عنهم أنهم يأكلون النسر والكلب ، وهذه الأمور وغيرها ما تواتر لدى النجديين وجودها في الصلب ، وفي بعض بادية نجد في تلك الفترة هي التي دفعت الدعوة إلى اتخاذ موقفها من هذه الفئة ، وهو موقف واقعي إذا قيس بتلك النظرات الغربية تجاه عقيدة هؤلاء ، وهي نظرات لم يؤثر عن أحد من النجديين أنه قال بوجودها (٢) .

ورغم أن الباحث لا يستطيع العثور على محاولات مكثفة من الدعوة قامت بها لإصلاح وضع هذه الفئة عقدياً واجتماعياً في نطاق عدم محاولة الدعوة كذلك كشف حقيقة هذه الفئة بشكل واسع — هذا الإشارة السابقة — رغم كل ذلك فإن أحد الباحثين أشار إلى تعرضهم لهجوم من قحطان لأسباب دينية ، وبغض النظر عن معرفة فترة هذا الهجوم فإنه — على ما يبدو — بإيعاز من أئمة الدعوة ، أو محاولتين قحطان لضم هذه الفئة إلى الدعوة خاصة إذا علمنا أن قحطان من أبرز القبائل البدوية جهاداً في سبيل نشر مبادئ الدعوة ، وقد ولدت هذه المحاولة أو غيرها ما لم تظهر بتفصيلات عنها بعض المؤثرات الاجتماعية مثل إيمانهم بالطلاق والختان ، وهي مؤثرات لم تكن بالمستوى المرجو من الدعوة تجاه هذه الفئة المهمة ، على أن هذا لا يمنع وجود مؤثرات أخرى أقوى أو أضعف من تلك المؤثرات لم تصلنا معلومات عنها ، وضاعت في سلسلة الدوائر القائمة التي

(١) عبد الرحمن بن قاسم: الدرر السنية ٤٧٢/٦ - ٤٧٤ .

(٢) محمد أسد : ٢٨٠ ، أثر المصالح الإسلامية : ٣١٥ / ١٤ .

رسمت حول هذه الفئة، علاوة على أن الصلب - بما جهلوا عليه من المسالمة - والانصياع للسلطة - ربما كانوا قد جأروا الدعوة ودولتها في ترك بعض معتقداتهم وعاداتهم القديمة، والتمسك ببعض المظاهر السلفية ولو ظاهراً شأنهم في هذا شأن بعض الهدو (١) .

وبعد ، فيمكن اعتبار الصلب فئة اجتماعية جديدة ذات أصل ومبادئ وتقاليد غير واضحة ، وتاريخها التفصيلي بشكل معضلة من معضلات التاريخ الديني والاجتماعي في نجد ، ورغم كثرة ما قيل عنهم من قبل الرحالة الغربيين وغيرهم فقد بقيت حقيقتهم التفصيلية لغزاً محيراً استعصى على أكثر الرواد والباحثين (٢) ، ورغم انتشار الوعي الاجتماعي في الاقتناع بعدم وجود تفرقة اجتماعية من تلك التي كانت سائدة من قبل ، فإن معرفة نظرة النجديين لهذه الفئة ، واستمرار هذه النظرة القائمة لدى البعض حتى الآن كل ذلك يحتم علينا دراسة الجوانب التفصيلية لتاريخ هذه الفئة تخفيفاً لحدة تلك النظرة وقد آن الأوان لتحظى هذه الفئة باهتمام الباحثين والدارسين في حقل التاريخ والاجتماع .

(١) المرجع السابق : ٣١٦/١٤ ، ٣١٨ .

(٢) الحقييل : ٢١٠ ، محمد أسد : ٢٢٩ ، بيرين : ٣٠٦ .

الفصل الثالث :

حاضرة نجد : أبرز الملامح العامة لحركة التحضر :

لقد كانت الزراعة منذ القدم عماد الاستقرار والنمو الحضري في نجد حتى أصبحت في فترة ما قبل الاسلام تشكل مصدرا رئيسيا للتمور والقمح لأغلب بلدان شبه الجزيرة وخاصة مكة المكرمة التي أراد الله أن يكون موقعها في واد غير ذي زرع ، وتجسسى اليها ثمرات كل شيء ، وقد مربنا في قصة ثمامة بن أثال الحنفي التي سلفت في المدخل التاريخي دور نجد واليمامة الرئيسى في حياة القرشيين الاقتصادية هذا الدور الذي دفع أهل مكة الى عقد معاهدات اقتصادية يضمنون بموجبها حصول مكة على هذين العنصرين الغذائيين الذين كان يدل بهما أهل اليمامة على أهل البلدان الأخرى حيث يروى عنهم قولهم : " لا أطيب طعاما من حنطتنا ولا أشد حلاوة من تمرنا " كما يضرب بها المثل بكثرة نخلها وجودته حتى ظن بعض الصحابة لما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه رأى في منامه أنه يهاجر من مكة الى أرض نبيها نخل ، ظنوا أن المقصودة بهذه الرؤيا اليمامة أو هجران كانتا مع المدينة مناطق النخل الرئيسية في شبه الجزيرة .^(١)

ومن هنا فقد تأصلت لدى النجديين محبة الزراعة ، فقد كانوا يولونها كل عنايتهم مهما اختلفت مكانتهم الاجتماعية ، واتجاهاتهم الفكرية فنجد أغلب أمراء البلدان اهتموا بالزراعة وامتنعوا باعتبارها مصدرا للثراء ، وأساسا لعمارة البلدان النجدية ان كان أغلبها عبارة عن مورد ماء ، أو مزرعة صغيرة ، أو مندثرة ، أو على شاطئ أحد الوديان حيث يبدأ في حفر أول بئر في موقع يرويه مناسباً للسكنى ثم ما لبثت الآبار أن تتكاثر ، والمنازل أن تزداد حتى يكثُر الساكنون ويملك

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ١٥ / ٧٩ ، ٨٠ ، السيد عبد العزيز

سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٢٥ ،

عبد الله بن خميس : الدرعية العاصمة الأولى ط (١) مطابع

الفرزدق ، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ص ٥٨

ما حولها شيئا فشيئا من قبل أفراد قبيلة أول زارع لها ومن يحالفهم أو يلتجئ اليهم وقد أكد هذه المحبة للزراعة بعض العلماء النجديين الذين نظروا للزراعة على أنها مصدر خير ونعمة اعتقادا منهم أن خير الناس عيشا هم أولئك الذين يملكون زراعة ينفقون منها على أنفسهم وأهليهم وأقاربهم، وفي سبيل الخير العام، وأقرب مثل لذلك أن الفقيه المؤرخ الشيخ أحمد المنقور كان مصدر رزقه الوحيد الزراعة بل تلمح تحمسه ومحبه لها من ذكره أخبار مزرعته سمحة والمنقورية في تاريخه، وتتميز الزراعة بالتقاء فئات المجتمع كلها على امتنانها ومحبتها لافرق في ذلك بين فقيرهم، وغنيهم، وشريفهم، ووضيعهم، فيزاولونها في حرية اجتماعية واحتشام للملكية الفردية، وتعاون بين هذه الفئات في سبيل نمو الزراعة وازدهارها، وتحضير أكبر قدر ممكن من الأفراد عن طريقها^(١).

وإذا كان قسم من نجد لا يمكن أن يكون فيه استقرار ونمو حضري لافتقاره الى مصادر المياه الجوفية فإن قسما كبيرا منها يمكن أن يكون فيه مثل ذلك الاستقرار والنمو الحضري فهناك الواحات التي توجد فيها الينابيع والبحيرات الصغيرة نفس منطقة الخرج والأفلاج التي حظيت بوجود سكاني متقدم، إضافة الى أن غالبية سكان نجد يتركزون حول الوديان الكبيرة كوادى حنيفة ووادى الرمة، ووادى الدواسر ووادى سدير وفروعها فغالبا ما يتواجد الماء في هذه الوديان بالقرب من سطح الأرض التي تتميز تربتها بالخصوبة المنتظمة بسبب الرواسب الطميية لمجارى الوديان بعد سقوط الأمطار، أما بقية سكان نجد فيتركزون حول موارد المياه التي ليست بعيدة عن مستوى سطح الأرض وتتناثر هذه المناطق في وسط نجد وشمالها^(٢).

وان نظرة في أسلوب بناء البلدان النجدية لتؤكد الدور الأهم الذي تقوم به الزراعة والمياه في تكثيف الوجود الحضري في نجد، على أنها في بعض

(١) المنقور: الفواكه ١/ ص ٦١، ٣٩٥، التاريخ ص ١٨، ١٩ من مقدمة المحقق وع ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٧٧ ابن حميد: السحب ورقة ٦٣، الدارة ع ٤ ص ٣ / ص ١٧ من مقال الدكتور العثيمين.

الأحيان تقوم بدور رئيسي في طرد أهل نجد عنها عند ما تشح المياه وتند هــور
الزراعة ، وإذا كان أول ما وصل إلينا من أخبار الوجود الحضري في نجد كان عن
طسم وحديس كما سلف فإن هاتين القبيلتين قد جعلتا من منطقة ما بين الوادي بين
(الوتر) و (العرض) منطقة تركيز حضري عبر فترات التاريخ المتعاقبة حتى الوقت
الحاضر ، وقد ساعد هاتين القبيلتين أن مياه هذين الواديين كانت غزيرة مما
جعل المنطقة من أخصب مقاطعات نجد وأكثرها مياه ونخلا ، واستغلت طسم
وحديس هذا الوضع لتجبر العيون وتشيد الحصون ، والاكتار من المنازل والمساكن ،
حتى أطلق على هذه العناصر الحضرية حضور طسم وحديس لما كان لهما من
دور في تلك الفترة في قيام استقرار حضري . (٢)

ويمكن القول ان المنطقة ازدادت تحضرا بعد مجيء الاسلام عن طريق
الزراعة كذلك حينما أخذ عدد من أمراء المناطق المسلمين الذين تقع منطقة
اليمامة ضمن حدودهم الادارية على عاتقهم القيام بحفر عدد من الآبار لتشييط
المنطقة زراعيًا وتوفير مياه الشرب للمتقنين عبر صحرائها الى المناطق المجاورة
ما أوجد عددًا لا بأس به من البلدان التي استقطبت قسما من البادية حولها
للتحضر فيها ، علاوة على حفر عدد من الآبار في طرق الحج العارة بنجد .

ونستطيع أن نأخذ بداية التحضر في النباة " الأسياح الحالية " مثلا
حيًا لهذا الدور الذي قام به هؤلاء الأمراء لتحضير المنطقة حتى أصبحت في القرون
الأولى التي تلت مجيء الاسلام أهم ناحية في القصيم في حركة التحضر
ومن أهم نواحي منطقة نجد وأكثرها شهرة وأوفرها عمرانًا وزاد في هذه الشهرة
كونها محطة يفتقر منها الحاج المتجه الى مكة عن المتجه الى المدينة ، وتأتى

(١) الوتر : يضم الواو واسكان التاء هو وادي البطحاء الذي يخترق مدينة
الرياض الآن عبر شارع البطحاء المعروف ، والعرض : بكسر العين واسكان
الراء هو وادي حنيقة أو الباطن ويخترق الرياض الآن في غربها (حميد
الحاسر ، مدينة الرياض ص ١٦)

(٢) المرجع السابق ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، وكان يطلق على حجر أم القرى - اليمامة
طبعًا - كما يطلق عليها مدينة اليمامة (الحربي : المناسك وأماكن طرق
الحج ص ٢١٦)

أهميتها في مجال النمو الحضري كونها مرت بثلاثة أطوار تحضيرية رئيسية
عدا الأطوار التي يمكن أن تكون قد مرت بها ولم تصلنا أخبارها. ^(١)

أ - الطور الأول : هو الطور المهم في هذا التحضير حيث كان أقوى هذه الأطوار
تأثيراً على سعة حجم المنطقة وازدحام الرقعة السكنية بها ويمكن أن يطلق
عليه فترة عبد الله بن عامر بن كريز ^(٢)، فلئن كان من المتوقع أن تكون المنطقة
قد عرفت نمواً عمرانياً قبل الإسلام فإن النمو الكبير الذي حصل بعد استتباط
ابن كريز لميونها يعتبر أبرز استقطاب حضري عرفته المنطقة حيث أخذت
تزداد عمارتها بعدد وكثر سكانها وقراها، وأطلق عليها نباح ابن عامر ثم بنى عامر
ورغم أن ابن عامر حينما استتبها كان والياً على البصرة إلا أنها كانت لدى
الجغرافيين المسلمين تعد من أوطان اليمامة. ^(٣)

ومنذ استتباط ابن عامر للنباح والزراعة فيها تزداد العمران فيها يزيد إذ أنه
يعد أن أتم شق الميرون غرس فيها النخيل واستوطنها هو وأولاده فترة من
الزمن، وساكنة فيها رهطه من بنى كريز حتى سمي النباح " نباح الكريزيين "
ثم بدأ العرب حوله ينضمون إليه في السكنى علاوة على مالك وغلطان ابن
كريز وابنائهم وأقربائهم والساكنتين من أبناء البادية حوله، ومن هنا يمكن اعتبار

(١) العبودي : بلاد القصيم ١/٣١٧، ٣٢٥
(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة العيشي من بنى أمية ولد بمكة
سنة ٤ هـ / ٦٢٥ م، وهو ابن خال عثمان رضي الله عنه، حتى به إلى النسي
صلى الله عليه وسلم بعد ولادته فقتل في فيه وعوذ فاستباح ريق رسول
الله وبلغه فقال فيه الرسول : انه لمسقى، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر
فيها الماء، واشتد عليه الرسول بغير هذا القول روى عن النبي " من قتل
دون ماله فهو شهيد " فتح خر أسان وجمع له عثمان ولاية البصرة وفارس
، وقال فيه أبو موسى الأشعري عندما قدم لتولى البصرة بعدة " يقدم عليكم
غلام كريم الحداث والعمات، وكان عمره أن ذاك أربعاً وخمسة وعشرين
سنة، كان أول من أخذ الحياض لسقيا الحجاج بعرفه، كان شجاعاً سخياً
وصولاً رحيماً محباً للعمران، نزع ملكيات بعض دور البصرة ليفتح شارعاً
توفي بمكة سنة ٥٩ هـ / ٦٧٩ م ودفن بعرفات. للتفصيل : (خليفة بن
خياط : التاريخ ١٦١، ابن عبد البر : الاستيعاب ٢/٣٥٩، ٣٦٠،
العبودي : القصيم ١/٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، الزركلي : الأعلام ٤/٢٢٨)

(٣) الحربي : المرجع السابق ٣١٢، الهمداني ٣١١، ٣١٢ .

النباح في تلك الفترة مركزا رئيسيا من مراكز التوطن والتحضر في نجد^(١) وقد أشار الى طرف من هذا الازدهار الزراعي جرير في احدى قصائد هجائه:^(٢)
ليالى تنساب النباح وتبتغي . . . مراعيها بين الحداول والنخل
وفي موضع آخر قال عن أحد النساء:

ضروط اذا لاقت علوج ابن عامر . . . وأينع كراث النباح وثومها^(٣)
وهو في هذا يشير الى كثرة ماليك ابن عامر مما يدل على أن النباح كانت مأهولة من كافة الفئات الاجتماعية، وهو ما يؤكد كثافة الوجود الحضري فيها.^(٤)

كما ألمح الهمداني وهو من جغرافيين القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي الى أن النباح قد غدت اقليما أو منطقة تتبعها عدة قرى كثيرة تشتهر بكثرة المباد والزروع والنخيل مما يدل على تزايد الكثافة السكانية فيها حتى تطلب الأمر أن تتطور المزارع الى قرى يجمعها النباح، وبعد تزايد هذه الكثافة، ونظرا لارتباطها الجغرافي بمنطقة اليمامة عدت من بلدانها، ثم تغير اسمها من نباح بني عامر الى نباح بني مجيد من قريش كذلك، واستمرت هذه الحركة الزراعية والعمرانية في النباح الى فترة غير معروفة تحديدها الا أن ما لا شك فيه أنها بين القرنين الرابع أو الخامس الهجريين الى القرن التاسع أو العاشر.^(٥)

ب - الطور الثاني : تعرضت النباح للاندثار بعد بني كريبز وبني مجيد

ولعل ذلك بعد اغتال الخلافة العباسية في عهد هائل الثاني لأمر اليمامة، وتعرض المنطقة لهجمات البوادي على طرق الحج باعتبارها محطة مهمة لتلاقح الحجاجين حتى وصلت شكاوى الحجاج الى والي العراق - ربما في العهد العثماني - فيبحث
(١) الحربي ٣١٢، الهمداني ٢٨٠، ياقوت ٥/٢٥٥، العبودي ١/٣٣٢ .

(٢) هو جرير بن عطية الخطمي من بني يربوع من تميم ولد في اليمامة سنة ٢٨٠هـ / ٦٤٠م اشتهر بمناضلة الشعراء المعاصرين ومساخلتهم وهجائهم باقذاع حتى هزمهم الا الا غلغل والفرزدق، ومع كثرة غزله كان عفيفا اشتهر بنقائضه مع الفرزدق، ويمثل شعره عصره الطلي بالتورات والفتن بين القبائل والاحزاب ولد له بلال وعمار ونوح وعكرمة، توفي بعد الفرزدق بقليل في اليمامة قيل سنة ١١٠هـ / ٨٢٨م وقيل سنة ١١١هـ، للتفصيل : (ابن الفرج الاصبهاني : الاغانى طبعة دار الشعب ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ٨/٢٧٤٩ - ٢٨٣٥، محمد اسماعيل الصاوي : شرح ديوان جرير ط (١) المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م، المقدمة باكملها، الزركلي الاعلام ١١١/٢) .

(٣) الصاوي : شرح ديوان جرير ٤٦٣، ٥٥٠

(٤) العبودي : المرحم السابق ١/٣٣٠

(٥) الحربي : المصدر السابق ٥٨٧، ٦١٢، ٦٣٠، الهمداني ٢٨٠، ٣١٢ العبودي ١/٣٣٢، ٣١٨

سلطان مارد ووكل اليه مهمة الحفاظ على الطريق والاقامة بالنباج لوجود عمران سابق ولكونها محطة التلاقى كذلك، وتمدنا المعلومات الشعبية نثرية وشعرية عن سلطان هذا بأنه لما قدم النباج أقام فيها قصرا منيعا حتى لا يتعرض لهجمات البدو الذين ما من شك في أن مناعة هذا القصر قد جعلتهم يهابون سلطانا هذا، وسمى هذا القصر باسم مارد لعله تشبيها بقصر مارد الجوف أو لعل سلطانا هذا قد تورد على واليه فسمى ماردا.

وبعد أن أخضع البدو والمحيطين به لهيئته أعلن استقلاله بالنباج، وأقام فيها نهضة عمرانية ليست في مستوى عمران ابن كريز ولكنها أعادت الحياة الحضرية الى النباج ومن ضمن مشاريعه العمرانية غير القصر السد الذي وضعه على أحد الوديان ويسمى المسكر، وأمن الحضر فيها الى حد ما من هجمات الأعراب على طريق الحج وعلى هذه المحطة بالذات، ولقد تواتر لدى أهل الأسياح أن كل نهضة عمرانية أو زراعية قبل مجيء ابن فهد هي من بقايا سلطان هذا، وقد رجح العبودي أن فترة سلطان هي الممتدة من القرن الرابع الى انتهاء القرن الحادي عشر، وأورد على ذلك بعض الأدلة، ثم تعرض سلطان لهجمات البدو مرة أخرى حيث حدثت بينه وبينهم معركة انتهت بمقتله كما تقول الروايات الشعبية، فعاد اليها الاندثار مرة ثانية.^(١)

ج - الطور الثالث: - في غزوة ثويني بن عبد الله الهاشمي العلوي الأولى على نجد سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م قصد القصيم ونازل التنومة من الأسياح، وكانت هذه

- (١) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة ١٤١، ١٤٢، العبودي ١/ ٣٣٤-٣٤٢، على اختلاف بينهما في تفصيل قصة سلطان هذا.
- (٢) كانت غزوة ثويني الثانية سنة ١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م وهو التي قتله طعيش فيها قبل أن يقدم نجد (ابن بشر ١/ ١٣٧-١٤٢ عثمان بن سند: مطالع السعود باخبار الوالي داود نسخة مصورة من مخطوطة بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم ٤٩٩ ورقة ١١٦، ١١٧، ١١٨ وقد رثي فيها ثوينيا بابيات).
- (٣) التنومة قرية في منطقة الأسياح وهي قديمة ذكرها بعض الجغرافيين المسلمين، والى وقت قريب كانت أهم بلدان الأسياح، وثبتت على الولاء للدعوة عند تحول بعض بلدان القصيم نحو الولاء لابن عريعر، للتفصيل (العبودي ١/ ٦٥٧-٦٦٢، وهناك تنومة غيرها هي تنومة عسير الهمداني ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١).

الغزوة ذات استعدادات ضخمة استطاع بها الاستيلاء على التتومة، ونزل بأهلها قتلا ونهبها حتى قيل ان مجموع ما قتلته بلغ مائة وسبعين رجلا ولم ينج منهُم الا الشريد الذي هرب الى بلدان نجد الأخرى أو الى المناطق المجاورة، وكان من هرب محمد بن فهيد من أجداد أسرة آل فهيد المعروفين في الأسياح، وقد هرب الى العراق لطلب الرزق، فعمل عند أحد علماء العراق الذي سأله عن بلدته ولما تحقق منه أنها تقع في مكان النجاج القديمة ذكر له ماضيها التليد في مجال الزراعة وال عمران وكثرة الخبرات فيها وعمران ابن كبريز لها وزين له العودة اليها وعمرانها، فعاد الى الأسياح فبحث عن أكبر عيونها وعقد العزم على حفرها واستعان في ذلك بصديقه مهلهل بن هذال شيخ العمارات من عنزة الذي أمده ببعض ابله لتساعد في الحفر واخراج الماء، ولما تحقق من نجاح فكرته ذهب الى الدرعية واستقطعها من الامام عبد العزيز بن محمد وواصل بعد ذلك حفر بقية العيون، وعادت اليها حياتها ونموها الحضري الذي عرفته عبر الأتوار الثلاثة، ويمكن تحديد تاريخ عمارتها بين رجوع ثويني من غزوته ١٢٠١هـ / ١٢٨٦م، ووفاة الامام عبد العزيز سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م لان احيائها قد تم بموافقة^(٢).

وتصور قصة اعادة عمران الأسياح عمق الصداقة التي تتم أحيانا بين ابن البادية والحاضرة في نجد رغم اختلافهما القلي فهذا ابن هذال شيخ العمارات من عنزة، وشيخ عنزة جميعها، وابن فهيد من الروقة من المساعدة من عتبية قد نشأت بينهما صداقة ومراسلة من جراً مجاورة ابن هذال لابن فهيد ومساعدته له في احياء الأسياح، وهي صداقة تعتبر من الصداقات النادرة ولكنها تتوفر بين البدوي والحضري النجديين كثيرا، ويورى في هذا المجال ان ابن هذال عندما نزل في ملج ونطاع رأى حاما يبحث عن قمح يأكل منه فخاطبه بقول يمدح فين ابن فهيد لكرم وشجاعته، ومن قبل ومن بعد لصداقته له وحبه اياه، فقال :

(١) ابن غنام ١٢٧/٢ - ١٣٠، ابن بشر ٩٨، ٩٩، العبودي ١/٦٥٩، ٦٦٠

٦٦١،

(٢) العبودي ١/٣١٣، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣/١١٩١.

ياذا الحمام الى على طبع وانطاع . بالله عليك انحر يمين المصلي
تلفي محمد باسفل المسيح زراع . قوم الى جوه النشام يهلي
مادبر الوزنة ولا كال بالصاع . متمنى به واحد مايخلي^(١)

ومنذ فترة متقدمة جدا عن قيام الدعوة السلفية، ورغم الاهمال الذى لقيته
منطقة نجد من الخلافة الاسلامية قامت فى نجد حركة تعمير ذات مستوى حيد
ان ماقيس بالظروف الامنية والسياسية التى تربها المنطقة، وكانت هذه الحركة
ذات شقين : ابتداء تعمير واعادة تعمير وكلا هذين الشقين يستند الى الزراعة
والمياه بلا منازع، ومن أبرز ملامحها التأكيد على الناحية القبلية فى زيادة الرقعة
السكنية^(٢).

وتعتبر أشيقر من أوائل البلدان النجدية تحضرا فى العصر الوسيط وأوائل
الحديث ان لم تكن أولها، وقد أمدت البلدان النجدية الأخرى فيما بعد بعدد
كبير من الأسر التى عمرت هى الأخرى هذه البلدان، كما كان لمركز أشيقر العلمى
فى تلك الفترة دور رئيسى فى الاستقرار والنمو الحضرى فيها واثراء البلدان النجدية
الأخرى فى هذا المجال.

وكان تقدم الحياة الحضرية فى أشيقر عامل سبق رئيسى بزته البلدان الأخرى

(١) ياذا الحمام: يا أيها الحمام فذا لا تفيد المصاحبة وهو تعبير نجدى
موجود فى بعض المناطق المحاورة ولم أطلع على أصل لفوى له، اللسى
الذى، طبع: من قرى نطاع، ونطاع: كان منهلًا قديمًا وهو الآن قرية
ذات امارة تتبع المنطقة الشرقية ويتبعها بعض الموارد والقرى، انحر: وله
وجهك، يمين المصلي: أى اتجه الى القبلة (الغرب)، تلفي: تصل
أو تجد، قرم: جواد كريم (فصيحة) الى جوه: اذا أتوه، النشام: جمع
نشم: وهو الشحاع أو الكريم ذات أصل فصيح، يهلي: يقول أهلاً بكثرة مادبر
أى لم ييخل، الوزنة: مقياس الوزن القديم لدى النجديين وهو يعادل كيلو
ونصف تقريباً، الصاع: مكيال يزن ثلاثة أكيال تقريباً، متمنى به تعبير
نجدى يعنى أن الله يتولاه برعايته ولعله من الاعتناء، مايخلي: مايترك
(ابن بليهد ٣٣/١، حمد الجاسر: مقدمة المعجم الجغرافى ١٢٢٨/٢
١٢٨٥، الفاخري: ٨٠، ١١٥ من حاشية المحقق، المبودى، القصيم
١١٩١/٣).

(٢) مجلة الحرس الوطنى ع ١٤ / س ٤ / ص ١٠٨ من مقال للدكتور محمد الشويمر

واستطاعت به أن تفيدها من تجربتها الحضرية في الاعمار والعلم ان منذ نهاية
القرن السادس الهجرى وبداية السابع وشقى نواحي الحياة الاجتماعية والحضرية
تدب فيها ، وقد بلغت هذه البلدة من الاتساع الحضري أن ضمت أسرا متعددة
تنتمى الى قبائل مختلفة وهو ما لا يتوافر الا لبلدة مجالها الحضري متسع لان من
المعروف نجد يا أن البلدة أول ما تعمّر تقتصر على أفراد قبيلة واحدة حتى اذا أخذت
في النمو والاتساع ضمت أسرا أخرى من قبائل ثانية^(١).

وكانت أشيقر في الأصل لانخان من بنى تميم وهم ذوو السيادة والرأى فيها
حتى قدم عليهم في فترة متقدمة من اتساعها العمراني أسر من بنى وائل من عنزة
حتى ملكوا بعض الأراضي الزراعية فيها بطريق الاحياء أو الشراء من الوهبة ثم
مالبثوا أن كثرتابعهم من قبيلتهم ، وتمكنوا في أشيقر حتى أصبحوا هم والوهبة
على درجة متقاربة في التعداد البشري وكثرة الأملاك والوجاهة وهنا أصبحت المسألة
متعلقة بالسيادة على البلدة خاصة وأن الوائليين قد اظهروا من صنوف الكسرم
للعابر والمقيم ماخشى الوهبة أن يكون هذا ذريعة لاستيلائهم عليها وطرد أهلها
الأصليين ، أو يصبحوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، أو خشية الاختلاف الذي
يحدث بين الأقارب فكيف بمن هم من قبيلتين مختلفتين^(٢).

(١) ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث ٢٨٠ .
(٢) كان يطلق على أشيقر عكل في القديم وحتى سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م وهو
تاريخ كتابة وصية صبيح وهذا الاسم يطلق عليها او على قسم منها حتى
انتشر بعد ذلك اسم أشيقر على ان هذا الاسم قد اشار اليه الجغرافيون
المسلمون ويبدو انه يطلق عليها احيانا اسم اشيقر وحيانا عكل وان كان
الاكثر هو اسم أشيقر على ان عزوة اهل اشيقر هي اولاد عكل ، وكانت في
العصر الجاهلي لبني تميم فجاءهم ابنا عمهم الرباب حتى جاؤهم الوهبة
من تميم منذ القرن ٥ هـ ، ثم اختصوا بسكنائها مع بقا بعض الرباب فيها ،
وللبلدة تاريخ حافل حيث خرج منها عدد من الأسر المشهورة بالعلم
والتي كان لها دور في زيادة التحضر في بعض بلدان نجد . (الاصفهانى
في بلاد العرب ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ياقوت ٢٠٣ / ١ ، ١٤٣ / ٤ ، عبد الله
البسام : علماء نجد ١ / ١٤ ، ١٥ ، حمد الجاسر : الأسر المتحضرة ٢ / ٩٣٣
- ٩٤٦ وذكر خلافا حول نسبة الرباب الى تميم ولكنه أكد ان البلدة منذ
القدم وهي لبني عكل من الرباب ، ثم ذكر ان الوهبة معدودون من الرباب
وانظر عن أشيقر أيضا ابن خميس : اليمامة ١ / ٨٠ - ٨١) .

(٣) ابن عيسى ٢٨ / ٢٩ ، حمد الجاسر ، المرجع السابق ٢ / ٧٨٨ ، ٧٨٩ ،

عزم الوهبة على الطلب الى بنى وائل الرحيل من أشيقر، ولعل لذلك أيضا
حدود من الخلافات الحانبية، وكان هذان الحيان قد اتفقا فيما بينهما على قسمة
البلد الى قسمين من ناحية القيام على المزارع، والخروج للرعى خارج البلد بحيث
يتم هذان العملان في آن واحد وذلك في أوقات الربيع، وقد أوجدا لذلك نظاما
بحيث يخرج الوهبة في يوم بمواشيهم للرعى والاعتشاب مصطحبين معهم سلاحهم
ويجلس الوائلون في البلد يحفظونها ويسقون النخيل والزروع، وفي اليوم الثاني يحصل
العكس، فتمالاً الوهبة على أنه وقت خروج الوائلين يتم اخراج نسائهم وأولادهم
وأموالهم المنقولة وتغلق أبواب الأسوار ونهم، ويكون على الابراج حراسا
مسلحين حتى اذا رجع بنو حائل من مراعاتهم منعوا من الدخول وطلب اليهم
أخذ أموالهم ونسائهم وأولادهم والبحث عن مكان آخر يستوطنون فيه. (١)

رجع الوائلون آخر النهار ليحدوا نذر الرحيل أو الحرب أماهم حيث منعهم
الوهبة من الدخول، وقالوا لهم: هذه أموالكم ونسائكم وأولادكم قد اخرجناها
لكم حيث ليس لنا في شئ منها مطمع، والسبب الوحيد الذي حدا بنا لهذا العمل
هو الخوف من احن بيننا قد توقع شرور وحروب ونحن أهل البلد الأصليون فارتحلوا
عنه الى أي مكان آخر يرضى منكم وتضاف فيما بيننا، ومن له زرع فليوكل وكيلاً منا
ونحن نقوم بسقيه حتى يحصد، وأما بيوتكم ونخيلكم فكل منكم يختار له وكيلاً منا يوكله
عليهما، فاذا سكنتم في أي بلد فمن أراد القدم اليها لبيع عقاره أو نخيله فليفعل
ولن يمنع عن ذلك أحد، وأكد الوهبة أن ليس لهم طمع في أموالهم في البلد
ولكنهم خافوا من حزازات قد تقع بينهم، أو أن يملك الوائلون البلد ويرحلوه
عنها أو يغلبوهم على أمرهم وتكون لبنى وائل السيادة، فاتفق الطرفان على ذلك
برضى واقتناع ندر أن يكون مثله في تاريخ العلاقات الاجتماعية بين حاضرة نجد (٢)

فعلى حين تم هذا الاتفاق من دون أن يشر المؤرخون الى حصول ما عكس صفوه سواء
قبله أو بعده بقليل أو بعد فترة طويلة، فقد أشاروا الى حدوث معارك بين الاحياء

(١) ابن عيسى ٢٨، ٢٩، حمد الجاسر ٢/ ٢٩٠.

(٢) ابن عيسى ٢٩، ٣٠، حمد الجاسر ٢/ ٢٩٠.

داخل البلد الواحدة حول ما يشبه هذا الوضع بين هذين الحيين ، على ما مر ذكره جانب منه في المدخل .

ولقد أتاح اتفاق الوهبة مع الوائلين خروج موجة حضرية من أشيقر ساهمت في تعمير وإعادة تعمير بعض البلدان النجدية فبعد خروج الوائلين جميعا من هذه البلدة اتجهوا الى الشمال الشرقي حيث وصلوا بلدة التويم القديمة التي اندثرت بعد ارتحال بني عائذ بن سعيد من قحطان^(١) عنها وابتدأوا في إعادة تعميرها ولما تم ذلك سكن قسم من بني وائل في حي منها وسكن القسم الآخر الحي الثاني ثم مالبت البلدة أن ازدهرت بالعمران وأصبحت من أهم البلدان في سدير خاصة ونجد عامة ، وكان دورها في تنشيط الحركة الحضرية ونموها في نجد كبيرا إذ ارتحل منها عدد لا بأس به من الأسر المتحضرة الى بعض البلدان النجدية واشتركت هذه الأسر في الحركة العمرانية التي انتشرت في نجد قبل الدعوة^(٢) السلفية .

وقد بدأ الوائلون في مدهم الحضري بعد ذلك في بلدة حرمة القريبة من التويم والتي كانت هي الأخرى من مواطن بني عائذ ثم اندثرت بعد رحيلهم عنها ، وقد تم ذلك حينما ارتحل ابراهيم بن حسين الوائلي من التويم الى حرمة فوجد هناك موارد مياه وآثار منازل قد تعطلت ، فأعاد - مع من ارتحل معه من أسرته - حفر آبارها وغرسها وانتعشت الحركة الزراعية فيها نسبيا ثم ارتحل اليه كثير من قرابته واتباعه علاوة على بنيه وجاورهم عدد من الأسر الأخرى مما ساعد على توسيع الرقعة الزراعية والسكانية فيها وجعلها مركزا من مراكز التحضر في نجد في تلك الفترة ، وقد كان ارتحال ابراهيم هذا اليها سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م^(٣) .

-
- (١) اختلف النسابون في أصل قبيلة عائذ وروح الشيخ حمد الجاسر رجوعها الى قحطان . (المرجع السابق ٢ / ٥٢٨ - ٥٤١) .
(٢) سبق التعريف بالتويم في المدخل ، ابن عيسى ٣١ ، ٣٠ ، حمد الجاسر ٢ / ٧٩٠ ، ٧٩١ ، وكان بدو عمران التويم سنة ٧٧٠هـ / ١٣٠٠م .
(٣) ابن عيسى ٣١ ، حمد الجاسر ٢ / ٧٩٢ ، ٧٩٣ .

وقد ساهم بنو وائل في تكثيف الوجود الحضري في منطقة سد ير حينما أقطع
ابراهيم بن حسين الوائلي سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م أحد رحالاته وهو عبد الله
الشمري^(١) موضع بلدة المجمعمة الحالي، وأخذ الوائليون كلما حاستهم أسرة ترمد
السكنى حولهم حولوها الى عبد الله الشمري حتى تكاثر عدد الأسر في المجمعمة
اكثر من حرمة، علاوة على القبول والازدحام الذي حظيت به المجمعمة أكثر من حرمة
حتى أصبحت قاعدة اقليم سد ير منذ فترة تقرب من تاريخ عمارتها، ونافست حرمة
التي كانت الطريق الموصل لعمارة المجمعمة، وحدثت بين البلدتين مشادات
وحروب وخلافات تلاشت تدريجيا مع بدء الوعي حتى أصبحت في ذمة التاريخ، ولم
يعد لها ذلك الأثر السابق في العلاقات الاجتماعية بينهما، والتي هي بخلافاتها
وحروبها لا تعد وأن تكون مثالا لما يحصل بين بعض البلدان النجدية وبعضها الآخر^(٢)
وكانت الاختلافات الجانبية بين بنى وائل أنفسهم في التوهم هي العامل
الرئيسي في خروج أقسام من هذا الفخذ لتعمير بعض البلدان وتنشيط الحركة
الحضرية فيها عن طريق الزراعة ومن هنا فان هذه الاختلافات كانت فاتحة خير
على كثير من البلدان النجدية التي كانت قد اندثرت أو كان فيها عمران ليس على
درجة من الاتساع والنمو، لان هذه الخلافات لم تتطور الى حروب بل لم تصل

(١) هو جد آل سيف ومن احفاده عبد الله بن ابراهيم بن سيف بن عبد الله
المتوفى سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م وهو أستاذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في المدينة. (ابن عيسى : المصدر السابق ص ٣٤ وعقد الدرر تحقيق
عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ طبعة وزارة المعارف المديلة
بطبعة ابن بشر ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ص ٥٥ من حاشية المحقق، حميد
الحاسر: المرجع السابق ١/ ٢٦٤، وقد ذكر أن الشمري هو الجد الرابع
للشيخ عبد الله بينما هو الحد الثاني) .

(٢) لم يرد للمجمعمة ذكر في كتب البلدان القديمة، ويبدو أن هذه التسمية
قد اطلقت عليها بعد عمارتها من قبل الشمري، ولعل سبب التسمية كون
عدد من الأودية التي فوقها تتجمع فيها أولا اجتماع عدد من الأسر من
قبائل مختلفة فيها منذ فترة متقدمة من عمارتها بخلاف أكثر البلدان النجدية
التي تقتصر على عشيرة واحدة تقريبا الى أن تتسع وتنمو، (وللاستزادة من
اخبار المجمعمة ابن عيسى ٣٢، ٣٥ حمد الحاسر ١/ ٢٦٦-٢٦٨، ابن
خمين: اليمامة ٢/ ٣٣٣-٣٤٠ .

(٣) ابن عيسى ٣٢-٣٥، حمد الحاسر: المرجع السابق ١/ ٢٦٦-٢٦٨، ابن
خمين ٢/ ٣٣٤ .

الا الى ترك بعض الوائلين منازل بعضهم والضرب في مناكب الأرض النجدية بحثا عن أمكنة صالحة لمواصلة تحقيق الرغبة العمرانية لدى هذه العشيرة .

ويذكر مؤرخو الحركة العمرانية في نجد في تلك الفترة أن آل أبي رباح من وائل من عنزة وهم أحد قسمي بني وائل الذي قطنوا أحد حيبي التويم بعد عمارتها قد نشب بينهم وبين آل مدلج أبناء عمهم بعض الاختلافات أدت الى رحيلهم الى منطقة وادي حنيفة حيث قدما على ابن معمر رئيس بلدة العيينة الذي كان قد استولى على حريملاء، وكانت قد بعثت مزارعا ولكنها قليلة نتيجة لضعف أهلها وتمكن الخلافات فيهم فخاف ابن معمر أن يستولوا على العيينة ويبسطوا نفوذهم في المنطقة فعرض عليهم شراء حريملاء فاشتروها منه قيل بستمئة أحمر (١) وقيل بصاع من الذهب مقدم ثلثه ومؤخر ثلثيه، ثم بدأوا في توسيع الرقعة الزراعية والسكنية في البلدة حتى غدت من أبرز المناطق الحضرية في نجد تحضرا ونموا، وإن كان قد صاحب ذلك واستتبعه حدوث عدد من الفارات عليها وهي في مرحلة استكمالها العمراني واستقطابها الحضري، وكان شراء آل أبي رباح لها سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م ومنذ تلك الفترة وهي تمشي بخطى جادة لتتبوأ مركزا حضريا مرموقا في نجد فاق بعض البلدان ونافس بعضها الآخر. (٢)

ومن جانب آخر رحلت أسر من الوهبة من أشيقر لتعيد عمارة بعض البلدان النجدية ولتجعل منها سكنا خاصا بها، ففي سنة ١١٠١هـ/١٦٨٩م عمر آل صقيه

(١) الأحمر : عملة ذهبية ولعله سمي أحمر لذلك وهو من النقود الكبيرة القيمة، وليس من المعروف هل هو عثماني أو فارسي إلا أن الذي يبدو أنه عثماني، وقد ورد التعامل به في نجد في فترة متقدمة، واستمر التعامل حتى فترة متأخرة من بدو الدعوة. (المنقور الفواكه ١/١٥٨، ٢٦١، ٣٥٢ التاريخ ٦٥، الفاخرى ٨٢، ٩٥، ابن بشر ١/٢٠٦٦، ٢١٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٨، البسام : تحفة المشتاق ورقة ٦٥، ٥٥.)

(٢) ابن بشر ٢/٢٠٥، ابن عيسى ٥٣، ٥٢، حمد الجاسر ١/٢٩٨، ٢٩٩، ابن خميس ١/٣١٧، صالح الطميس: حريملاء ٢٢، ٢١

من الوهبة بلدة القرينة بالقرب من حريملاء، وهي بلدة قديمة تعرف باسم قـرـان ولكنها تعرضت للخراب نتيجة لهجمات أهل حريملاء عليها، حيث كانت تتبعها أحيانا وتخرج عن ذلك بعض الأحيان، فقد استولى أهل حريملاء على القرينة سنة ١٠٩٥هـ/١٦٨٣م في محاولة منهم لاختضاع منطقة الشعيب لسيادتهم ولكن أهل القرينة خرجوا عن هذه السيادة أثر هزيمة حريملاء أمام ابن معمر رئيس العمينة وابن مقرن رئيس الدرية سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٤م، والمهم أنها كانت السـيـدا تـابعـة لـحـريـمـلـاء، ولا يبعد أن يكون آل صقيـه قد اشـتـروها من آل أبي رباح من بنى وائل أمراء حريملاء الذين آثروا أن يكون إلى جوارهم أبناء بلدتهم الأولى (أشيقر) على أن يخضعوا لسيادة حريملاء، وعن طريق الزراعة عمر آل صقيـه القرينة حيث غرسوا فيها نخيلا مما أعطى البلدة سعة في محيطها الزراعي والسكني كما عمروا بعض البلدان الأخرى في منطقة الشعيب. (١)

ويبدو أن بعضا من آل صقيـه رحلوا إما من أشيقر ابتداء أو بعد أن سكنوا القرينة وتكاثروا فيها وألقوا عصا الترحال في القصيم حيث سكنوا بلد الرس ثم نزحوا إلى قفار في منطقة الجبلين وبقى منهم في الرس أسرا، وتحول من قفار إلى حائل أسرا أخرى، ولا شك أنهم قد ساهموا في انعاش حركة التحضر التي كانت تمر بها نجد عبر إقامتهم في هذه البلدان فيذكر أنهم هم الذين عمروا الرس بعد

(١) الفاخري ٨٤، ابن بشر ٢/٢١٧، ٢٢٠، ابن عيسى ٧٥، ٦٩، حمـد الحاسر ١/٤٩٠، ٤٩١

(٢) الرس: ثالثة مدن القصيم، ومن أبرزها في الميدان التجاري وخاصة ذلك الذي يتم بين الحاضرة والبادية، وعمارتها قديمة إذ كانت من منازل بني بـرثـن من أسد وقد ورد ذكرها في كتب البلدان القديمة والأشـمـكار الجاهلية والإسلام ثم تعرضت للخراب بعد رحيل بني أسد للعراق في القرن الرابع الهجري تقريبا إلى أن قدم إليها بنو صقيـه سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م تقريبا وعمره ثم انتقلوا منها بعد أن باعوها لآل أبي الحصين من العجمان الذين أغلب أسـر الرس منهم في الوقت وهم أمراؤه كذلك من آل العساف للتفصيل عن الرس (الأصفهاني: بلاد العرب ٣٧، ٦٦، الهداني ٣٩٧، البكري ٢/٦٥٢، ياقوت ٣/٤٣، ٤٤، ابن بليهد: ١/١١٤، ١١٥)

(٣) ٢٢٦، ٢٢٧، الضبوي: بلاد القصيم ٣/١٠٢٣-١٠٤٣، حمـد الحاسر: الأسر المتحضرة ١/٤٩١، ابن صقيـه: بنو تميم في بلاد الجبلين ٨٧، عبد الله السام: علماء نجد ٢/٥٥٩)

قفار يضم القاف وفتح ألفاء تقع جنوب حائل وهي من أكبر بلدان منطقة الجبلين، وكانت المدينة الثانية بعد حائل بل كانت في فترة قريبة أكبر من حائل نفسها، اشتهرت بجودة تمرها، وكونها مركزا حضريا انتقلت

(=)

اند ثاره من عمرانہ الأول حتى اذا رحلوا عنه وباعوه على آل أبي الحصين قدم اليه أناس كثيرون وأسر متعددة من قبائل مختلفة فأصبح منذ فترة متقدمة مركزاً حضرياً من أبرز المراكز في منطقة القصيم ونجد عامة.

ولقد كان لبنى صقيه التميميين الأشيقرين دور رئيسي في اعمار بعض البلدان القريبة من الرس، كما أن منهم أسرا قد ساهمت بشكل أو بآخر في اعمار بعض البلدان القصيمية الأخرى، علاوة على اعمارهم لكثير من البلدان النجدية في غير منطقة القصيم بعد رحيلهم من أشيقر حيث كان لهم دور في حركة التعمير التي كانت تمر بها منطقة الجبلين كذلك مع بعض الأسر التميمية التي رحلت ههنا الأخرى من أشيقر، كما كان لهم دور في الحركة العمرانية التي قامت في بعض بلدان المحمل والتي أدت إلى انعاش المنطقة حضرياً بتكثيف وجود الأسر المتحضرة فيها^(٢).

ويمكن استناداً لما سبق اعتبار منطقة الوشم وبلدة أشيقر بشكل خاص مصدراً من المصادر البشرية في نجد التي امتدت المنطقة بزخم وافر من الموجات البشرية المتحضرة عن طريق اثراء البلدان النجدية بعدد وافر من الحضرة الذين عمروا بعض البلدان ابتداءً أو أعادوا عمرانها القديم الذي اندثر لأسباب متعددة

(=) منها أكثر الأسر الحضرية وخاصة التميمية لتعمير بعض بلدان نجد وسكنائها (حمد الجاسر: شمال المملكة ١١٠٩-١١١١، ابن صقيه: المرجع السابق ٥٦، ٥٧، ٦٨، ٧١، ٧٥، ٨٠، ٨٧، ٩٩ حيث فصل في الأسر التي قطنت قفاراً وارتحلت منها لتعمير بعض البلدان).

(١) يرجع آل أبي الحصين إلى آل محفوظ من العجمان وينسبون إلى جد هم محمد بن علي بن حدة (أو حديجان) العجمي وسمى أباه الحصين حينما كان مستقراً في عنيزة نظراً لكثرة حلوسه عند باب بيته وعدم اختلاطه بالناس وكان رحيل أبي الحصين من عنيزة إلى الرس هو وأولاده وشرائعهم لها من آل صقيه سنة ٩٧٠هـ / ١٥٦٢م. (حمد الجاسر: الأسر المتحضرة ١/١٦٢، ١٦٣، ١٩١، عبد الله البسام: علماء نجد ٢/٥٥٩، العبودي ٣/١٠٢٦، ابن صقيه ٨٧) ويبدو أنه سمي بابي الحصين تشبيهاً له بالشعب الذي يلقب بابي الحصين أو الحصين
(٢) حمد الجاسر ١/٩١، عبد الله البسام ٢/٥٥٩، ابن صقيه ٨٦، ٨٧

أو ساهموا في تقدم ونمو الحركة الحضرية في بعض البلدان عن طريق سكناهم فيها ومشاركة الأسر المتحضرة فيها مزاولة الأعمال الحضرية كالزراعة وما يتعلق بها من أعمال^(١).

ولقد ساهمت أشيقر في إثراء وتقدم الحياة الحضرية في نجد بما أمدت به المنطقة من علماء وقضاة كان لهم دور كبير في بث الوعي الاجتماعي لدى سكان نجد، والذي دفع بعجلة التقدم الحضري إلى الأمام، ولقد كان لدور العلماء الاجتماع في المنطقة - رغم محدوديته - أثر فعال في التخفيف من سطوة القوى الخارجية على نجد، وكذلك الإصلاح بين البلدان المتنازعة وحث الناس على حنى محصولاتهم الزراعية لئلا يستولوا عليها المهاجمون على البلدان ولو أدى ذلك إلى الفطر في رمضان^(٢)، والمهم في هذا أن إثراء أشيقر للحياة العلمية في نجد كان كبيرا فقد زخرت بعدد كبير من العلماء حتى روى أنه قد عرف فيها في وقت واحد أربعون عالما كلهم يصلحون للقضاء في زمن لم يكن يقدم على القضاء إلا من هم على درجة عالية من العلم والفضل والتقوى والورع^(٣).

وإذا كانت أشيقر تعتبر من أهم المراكز الحضرية في نجد ان لم تكن أهمها فان ذلك ليس لكبر حجمها العمراني ولا لوفرة سكانها أو سلطتها السياسية في نجد بل لما أمدت به المنطقة من أصول أسر حضرية لا تكاد تخلو منها بلدة نجدية، ولما أثرت به المنطقة كذلك من علماء أوجدوا فيها حركة علمية ذات مستوى جيد تأليفا وافتاء وقضاء، ومن هنا فان العلماء الذين يرجعون

-
- (١) مجلة الحرس الوطني العدد السابق ص ١١٠
 (٢) ذكر ابن بشر أنه في سنة ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م ظهر الشريف محمد الحارث وركب إليه الشيخ محمد بن اسماعيل وهو على ثرداء، ويبدو ان ذلك لمهادنة الشريف، وذكر انه في سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦١م سار الشيخ سليمان ابن علي (جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) عندما غزا ابن معمر بلدة البير، وان مسير الشيخ كان للإصلاح بينهم، كما ذكر انه في سنة ١١٥٧هـ/١٦٩٥م حاصر الشريف سعد بن زيد أشيقر وطلب ان يخرج إليه حسن بن عبد الله ابا حسين واحمد بن محمد القصير فخرجا اليه وكان ذلك في رمضان، فافتى الشيخ احمد بالفطر في رمضان ويحصدون زروعهم (ابن بشر ٢/٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٢)
 (٣) عبد الله البسام ١٥/١

الى أصول أشيقرية يشكلون نسبة كبيرة بين العلماء النحديين قبل الدعوة .

وقد كان للعينية مركزا حضريا مرموقا في نجد منذ فترة متقدمة اذ كانت من مساكن بنى حنيفة كما كانت الزراعة متقدمة فيها ومزدهرة الا أنها تعرضت لبعض الدمار نتيجة لضعف نفوذ بنى حنيفة حتى اذا كانت سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م قدم حسن ابن طوق من المناقر من بنى سعد من تميم (وهو جد آل معمر) على آل يزيد من بنى حنيفة وطلب منهم شراء العينية فاشتراها وعمرها هو وأولاده حيث ضاعف من رقعته الزراعية والسكنية نتيجة لتكاثرهم وقدوم أسر جديدة أخرى عليهم ثم مالبت أن استقطبت بعضا من أسر أشيقر وخاصة أسرها العلمية فقد وجد بها من العلماء عددا وفيرا بلغ عدد هم في زمن واحد أكثر من ثمانين عالما يدرسون العلم ففى مساجدها ، وهذا بلا شك عدد هائل ليس بمقياس تلك الفترة فحسب ، وهو دليل تقدم عمراني ، ونمو حضري ، واستقرار سياسي ، وهذا ما جعل هذه المدينة تعتبر المدينة الأولى في نجد قبل الدعوة ، واستلزم ذلك استقطابها لعدد كبير من الافراد والأسر النجدية بما توفره من فرص العمل والتجارة والاكتساب خاصة وأن علاقتها السياسية والاقتصادية كانت كبيرة مع منطقة شرقى شبه الجزيرة العربية أحد مصادر الامتياز الرئيسية لأهل نجد ، ومن هنا فقد كانت محطة مفادرة ، وقدوم لكثير من القوافل التجارية النجدية - الذاهبة لشرقى شبه الجزيرة والقادمة منها ^(١) .

وتعتبر قفار مركزا حضريا مهما أمد منطقة نجد عامة والقصيم ومنطقة الجبلين خاصة بالكثير من الأسر التيممية وغيرها ، وبشكل خاص فان جميع من في قرى الجبلين تقريبا من بنى تميم رحلوا من قفار ، وكثير من الأسر التيممية في منطقة سد ير قد رحلوا من قفار ، على أن قفار أمدت بعض البلدان خارج نجد ببعض الأسر التيممية منذ فترة متقدمة ، وما من شك أن هذا الدور الحضري لقفار كان في مرحلة قوتها العمرانية والتي كانت تعتبر فيها أكبر مدينة في منطقة الجبلين ، وكان بعض الأسر يتخذ من قفار موطنها للاستقرار شبه الدائم ثم ينتقل عنها بعد فترة طويلة والبعض الآخر يتخذها محطة عبور للبلدان الأخرى ولا يقيم فيها الا إقامة محدودة ومن

(١) الريكي : لمع الشهاب ٣٤ ، عبد الله البسام : علماء نجد ١٥ / ١ ، ابن خميس
اليامة ٢ / ١٩٨ - ٢٠٥

هنا فان أغلب الأسر في مناطق نجد المختلفة تمت بصلة عرقية الى الأسر التميمية في قفار وبهذا يمكن اعتبارها المركز الحضري الثاني بعد أشيقر اذا استثنينا العيينة التي كان لقيادتها السياسية ودورها القيادي السبب الرئيسي في كونها مركزا حضريا مهما بينما كانت أشيقر وقفار تفتقدان هذا المركز ومع ذلك فقد كان دورهما في اثراء وتكثيف الوجود الحضري في نجد وخارجه كبيرا^(١).

ويحذر الباحث أن لا يففل ثلاثة من المراكز الحضرية المهمة والتي كان لها دور في جذب الأسر النجدية الحضرية اليها بما تهيئه من وسائل مهمة لهذا التحضر من زراعة أو تجارة، وكذلك فتح مجالات أرحب في حركة التحضر في نجد بانطلاق بعض من الأسر الحضرية منها الى بعض البلدان النجدية، وإقامة علاقات حضرية مع المناطق المجاورة بما كان يتم بينها وبين هذه البلدان من تجارة أو عمل يستلزم بقاء بعض الأسر المهاجرة في البلدان المجاورة. وهذه المراكز هي حسب الأقدمية والدور الحضري سواء داخل نجد أو خارجه : عنيزة، وبريدة، والقسم الحضري من وادي الدواسر.

أما عنيزة فمنذ تأسيسها كبلدة مسكونة سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م تقريبا والحياة الحضرية تدب أوصالها والاستقرار والنمو الحضري يضطردان فيها، وكان ابتداء العمران الحضري فيها انقسامها الى محلات أو قرى صغيرة مألشت بعد فترة أن انضمت جميعها وتوحدت تحت اسم عنيزة^(٢)، وتدل قصة الجزرى التي مرت فسى الفصل الأول أن عنيزة قد توحدت بعد مضي مائتي سنة تقريبا على تأسيس محلاتها وأن العمارة قد ازدهرت فيها خلال هذه السنوات، وهي فترة ليست بالطويلة في أعمار القرى والبلدان وأن حلوس الجزرى فيها بعد نهب بنى لام لانه يدل على تأصل فيما عرف عن أهلها من حماية للمستجيرين كما توحى هذه القصة

(١) ابن عيسى ٥٦، عبد الله البسام : المرحع السابق ٢/٤٢٢، ابن صقيمه ٦٢، ٦٨، ٧١.

(٢) ابن عيسى ٢٣٢، ٢٣٣، عبد الله البسام : المرحع السابق ١/٢٥٣، العبودي ١/٢٥٣، العبودي : بلاد القصيم ٤/١٦٤٥-١٦٤٧.

بان وعيا ثقافيا كان موجودا في عنيزة في تلك الفترة المتقدمة ذلك أن الجزرى- وقد نظم في عنيزة الدرة في قرايات الثلاثة - لا يستبعد أن يكون أفاد بعضا من أهمل هذه البلدة بما معه من العلم خاصة وأن كتبه لم يتعرض لها بنو لام، وقد وصلت له وهو مقيم في عنيزة، وأقام بعد حصوله عليها فترة حتى تمكن من السفر الى المدينة المنورة.

وقد توالى على عنيزة مراحل الاستقرار والنمو الحضري فازدهت الزراعة فيها، وتقاطر اليها بعض العلماء الذين أثروا على الحياة العلمية لانيها فحسب بل في منطقة القصيم ونجد عامة، وكان لهؤلاء العلماء مساهمات في الحركة العمرانية والزراعية التي تربها البلدة بحفر الآبار وغرس النخيل والأشجار وبنائها البيوت والمساجد وهم في هذا يؤكدون على دور العلماء في حركة التحضر التي تمر بها البلدان النجدية والتي تعتمد أساسا على الزراعة^(١).

ونظرا لازدهار الزراعة والحياة العلمية فيها فقد أصبحت أكبر مدينة في القصيم الى فترة قريبة، وقد ساعدها على ذلك انفتاحها التجاري على منطقة شرقى شبه الجزيرة والعراق حيث كانت محطة من محطات انطلاق القوافل القصيمية وغيرها نحو تلك المناطق للامتياز مما ساعد على ازدهار الحركة التجارية فيها وجعلها المركز التجاري الرئيسى في المنطقة واستتبع ذلك رحيل بعض الأفراد والأسر منها الى المناطق المجاورة لتنشيط حركة التجارة مما أوجد علاقات أسرية بين هذه البلدة وأهل تلك المناطق، هذا بالإضافة الى تغذيتها للبلدان النجدية بعدد من الأسر اما في نطاق الحركة العلمية الشاملة في نجد، أو ضمن التبادل التجاري بين البلدان النجدية، علاوة على استقطابها لعدد من الأسر العلمية

(١) ابن حميد السحب الوابلة ورقة ١٧٢، ١٧٣، عبد الله البسام : علماء
٥١٨/٢، ٥١٩.

وغير العلمية من بلدان نجد المختلفة، ولا شك أنها بهذه الأوار المتعددة قد ساهمت بشكل رئيسي في انعاش الحركة الحضرية التي قامت في نجد منذ فترة (١) متقدمة .

أما بريدة فقد بدأت الحياة الحضرية فيها منذ عمارتها سنة ٩٨٥هـ / ١٥٧٧م تقريباً اثر شراء آل أبي عليان لها من آل هذا لزعماً عنزة، وكانت أحد موارد هم في القصيم، حيث عمرتها هذه الأسرة وتوافدت عليها أسر متعددة من الأماكن القريبة لها، ورغم تشكيك بعض الباحثين في تاريخ عمارتها وقصته إلا أن هذه الإشارة تبقى الوحيدة التي ورد ذكرها في كتب التاريخ النحدي المعتمدة، وقد لاقت القبول من كثير من الباحثين. (٢)

والمهم أن بريدة اتسع عمرانها في فترة قريبة من تاريخ انشائها اتساعاً نسبياً حتى تطلب الأمر أن يبنى لها سور يحميها من هجمات الأعراب حولها وبالمبث أن نافست عنيزة على المكانة الأولى في القصيم، وكثر المهاجرون إلى بريدة ما رفع من عدد سكانها وأوجد فيها حركة تجارية وحرفية لا بأس بها في فترة متقدمة، وكان لها دور كبير في العلاقات التجارية بين منطقة نجد والمناطق المجاورة ما جعل تواجداً حضرياً نجدياً يتشكل في هذه المناطق، علاوة على مساهمة بريدة في استقطاب كثير من الأسر المتحضرة للسكنى فيها من البلدان النجدية المجاورة لها وغير المجاورة وكذلك مساهمتها في احتضان بعض أسر البادية الراغبة في التحضر، وكل هذا جعل بريدة مركزاً جيداً في حركة التحضر التي عمت نجداً، وهي وإن كانت أقل من عنيزة عمراناً وحركة تجارية، وسمعة

(١) لوريمرج. غ. دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، الدوحة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ٣/ ١٦٢٠،
Dr. Al thenyan P. //

(٢) آل أبي عليان من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٣) ابن عيسى: عقد الدرر ٨٢، ابن بليهد ١٥٤/ ١، ابن عبيد: تذكرة أولي النهى والعرنان ٥٨/ ١، عبد الله البسام: علماء ٥٦٠/ ٢، والذي شكك في ذلك هو العبودي في بلاد القصيم ٤٧٢/ ٢- ٤٨١.

حضرية الى وقت قريب فانها منذ زمن وهي تنافس عنيزة على انتزاع المكانة الأولى فنى القصيم حتى تبوأتها رغم كونها أصغر من عنيزة وساعد ها على تكبير حجمها اتخاها قاعدة للقليم منذ عهد الدولة السعودية الأولى (١).

أما وادى الدواسر فقد كان التحضر فيه متقدما ان أن حكم الأخيضرين الذى عانت منه القبائل النجدية حاضرة وبادية على حد سواء قد اضطرقسا من هذه القبائل الى الهجرة عنها علاوة على مراحل الجذب المتتالية التى كانت تعاني منها المنطقة كذلك ما هيا الفرصة لقدوم قبائل أخرى من اليمن وتهامة كالدواسر وقحطان وغيرها حيث استأثر الدواسر بالمنطقة المنسوبة لهم حاليا وهى منطقة مترامية الأطراف شاسعة الأرجاء قطنتها قبائل فى فترة متقدمة لمحي الاسلام وبمسده بزمان كما مر وهى قبائل بنى عامر بن صعصعة وأقسام من بنى حنيفة وتميم وهوازن وكانت غنية بالوجود الحضري قبل هذه القبائل كذلك كما دلت على ذلك الآثار، علاوة على أن هذه القبائل نفسها لا بد أن يكون لها دور فى هذا التحضر ولما جاء الدواسر وكانوا أمة بدوية حضرية فى آن واحد، - ولا يستبعد أن يكونوا قد تحضروا بعد مجيئهم الى الوادى - ضاعفوا من المد الحضري للمنطقة بحفر الآبار وإنشاء المزارع، وغرس النخيل، وساعد هم على ذلك خصب فى تربة المنطقة، ووفرة فى المياه، وبقي قسم منهم على بداوته يدفعه الى ذلك طيب فى مرعى المنطقة (٢) وسعة فى رقعتها.

(١) الريكى ١٨٥، ٤٥، المبودى : ٤٥٦/٢، ٤٥٨، ٤٨٦، ٤٩٠، عبد الله

(٢) البسام : ٩٣١/٣، يرجع الدواسر فى أصلهم الى عدنان وقحطان فابناء دوسر بن تغلب من العدنانيين، وابناء زائد من القحطانيين، على أن هناك من قال ان الدواسر يرجعون الى بنى تميم، ورجح الشيخ عبد الله البسام أن تغلب وزائد من القحطانيين، وأن من دخل فيهم من تغلب عدنان رحلوا الى العراق قبل الاسلام والذى يبدوا أن هذه القبيلة مجموعة احلاف تزعمتها الدواسر ودخل فيها افخاذ من تغلب عدنان، وتميم، وفروع من القبائل التى تقطن منطقة الوادى قبل الاسلام، ويتفق النسابة على أن الأصل القبلى لهذه القبيلة ازدي قحطاني، وللتنصيل (محمد البسام : الدرر المفخرة فى اخبار العرب الأواخر تحقيق سمود بن غانم المحمى ط (١) ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٩٢، ٩٣، الكحيل : ١٣٠-١٣٧، عبد الله البسام : علماء نجد ٣/ ٣٩٧، ٨١٠، ٩٣٨، ٩٣٩، عمر كحالة ١/ ٣٩٢، ٣٩٣، عبد الجبار الراوى : البادية ١٠٤، حمد الحاسر : الاسر المتحضرة ١/ ٢٦٦-٢٧٢) (٣) عبد الله بن خميس : اليمامة ١/ ٤٤٦، ٤٤٧

وكان دور الدواسر الرئيسي في حركة التحضر النجدية هو تأسيس
واعادة عمران الكثير من البلدان في المنطقة حتى أصبحت من أكبر المناطق الحضرية
في نجد رغم احتفاظ قسم كبير منهم بطابع البداوة، ويمثل الدور الثاني في اثرائهم
لكثير من البلدان النجدية بعدد وافر من الأسر الدوسرية التي كان لها أدوار قيادية
في ميادين العلم وإمارة البلدان، وعمارة البلدان خارج منطقتهم، وتكاد لا تخلو
بلدة نجدية من وجود أسرة أو أسر دوسرية متحضرة، هذا بالإضافة إلى رحيل قسم
من الدواسر الحضر إلى العراق والشام وبلدان الخليج العربي وعمان والساحل
الإيراني من الخليج العربي (١).

- هذه أبرز ملامح التحضر في نجد في فترة ما قبل الدعوة مع صور منها
في بعض البلدان النجدية، ومن الصعب الاسترسال في ذكر المراكز الحضرية
في المنطقة لأن هذا يتطلب تاريخاً لكل بلد نجدى وهو ما لا يتسع المقام لذكره
ويخرج بهذا البحث عن عنوانه، وما ذكر تلك المراكز السابقة إلا أمثلة لهذا التحضر
في جنوب ووسط وشمال نجد، ويمكن استناداً لما سبق رصد هذه الملامح فيما يلي :
- ١- وجود مراكز حضرية رئيسية كان لها دور في إثراء المنطقة بالأسر
المتحضرة في الميادين المختلفة وكان لها دور قيادي زاد من حجمها
وجعلها مآزراً للقاصدين لمجالات الحياة المتنوعة وهذه المراكز هي
أشقر، والعيينة، وبشكل عام منطقة الوشم والعارض.
 - ٢- وجود مراكز حضرية ذات دور ملحوظ في حركة الحضر ويمكن اعتبارها من
الدرجة الثانية، ومن مناطق الصهر البشري في نجد بعد رحيل بعض
الأسر من منطقة الوشم، وأبرز مثل على ذلك بلدة قفار والتويم وبلدان
القصيم المتحضرة في تلك الفترة، أو بالأصح منطقة الجبلين وسدس
والقصيم.

(١) الحقييل : ١٣٠، ١٣١، ١٣٢-١٣٧، حمد الجاسر ١/ ٢٧٠، كحالة
١/ ٣٩٣، عبد الله البسام ٣/ ٩٣٨، عبد الله بن خميس ١/ ٤٤٨، خالد
الفرج : ديوان عبد الله الفرج منشورات ذات السلاسل . الكويت ص ١٣

٣- وجود مراكز حضرية يمكن اعتبارها من الدرجة الثالثة على اعتبار أن أثارها للمناطق الأخرى أكثر من أثارها لمنطقة نجد وأبرز مثل على ذلك منطقة وادي الدواسر إذ أن الأسر المتحضرة التي تنتمي إليها خارج نجد أكثر منها في نجد ، بصرف النظر عن الكثافة البشرية المتحضرة في الموطن الأصلي لهذه الأسر وهو منطقة الوادي نفسها ، على أن هناك تداخلا بين هذه الدرجات إذ قد تقوم كل درجة منها بالادوار التي تقوم بها الأخرى ، ولكن ليس بالمستوى الذي يبرزها فيها .

٤- وجود أسر معينة برزت في حركة التحضر تلك وأبرز مثل على ذلك الكثير من الأسر التي تنتمي إلى بني حنيفة وتميم والدواسر والتي كان ادوار واضحة في هذه الحركة في ميادين الحياة المتنوعة ، على أن ذلك كذلك لا يمنع من بروز أسر تنتمي إلى قبائل أخرى لا يتسع المقام لذكرها .

وكما سبق القول فإن غالبية أهل نجد ترجع في أصولها إلى القبائل العربية سواء كانت حضرية أو بدوية من باب أولى لا نفاق البدو واجتماعيا وعرقيا أكثر من الحضر ، وتتداخل البداوة والحضارة في بعض القبائل النجدية فتجد الدواسر وشمر وعنزة وجرب وسبيع تنقسم إلى قسمين بادية وحاضرة على اختلاف فيما بينها في درجة البداوة والحضارة فيها ، وهناك من القبائل من تحضرت منذ أمد بعيد كبنى حنيفة وبني تميم اللتين لا يوجد بين أفخاذهما رحل على اختلاف فيما بينهما في درجة الانتشار في نجد ، فبنو حنيفة يكادون يقتصرون في منازلهم على منطقة واديهم بينما ينتشر بنو تميم في أغلب البلدان النجدية ، ومن هنا فإن الأسر الحضرية والبدوية في نجد من الناحية العرقية يمكن تتبعها برحوعها إلى هذا الأصل أو ذاك^(١) ، وليس هنا مجال التفصيل في ذكر الأسر المتحضرة التي تعود إلى الأصول العربية لأن هذا يدخلنا في مآهات الأنساب ويتطلب استعراضا لكثير

(١) عبد الله العشيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١١٠

Dr. Al thengyan P./

من هذه الأسر، وبعد تكرار لما حفلت به كتب الانساب ويمكن لمريد الاطلاع والبحث في هذا الرجوع الى كتب الانساب عامة، وأنساب الأسر المتحضرة في نجد خاصة.

ويجدر بالباحث أن لا يغفل فئة اجتماعية نجدية حضرية جهلت أنسابها العربية أو تجهلت، أو سلبت، ثم ادخل فيها بعض العناصر غير العربية التي قد مت نجدا بسبب أو بآخر وأطلق على هذه العناصر جميعها لقب الخضرين، وهو لقب ليس من المعروف نجديا سبب لا طلاقه على هذه الفئة، ولا شك أن له مستند لغوي إذ لما كان النجديون يعتقدون أن أغلب هذه الفئة من الموالي - وهو اعتقاد ليس دقيقا - فقد أطلقوا عليهم ما كان يطلق على الموالي عند العرب بأنهم خضر القفا (١) على أن البعض يطلق على هذه الفئة أو بعضها صفائير وهي تعني أحيانا في اللغة السواد كما قال تعالى: "حمالت صفر" (٢) لأن العرب تسمى سود الأبل صفرا وهن في هذا تتفق مع اللفظة السابقة في المفهوم، ولعل هذه اللفظة أطلقت على بعضهم لامتداده صناعة النحاس أو تصفيره لأن الصفر هو جيد النحاس أو ضرب من النحاس أو ما صفر منه، وصانعه الصفار (بتشديد الفاء)، وهي لا تعني أن لونهم أصفر والا قيل صفران وهو لفظ لم يطلق عليهم بهذه الصيغة (٣).

(١) الزبيدي ١٧٩/٣، ١٨٠٠، ١٨٣، وقد ذكر فيها بيتا من الشعر هو:

وأنا الأخضر من يعرفني .. أخضر الجلدة في بيت العرب

ثم قال: يقول: أنا خالص لأن الوان العرب السمرة قال ابن بري أراد بالخضرة سمرة لونه وإنما يريد بذلك خلوص نسبه وأنه عربي محض لأن العرب تصف الوانها بالسواد وتصف الوان العجم بالحمرة، وهذا المعنى بعينه أراد مسكين الدارمي في قوله:

أنا مسكين لمن يعرفني .. لوني السمرة ألوان العرب

ومثله قول معبد بن علقمة المازني:

سأحمي حماة الأخضرين انه .. ابني الناس الا أن يقولوا ابن اخضرا
وهل لي في الحمر الا عا حمنسبه .. فأنت ما يزعمون وأنكرا

(٢) سورة المرسلات آية ٣٣

(٣) الزبيدي ٣/٣٣٧، محلة العرب ج ٥، ٦/١٤ ص ٤٧٢

وليس حكما مطردا أن يكون كل أفراد هذه الفئة أصولهم غير عربيــــــــــــــــة
ان أن أغلبهم يرجع الى أصل عربي ، الا انهم لاسباب متعددة جهلوا هذا الأصل
والجهل بالشئ لا يعنى عدم وجوده .

ولقد كان للجهل بالنسب وترك الديار لدى النجديين قد يما وحد يشا
أسبابا كثيرة من أبرزها :

١- ان يستدين فيفلس ولا يجد من قبيلته من يساعده على وفاة دينه فيضطر
للهرب والاختفاء عن بلد^(١)ه غير آبه بالانتساب الى قبيلته ، فينشأ خلفه جاهلين
لنسبهم ، وقد اكد الخلاوى أن من أسباب تركه منازل وقبيلته (تخلصه) هو
دين لحقه ولم يستطع سدا له وخوفه من غرمائه الذين يطلبون دينهم
حيث يقول :

تخلويت مديون للاشبال خامد . . والدين شين والمدايين طالبه
وركنى وهى من شدة النار وانشوى . ولا صاحب الا تدانت مذهب
الى أن قال :
(٢)
فاخترت لى اسم الخلاوى صيانة . . عن كل ما تخشاه نفسى وفاته

(١) ذكر اسامة بن منقذ فى المنازل والديار أن يحيى بن طالب الحنفى من
اهل اليمامة وكان أدبيا كريما فى عصر الخليفة الرشيد - فابتاع من عامل
السلطان غلة صنيفة مما تحت يده يريد بها الربح فأصاب الناس باليمامة
قحط ومسغبة ففرق يحيى تلك الغلة وأطعمهم اياها وأن محل الوفاء
ولم يكن له شئ فهرب الى الري وبها توفى وكان قد قال فى عجزه عمن
سدا دينه وهربه من اليمامة أبياتا يحن الى اليمامة ومنازلها الى أن قال
مخاطبا هذه المنازل :

أحدث عنك النفس أن لست راجعا . . اليك فهى فى الفؤاد د خيل
أريد رجوعا نحوكم فيصد نسي . . اذا رمت دين على هيتل
ويقال ان الرشيد لما عرف قصته أمر عامل الري بسدا دينه وكان كتاب
الخليفة فى هذا قد وصل وقت وفاة طالب أو قبله . عن القصة وتفاصيلها
(اسامة بن منقذ : المنازل والديار ط (١) المكتب الاسلامى ، دمشق

بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ٢٠ / ١٥ - ١٧)
(٢) شين : أى موطن عيب من الشين ضد الحسن ، المدايين : أصحاب الدين (=)

٢- قد يقوم بتنفيذ ثأر قديم في قبيلته أو حولها أو قد يرتكب جريمة ما سواء كانت قتلا أو غيرها فيضطر للهرب من بلدته وهو يخفى نفسه وموطنه حتى على أولاده الذين ينشأون جاهلين لأصلهم وقد يحتاج للعمل لدى إحدى الأسر الأصيلة^(١).

٣- قد يكون لدى قبيلته أعراف وتقاليد لا يؤمن بها كغرض الضرائب المهرقة التي تتطلبها الحماية الجماعية وجمع الأموال لتحمل دية أحد أفراد القبيلة الذي قد يكون محترفا للقتل أو جمعها لغير ذلك ويكون هو غير مستطيع على المجارة في ذلك ويخشى من سطوة قومه أو أن يعرف بينهم بمسدم الاستطاعة التي قد تجره للذل فيضطر للهرب ونسيان أصله.

٤- قد يكون لديه طموح قيادي وهو ليس من أسرة المشيخة في القبيلة، ولكنه أصيل فينشأ من جراء ذلك خلاف يخشى أن يتطور إلى تطاحن ومقاتلات فيضطر إلى البحث عن مكان أو قبيلة يحميها حرا بعيدا عن الخلافات والمشاحنات.

وقد تنى أحد أبناء القبائل أن يميثر حتى مع الصلب لبغضه المميثة مع قبيلته التي لم يستطع تحقيق طموحاته فيها، ثم حقق ذلك بالهرب عن مواطن هذه القبيلة وقال في ذلك بعض الأبيات منها :

ليتني مع الصلبان والاصل ما بيته .. لا سائل عني ولا نبي سائل
إلى أن قال عازما على الرحيل :

(٢)

نويت اهوم وكافل العبد واليه .. والبعد طب للقلوب الغلايل

(=) ركني : أي جانبي ، والمقصود كرامتي بدأت تنزل ، شدة الناس : مطالبتها أنشوى : من شئ النار أي كم أعد احتمل ، عدانت : تنازلت . ابن خميس

الخلاوي ٢٣٨ ، ٢٣٩ ابن راس : شاعرات من البادية ٣٧١ ، صحيفة الجزيرة الجمعة ٢١ رجب ١٤٠٢ هـ عدد ٣٥٤٠ ص ٥ من مقابلة مع أحد ضيوف الجزيرة أكد فيها أنهم يرجعون إلى إحدى القبائل النجدية المعروفة ولكن جدهم الأعلى هرب لأنه كان مطلوبا بدم.

(١) الصلبيان : الصلب ، الاصل : النسب المعروف ، ما بيته ، لا أريد ه لا سائل الخ ولا يسأل عني ولست بسائل عنه ، اهوم من الكهيم بمعنى الضياع في مفازة بلا ماء والمفروض أن يقول اهيم ، وكافل العبد واليه : أي كافل الإنسان ربه ، البعد طب : الخ : أي أن الفراق عن بلاد لا ترى لك قد راغيبها علاج للقلوب التي تحترق في ذلك اغلالا تخنقها . عن البيهقي

(٢) محمد الأحمد السديري : أبطال من الصحراء ، مطابع دار الكتب . بيروت

وعبر هذه الاسباب وغيرها قد تضطرب ظروف الحياة على امتحان نوع من الحرف والصنائع التي هي في نظر صريح النسب - بادية وحاضرة - من المهمن الوضيعة وهو في هذا يقبل أن يعمل بهذه الأعمال على أن يعيش حرا لا تثقله قيود القبيلة أو البلدة التي فيها أسرته ومعارفه.

ونظرا لان ذلك كله يجر الى ضياع النسب، فقد ادخل قسم من النجد بين الارقاء المحررين ضمن هذه الفئة الا ان الأولى أن ينسبوا الى ساداتهم ان مولى القوم منهم، على أن قسما من النجد بين يفرق بين الارقاء المحررين وبين الذين حملت أنسابهم تحت أى سبب من الاسباب وكثير من النجد بين - بادية وحاضرة - يلحقون أرقاءهم بعد تحريرهم بهم فيعدون من القبيلة لهم مالها وعليهم ما عليها ويشكل القسمان الأخيران الاكثري في المجتمع.^(١)

ونظرا لدخول بعض الأفراد الى نجد من خارجها وعدم معرفة النجد بين بأنسابهم فقد ألحقهم بعض النجد بين بهذه الفئة حيث اندمج هؤلاء في المجتمع النجدي ولقوا منه التكريم والتقدير لقيامهم بأعمال يحتاجها المجتمع ويستغف أفراد القيام بها.^(٢)

ويبدو أن قسما من هذه الفئة - وهو يعود الى أصل عربي - قد يضطر الى مصاهرة طبقة أدنى من طبقة فينسى أصله أو يتناساه وهذا يحدث اذا كان بعيدا عن بنى قومه فيعد من هذه الفئة، ويقف قسم كبير من المجتمع النجدي ضد الزواج منها اذا تمت بعلمه، وقد حفل تاريخ العلاقات الاجتماعية في نجد بالكثير من محاولات الرغبة في الزواج من هذه الفئة لوجود وعي اجتماعي لدى راغبيها، الا أن أهل هؤلاء الراغبين يقفون امام هذه الرغبات بمنتهى الرفض والتشنيع

(١) مجلة العرب: الاعداد السابقة ص ٤٧٠

(٢) عبد الله البسام، علما نجد ٢/٥٥٣، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٨١

حتى اذا تمت بالسر وظهرت - ولا بد أن تظهر - هددوا القائم بها بمختلف أنواع التهديدات حتى يطلق من تزوجها واذا رفض ذلك ضايقه حتى يحولوا بينه وبينها الا أن ذلك كان في القديم، أما منذ فترة قريبة فكان الأمر يقتصر على عدم الرضى فإذا تم ذلك قد يقاطعونه فترة ما يلبثون بعدها أن يستسلموا للأمر الواقع^(١).

وبعد قضية الزواج فان العلاقات بين الفئات الحضرية في المجتمع تسيطر على مايرام لا يمنع هذه الفئة من ان تزاول اعمالها بكل حرية بل بكل اعجاب مما جعل لقسم كبير من أفراد هذه الفئة مقامات عالية في المجتمع وجاها عظيمًا بين الأسر الأصيلة، وقد استولت هذه الفئة على أكثر المراكز التجارية في المجتمع حتى اشتهر منها في القديم والحديث أفراد بذلك، علاوة على امتنانهم الزراعة والحرف بملكية قد تزيد عن ملكية أبناء الأسر الصريحة، وقد ذكرت وثائق الأحوال الشخصية والأوقاف الخيرية في نجد منذ فترة متقدمة أخبارا لبعض الموالى الذين كان لهم أدوار رئيسية في أعمال الخير في المنطقة منذ فترة متقدمة وكل هذا نتيجة لحبهم للخير ووجاهتهم في المجتمع وكبر أملاكهم الزراعية في نجد، على أن هناك أفرادا اشتهروا بالعلم الشرعي والتقوى والورع وهي أمور تلقى من النجديين تقديرا كبيرا قد يفوق التقدير على أساس الحساب والنسب^(٢).

(١) محمد الأحمد الشويري: الفنون الشعبية ١٧٠-١٧٤، وهذا ورد فيها قصة قديمة مؤداها أن أحد أئمة المساجد في أشيقر قد تزوج بخضرية حتى اذا أرغمه اهله على الطلاق منها مات من القهر وذكر أبنائها شعبية له في هذه القصة وان ثبتت فهي تدل على ان محاربة عدم التزاوج من هذه الفئة قد جاء من اهل الدين، وقد رد احد العلماء على عدم التزاوج ممن هذه الفئة مفندا الأحاديث التي وردت في التكافؤ بالنسب (صحيفة الجزيرة عدد ٣٣٨٥ يوم الخميس ١٤ صفر ١٤٠٢ هـ ص ٢١، الحقل ٢٠٥)

(٣) عبد الله البسام، المرجع السابق ٢ / ٣٦٦، ٥١٤، ٥٣٧، ٥٥٣-٥٥٦، ٥٨٠، الحقل ٢٠٤، عمر كحالة ١ / ٣٤٧.

ولو تعمق الباحث في أصول القبائل العربية لوجد أن قسما منها لا تعد وأن تكون أحلافا أو جوارا ويدخل فيها الموالاة، وقد عقد ابن خلدون فصلا في اختلاط الانساب كيف يقع وبين فيه وفي الذي قبله أن جهل الانساب واختلاطها هو نتيجة طبيعية لظاهرة التحضر التي يربها الانسان وأن الحفاظ على صراحة النسب لا تتم غالبا الا بين البدو، فقال في ذلك : " اعلم انه من البين أن بعضا من أهل الانساب يسقط الى أهل نسب آخر بقراءة اليهم، أو حلف، أو ولا، أو لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعى نسب هؤلاء ويعد منهم في ثمراته من النعمة والقود وحمل الديات وسائر الأحوال، وإذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء الا حريان أحكامهم وأحوالهم عليه، وكأنه التحم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان، ويذهب أهل العلم به فيخفى، على الأكثر، وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والا سلام والعرب والعجم، وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك، ومنه شأن بجيلة في عرفة بن هرة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه، وقالوا هو فينا لزيق (أي د خيل و لصيق) وطلبوا أن يولى عليهم جريرا فسأله عمر عن ذلك فقال عرفة : صدقوا يا أمير المؤمنين انا رجل من الازد أصبت دما في قومي، ولحققت بهم، وانظر منه كيف اختلط عرفة ببجيلة وليس جلد تهم ودعى نسبهم حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجه، ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان لتنسى بالجملة وعد منهم بكل وجه ومنذ ذهب فافهم واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا ولما قبله من العهود) انتهى

ويستطيع قسم كبير من افراد هذه الفة وأسرهما أن ينتسب بحلف أو جوار أو موالاة الى احدى القبائل العربية، على أن قسما منهم يستطيع أن يعرف قبيلته

(١) المقدمة ص ١١٠، وقد ذكر مؤرخو السيرة أن حاطب بن ابي بلتعة كان لصيقا في قريش وهناك حالات كثيرة مثل تلك (ابن القيم : زاد المسار مراجعة طه عبد الرؤوف طبعة مطبعة البابي الحلبي . القاهرة)

الأصلية ولكنه تحت تأثير العوامل السابقة التي خفي نسبه بسببها ، وقناعته بالوضع الذي هو فيه لا يريد أن يعود الى ذلك ، وقد حدثني أكثر من واحد عن معرفته بأسر من هذه الفئة تعرف القبيلة التي تنتسب اليها وقد أكد ذلك الشيخ ——— حمد الجاسر قائلا : " وأنا أعرف أسرا تعد الآن من الخضرين ، ومنهم من يعرف القبيلة التي ينتسب اليها " (١)

الباب الثاني

الحياة للهو مجاهد لدى بالايما نجد قبل الدعوة

الفصل الأول: مدح الحياة البدنية .

الفصل الثاني: أبرز نظام الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد لدى بادية نجد قبل الدعوة .

١- نظرة البدوي للحضري .

٢- وضع المرأة البدوية ووظيفتها .

٣- الرق والارقاء ١- الرق ونظرة الاسلام اليه « نبذة موجزة » .
ب- الرق في الفقه في الطب والنجاسة في الشرع .
ج- الرقبة والقدم لدى بادية نجد .

٤- أمثلة من العادات والتقاليد لدى بادية نجد

١- الكرم ٢- السكن ٣- اللبس ٤- الأكل

٥- الشرب ٦- الخوة اور بلوماسية البدو .

٧- نظام الفزو ٨- السب والسرقة ٩- نظام الربيط والرميل

الفصل الأول :

ملاحح الحياة الدينية لدى البادية نجد قبل الدعوة :

لقد كان امام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أول من قام بتحليل واف للحياة الدينية عند البادية في هذه الفترة وذلك من خلال بعض الكتابات والرسائل التي كان يبعثها الى العلماء وأئمة المساجد في نجد .

ولعل تركيز الشيخ على البادية راجع الى أنها تشكل غالبية المجتمع النجدي في هذه الفترة التي سبقت الدعوة، وجاء تحليل الشيخ هذا على شكل مناقشات وردود على العلماء الذين سبقوا الدعوة أو عاصروها ولم يؤيدوها، والذين يبدون موقف الخوف من أبناء البادية الذين قال عنهم الشيخ : «أنهم يكذبون بالبعث، وينكرون الشرائع، ويزعمون أن شرعهم الباطل : هو حق الله، ولو طلب أحد منهم غصه أن يخاصمه عند شرع الله لعدوه من أنكر المنكرات^(١). ومن حيث الجملية فهم يكفرون بالقرآن من أوله لآخره، ويكفرون بدين الرسول (صلى الله عليه وسلم) كله مع اقرارهم بذلك في سنتهم، واقرارهم : أن شرعهم أحد شيء أبأؤهم لهم ككرا بشرع الله^(٢) ثم يقرر الشيخ حقيقة عن العلماء في هذه الفترة بأنهم يقولون : من قال لا اله الا الله فهذا المسلم حرام الطال والدم، ولا يكفر ولا يقاتل حتى وان كان من البدو والذين صبغت الاشارة الى وضعهم العقدي والمطبيقي الصي^٥ .

- (١) الشيخ في هذا يصور جانباً من جوانب القضاء العربي لدى البادية هذا القضاء الذي كان يؤخذ مأخذ التسليم من ابن البادية، وكانت عبارة "حق الله" اذا اطلقها البدوي فانما يقصد بها ما يحكم به القاضي العربي أو ما يسمى بالعارفة، وقد اشار صاحب اللحم ص ٣٣ الى ذلك مبيناً ان عادة هذا الحكم الرشوة التي تؤدي لا حقائق الباطل وبطلان الحق وقد ذكر هو الاخران العارفة طاغوت لأنه بعد الناس عن اتباع الشريعة واناد بان عامة بدو نجد يتحاكمون اليه حتى القبائل التي فيها بدو وحضر كشمرد والد واسر الشيخ محمد بن عبد الوهاب. مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مطابع الرياض. نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٩/٣
- (٢)

وهؤلاء العلماء يعترفون بهذا كله معترفين أيضا بأنه ليس فيهم من الاسلام شعرة الا أن الخوف من البد و جعلهم يحكمون باسلامهم ويتلقى هذا الحكم العامة عنهم، ولقد كان الشيخ شديدا على هؤلاء البد وكما كان شديدا على العلماء الذين لم يبذلوا محاولات لصلاح هذا الجانب المهم في حياة البد وبل جاروهم في جهلهم وضلالهم، ويبدو أن جد الا فكريا حادا بين الشيخ وهؤلاء العلماء قد جرى حول هذه المسألة لأنهم قالوا عن الشيخ : من كفر مسلما فقد كفر. لكن الشيخ يقول عنهم : " ان المسلم عند هم الذي ليس معه من الاسلام قيد شمسره الا أنه يقول بلسانه : " لا اله الا الله " وهو أبعد الناس عن فهمها وتحقيقها مطلوبها علما وعقيدة وعمل^(١) . وقد زاد الشيخ المسألة ايضا فقرن بين البد وبنى حنيفة أشهر أهل الردة وأعرفهم الى أهل نجد لأنهم منها ، اضافة الى أنهم عند الناس أقبح أهل الردة وأعظمهم كفرا ، ومع ذلك فهم يشهدون أن لا اله الا الله ويؤمنون ويصلون ولكنهم لم يؤدوا أركان الاسلام كاملة فلذلك عدوا ممن المرتدين^(٢) .

والشيخ في هذا يستغرب كيف أن هؤلاء العلماء لا يكفرون هؤلاء البد ومع أنهم مقتنعون بكفر بنى حنيفة بعد ردتهم مؤكدا ناحية مهمة وهي أن هؤلاء البد كانوا يسخرون ممن كان يؤدى شعائر الاسلام ويدعو اليها ، وهذا وان كان عن جهل الا أنه يتطلب اصلاحا من جانب هؤلاء العلماء ولو أدى ذلك الى المحاربة ، وقول هؤلاء العلماء " ان البد و مسلمون ولا تركوا الاسلام كله وأنكروه واستهزأوا به على عمد لأنهم يقولون لا اله الا الله فقط^(٣) هذا القول هو ما أثار حفيظة الشيخ وجعله يطيل النقاش في هذه المسألة التي ما من شك في أن دافع هؤلاء العلماء في تقريرها هو الخوف والخوف الشديد من البد وكما مر .

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : المصدر السابق ص ٣٩ ، ٤٠

(٢) المصدر السابق ص ٤١ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

ويقرن رحمه الله بين شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لمــــا
اعتقدوا فيه من الالهية عاطفهم أشد من معاملة اليهود والنصارى فأحرقهم بالنار
وأجمع الصحابة وأهل العلم على كفرهم بسبب غلوهم فيه رضى الله عنه وهم يقومون
الليل ويصومون النهار ويقرأون القرآن . . . يقرن بين هؤلاء الذين يعتقد علماء
نجد بكفرهم وبين بدو نجد الذين كفروا بالاسلام كله الا أنهم يقولون لا اله الا الله^(١).

وهو في هذا يزيد الصورة عن الحياة الدينية عند البدو وايضا مقرر
أن لا فرق بين هؤلاء وأولئك وان اختلف أسلوب التفكير الديني عندهما، وهو
في الوقت نفسه ينهى على هؤلاء العلماء موقفهم السلبي من هؤلاء البدو في عدم
دعوتهم الى تصحيح العقيدة.

ويستمر رحمه الله في تقرير حقيقة أن البدو في جاهلية قبل الدعوة مما
يجعلهم في حاجة ماسة الى من يوجههم التوجيه الاسلامي الصحيح وهو في هذا
يمقت بعض علماء نجد الذين وصموه بالكفر لمخالفتهم ما توارثوه من عادات، وعزمهم
على السير في طريق الدعوة لعموم أهل نجد وخاصة بادية نجد ليقول: " فكيف بمن
لم يكفر البدو مع اقراره بحالهم ؟ فكيف بمن زعم أنهم هم أهل الاسلام وأن من
دعاهم الى الاسلام هو الكافر^(٢) " .

وفي نطاق تحليله الوافي لحياة البدو والدينية قبل الدعوة يقرن بين وضع
البدو فيها وبين وضع المبيد بين الفاطميين في البعد عن حقيقة هذا الدين
وان اختلفت أساليب هذا البعد بين هذين الفريقين، ولا شك أن تحليله
لهذا المجال ينم عن ادراك كامل لحقائق المتغيرات الدينية التي طرأت على
المجتمع الاسلامي عن طريق فهم أحداث التاريخ وتسخير هذا الفهم لاستنباط
الدروس والعبر من هذه الأحداث في طريق الدعوة فيقول: " فانظر بين هذا وبين

(١) المصدر السابق ٤٤ .

(٢) المصدر السابق ٤٥ .

د يننا الأول أن البدو اسلام مع معرفتنا بما هم عليه من البراءة من الاسلام كله
الا قول : لا اله الا الله^(١).

ويواصل عرضه لوقائع من التاريخ الاسلامي لقضايا خالف فيها أصحابها
بعض شعائر الاسلام أو ارتدوا عنه، أو أساءوا له كالتتار، ويقرن بينهم وبين البدو
الذين يعرف عنهم علماء نجد : " انه ليس معهم من الاسلام شعرة الا قول : لا اله
الا الله^(٢)، ثم يوضح الشيخ عن هدف هؤلاء العلماء الذين لم يكفروا البدو بأنهم
يريدون القضاء على هذه الدعوة في مهدا حيث أفتوا لمن تعاهد هو والشيخ
محمد على عهد الله ورسوله" ويقصد عثمان بن معمر " أن ينقض العهد وله في ذلك
ثواب عظيم، كما أفتوا لعامة الناس بأن من عنده أمانة للشيخ وأتباعه أنه يجوز له
أكل الأمانة ولو كانت مال يتيم أو بضاعة عنده أو ودعة بل قاموا بتأييد من
حارب الدعوة سياسيا بالفكر والحال، كل هذا ليقرروا حقيقة أن البدو مسلمون ولو
أنهم لا يقيمون الصلاة^(٣).

ولا شك أن كلام الشيخ السابق الذي كان قد أفتى في مؤلفه قد تطلب
منه اثبات حقيقة جاهلية البدو في نجد في تلك الفترة في أسلوب عام لا يستطيع
الباحث معه أن يرى التفاصيل الدقيقة لهذه الجاهلية، ومظاهرها العظيمة في حياة
البدو ووضوحها لدى بعض القبائل أكثر من بعضها الآخر وان كان الشيخ قد
أورد قضية المعتقد وتحكيم العارفة مع الاستهزاء بأهل الدين، وهي قضايا تكفي
لاعطاء صورة شبه واضحة عن الحياة الدينية لدى هؤلاء البدو، إلا أن وجود

(١) المصدر السابق ٤٦، ٤٧، ٤٨، وذكر فيها المقارنة بين الجعد بن درهم
الذي جحد صفة التكليم من الله سبحانه وبين علماء نجد المعتقد بأن
أن البدو مسلمون ويلمح الباحث حدة أسلوب الشيخ في مواجهة هؤلاء العلماء
الذين وصيهم بالكفر حيث قال عنهم : " فإين هذا من اعتقاد أعداء الله
في البدو".

(٢) المصدر السابق ٤٩.

(٣) المصدر السابق ص ٥٠، والشيخ في هذا يقصد معارضة سليمان بن سعيد
بتأييده لدعاهم بن دواس.

مقارنة بين قبائل بادية نجد في القرب والبعد من هذا الدين أمر ضروري في هذه المسألة حتى تتمكن الدعوة من جذب الأقرب الى صفها، والشيخ باثباته هذا من الأدلة التاريخية من واقع الانحرافات عن منهج الله عبر التاريخ الاسلامي لتأكيد هذه الحقيقة والرد على علماء نجد المخالفين له بشكل عام وخاصة هذه القضية، انما أراد أن يطيل نفس النقاش مع خصومه حتى يضعهم أمام هذه القضية وقد تبلورت لهم أبرز مظاهرها وموقفه منها ولو بشكل عام، وهو في هذا قد تحاشى ذكر أسماء معارضيهِ وان كان قد ابرز فعالهم معه ما هو معروف عنهم لدى عامة أهل نجد في تلك الفترة وذلك حتى يزيد المسألة ايضاحاً ويكشف عن بعض أسماء هؤلاء المعارضين له، كما يبين القبائل التي تبرز لديها معالم هذه الجاهلية بشكل واضح في رسائله الشخصية سواء كانت في تلك التي أرسلها لهؤلاء أو لغيرهم من العلماء وأئمة المساجد في نجد. هذه الرسائل التي كان من أبرز ملامحها الحدة في الأسلوب والتهكم في اللفظ مع كبار هؤلاء المعارضين ممن كانت فعالهم معه وألفاظهم عنه لا تقل حدة وتهكماً من أسلوب الشيخ نفسه.

وبشكل خاص، فالرسائل التي أرسلها الشيخ الى العلماء وأئمة المساجد في نجد ممن لم تبد منهم معارضة تذكر للدعوة، ومن يطمح الشيخ في أقناعهم بوجهة نظره. هذه الرسائل يلح الباحث تركيز الشيخ فيها على اثار اهتمامهم بهذه المسألة التي ما من شك في أن الشيخ يرى أنها جوهرية في سبيل اصلاح الوضع الديني والاجتماعي في نجد، ففي رسالته الى "أحمد بن ابراهيم" مطوع مرات : يؤكد أنه قد تواتر لدى أهل نجد أن البدو قد كفروا بالكتاب كله متبرئين من الدين، ويبدو أن ذلك كان بسبب الجهل المطبق الذي كان يضرب أطنابه بينهم والذي كان يسول لهم أن حكم العارفة أفضل من الشريعة، وقد أشار الشيخ الى ذلك وغيره في هذه الرسالة حيث يقول : "وأعظم وأطم أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله وتبرؤوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يهدقون بالبحث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها مع اقرارهم

بأن محمداً رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عنساداً
ومع هذا تتكبرون علينا كفرهم وتصرحون بأن من قال : " لا إله إلا الله لا يَكْفُرُ^(١) .

أما في بعض مراسلاته فهو يصرح بقبائل معينة كانت تعيش انحرافاً
في عقيدتها ففي رسالته " لمحمد بن عيد " أحد مطاوعة ثردا^١ ركز على قبيلتي عنزة
والظفير، ويبدو أنهما تعيشان جاهلية أكثر مما تعيشه القبائل الأخرى فيقول رحمه
الله : " من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم، فإن كـ————
معاند لم يقدر على أن يقول : إن عنزة وآل ظفير وأمثالهم كلهم : مشاهيرهم
والاتباع، أنهم مقرون بالبعث ولا يشكون فيه، ولا يقدر أن يقول : أنهم يقولون : إن
كتاب الله عند الحضر وأنهم عانقوه ومتبعون ما أحدثه آباؤهم ما يسمونه الحق،
ويفضلونه على شريعة الله، فإن كان للوضوء^٢ ثمانية نواقص، ففيهم من نواقض الإسلام
أكثر من مائة ناقص^(٢) .

ويشير الشيخ في رسالته إلى خصمه ومعارضه " سليمان بن سحيم " إلى أبرز

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار ١/١٦٣، ١٦٤، وأنظر الرسائل الشخصية
للشيخ محمد بن عبد الوهاب، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
ص ٢٠٩

(٢) حسين بن غنام : المصدر السابق ١/١٠٨، قارن بين ذلك وبين تاريخ
نجد لابن غنام تحقيق د : ناصر الدين الأسد، الطبعة الأولى
١٣٨١هـ/١٩٦١م، مطبعة المتنبي ص ٢٨٥ الحاشية التي ذكر فيها
تصويبه كلمة : عانقوه بأنها : عايقنة : والتي هي كلمة عامية نجدية معناها
تركوه وهجروه ولم يتبعوه وأنظر الرسائل الشخصية للشيخ محمد ص ٢٦٠، ٢٦١

(٣) هو سليمان بن محمد بن أحمد بن علي بن سحيم من الصبغة الحبلان من عنزة،
ولد في الجمعة موطن أسرته سنة ١١٣٠هـ/١٧١٧م، وقرأ على بعض علماء
نجد ومنهم والده، ثم ارتحل إلى الرياض فصار مدرساً وخطيباً وفقهياً
ومفتياً هي ومعكالي أيام د هـ بن د واس، وبعد صدع الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب بدعوته في العيينة عارضه ابن سحيم في أشياء كثيرة
كالقبور والذبح لدفع ضرر الجن وغيرها، وبعد انتقال الشيخ إلى الدرعية
بدأت المعارضة النجدية تضعف تدريجياً، ومن المعتقد تشجيع ابن سحيم
لد هـ بن في معارضته للدعوة والدولة، ووالد ابن سحيم من معارض الدعوة

ملاح الحياة الدينية لدى البادية في نجد والحجاز في تلك الفترة. هذه الملامح التي تتمثل في انكار البحث وعدم معرفة الدين وما يستتبعه من تضييع الصلوات، ومنع الزكاة، وهو في هذه الرسالة يركز كذلك على هاتين القيلتين (عنزة والظفير) اللتين يبدو أنهما زيادة على هذا البعد عن الدين قد تزعمتا المعارضة البدوية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما سيأتى . وهذا ما حدا بالشيخ الى تكرر التشنيع بوضعها الدينى السئ مرتين في رسالة لابن سحيم فقط، وإذا كان قد ذكر عامة البوادي بعد تخصيصهما ، فإن هذا التخصيص بحد ذاته يدل على عظم خطرهما على الدعوة والدولة الوليدة مما سيأتى بيانه في هذا البحث ان شاء الله .

ويتضح كل هذا من قول الشيخ لابن سحيم : " ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البحث منهم أكثر من يقربه ، وأن الذي يعرف الدين أقل من لا يعرفه ، والذي يضيع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها ، والذي يمنع الزكاة أكثر من يؤد بها ، فإن كان الصواب عندك اتباع هؤلاء فبين لنا ، وإن كان عنزة والظفير وأشباههم من البوادي هو السواد الأعظم ، ولقيت في طمك ولم أبهمك أن أتباعهم حسن فاذكر لنا ونحن نذكر كلام أهل العلم في معنى تلك الأحاديث ليتبين للجهال الذين موهت عليهم " .^(١)

(=) كذلك، ويبدو أن صلاح ابن دواس مع الدرعية عام ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م قد زاد في ضعف المعارضة وخاصة ابن سحيم فانتقل الى الدرعية عام ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م ولم يطلب له المقام فيها فارتحل الى الزبير وتوفي فيها ١١٨١هـ / ١٧٦٧م وخلف فيها ابنه ناصر من علمائها البارزين ، وقد ولي الامام فيصل بن تركي عام ١٢٤٩هـ شخصاً يقال له سليمان بن سحيم على مرايطة تاروت ولا أعلم هل هو حفيد للمترجم له أم لا ، للتفصيل (الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ٦٢-٧٦، ٨٨، ٩١-٩٦، ٢٢٧-٢٣٧، ابن غنام : روضة ٣١/١، ١١١-١٢٤، ١٣٨-١٤٥، ٢٠١٤/٤٦ ابن بشر ٦١/٢، حمد الجاسر : معجم قبائل ٤٨/١، ٢٣٦، ٢٠٣٣٦/٢، ٥٥٦، ٦٦٥ ، جمهرة انساب ٣٧٠/١، عبد الله البسام علماء نجد ٣٢٢/١، ٣٢٢، أميين سعيد : سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ط ١٣٩٥/١٩٧٥، ص ٧٧-٩١، ١٠٤-١١٣، مجلة كلية الاداب جامعة الرياض/الطوك سعود حالياً / ٥ لسنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص ١-٢٠ من مقال للدكتور عبد الله العثيمين عن ابن سحيم

(١) الشيخ محمد عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٣٦، ٢٣٥

وبعد أن يواصل نقده لخصمه يختم كلامه بقوله : " فان كنت وجدت في علمك وعلم أبيك ما يريد على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء وأن عنزة والظفير والبوادى يجب علينا اتباعهم فأخبرونا" ^(١)

ولاشك أن الشيخ قد استغل نقطة الضعف لدى خصمه في خوفه من هذه القبائل أو اعتقاده بأنهما ليسا على باطل ، وهو في هذه الرسالة خاصة يضع ابن سحيم وهاتين القبيلتين في صف واحد في استحقاقهم لهذا الهجوم الشنيع حيث أن ابن سحيم يعتبر من زعماء المعارضة الحضرية كما أن عنزة والظفير تترزمان المعارضة البدوية .

وان استقراء لهذه النصوص السابقة وهذا الجدال الفكري ليعين ما يلي :
أولا أن بادية نجد عموما كانت تعيش في جاهلية جهلاء فهي لا تعرف الشعائر الإسلامية من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وكانت تتحاكم فيما بينها بأعراف وتقاليد لا تمت إلى الأحكام الإسلامية بصلة ، ويتضح فيها الجور من جهة ، والتساهل في احقاق الحق من جهة أخرى ^(٢) .

(١) المصدر السابق : ٢٣٧

(٢) يذكر بركهارت أن لدى البدو طريقة في حل القضايا هي : أن شيخ القبيلة يجتمعون للصلح فيما إذا كان بين اثنين من قبيلتها ثأر دم أو ديون . على شرط أن يصفح الحائنان مهما كان الدم أو الديون الخاصة ويقبول البدو عن هذه الطريقة " قد حضر الشيوخ ودفنوا " أي دفنوا الثأر وفي هذا ما فيه من غبن للدعي وتساهل مع المدعي عليه ، كما يذكر القاضي العرفسي لدى البدو إذا فشلت محاولاته في الإصلاح بين المتخاصمين فإنه ياتس بالصماسة أداة حمس القهوة ويضعها فوق النار حتى تحمر ثم يأمسب المتهم بفصل فيه بالماء ثم لعقها فإذا لم يلحقه أذى وتحمل الحرارة الشديدة فإنه بريء وإذا عانى من الحد يد ثبت عليه التهمة . وقد عرفت بركهارت فصلا طريفا خاصا بطريقة القضاء لدى البادية ، كما سبق انظر :

(١) أما عن الشعائر الدينية كالصلاة فانهم لك يكتفوا بتركها بل كانوا يسخرون من الحضر الذين كانوا يصدقون بالبحث ويطبقون الصلاة وجل الشعائر الدينية مع انحراف في العقيدة، صحيح أن هؤلاء البدو كانوا يقرون باللاهية، ونبيوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته لكنها اقرارات لا تتجاوز السنن مما جعل الشيخ محمد رحمه الله يطلق الكفر على البادية عموما أو أكثرهم وعلى المصنوع نجد أنه في تلك الفترة لم يكن لديهم أي معرفة بدین الاسلام بل كانوا منشغلين مع مواشيهم ولم يكن يضمنهم أي رجال علم أو حتى أئمة لأداء الصلاة^(١).

ثانياً لقد خص الشيخ في النص الثاني قبيلتي عنزة والظفير حيناً انكارهم للبحث والنشور، وأن فيهم من نواقض الاسلام ما يخرجهم منه الى الكفر.

لكن الشيخ رحمه الله لم يبين لنا بالتفصيل مظاهر انحراف هاتين القبيلتين وهل كانتا تعرفان الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم كما تعرفه بقية القبائل أم كانتا تعيشان انحرافاً شاملاً في كل مظاهر الحياة مما يجعلها تعيش حياة أقرب الى الجاهلية الأولى.

كما أن الشيخ رحمه الله لم يبين لنا لماذا كانت هاتين القبيلتين أشد انحرافاً من بقية القبائل الذي يبدو أن ذلك بسبب كونها تقطنان بعيداً عن المراكز العلمية في وسط نجد، فقد كانتا تقطنان في شمال نجد وشمالها الغربي والشرقي، وما لا شك فيه أن لهذه المراكز تأثير ولو كان ضئيلاً على بادية وسط نجد، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الشيخ رحمه الله يخص هاتين القبيلتين بهذا الوصف السابق.

(١) من الطريف في هذه القضية أن هناك مثلاً شائعاً بين البدو ويتدرون به على الحضر وهو قولهم "بلشة الحضار ركوع وتسليم وسبه فيما يقال ان اعرابها دخل مع قوم من الحضار في صلاة التراويح وذلك قبل ان يتعلم البدو أمور دينهم وكان له حاجة الى احد هم ولم يكن يعرف شيئاً عن هذه الصلاة واستمر معهم حتى انهوا الصلاة ولما عاد الي قومه سألوه لماذا تأخر فقال لهم هذه المقالة، وهناك امثلة عدة تصور الحالة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة. (محمد الميودي : الامثال العامة في نجد ١/٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٣، ٢٩٤، ويروى هذا المثل بأسلوب آخر)

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٩٤٩ :

ثالثاً أن تركيز الشيخ على البادية في أكثر مراسلاته ومناقشاته مع علماء وأئمة مساجد بلدان نجد . . . أن هذا التركيز يدل على أن الشيخ رحمه الله يرى في أبناء البادية طاقة هائلة لا يمكن الاستهانة بها وأنهم متى ما استقرت العقيدة الصحيحة في نفوسهم أندفعوا يحققوا ما يطلب منهم ، لانهم أسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة فطرتهم من مؤثرات الحضارة بسلبياتها المتعددة^(١) ، وسنرى كيف أدى بعض أبناء البادية خدمة لهذه الدعوة والدولة في حروبها مع أعدائها .

رابعاً أن في هذين النصين وفي غيرها من مؤلفات ومراسلات ومناقشات الشيخ شهادة منه رحمه الله على أن حاضرة نجد ليست كما يصورها بعض الناس تعيش في جاهلية جهلاء ، بل إنها تعيش مطبقة للإسلام في شعائره والتعبدية لولا بعض الانحرافات في العقيدة والتي يبد وأنما محدودة في مناطق معينة ، وحتى في هذه البلدان فهي ليست شاملة لكل هذا البلد أو ذاك ، بل إنه يوجد في كل بلد من بلدان نجد فئة لا يستهان بها تعيش على فطرة الإسلام .

ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال التقليل من الدور الضخم الذي قام به مجدد هذا الدين في القرن الثاني عشر الهجري وما تلاه من القرون إلى الآن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فان تصحيح العقيدة وتوضيح العمل الصالح وإقامة الدولة المسلحة التي تقيم شرع الله ، لهم دور لا يستطيع القيام به إلا أولوا العزم من الرجال الذين يوقفهم الله للاهتداء بهدي رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويهيئ لهم من يعمل لتحقيق هذه الفكرة في عالم الواقع وعلى مستوى الدولة كما حصل من الامام الصالح محمد بن سعود رحم الله الجميع .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٢٦ ، ١٢٧

ويذكر ابن غنام وابن بشر في تاريخيهما أن منطقة وادي الدواسر - وأغلبها بادية في تلك الفترة - كان يوجد بها بعض مظاهر الشرك بتقديس الأشجار والأحجار التي يلقون منها الفائدة الظاهرة، وهما إذ يعمان هذا القول فإنما يخصصان شجرة كبيرة اتخذوها رمزا يجلسون عندها ويستظلون بها معتقدين فيها جلب النفع ودفع الضرر، وإذا علمنا أن منطقة وادي الدواسر لا تقل - في تلك الفترة - عن منطقة الشمال النجدي جهلا بأحكام الدين أدركنا إلى أي حد يمكن معه قبول مثل هذه الإشارة^(١).

ولكن ابن غنام وابن بشر لم يوضح أحد منهما مظاهر الممارسات اليومية لهذا الاعتقاد التي يبدونها أنها تتخذ شكل الجلوس عندها والاستئلال بها وعقد الاجتماعات المناوئة للدعوة والدولة حولها، ولا شك أنه لو كان لهذا الاعتقاد ممارسات تعبدية ظاهرة كما ذكر هذان المؤرخان لبعض الأشجار والأحجار في منطقة العارض لا يبرهن ما يستنبط الباحث من هذا التعميم أن أصل هذا الاعتقاد لا يعدو أن يكون من باب التفاضل بهذه الأشجار في مجتمع بدوي يستفيد منها ظلاله في غدوه ورواحه وتطور هذا التفاضل ليأخذ شكل المنتدى السياسي والاجتماعي، والجلوس والاستئلال العابر والتي تطورت فيما بعد لتأخذ شكل الاعتقاد بجلب النفع ودفع الضرر منها ربما بحصول خير ونفع أو اندفاع شر وضرر أثناء الجلوس عندها إذ قد يحدث أن تهطل الأمطار حال جلوسهم عندها أو يسلمون من غارة لا حدى القبائل عليهم أو ينتصرون عندها.

والى وقت قريب فقد كان البدو ينظرون إلى الحضر على أنهم "مقوميين" الصلاة^(٢) والمقصود وقتها واركائها وواجباتها ما يعطى المرء تأكيدا بأن بعض البدو على النقيض من ذلك في غالبهم منذ تلك الفترة، كما قد اشتهر لدى البدو على تلقيب الحضري بـ "مولى الخمس" والمقصود الصلوات الخمس التي لم يكن قسم

(١) ابن غنام : روضة ١٣١/٢، ابن بشر ١٠١/١٠٢،
(٢) الأزهار النادية ١٢/٤، ابن خميس : الأدب الشعبي في جزيرة العرب ط
(٢) مطابع الفرزدق - الرياض ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ص ٣١٥

من أبناء البادية في تلك الفترة - والفترات المشابهة لها فيما بعدها - يؤدونها
أما الحضر من جانبهم فقد اشتهر لديهم أن البدوي هو عدو الشريعة الى - وقت
قريب - وهذا وإن كان قد تواتر لدى الحضر فإن فيه الكثير من المبالغة أساسها
أن حياة البدوي القاسية وجهله بأصول الدين قد تضطره لاتباع أسلوب الفسز
على الحضر الذين يطلقون عليه هذا اللقب والا فالبدو - إذا تعلموا الدين -
صحيحا - أنصار الشريعة وحماة الدين ولا غرو في ذلك فهم مادة الاسلام كما
قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما مر ذكره .

والذي يتأكد أن لهذه النظرة من الحضري أساس في فترة ما قبل الدعوة
السلفية فقد أشار علماء الدعوة أن بدو نجد لم يكن أحد منهم - وهذا في
الغالب - ينظر الى أحكام الاسلام لا في العبادات ولا في غيرها من الأحكام سواء
كان ذلك في الدماء والأموال، أو في النكاح والطلاق والميراث وما إليها من الأمور
التي نظمها الشريعة، وقد استغل الحضر هذا الكلام الذي انطبق على البدو
في فترة من الفترات فلا ينطبق عليهم دوماً، إضافة الى أن الدقة تقتضي أن لا يعمم
على سائر البدو، وهذا الكلام - من قبل ومن بعد - يدخل في نطاق النظر
السيئة من الحضر نحو البدو .

ولقد كان البدو قبل الدعوة إذا نزلوا قريبا من البلدان وقت الصيف
جاءهم من يستطب عندهم لمعرفة البدو ببعض أنواع الطب العربي فيطلبون مسن
أهل المرضى الذبح لغير الله، ويحددون لهم موعدا ويطلبون مثلاً ذبح تيس
أصم^(٣) أو خروف أسود وينهونهم عن ذكر اسم الله عليه طالبين إعطاء المريض منه
معتقدين أن ذلك يشفي الأمراض سواء كانت نفسية أو عصبية وقد يحين وقت الشفاء

(١) صحيفة الرياض عدد ٥٤٢٤ في ٩/٧/١٤٠٣ هـ ص ٥١
(٢) عبد اللطيف بن عبد الرحمن الشيوخ : الرسائل المفيدة دار العلوم
للطباعة . القاهرة ص ١٥٥
(٣) أصم : مقطوع الأذن أو القرنين أو هما معا أو صغيرهما : (الفيروزبادي
٥١/٣) .

(١)
فيشفي المريض فترسخ هذه العقيدة في النفوس ، ويشترك البدو والحضر على حد سواء في الاعتقاد بجواز الذبح لدفع ضرر الجن وهو ما وقف ضده الشيخ وعلماء الدعوة من بعده محرمين له ومحذرين العامة من الاعتقاد به . (٢)

هذا ما أمدتنا به المصادر عن الحياة الدينية عند البادية ، إلا أن الشعر العامي قد أمدنا بلون آخر من الحياة الدينية لدى بادية نجد في هذه الفترة فهذا الشاعر الشعبي " راشد الخلاوي " يوضح جانباً من جوانب الحياة الدينية لدى البادية فيقول :

(٣)	(٤)
فان سلت قومي يا منيع فلا تسئل	أحجار واشجار يعبدون غاييه
عصاة قساة من حد يد قلوبهم	فلو أنهم من صم الأحجار ذاييه
فلا عندهم إلا إبليس عقيدهم	فالبعض ابن له والبعض شاييه
غدوا قرن شر كل قرن مطرد	عن الكون مأوى للشياطين ذاييه
محا الله " سعد " يا " منيع " وقومه	كما قد محا من صفحة اللوح كاتبه
تخليت عن قومي محا الله دارهم	واهي عليهم من نواصي نواييه
تخليت عنهم يومهم غار دنيهم	ومن غار عنه الدين غارت مفاريه
أساءوا جيلات وضاعوا برايمهم	ومن ضاع عنه الحق ضاقت مذاهبه (٥)

- (١) ابن بشر ١/ ١٩، ٢٠، ٣٠ . عبد الله الشبل : تاريخ الدولة السعودية ص ٢٩
- (٢) عن وجود هذا الاعتقاد فيما قبل الدعوة وجواز العلماء ، المنقور : الفواكه ٢/ ٨٧، وعن موقف الشيخ وعلماء الدعوة منه الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ١٣٨، ١٣٩، الفتاوى ٦٦، ٦٧، ابن قاسم : الدرر ٤/ ٢٤٤ .
- (٣) (سعد بن حمد بن عتيق ، مجموعة رسائله ، نشر دار الهداية ، الرياض ص ٤٥، ٥٢) يبدوا أنه سقط من شطر البيت الأول حرف عن قلعل الشطر على هذا فان سلت عن قومي يا منيع فلا تسئل
- (٤) هو ضميم بن سالم أحد أمراء بادية الاحساء في عهد بني خالد وهو صديق راشد الخلاوي وسد وجهه في جل قصائده حتى قال فيه ابن خميس : لسوا مدائح الخلاوي كما عرف ضميم بن سالم (راشد الخلاوي ١٨، ١٩، ٦٦، ٦٧)
- (٥) سلت : سألت ، غاييه : من الخيبة والخسران والمعنى ليس فيها خير . فلو أنهم من صم الأحجار ذاييه : لو أن قلوبهم من الأحجار القوية لذابت وفيه اقتباس معنوي من قوله تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله " الحشر آية ٢١ . غدوا قرن شر كل قرن مطرد : أي غدوا رأس شر وكل رأس يطرد من الكون . محا الله سعد يا منيع وقومه : دعا بالازالة أي أزال الله سعداً ولعله زعيم (=)

وإذا كان شعر الخلاوى يصور جانباً من الحياة الدينية لدى ——— و
نجد قبل الدعوة فإنه يدل على أن قسماً منهم كانوا يعرفون الرسول صلى الله
عليه وسلم حق المعرفة وتعمر مجالسهم بالحدث عنه وذكره معتقدين أنهم في هذا
يقدرونه أصدق التقدير بغض النظر عن مطابقة الأقوال للأفعال ولواقع الحياة
العامة وسلوكها، إلا أن وجود بعض الألفاظ التي تغلوا في مدحه صلى الله عليه
وسلم يعطى الباحث دليلاً على وجود بعض المؤثرات العقدية من خارج منطقة
نجد وإن كان من المحتمل أن تكون قد عرفت في بعض المناطق النجدية أو بوادها
في زمن متقدم.

وإذا كان الإنسان ابن بيئته فإن وجود مثل هذه الألفاظ في شعر
الخلاوى يعطى الباحث دليلاً على وجود قسم كبير من المفرطين في مدح الرسول
صلى الله عليه وسلم والمغالين فيه غلوا يتجاوز الحدود الشرعية ولعل في قوله عن
الله سبحانه حينما أسرى بنبيه صلى الله عليه وسلم :

وأبدي له المكنون من سر ما خفى والعرش والكرسى والأكوان داج به
ما يؤكّد وجود بعض المؤثرات الصوفية، ذلك أنه إن كان يقصد ما يراه بعض غلاة
الصوفية من أن الله أطلع نبيه على الغيب عامة فهذا باطل أول ما يدحضه قول الله
عز وجل : " قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب
لا استكثر من الخير ، وما مسنى السوء " (١) الآية . إلا أن كان يقصد إطلاع الله سبحانه

(=) قومه ، ومنيع هو ابن سالم ، وأهمى عليهم من نواصي نواييه أي : أمطر عليهم
من بلاوى النوايب .

يومهم غار بينهم : غار البشر : إذا انتهى ما به من ما^٥ والمعنى ليس لديهم
دين ، ومن غار عنه الدين غارت مبادئه : ومن ابتعد عن الدين ابتعدت عنه
الحياة المعنوية المستلزمة للإيمان .

أسأوا حبلاً وضاعوا براهم : أسأوا طباعهم فضاعت آراؤهم وضاعت نفوسهم
عن احتواء الخبر لهم .

(عبد الله بن خميس : راشد الخلاوى : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، د : عبد الله الشبل

المرجع السابق ص ٢٩)

(١) الأعراف آية ١٨٨

لنبيه على أمور عامة تدخل في قوله تعالى : " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول ^(١) الآية فهذا حق لا مرية فيه ^(٢) والا كان الخلاوي يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :
خذ في يدي أقولها في وفا الحشر وفي يد منيع صاحبى هو وأقاربه
منيع المسمى وانت تدري بما جرى وجدى وجدته في معاليك صالبه ^(٣)
فهو كما أنه حرام وبشرك به الانسان فانه يدل على وجود بعض المؤثرات العقدية
الأخرى كالتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم والادعاء بأنه يملك من علم الغيب
ومجريات الأمور في الحياة بعده ، وهذه ان ثبتت فهي تدل على انحدار في الحياة
الدنية لدى بادية نجد الا ان كان الخلاوي يقصد الله سبحانه فهذا لا غبار عليه
ويدل على شعور ايماني لديه كما يوحى بوجود بعض عناصر الايمان في ابن البادية
في تلك الفترة .

ويلمح الباحث وجود بعض أساليب الدعاء البدعية التي قد تؤدي الى الشرك
كالدعاء بحق الرسول صلى الله عليه وسلم مما يبدو معه أن قسما من بادية نجد قد
عرفت مثل هذا الأسلوب في نطاق وجود المؤثرات العقدية السابقة ، ويمكن رصد هذا
الأسلوب من قول الخلاوي في منيعه :

كنى الله ذاك الوجه نار من اللطا ^(٤) يحق المصلى له بكل المساجد

وشعر الخلاوي بما يحمل من معان دينية جيدة ، ومعتقدات اسلامية ، وأمور بدعية
انما يصور جانبها من الحياة الدينية لدى بادية نجد كما يحمل نقدا لبعض المواطنين
السلبية في هذه الحياة .

-
- (١) سورة الجن آية ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) عبد الله بن خميس : راشد الخلاوي ٩٢
(٣) الوفي بالآلف المقصورة ولكنها هكذا وردت في الديوان ص ١٤٤ ، ١٤٥
(٤) المنطوق بالآلف المقصورة وقد وردت بالمطووعة خطأ ص ٣٠٢

وسيمر بنا في نظام الرهيط والدخيل أن البدو لا يفرقون بين العطف بشم والواو في أمور الشبهة (١) وغيرها بين العبد والخالق وهو ما وضح مفهومه الشيخ محمد في كتاب التوحيد كما سيأتي .

وعلى أي حال فإن المرء من خلال ما تقدم يلمس بعد حياة البدو في نجد بشكل عام عن الدين سواء كان ذلك في شعائره أو في أنماط سلوكه أو في تنظيماته للحياة الأمر الذي جعل حياة البادية النجدية حياة شقاء مؤس وعدم استقرار وان كانت تحكمها بعض الأعراف والمادات العربية الجيدة إلا أنها لا تنطلق من منطلق عقدي وهذا ما جعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يعاني من جهل البادية بأحكام الدين الأساسية وعدم تقبل بعضهم لها فأفاض في الحديث عنها والنقاش فيها ، وعلى كل سنرى فيما بعد كيف استطاعت الدعوة أن تؤثر ولو جزئيا على البادية النجدية .

الفصل الثاني

أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد لدى بادية نجد قبل الدعوة

١ - نظرة البدوى للحضري :

لقد كان البدوى قديما وحديثا فخورا بنفسه وأصاته وصحرائه التى يرى فيها المكان المناسب لحفظ شخصيته وعاداته وتقاليده كما يرى أنها أعطته الحرية الكاملة وأن الحياة بدونها لا قيمة لها . . وأعطته كل صفات البطولة ، كما أتاحت له الحرية فى القول ودوام المناقشة وابداء آرائه ببساطة وصراحة ، وأضفت عليه نوطا من العزة تأبى عليه أن يخضع أو يذل حتى ولو كان ذلك تحت ظلال السيوف ، إضافة الى ما يستتبع به من كـرام واحترام للضيـف

والغريـب ، وحتى فى حالات الغزو والنهب فان البدو لا يمسون النساء أو الضعفاء ، أو الأطفال والشيخ بأى أذى . . . هـذه العادات جعلت البدوى ينظر الى الحضري نظرة احتقار لأنه يعتقد أن الحضري يفقد الكثير من تلك الصفات العالية (١) .

ويعتقد البدوى أن سكن الحضري للمدن والقرى جعله فى ضيق من العيش وكأنه محبوس فى هذه البنايات ، أما هو فانه يعيش فى سعة من العيش ، وهو وان لم يكن على ثراء واسع كالحضري الا أنه بحريته

(١) د . عبدالله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٢ ، مكى الجميل : الهداوة والهدو ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، مجلة الدارة ١ / ٢ / ٣ ص ١٦ / ص .

وصحراء أسعد حالا ، ولعل في قصة إحدى فتيات البادية التي تزوجت
حضرها من سكان المدن ، وكان طي ثراء واسع معتقدا أنه سيسعد بها ،
اكتسبها - وهي أم تألف هذه الحياة المحبوسة - حنت إلى حياة الصحراء ..
لعل في هذه القصة أوضح مثل على عدم اقتناع الهدوى بحياة الحضري .
قالت :

باطير سلم لي طي (أبو شخاقيق) : في جانب الوادي بشرقي أمان^١
قل له : ترى من السعة طحت بالضيق : كني بحبس في طويل الهاني (١)
وقد زخر تاريخ العلاقات الاجتماعية بين البدو والحضر قديما وحديثا
بالعديد من أمثال هذه الحادثة التي يرى فيها البدو وخاصة النساء منهم
عندما يتزوجن بحضر أن حياة الحضر مهما بلغت من الترف هي حياة ضئيلة
ونكد بل كلما زاد فيها الترف ازداد كره ابنة البادية لها ، ومن هذا المنطلق
فإن هذه النظرة لا ترتبط بتاريخ معين أو فترة محدودة ما يجعل الباحثة
يستشهد بأحداث لها قد تكون قديمة أو حديثة أو معاصرة ، ولئن كانت

(١) الشخاقيق : بفتح الشين والخاء ومعناها : الصدوع في الجبل وغيره ،
وأبو شخاقيق أحد جبال أمان وهو شرقيه قرب النبهانية ، وأمان
جبلان : الأحمر ويسمى قديما : أمان الأسود وهو الشامي بالنسبة
لوادي الرمة ، والأحمر ويسمى قديما الأبيض وهو جنوب مجزى
الوادي ويقعان إلى الغرب من مدينة الرس طي بعد ٥ كم وحول
جبلي أمان هدة هجر وأماكن زراعية تتبع إمارة القصيم ، من السعة
طحت بالضيق : أي من سعة البادية وقعت في ضيق الحاضرة ،
كني بحبس في طويل الهاني : كآني في حبس طويل هناك ، لما تقدم
المهودي : (بلاد القصيم ٢٢١/١ - ٢٤١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وابن
رداس : ٢٦٣) .

أغلب هذه القصص ، القديمة والحديثة تؤدي الى نتائج طهيمة كالطلاق كما سيأتى فان هذه القصة التالية قد جرت الى نتيجة أفظع من الطلاق وهي أكل السم عندما لم يتح لبطلتها هذا الطلاق ، وتفصيل ذلك أن احدى البدويات كانت يتيممة عند عمتها فزوجها الى أحد أمراء الجمعية من آل صكر (من الجلاس من عنزة) فأسكنها فى قصر منيف ، ووفر لها كافة سبل الراحة والعيش الرغيد ، ولكنها - كرها منها لحياة الحضر كرهت زوجها فأكلت السم وماتت ، وقالت أبياتها قبل ذلك تبين فيها مدى كراهيتها للقصور وحياة الحضر مفضلة عليها حياة البدو والانطلاق فى الفضاء الفسيح والصحراء الرحبة ، ومن هذه الأبيات أولعها هى كل ما قالت :

لقيت بأكل السم بام راحة	: أخير من رجل يلمتن بلاماه
شفي سبيعى يتالى طياحه	: أخير من قصر (ابن صكر) وجناه
ان مت حطونى بوسط البياحه	: قبرى على درب المظاهير تاطاه (١)

(١) يلمتن بلاماه : كلفتنى وشققت على وأرهقتنى من أمرى عصرا ، ولاماه من الاثتآم وهو الاجتماع ، شفى : الشف الرغبة الجامحة التى تؤثر على جسم الانسان وعقله وقلبه (فصيحة) سبيعى من قبيلة الشامسة (سبيع) يتالى : يتابع ، طياحه : أى ابله التى تطيح أى تسرع (فصيحة) حطونى : أى ضمونى (فصيحة) البياحه : الفلاة الواسعة والساحة الكبيرة التى تطرقها الشمس والهواء ، المظاهير: جمع مظهر وهي الابل مركبة الظهر التى تحمل الأمتعة والنساء وقت الرحيل . وتطلق على القوافل التى تحمل الأمتعة ، وتطلق على العز والابهة فيقال : فلان قد دخل عليه المظاهير : أى غنى منعم ووجهه وقد اعب المرأة طفلها قائلة : (عسى قد دخل عليك المظاهير) ، تطأه : أى قد وسه : (الزبيدي ٢ : ١٩٤ ، ٦ / ١٥٨ ، وعن الأبيات وتحليل بعض كلماتها ابن ردا س ٦١ ، ٦٢) .

وتمترف احدى البدويات بأن حياة البدو حياة شظف ولا تستحق المدح ولكنها تعجبها طباع البدو وحياتهم ، وقد سكنت باحدى مناطق نجد الحضرية فطتها وحنّت الى تلك الحياة فقالت هذه الأبيات التى وان ام تكن بقوة الأبيات السابقة من ناحية اللفظ الا أنها تصور جانباً من كره البدو لحياة الحضر :

يا مل عين تسهر الليل ما بات : قزيت من مساي بجانب الجرين
حلفت لو أعطى الرطب والخضروات : وتكثر الأرزاق عندى ما أزين
واو عطوني مع اللبن سح حاجات : انى على قد الحضية لاشيين
ودى بهم لو التمنى خرافات : ياليتنا مع صفهم نازايين
لو كان والله ما خبرنا مداحات : لكن طبع البادية يستوى لى (١)
ولم تهدأ هذه المرأة فى كرهها للعيش بها بين الحضر فأصبحت تقول بين فترة وأخرى أبياتاً تندد فيها بحياة الحضر وتحن الى حياة البدو فتقول مخاطبة ابنها :
ياليتنا يا منير نمشى مظاهير : فى وسط حى دايهم الدوم نشباه
وباليتنا طاشفتا السوانى على البحر : ونصيفهم ياليتنا ما عرفناه (٢)

- (١) يامل : من الملك ، قزيت : قزت النفس من الشىء اذا أهدته والمعنى أهدت النوم أو طار عنها ، الجرين يطلق على هدة معان وهو فى نجد مكان درس القمح (فصيح) ما أزين : ما تحسنت حالتي وقالت ذلك عندما سألها أحد قومه لماذا لا تتحسن صحتك ، على قد الحضية لاشيين : أى رغم هذه الحضوة فأزداد سوءاً ، ودى بهم أى البدو قومه لو أن الأمانى لا تغيد ، مع صفهم : الضف والضفاف الجوار ما خبرنا مداحات : أى لم نذكر فى البادية ما يستحق المدح والمعنى أنها حياة شظف ، يستوى لى : يناسبنى ويحببنى .
(الفيروز آبادى ٢٠٩/٤ ، أحمد رضا : قاموس رد العامى الى الفصح ط (٢) دار الراى العربى - بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ٤٦١ ، وانظر ابن رداى (١١٨))
(٢) نشباه : نشتهيه ، شفتا : رأينا ، النصف جزء من ستة أجزاء من الصاع (ابن رداى ١١٨ ، ١١٩) .

(١)

وبلغ الوجد باحدى البدويات التى سئمت من سكنى الحضر رغم أن
أهلها كانوا معها فى هذا السكن ، حذا صوت به قلبها كأنه يقطع وخاصة
بعد ما مرت بها احدى قوافل البدو متجهة الى الصحراء فقالت مثنية طلى
الحياة فى الصحراء معرضة بشخص لم يأبه لهذه القوافل ولعله زوجها
أو احد أقرائها :

لا واهنيك بالهنى يا ابو مرداس : ما ولعوك مدرهمين المطيبة
القلب كنه يشعرونه بالأمواس : من طين حضر حجروا به طيه (٢)
وقد بلغ من تقرر هذه الحقيقة فى أوساط البدويات أن عرفن بها
بين الحضر حتى أن أحد الشعراء الحضر عندما أراد أن يتفضل ببديهة
رآها فى السوق تشتري حاجة لها فأنشأ حوارا بينه وبينها على أساس
أنه يطالب رغبته فى الزواج منه فترفض نظرا لكرهها الحياة الحضرية ،
وربما أن هذا الحوار قد حصل فعلا وفصلت فيه البدوية مظاهر هذه
الحياة غير المرفهة لديها وصاغه هذا الشاعر بقالب شعري حيث يقول
على لسانها ان طابت منه أن يركز سمعه لها بعد أن رغبها فى الحياة
الراغبة اذا تزوجت منه :

أو ما وهو يضحك واطرب مزاجه : ياهية وين اذ نينك اللى يسمعون
حلفت او اعطى الحسام خراجه : طلى ببيان الحضر ما يمكسون

(١) ذكر ابن بلهيد ٢٠١/١٠ أن القاطلة شلشاء البقيعة من الدوادمي ،
بينما يذكر ابن رداس ٢٠٤ أنها مرسى العطاوية .

(٢) لا واهنيك : هنيئا لك ، ولعوك : من الودع بمعنى الشوق والافراء ،
مدرهمين : درهماة الابل سرقتها والمعنى الذين مسروعة مطاياهم ، كنه :
تخفيف كأنه ، يشعرونه : الشعر من معانيه الشوق ، الأمواس : جمع
موسى وموسى وهى أداة الحلق والقطع اليسير (فصيحة) من طين
حضر الخ : من ابنة الطين التى يسكنها الحضر وحجرون طلى أنفسهم
فيها . (الفيروز آبادى ٩٧/٣ ، ٢٥٢/٤ ، ومن الأبيات وشرح بعض
كلماتها : ابن بلهيد ٢٠١ ، ابن رداس ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

عندى أحب من القرع مع دجاجه : هيم مجاهيم بالاقفار يرعون
وأحب من امس المعى والعلاجيه : رشاوية شقرا بها الشوك مدفون
ومن الحلو عد كثيرهما جـ : اكرع براسى فيه من غير ماعون
ومن البدو جلف يربى نـ : ولا سماقى من الحرس مدهون
كل يدور عينته فى زواجـ : والبدو ما لاحضر يوم يهيفون
واقفت سواة الصيد عجل عجـ : تقول : أثر حضران ورقا يحشون (١)

(١) أوما : وما وأوما : أشار ، أطرب من الطرب وهو خفة تاحق السدى
يصيبه فرح أو حزن وتخصيصه بالفرح وهم ، مزاجه : المزاج : بكسر الميم
من معانيها ماركب عليه البدن من الطبائع ، ياهية : هيت به صاح به
وداه ، وهيت لك : هلم ، وين : عاية من أين ، حلفت : أقسمت
ببيان : جمع باب حيث يجمع على أبواب وهو المشهور وبیان ، وأبوية
نادر ، يصكون : من معانى الهك الافلاق ، القرع مع دجاجة : اليقطين
أو عامة الدها يطبخ مع الدجاج ، هيم : اهل عطاش أو كبيرة الأجسام
جمع هيماء ومنه قوله تعالى : " فشاربون شرب الهيم " ، الواقعة آية ه ه ،
مجاهيم : من الجبهة وهى ما فيه سواد من آخره فهى الابل السود وتمتاز
بكثرة الحليب ، الأقفار : جمع قفر وهو الخلا من الأرض ، المعى :
جمع مائة ، العلاجية : تصحيف أحسائى وخليجى للعلاقة التى هى
حلية من حلى النساء ، شاوية : نوع من المعى الرخيصة تميل الى اللون
الأشقر تتعرض لتعلق الشوك بها نظرا لأن لابسيتها من ربات المهن من
رعى وما اله ، الحلو : أى الماء العذب القراح ، المد والمديد :
الماء الجارى من المورد فى الصحراء ، كما يطلق على الماء الصافى الذى لم
يخالط مادته ما يغير طعمه ، الهماج والأجاج والأزاق : تطلق على الماء
المر على اختلاف بينها فى اطاقة شربه وهى ضد القراح وكلها اما فصيحة
أولها أصل فصيح ، اكرع : من الكرع وهو تناول الماء أو أى سائل بالفم
من موضعه من غير شرب بالكفين أو الأنا ، والماعون يطلق فى اللغة على
كل ما ينتفع به وفى نجد يخص بالاناء ، جلف : تطلق على الرجل الجافى
الغليظ ، النعاج والنعجات : جمع نمجة وهى أنثى الضأن وتطلق على
الضأن عموما بالتفليب ، ويرى الحاتم فى خياره هذا الشطر على هذه
الصيغة ، ومن البدو علق يدجى نـ : السقى هو الحلو فهو
يطلق على الرجل الطويل الأبيض ، الحرس نوع من الطيب كانـ

وابنة البادية في كرهها للزواج من الحضري المترتب على كرهها لحياة الحضرة على اختلاف النتائج المترتبة على هذا الزواج لو تم بغير رضاها كما مر ، ابنة البادية في هذا كله انما تعبر عن وضع نفسي لازمها منذ القدم كلما أرادت مؤثرات الحضارة أن تجذبها اليها وقف هذا الحاجز النفسي سدا منيعا أمام تخليها عن بداوتها وصحرائها ، وفي قصة ميسون بنيت بحدل الكلبية (١) عندما تزوجها معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما

= يضحون به بشرتهم وثيابهم ، يدور : يبحث ، هينته : جنسه ، يهفون : أدخل حرف الجر على الفعل ، وهذا لا يجوز الا في لفظة مشترك بين الاسمية والحرفية ، واقت : ولت مقفية أى مخلفة ورائها الشاعر ، سواة : أى مثل ، الصيد عجل عجاجه : أى مثل الذى يراود صيده فان غباره يسرع تبعه لسرعته هو ، تقول : الأولى أن يوردها مذكر على أساس أنه انزل محبته منزلة الظبي ، أثر من الفاظ التحقق من الفعل والعزم عليه ، حضران : جمع حضري ، ورقا : أى خضرة وماء وتطلق على الحمامة ، وهى كناية عن الترف والجهل بالأمور ، وقائل هذه الأبيات هو محمد بن مسلم ، أحد شعراء الأحساء المجيدين في القرن الثالث عشر الهجرى ، ولما سبق من الأبيات وشرحها : (الفيروز آبادى ١/٣٣ ، ٣٨ ، ٩٧ ، ١٦٠ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢/١٢٠ ، ٣/٧٨ ، ١٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٤/٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٧٩ ، عبد الله الحاتم : خيار ما يلتقط ٢/١١٣ ، ١٢٠ ، عبد الله بن خمير : الأدب الشعبي ص ٢٠٧ ، ٢٠٨)

(١) هى ميسون بنت بحدل بن انيف بن ولجة بن كنانة من قبيلة بني حارثة أشرف بطون كلب ، وكان بحدل هذا نصرانيا ويقال انه مات طلي النصرانية - والله أعلم - قبل طلقها معاوية بعد سماه قولها لهذه الأبيات وكانت حاملا بيزيد وقيل كان رضيها وحاملا بهنت ، ونشأ بيزيد معها في الصحراء وترى في كنف أخواله ورى أبناءهم أبناء بيزيد وأحفاده ، وأضفت ميسون على هذه الأسرة بزواجها من معاوية شهيرة كبيرة حيث أصبح البحدلية من كبار اتباع بني أمية ، قيل توفيت سنة ٨٠ هـ تقريبا / ٧٠٠ م ولها من معاوية بيزيد ومطة وابنة توفيت (ابن جرير ٦/١٨٣ ، ٧/٦٤ ، ابن حزم ٤٥٧ وذكر فيها أن بحدل أخو معاوية لأنه فان كان يقصد ابن أبي سفيان فهذا وهم بيزيد زواج معاوية من ميسون ، ابن عبد ربه ٥/١٠٥ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ابن الأثير : الكامل :

ولمت هذه الحياة الحضرية وطلبت الطلاق منه فطأها ، في هذه القصة دليل على أصالة هذا الجانب في المرأة البدوية فقد قالت ميسون بعد توأيمها الى البادية أبياتا تشبه الى حد كبير ما مر من الأبيات فمن ضمن ما قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه : أحب الى من قصر منيف
وابس حاة وتقر عيني : أحب الى من ابس الشفوف
وأكل كسيرة في جنب بيتي : أحب الى من أكل الرغيف
وخرق من بني عى نحيف : أحب الى من طج ضيف (١)

وأتبعنا أبيات ميسون هذه لبرز لنا منها تأكيداً على حب الحسد الأدنى من البساطة التي تجعلها في مستوى الكفاف من ناحية السكن والطير والمأكـل ، وإذا كان هذا طبيعياً من ابنة البادية فمن المستغرب أن ترغب ميسون عن معاوية أمير المؤمنين الذي يستطيع أن يجعلها تعيش في البادية كأحسن ما يكون العيش ، وتفعل عليه خرقاً من مغموري البدو لمجرد أنه ابن عبا ، إلا أن هذا الاستغراب يزول عند معرفة سبب هذا الحسب لحياة الصحراء المقترن بكرة حياة الحضر بما تمنحه الأولى من صفاء في الذهن وهدوء في مزاجه أساليب الحياة اضافة الى سلامة الفطرة ، وما تسببه الثانية من صخب ، وتلبد في الذهن ، وعجز عن القيام بكثير من العادات البدوية الأصيلة من كرم ووفاء ، وقبل هذا وذاك الحرية التي هي عنوان الحياة البدوية .

= ٢٦١/٣ ، ٣١٧ ، ابن كثير ١٤٥/٨ ، ٢٢٦ ، وقد أثنى في الأواى على ميسون ووصفها بمعظم الشأن جمالا ورياسة وعقلا ودينا ، الزركلى : ٨/ ٢٩٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢) تخفق تتحرك والأرواح : الأجسام ، وهذا كناية من بيت الشعر ، الشفوف جمع شف بكسر الشين وفتحها الثوب الرقيق الذي يحكى ما تحته ، كسيرة : تصغير كسرة الخبز ، خرق : بضم الخاء والخاء والراء ، وفتح الخاء والراء ، وسكون الراء في الحالين من معانيه : الرجل الذي لا يحسن العمل ولا التصرف في الأمور ، وكذا الأحق ، والمرأة منه خرقاء ، طج : بكسر العين وسكون اللام : الرجل من كفار المعجم أو الأعجم طاعة والرجل

وفي قصة بداح المنقرى (١) مع بعض فتيات البدو للعلاقة الاجتماعية بين البادية والحاضرة في هذه الفترة ، ذلك أنه من عادة البادية الاقامة "المقطان" وقت الصيف وخاصة في سنى الحمل بجوار المدن والقرى ، وموارد المياه نظرا لحاجة مواشيهم اليه ، ومنها أحد أحياء البدو قاطنا قرب بلدة ثرمدا (٢) ، والتي كان أميرها بداح

= الشديد المعالج للأمور ، (الفيروزابادى ٢٠٠/١ ، ٢٢٦ ، ١٥٩/٣ ، الزبيدي ٧٦٠٧٥/٢ ، ١٥٨/٦ ، ٢٣٠٠ ، ابن خميس: المرجع السابق ٢٠٨)

(١) هو بداح بن بشر بن ناصر بن ابراهيم بن خنيفر المنقرى ، وكان المهاقر يسمون قديما آل خنيفر وهم أحد أخفان بنى سعد بن زيد مناة ، بطون كبير من بطون قبيلة تميم المشهور ، والعناقر أمراء ثرمدا منذ القرن الحادى عشر الهجرى ومنهم آل معمر أمراء العينية ، وقد تولى بداح اماره ثرمدا عام ١١١٩هـ / ١٧٠٧م وقد حصل فى عهد معارك بين أهل ثرمدا وأهل أوثيشه ، وبين ثرمدا ومراة ، كما هى حال البلدان النجدية فى هذه الفترة . توفي بداح سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣ م ، وتولى بعده ابراهيم بن سليمان المنقرى الذى قام على قرابته ومنهم أبناء بداح فقتلهم لحزازات بينهم ، ومن العناقر أسرفى القرابين وأوثيشه لابن بشر ٢٢٨/٢ ، ٢٣٥ ، أحداث سنة ١١١٩هـ - ١١٣٦هـ ، ابنه حسن خميس : ص ٨٧ ، ٩٤٠ ، ٩٦٠ ، ابن لمبون : التاريخ ٢٢ ، الحفيرى : المنتخب ١٦٢ ، ١٦٣ ، الحقيلى : كنز الانساب ١٠٣ ، ١٠٤ ، حمد الجاسر : جمهرة ٦٣٤/٢ - ٦٣٧ ، ابن خميس : معجم

الهامة : ٢٢٩/١ ، ٢٣٠٠

(٢) ثرمدا : قال البكرى : فتح أوله وفتح الميم والادال المهمة مدود : قرية بالوشم وهى خيرة وفى رواية (خيرة) والهامة تنتهى أودية جمعا ، وهى من منازل بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بنجد ، وقال ياقوت : قال الأزهرى : ما لبني سعد فى وادى الستارين ، وقد وردت ، يستقى منه بالعقال لقرب مقره ، وقال الخارزنجى : هو بكسر الميم ، قال وهو بلد وقيل قرية بالوشم من أرض الهامة ، وقال نصر : هو خير موضع بالوشم والهامة تنتهى أوديته ويروى بكسر الشاء ، وقال السكونى : ثرمدا من أرض الهامة ابني أمى القيس بن تميم ، وقال الهمداني : الوشم من أرض الهامة وهو للقرارشة من بنى نعيم ، وأول الوشم ثرمدا وأوثيشة ، وقال ابن خميس : تقع

المنقرى كثيرا ما يمر على منازل هذا القطين على فرسه ، والبلد عموما يحكمهم
سئوليته ان آثار فضول فتيات القطين فتغامزن بينهن حينما مر بهن —
قائلات : خيال الحضريين التصافيح " أى أن مظهره حسن ومخبره
بخلاف ذلك فهو رهيد لا يستطيع أن يصمد أمام الغارات فضلا أن يغير
هو بنفسه ، وحدث ذات مرة أن أغار غزو من قبيلة الفضول (١) على هذا
القطين فأخذ مواشيه ، ويقال أن المنقرى كان ضيفا على هذا القطين ،
وكانت إحدى بنات القطين ، ولعلها ابنة زعم القطين قد وقع حبها فى
قلب المنقرى ، وكان قد خطبها من أبيها فامتنعت قائلة : ان الحضري
فرسان نظرة ، وعلى كل أبت شيمة المنقرى أن يؤخذ جيرانه فأغار فى
أثر الفضول حتى عاد بأهل وخيل القطين التى سابت ، مفاغا اليها بعض

= ثرمدا بين بلدة أشيشة التى تقع الى الغرب الشمالى منها وبين مائة السقى
تقع الى الجنوب الشرقى منها ويحفظ طريق الحجاز من الناحية الغربية ،
وهى تسمية منذ القدم ولا تزال كذلك لبنى سعد فان أمراءها المناقر
من بنى سعد بن تميم ، ومن ثرمدا الشيخ العالم الجليل الفقيه
عبد الله بن عبد العزيز المنقرى ، ويروى أن الريان بن ماجد من ثرمدا ،
للتفصيل : (البكرى : ٣٣٩/١ ، ٣٤٠ ، باقوت ٢/٢٦ ، الهمداني : صفة
جزيرة العرب ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، صفى الدين الهمداني : مراد الاطلاع
٢٩٤/١ ، ابن خيس : معجم اليمامة ٢٢٧/١ ، ٢٢٣ الحجاز ص ٥٣ ،
٥٤) .

(١) الفضول أو آل فضل : أحد فروع قبيلة طيء القحطانية ، ويرجعون
الى فضل بن ربيعة الطائي وكانت من كبار قبائل الشام فى القرنين
السادس والسابع الهجريين ، اضافة الى أنها انتشرت بعد ذلك فى
القرن الثامن فى نجد مفضضة أكثر قبائلها ويبدو أن لا قربائهم من بني
لام دور فى هذا الانتشار الذى أهلهم للمقام بغارات على القبائل
والبلدان النجدية ، ثم بدأت هذه القبيلة بمفادرة الجزيرة على مراحل
منذ أواخر القرن الحادى عشر الهجرى على أنه بقى لها فروع الى منتصف
القرن الثانى عشر حيث تحضر أغلبها واستقر فى القرى والمدن النجدية
حيث يرجع اليها عدد من كبار الأسر منها ، وهيل المغيرى الى أنها
أحدى فروع قبيلة لام ، بينما يرى الجاسر والحقيل أنها غير القحطانية
الثالث من بني لام ، وان كانوا يجتمعون جميعا فى طيء ، (ابن بشر :
٢/٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، المغيرى ٩٩ ، ١٠٠ ، الحقيل

اهل وخيل الفضول ، ولما تيقن من أدائه لدوره على أحسن حال ، وقف على فرسه لياقنى نظرة على هذا الحى ، وقال قصيدة يماثب فيها هذه الفتاة التى قالت عنه ما قالت ومنها :

الله لحد ياما فزينا وجينا : وبما ركنا حاميات المشايح
وباما على أكوارهن اعلينا : وباماركننا صير مراويح
وبما تعاطف بالمناوى يدينا : وبما تقاسمنا حلال المصالح
مراك تزهد يا أريش العين فينا : تقول : " خيال الحضرة زين تصفيح "
ترنى الظفر مهبوب للظاعنين : أمقسم بين الوجيه المفايح
البدو واللى بالقوى نازلينا : كل عطاء الله من هبة الريح
يوم الفضول بحلتك شارميننا : والشلف ينحونك سواة الزنانيح
يوم انجم رمعى خذيت السنين : وأدعت منك الخيل صم مدايح
هيا عطينا الصدق هيا عطينا : وآما عطيتناه والله لا صبح
لاصبح صيحة من فدى لهجنينا : والا خلوج ضميموها السراريح (١)

١٢٦ - ١٢٨ ، ١٥٠٠ ، ١٥١٠ ، الزركلى ٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، كحالة ٩٢٢/٣ ، ٩٢٣ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ٦٩٥/٢ ، ٦٩٧

(١) الله احد : قسم فيه معنى التكثير مخفف من الله الأحد ، ياما : كثيرا ، حاميات المشايح : هى الابل ولعل المقصود بها هو حفظها لمنابت الشيح على خطأ فى جمع الشيح على مشايح والاصحيح مشاييح والستى تطاق على القيمان والرباخر فيكون المعنى على هذا - والله أطعم - حاميات المراعى ، أكوارهن : جمع كور بضم الكاف وسكون الواو وهو رحل البعير كالقنب والشداد ، صير : تصغير صر ، مراويح : وقت الرواح والمقصود اللاتى رواحن صرا ، تعاطت : تبادلت ، الهنادى : السيوف المشحونة أو المنسوبة الى الهند ، حلال المصالح بمال الذين يصاحونه بالنساء والمنتاج ، مراك : أى مالك وهى لفظة نجدية لم أجد لها أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة وينطقها بعض النجديين أراك تزهد : ترغب ، أريش العين : زوارموش الطويلة كالريش وهذا من صفات الجمال ، الظفر : الشجاعة والنجاح فى الأمور (فصيحة) الظاعنين المرتحلين والمقصود البدو (فصيحة) الوجيه : جمع وجه والأفصح جمعها على وجوه ، المفايح : المتصفة بالغلاخ ، عطاء : أعطاه ، هبة الريح :

بعد أن تغزل بمحبوبته في أبيات بعدد لها لوى عنان فرسه ورجل السي
أهله ، وقد تعلق قلب الفتاة به فأرسل له أبوها بعدم معارضته للزواج منها
لكن العنقري أبى ذلك . (١)

الا أن هناك رواية تقول ان الفتاة بعدما أعجبت به وافقت على الزواج
منه ، وأقامت معه في ثمود مدة معيزة مكرمة لأنها زوجة الأمير (٢) ،
لكنها وقد ألفت حياة البادية أصبحت تتطلع اليها كثيرا ، تحن اليها

= الأفعال الطيبة يقولون فلان هب الريح أو هاب أو هباب ربح أي انسان
ندب شجاع كريم ، بحتك : يدبرتك شارعين : هاجمين وسلوليين
والشلف : جمع شلفا : الرمح والشلف بتشديد اللام رماة الرماح ،
ينحونك : يصدونك سواة : مثل ، الزنايح : الذين يخافون فسي
معاملتهم (فصيحة) ، انجر : انكسر من مقبضه ، خذيت : طامة
من أخذت ، السنينا : من اطلاق الصفة على الموصوف والمقصود
السيف السنون ، أدعت : طامة من تركت ، صمدابيح : هاربات
لا يملحن على شيء من غدي له جنين من ضاع له ولد صغير أو كان انسانا
أو حيوانا ، خلوج : ناقة ضاع عنها ولدها أو أخذ منها ، السراريح :
جمع سارح وهو الراعي ، (الفيروز آبادي ١٨٦/١ ، ٢٢٦ ، ٢٠٣٤٩ /
٨٠ ، ١٣١ ، ٢٤٥/٤ ، الزبيدي ١٧٣/٢ ، محمد سعيد كمال :
الازهار ٢٧٥/١ ، ابن رداص ٣١٦ ، محمد الثميري : الفنون
الشعبية في الجزيرة العربية ١٣٥ ، ١٣٦ ، ابن خميس : الأدب الشعبي
١٨٩ - ١٩٢ ، من أحاديث السر ١٢٧/١ ، ١٢٨)
(١) فهد الطارك : من شيم العرب ١٠٠/٣ ، محمد الثميري : الفنون
الشعبية في الجزيرة العربية ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٢) ابن رداص : ص ٣١٦ .

متنية الرجوع اليها ، وذات يوم وهى فى سطح بيتها أبصرت قطينا من
البدو ، وقد عرض بالبلدة ، متجها نحو الهادية فهاجت قريحتها بأبيات
رفعت صوتها بها ، وكان زوجها على مقربة منها وسمع صوتها وهى لاتعلم
ومن هذه الأبيات :

يا شيب عيني من جلوسى بقريه : ومن شوف بقران تربط حلوقها
شقى مع " صقر " وصقر مضنتى : له سابق در البويضا غبوقها (١)
فلما ألتفتت علمت بوجود زوجها فأرادت الاعتذار منه وقالت :
يا هو " صقر " ما للنفس عنكم تشيم : لكن شوقات الهوادى تشوقها (٢)
فرد عليها زوجها :

روحى منى يم " صقر " عطية : عطية " عنقرى " مالها من يعوقها
ما ترجع الآن يرجع الطر مصعد : أو الريح تعطى رايتها من يسوقها (٣)

-
- (١) يا شيب عيني : أى ما أشد ما أقاسى من الغم ما يشيب معه رمش العين ،
بقران : جمع بقرة ، والأفصح جمعها على بقر وقرات وبقر بضمتين وأبقار
وهو اقرب مقار بضم الياء وتشديد القاف وأبقور هو اقرب الابقار فلم يرد لفظه
كجمع . تربط حلوقها : يوضع فى رقابها حبال تقاد وتربط فيها أو لأجل
الدياس طيها ، والهدوى يكره البقر لانها تقربه من الحضر . صقر : أخوها ،
مضنتى : غابيتنى ، سابق : اسم فرس ، در البويضا : حبيب ناقة تدعى
البويضا : تصغير البويضا ، الغبوق : شراب الماء ، الصبوح : شراب
الصباح .
(٢) أبو صقر : لعله بداح المنقرى ، وصقر ابنه ولعله منها ، تشيم : شيمه
وترفع شوقات : جمع شوفة وهى الرؤية .
(٣) روحى : اندهى ، يم صقر : الى جهته ، مالها من يعوقها : لأ أحد
يردها ، مصعد : مرتفع الى السماء ، والمعنى لا ترجع الا اذا رجع المطر
الى السماء ومعناها الاستحالة ، تعطى رايتها : تنقاد وتقبل . أى أنه
علق رجوعه فى عطيته بأمرين مستحيين الوقع ، وهما رجوع المطر الى السماء
بعد نزوله فى الأرض ، وانقياد الريح لمن يريد أن يصرفها عن جهتها ،
وفى البيتين كناية عن طلاقها منه طلاقا بائنا ، (الفيروز آبادى ١ / ٣٧٥ ،
ومن الأبيات السابقة ابن رداى ص ٣١٦ - ٣١٨ ، وقد أورد الطارك جانبها

وان نظرة فاحصة لبعض أحداث هذه القصة وما قبهاها اتبين لنا ما يلي :

أولا : أن نظرة البدوي للحضري نظرة ازدراء واحتقار منشأؤه اعتقاد البدوي بأنه أصل للحضر وسابق عليه وقد دلت ابن خلدون في المقدمة طلى أن البدو أصل للحضري بقوله : " اذا فتشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو والذين بناحية ذلك المصر ، وفي قراءه ، وأنهم أسسروا فسكنوا المصر وهدلوا الى الدهة والترف الذى فى الحضر وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البدواة وأنهما أصل لها . . الى أن قال : فقد تبين أن وجود البدو متقدم طلى وجود المدن والأمصار وأصل لها ، بما أن وجود المدن والأمصار من عوائد الترف والدهة التى هى متأخرة من عوائد الضرورة المعاشية والله أعلم " (٢) .

= من القصة فى (شيم العرب ٣ / ٩٥ - ١٠٢) الا أنه ذكر أن الفتاة بنت ابن عريمير أقوى أمراء نجد فى ذلك الوقت ، وان كان قد مال فى آخر القصة الى كونها قد وقعت من ابنة أمير قطين قرب ثرمدا كما هو المشهور ، أما قائل القصيدة فذكر أولا أنه فارس من فرسان ابن عريمير وام يذكر اسمه أو أصله ثم مال الى أنه من العناقر من فرسان ابن عريمير مخالفا بذلك المشهور طلى السنة رواة الأدب الشعبى وفى كتب هذا الأدب كما روى الشطر الثانى من البيت الرابع : (خيال القرى زين تصفيح) مؤكدا أن نظرة البدوي للمقروى أقصى من نظرتة لابن المدينة غير أن من المعروف فكره البدوي لحياة الحضري سواء كان ذلك فى المدينة أو القرية .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م - ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ليس هنا مجال التعريف بشخصيته فقد كثرت الدراسات عنها ومنها - مؤلفاته ، فقد ضمن هو الجزء الأخير من العبر ٧ / ٣٧٩ - ٤٦٢ تعريفًا كاملا بشخصيته ورحلاته ، وكافة المعلومات عنه ، كما أصدر الدكتور طلى عبد الواحد وفى كتابها عنه فى سلسلة اعلام العرب رقم (٤) ، وألف محمد عبد الله هناك كتابا أسماه ابن خلدون : حياته وتراثه الفكر ط (٣) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والكتاب - القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م وأفرد الفرد بيل : Alferd. Bel له ترجمة وافية فى دائرة المعارف الاسلامية ١ / ١٥٢ - ١٥٧ ، وانظر الزركلى : الاعلام ٤ / ١٠٦ ، ١٠٧ وأقامت عددا من الجامعات والمراكز العلمية أسابيع للتعريف بجوانب متعددة من شخصيته وفكره .

(٢) المقدمة : ص ١٠٣ .

ثانيا : ان الهدوى يعتقد بأنه يبرز الحضرى كثيرا بشجاعته وفروسيته وأن
الحضرى يفقد صفات الشجاعة يدل على ذلك قول فتيات القطين الذى
مر ذكره " خيال الحضريين التصافيح " وهذا الاعتقاد صحيح لان -
الهدوى وهو يعيش حياة الترحال تضره هذه الى أن يدافع عن
نفسه ويحمى ذماره وقبيلته ، بعكس الحضرى الذى يعيش فى القرى
والمدن التى يحكمها نوط من الأنظمة والأعراف التى جعلته يميل الى
الدعة والهدوء ، ولعل هذا هو الذى حدى باين غلندون أن
يضع عنوانا فى مقدمته موضحا فيه أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة
من أهل الحضرة مهينا السبب فى ذلك فيقول : " ان أهل الحضرة
ألقوا جنودهم على مهال الراحة والدعة وانفسوا فى النعيم والاسترف ،
ووكلوا أمرهم فى المدافعة عن أموالهم وأنفسهم الى واليهم ، والحاكم
الذى يسوسهم ، والحامية التى توات حراستهم . . . قد ألقوا السلاح ،
وتوالت على ذلك منهم الأجيال ، وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين
هم حال على أبى شواهم حتى صار ذلك خلفا يتنزل منزلة الطبيعة ،
وأهل البدو انتفردهم عن المجتمع وتوحشهم فى الضواحي ، وعدهم عن
الحامية ، وانتباههم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم
لا يكونونها الى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحيطون السلاح
ويتأفتون عن كل جانب فى الطرق ويتوجسون للنبات والهييمات ،
ويتفردون فى القفر والبيداء مدلين ببأسهم واثقين بأنفسهم قد صار
أهم البأس خلفا والشجاعة سجية يرجعون اليها متى داهم داع واستنفرهم
صارخ ، وأهل الحضرة مهمل خالطوهم فى البادية ، أو صاحبوهم فى
السفر حال طيهم لا يملكون معهم شيئا من أمر أنفسهم وذلك مشاهد
بالعيان حتى فى معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل " (١)

(١) النبات : جمع نبتة وهى الصوت الخفى ، والهييمات : جمع هيمة بفتح
الهمزة وهى الصوت الحفزع والمخوف أو صوت العدو (الافيروزابادى ١ / ٢٩ ،
١٠ / ٣)

وعلى كل فقد أخذ البدو يدلون بشجاعتهم على الحضرة حتى عاد
الحضرة لا يساوى شيئاً أمام البدوى لما يعتقد فيه بأنه جبان لا يستطيع
الصمود أمام مواجهة الأعداء فكيف بمقارعتهم ، ولقد استغل بعض البدو
هذه الشجاعة للاعتداء وقطع الطريق على الحجاج والأمين من الحاضرة
والبادية الأمر الذى بات معه طريق الحج وكل مفاوز نجد غير آمنة ما
جعل الحجاج يدفعون عند دخولهم نجدا اخاوة لأحد القبائل القوية
حتى تحميهم من قطاع الطرق من قبيلتها أو غيرها أما من يففل عن تقديم
هذه الاخاوة أو لا يستطيع تقديمها فانه يقع تحت طائلة قطاع الطرق ، وان فى
قصة العلامة محمد الجزرى التى مر ذكرها صورة حية لهذا الوضع .

ثم ان تاريخ نجد بعد ذلك حافل بمثل هذه الأحداث التى يعتدى
فيها قطاع الطرق من البادية على الحجاج والسافرين عبر نجد وداخلها من
أهلها ، ويحصل من جراء ذلك معارك عظيمة كتلك التى حصلت احجاج
الحراق عام ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م (١) ، وتلك التى حصلت احجاج الأحساء
والقطيف والبحرين سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م والذين افترضتهم مطـــــير
فجأتهم عند الحنو (٢) وحصلت معركة عظيمة بسبب أن مع الحجاج أموال
كثيرة ولم يكونوا منظمين ، وهلك فى هذه الموقعة كثير من أهان الأحساء
والقطيف والبحرين وأناس كثيرون ويقول ابن بشر: "نزعت الرحمة من قلوب

(١) ذكر المنقور فى تاريخه أن أخذ الحاج العراقى سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م ،
بينما ذكرها الفاخرى وابن بشر وابن عيسى سنة ١١٠٠هـ والله أعلم .

(٢) الحنو بالكسر فالسكون وهو فى اللغة كل شىء فيه اوجاج والجمع أحناء
موضع فى طالية نجد وقع فيه يوم من أيام العرب قبل الاسلام ، وهو
الآن قرية زراعية فى أعلى وادى الرين الى الجنوب الغربى من القويمية
على بعد ٥٠ كيلا ويتهج إمارة القويمية . وقال فيه الشاعر :
حلت سامى بذات الجزع من عدن : وحل أهلك بطن الحنو من حضن
وهناك أكثر من موضع بهذا الاسم . (البكرى ٢ / ٤٥٥ ، ٣ / ١٠٤٣ ،
١٠٥٩ ، ١٠٨٣ ، ١٣٦٢ / ٤ ، ياقوت ٢ / ٣١٢ ، الفاخرى ١٠٢ من
حاشية المحقق ، سعد بن جنيديل ، طالية نجد - طبع مطبعة نهضة مصر
نشر دار النهضة . الرياض ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ١٠ / ٢٦٦هـ)

الأهراب حتى أنه ليهلك الهالك ما يسقونه ما" (١) .

ثالثا : أن البدوى يستنكف البقاء فى القرى مع الحضرى وإذا اضطره المحل أن يعيش قريبا من القرى وموارد المياه فإنه لا يقارب الحضرى ، وإن قاربه فيمتدى عليه ، وإذا كان هذا ليس حكما عاما فإن كره البدوى القرى والمدن عام لأنه لا يطيق أن يرى نفسه محاطا بجدران وأسوار معتقدا أن ذلك سجن كبير ، وأن السكنى فى منازل كمنازل الحضر هو بمثابة سجن ضيق ، إلا أن سنوات الشدة وانقطاع الأمطار قد تضطر البدوى إلى دخول البلدان خوفا على أنفسهم ومواشيهم من الهلاك اى حصلوا على المياه والأطلاف ، وفى هذه الحالة إما أن يستكينوا ويستضعفوا حتى يأتى الله بأمطار يجعلهم يخرجون إلى مراتعهم ، وإما أن يغيروا على أهل القرى حتى ينفصوا عليهم حياتهم وربما أجلوهم ضحيا إلى بلدان أخرى .

يقول ابن بشر : " وهذه السنة (١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م) هى أول المحل والوقت المشهور بصلها من الذى هتل فيه البوادر وماتت مواشيهم ، ثم استمر الغلاء والقحط فى السنة التى بعدها ، وهتل غالب بوادر أهل الحجاز " (٢) . ويقول : " وفى سنة (١١٣٦هـ / ١٧٢٣م) عم المحل والغلاء والقحط من الشام إلى اليمن فى البادر والحاضر ، وماتت الأغنام وكل بمير يشال عليه الرحل وهتل أكثر البوادر فى البلدان " .

(١) الفاخرى : ١٠٢ ، ابن بشر : ٢ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ابن عيسى : ١٠٢ .

(٢) المحل هو القحط ، صاهام (فصيحة) وتعنى الأسد أما فى نجد فيمنون به السنة المقحطة ، ولعلمهم أخذوها من شدة الأسد وقسوته هتل لفظة نجدية من الهتل وهو الضعف والانقطاع ، يقال إنسان أو حيوان هتيل أو هتيلة : منهوك القوى ، والمعنى جاء البادية متهافتين طمس البلدان واستقروا فيها فترة حتى أصبحوا سقطا وهتالة بسبب القحط (الفيروز آبادى ٤ / ١٤٠ ، الفاخرى ٧٣ ، ابن بشر ٢ / ٢٠٩) .

وقد صور أحد الشعراء البدو في هذه السنين المجاف بأنهم
قد انقسموا الى ثلاثة أقسام :

١ - قسم تشرد وترك مواشيه وهرب بنفسه لعله يجد منطقة يعيش
فيها .

٢ - وقسم صبر وصابر حتى واجه الهلاك مع مواشيه .

٣ - وقسم التجأ الى القرى والأرياف .

يقول :

غدا الناس أثلاثا فثلث شريدة : يلاوى صليب البين عار وجائع
وثالث الى بطن الثرى دفن ميت : وثالث الى الأرياف جال وناجع (١).
وقد يطيب المقام لبعض أبناء البادية في القرى والأرياف فيتركون
باديتهم فيقطنوا في هذه القرى والأرياف اما مشتغلين عند الحضر
في مزارعهم أو يزرعونهم بأنفسهم ، أما بعضهم فانه لا يصدق أن يرى
فقر في الأرياف أو بادية مطر حتى يولي وجهه شطر باديته لا يلقى على شيء
طاركا للحضرى قريته وحيوته الطيبة التي ينهى بها طيه والتي يعتبرها
البدو سجنًا لاتصاح الا للحضرى الذي لا يستطيع استمرار العيش في
الحياة الصحراوية .

رابعاً : أن البدوى يفخر بأهله وخيله وتربيتها وفي الوقت نفسه ينهى طمس
الحضرى تربيته للابقار معتقداً أن تربية البقرة ذل واهانة ، ولم يزل
للبدو في تربيته للأهل والخيل واعتزازه بها هدفاً سامياً وهو مقارعة
الخصوم ، وسرقتها ، وخفتها في الترحال الى موطن الكلا فلو كان معه
أبقار لأطاقته عن الوصول بسرعة الى مغان العشب ولتمكنت القبائل
الأخرى من سبقه اليها وهذا هو السبب في اعتقاد البدوى أنه أعرف
من الحضرى في أمور الحياة . ولطالما تغنى البدوى بالأهل والخيل
كما يتفزل بحبوبيته .

(١) الفخرى : ٩٨ ، ٩٩ ، ابن بشر : ٢ / ٢٣٥ ، ابن عيسى : ٩٥ ، ٩٦ ،

أما عن الخيل فالتفنى بهن كثير ، إلا أن هذا المدح للخيل من شاعرة " زعب " (١) يتضمن مدحا للخيل وتوضيحا للطريقة التي تربي بها خيل الحرب وهي عدم تهذيبها لأن ذلك يسهل قواها بسبب الحمل الذي في بطنها ، قالت شاعرة بني زعب :

خيل تغذى للبلل والمبارك : تهرب صناديد العدا في طرودها
لا تلقحون الخيل يا زعب يا أهلى : ترى لقاح الخيل يردى جهودها
إذا جن سماح الخد ما يلحقنكم : وإن جن من السند الزوم يكونها (٢)
أما انتقاد الحضري على تهيبته البقر فان في بيت زوجة المنقرى السابق تصوير دقيق لذلك :

يا شيب عني من جالس بقرية : ومن شوفي بقران تربط حلقهم

(١) زعب ينسبون الى جدهم زعب بن مالك من بني ساهم بن منصور من قبيلة عيلان ، وكان لبعض رجال هذه القبيلة صحبة ، وفي القرن السادس - اشتهرت بقطع الطريق على الحجاج القادمين من الشرق كغيرها من القبائل العربية ، وكان لها دور في تاريخ قبائل نجد قبل القرن الحاشر ان كانت تقطن منطقة العرض والى الشمال الغربي منها ثم اعتراها ضعف وتشقت ولها بقية في المنطقة ويرجع لها عدد من الأسر النجدية والسورية والأردنية ، إضافة الى انتشار أفخاذ منها في العراق ولبنان وأفريقية وتركيا . . . للتفصيل (ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٣٦١ ، ابن الأثير الكامل ٢٧/٩ ، ابن حجر : الاصابة ٢٥/١ ، ٣٠/٢٥٠ ، ٦٥١ ، الزركلي ٧٧/٣ ، حمد الجاسر : جمهرة انساب الأسر المتحضرة ٣٤٥/١ ، ٣٤٦ ، عبد الله البسام : علماء نجد ٣٨٦/٢ ، ٣٨٧ ، عبر كحالة : معجم قبائل العرب ٧٢/٢ ، ٧٣ ، حمد الحقييل : كنز الأنساب ١٥٤ ، ١٥٥ ، محمد الشيرى : المرجع السابق ١٢٨ ، ١٢٩).

(٢) العدا : الأعداء ، وفي رواية تهرق صناديد العدا في ملاحقتها ، ترى لقاح الخيل : اطلعو أن تلقح الخيل ، إذا جن : إذا جئن مخففة ، سماح الخد : الأرض السهل المسير فيها ، السندا : من السند وهو ما علا من السفح ، وعموم المكان المرتفع الذي يصعب السير فيه ، كما يطاق على مارها من الأرض وإن كان قليلا ، ويقول النجديون : فلان سند أى متجه جهة القبلة وهي الحجاز لارتفاعه ، كما يقولون : فلان سحدر أو منحدر إذا اتجه جهة الشرق لانخفاضه وعدم وجود جبال بينه وبين البحر . (الفيروز آبادي ٣٠٣/١ ، ابن بشر ٢/٢١٢ ، المبرودي :

والبدو يرى أن إقامة الحضري في القرى والمدن مجالا للدم ومعدم
تغيير نمط الحياة الذي يضاف عليها حيوية ونشاطا فهو في هذا ينمى على
الحضري ديمومه على هذه الإقامة ، ويمقته لأنه لا ياتقى معه حتى في أبسط
أساليب الحياة الاجتماعية لدى البدو وهو الرمي ، وان كان هذا يحصل
من الحضري النجدي لأنه يعيش حياة متداخلة بين البادية والحاضرة في تلك
الفترة إلا أن البدوى يرى في عدم استمراره على ممارسة الرمي أدنى ما يمكن
أن يفصل بين حياته وحياة البدو حيث يقول أحد شعراء البدو :

يا حضران دايماً في الهلاد : ماترعون في الدار العذبة (١)

وكما يمتاز بتربية الخيول وركوبها فانه يذم الحضري على عدم تربيته لها
ومعرفته اركوبها المترتب على ذلك عجزه عن القيام بالأدوار التي يرى البدوى
فيها عنوان الشجاعة والاقدام في الفوز ومقارعة الخطوب ، ويهدوأن
بعض البدو يتجاهلون كثيراً أمثال حادثة العنقري التي لاشك أنه قد
أطاد فيها بعض الثقة لابن الحاضرة من غير أن يغمط البدوى حقوقه
باتصافه بكثير من الصفات الطيبة ، وإذا كان قسم من الحضرة قد انشغل
بأسلوب حياته الحضري عن تربية الخيول ومقارعة الخطوب ، وان كان فسى
الوقت المناسب يستطيع رد من أعتدى عليه ، فان هذا ما يتيح لابن البادية
أن يصح مطابقا بعدم العام بتربية الخيول وركوبها كما في هذا البيت المكمل
للبيت السابق :

ولا تدرون عن ركب الجهاد : دايماً حاضرة في كل هية (٢)

= الأمثال : ٢ : ٦٤٩ ، ومن الأبيات وقصتها : ابن ردا : ٨٢ - ٩٨ ، محمد
الشمري : ١٧٨ - ١٨٦ .

(١) العذبة : يبدو أنها من العذاة بفتح العين والذال مع تخفيفها ، التي
هى الأرض الطيبة البعيدة من الماء فيكون المعنى على هذا أنكم أيها الحضرة
لا تغادرون بلدانكم ولا تقومون بالرمي في الأرض البعيدة من الموارد لأنكم
لا تستطيعون هذا البعد . (الفيروز آبادى ٤ / ٣٦١ ، ومن البيت ابن ماسهد :
صحيح الاخبار ٢ / ٢٤٤) .

(٢) الهية : أم أجد أصلاً لهذه اللفظة فيما بين يدي من كتب اللغة ، وهى
تعنى في نجد الحرب مثلاً مثل الكون التي تعنى هى الأخرى الحرب وان

ولاشك أن هذا كان في موطن فخريين قسم من الهدو والحضر والا
فالهدوى يعلم في قرارة نفسه أن :

الهدو واللى بالقرى نازلينا : كل عطاء الله من هبة الريح

والى وقت قريب فقد كان قسم من الهدو يستنكفون القيام بفارات طلى
الحضر فى مدنهم وقراهم ، أو الدخول معهم فى حرب مكشوفة يبتدونها
هم ، أو القيام بأى عمل من شأنه سلب الحضرى وام أتيين سبها واضحا
لهذا الاستنكاف (١) ، ولعل هذا يدخل فى نطاق نظرة الازدراء والاحتقار
للحضر والسائدة فى قسم من بادية نجد إذ أنهم يحتقرون الحضرى لدرجة
تنصهم من التعامل معه فى أبرز دواعى الشجاعة والاقدام وهى الحرب ،
أو سلب ونهب ما يمت له بصلة ، أو أن ذلك كان نتيجة امسالمة
الحضرى ، ومحاولة من بعض الهدو ايجاد نوع من الثقة المتبادلة بين الهدو
والحضر ، هذه الثقة التى يبدو أن قسما من الهدو يحرص على ايجادها
لتخفف حدة التوتر فى العلاقات الاجتماعية السائدة بين الفريقين ،
وهذا ما يؤكد لنا وجود علاقات أخوة وتعاون بين قسم من الهدو أبى ألا
يسئ الى الحضر ، وقسم من الحضر رضى أن يبادل هؤلاء الهدو هذه
النظرة بثلها وهى ما يحتم وجودها الظروف الاقتصادية التى تخفق بالفريقين
وخاصة الهدو فى فترات المحل عندما يضطرون الى الاقامة قرب القرى
والمدن النجدية .

وطى العموم فقد كانت نظرة الهدوى الحضرى تنسم فى غالبها
بالاجانب السيئ ، لا فيما مر من الصفات وحسب بل ان الهدوى يعتقد أنه

= كان اها أصلا اخوها ، فالكون هو الحدث . (الفيروزابادى ٢٦٤/٤ ،
ومن البيت : المرجع السابق ١٢٤/٢) .

(١) ابن بايهد : المرجع السابق : ١٢٢/٢ .

أقوى جسطا ، وأسلم فطرة ، وأصون عرضا وشرفا ، وأمتن خلقا ، إضافة الى قرب الهجته من العربية الفصحى ، هذا عدا ساحة البدو والوفاء والحرص على حماية الأهل والجيران والغرباء والدخلاء وكرامهم مما يعتقد البدوى أن الحضري يفقد كثيرا من هذه الصفات بسبب تأثره بأساليب الحضارة فى بلده أو فى البلدان المجاورة . هذا التأثير الذى جاءه سلبيا يترك كل شئ لا يعنيه (١) .

(١) مكي الجحول : البداوة والبدو فى البلاد العربية ٣٦ ، وحتى فى الوقت الحاضر رغم أن مغريات الحضارة أقوى منها فى الزمن السابق ، ورغم تحضر قسم كبير من أبناء البادية ورضائهم بهذا التحضر بل تحسبهم له ، فقد كان قسم من البدو يرى النظرة التقليدية السابقة تجاه حياة الحضرة منها أن لو كان باقيا فى باديته يتسم حريتها ويميش مع مواشها حتى قال بعضهم :

بالبتنى بالبادية ما تحضرت : ولا عرفت المدن واللى سكنها
ليتنى مع الأهاشان رحت وان جيت : ليت الغنم والابل مارحت منها

صحيفة الرياض عدد : ٥٠٧٤ فى ١٨/٥/١٤٠٢ هـ ، ص ١٥ من استفتاء صحفى القسم من البدو قامت به هذه الصحيفة عبر مكتبها فى حائل .

وقد فقد ابن خلدون فى مقدمته (من ص ١٠٦ - ١٢١) عدة فصول مشتملة على فروق كثيرة بين الطرفين يستطيع الباحث الاجتماعى أن يستأنس بها فى دراسته لأسس التعامل الاجتماعى بين البادية والحاضرة وتحليل هذه النظرة السيئة لحياة الحضرة من البدو التى كما أن لها جذورا قديمة وأستمرت فى العصر الحديث والمعاصر فانها ستستمر ولن تختفى مادام هناك بادية وحاضرة .

٢ - وضع المرأة البدوية ووظيفتها :

ان المدارس اوضح البادية عموما يلاحظ احترام البدوى للمرأة سواء كانت قريبة له أم بعيد ، وان هذا الاحترام ايسر فوق أى احترام انه احترام الرجل الذى يفار على المرأة والذى يعتبرها شريكة حياته ، واذ كان العرب قبل الاسلام يثدنون البنات ، واذ كانت نظرة الحضر الى المرأة حتى وقت قريب تتسم فى بعض المناطق بالقسوة ، فان البدوى النجدى فى تلك الفترة لم يذكر عنه معاملة المرأة بأى قسوة ، ولو حصل شئ من هذا لأبرزه الشعر العامى سواء كان ادى البدو وصفا للحمال ، أو لدى الحضر من باب ذم البدو ، وكل الذى أبرزه الشعر العامى عن وضع المرأة فى المجتمع البدوى النجدى أن بنت البادية تتمتع بحرية واسعة فى القيام بدورها الفعال فى حياة قومها العامة فهى تستطيع أن تعبر عما يحتاج فى نفسها من أحاسيس ، وقد أتاحت لها رحابة الصحراء والامش بين الأغنام والأهل تفتق قريحتها فراحت تقرض الشعر طارقة لأكثر أهوايه (١) .

وقد أعطت هذه الحرية لبنت البادية المجال فى أن تعبر عن رأيها بكل صراحة ووضوح فتثيرها مواقف الشجاعة ومناسبات الكرم فتمدح أو تنفر ، وتبصر مواطن الضعف والنقص فتتهجو أو تتحكم بصراحة كاملة ، كل هذا فى حدود العفة والأصالة ، وأكثر ما يعجب المرأة فى الرجل شجاعته وكرمه فتتزوج على هذا الأساس لأن المجتمع البدوى يفرض وجود هاتين الصفتين فى الرجل الكفو . وان فى قصة هذه الشاعرة من بنى لام تصوير ادور المرأة فى انبهاض الهمم ، كما أن فيها تصوير لتأثر المرأة البدوية من فقدان الصفتين السابقتين فى الرجل . ذلك أن هذه المرأة تزوجت

(١) عبدالله بن رداى : شاعرات من البادية ص ١٤٠ .

ابن عمها أمير القبيلة وكان مغرماً بكثرة الغزو حتى أنه أتعب ناقته فأصبحت هزيلة ، ولما مات أخذت أخاه بعده فسنت الناقة من قلة غزوه فماتت هذه الناقة مرة وقارنت بين حالها الأول والأخير فرثت زوجها الأول بهذه الأبيات التي تتحكم فيها زوجها الأخير على قلة غزوه وقالت :

لا وابن عمي كل ما جيت أبا أنساء : الى له تذكري مع الذود حاييل
لا وابن عمي تطرب الهجن لفناء : من كثر ما توحيه صبح وقو اهيل
لا وابن عمي كل هذا تمناء : عليه ترفات الصبايا غلايل
لا وابن عمي تنشر السمن يمناء : على صحن كنهن النشايل
ينلاع قلبي كل ما أوحيت طرباء : كما يلوع الطير شباك الحبايل
أخذت أخوه أبهى عوض ذاك من ذاه : البيت واحد من كبار الحمايل
الزول زوله والحلايا حلايل : والفعل ما هو فعل واف الخصايل (١)

ولما سمع زوجها هذا الشعر أضر لها سوء لكنه ذهب غازياً ، ولم يمد حتى هزأت الذلول ولم تستطع إيصاله الى الحي فجمت قربه لاستطيع المشي ، فأرسل زوجته لتأتي بها ولتري حالها عليها تشهد بشجاعته ، فلما رأته هزأة قد ذوى جسمها وذهب شحمها أرادت أن تتحدث —

(١) لا وابن عمي : أبهى على ابن عمي ، كل ما جيت أبا أنساء : حاولت أن أسلوه ، أبا : أبهى ، الى له الخ : تقودني انكراه ناقة مع لاهل ومعنى حاييل : ليس فيها حمل ، الهجن : الابل الاصايل ، لفناء : لحداء ما توحيه : تسمعه ، صبح وقوايل : أول النهار وأوسطه ، جمع قائلة — من القيلولة ، تمناء : تتمنى قربه والزواج منه ، ترفات الصبايا غلايل : المترفات من النساء مشنقات في قلوبهن حسرة ، تنشر السمن يمناء : ينفذ السمن على طعام ضيوفه ، كناية عن كرمه ، كنهن النشايل : كانهن النشايل : والنشايل جمع نشيلة وهي كومة التراب والمعنى أن الطعام فوق الصحن كأكوام التراب ، ينلاع قلبي : يخفق تصيبه اللوعة ، أوحيت طرباء : سمعت ذكره وخبره ، شباك الحبايل : الشباك الذي تصاد به الطيور ، والحبايل : جمع حباله وهي مسن آلات الصيد في نجد ، أبهى عوض ذاك من ذاه : أريد أن يعوض القريب الحي فقد البعيد الميت ، الزول : القامة وشكل الجسم ، الحلايا : الأوصاف الجسمانية الدقيقة ، واف الخصايل : كامل الخصال الطيبة ، عن الابيات وشرحها : (ابن ردا س : ١٤٥ ، ١٤٦).

شجاعة زوجها الأخير فقالت شعرا تشيد بذكره :

ثور من الحارث ركب يهيف : يتلون " ابن عروج " مقدم " بنى لام " زهابهم حب القرايا النظيف : وسلاحهم صنع الفرنجي والآروام
ياما انقطع في ساقته من عيف : ومن فاطر تسبق على الجيش رقدام
عقب الشحم وملا فحه لارديف : قامت تضولع مثل مرهوص الأقدام (١)

ان هذه القصة تدل على أن بنت الهادية تعيش حياة الحرية الحقيقية ، وأنها في الوقت نفسه أهل لهذه الحرية فهي تقدر من يستحق التقدير وتنظر الى الرجل نظرة اعجاب واقعية من خلال ما يقدم عليه من صور البطولة ، وهي في المقابل تنظر نظرة أخرى للرجل . . . نظرة الكره حتى ولو تزوجته فانها اذا لم تر فيه صفات الزوج الكفو من كرم وشجاعة فهي على استعداد لتركه ، واو أدى ذلك الى أن تعيش حياة أقل من حياتها معه فهذه احدى الشمرجات تزوجت رجلا يدعى " هقاش " فمكنت معه مدة واما لم تر فيه صفات الرجل الكفو هربت منه وقالت أبياتا تعرض فيها به ومنها :

حظ الندم جاب لى هقاش : وأنا من البيض مقروء
لا هو كريم ولا هـواش : والخيل ما صقلت مود

(١) ثور : حرك قافلة الحرب واتجه من بيته الخزو ، ركب : تفخيم لركب أو جيش ، يهيف : يسرع في سيره ، (فصيحة) يتلون : يتعمون ، ابن عروج : هو وويد بن عروج كما في احدى الروايات وهو زعيم بنى لام وزوج الشاهسرة ، زهابهم : زاد سفرهم ، حب القرايا : هو القمح لانهم يأتون به من القرى التى فيها المزارع ، الفرنجي : الأفرنج ، الأروام : الروم وفي هذا الشطر ذكر مصادر السلاح في نجد ، انقطع : تعب وتوقف عن السير ، ساقته : فسى عقبه ، الشابة : المواضى تعود على الركوب عليها ، والمقصود هنا الابل التى وطلت لأول مرة فى حياتها على الجمل والركوب ، فاطر : الفطر هو الشق ، وانفطر ناب البعير طلع أى كبر ، وتطاق على الكبيرة والسمنة ، الجيش : مجموعة من الابل المتخذة للحرب وتطلق على الابل عوما ، عقب الشحم : بعد السمنة ، الخلافة : القح هو الضرب أو السلطم ، الرديف : الراكب الثانى ، والمقصود مضايقة الرديف بكثرة الشحم ، تضولع : تنحني وتتحرك ببطء رافعة رجلا وحاطة أخرى من التعب ، مرهوص : أى مصاب بالرهصة وهى قرحة تصيب باطن حافر الحصان وتصاب طين ما يصيب باطن الاقدام عوما ، (الفهرزاهادى ٢٦٩/٢ ، ١١٠/٣ ، ٣٠٥/٣ ، ٢٧/٣ ومن الأبيات وشرح بعض كلماتها ابن برد الأس ١٤٦ - ١٤٨)

يايوه أناها انهزم وانحاش : ماني طى النذل مردوده (١)
وعلى الجانب الآخر فان الرجل فى الهادية يعطى المرأة تكريماً
تفتقده ابنة الحاضرة فى بعض الأحيان .. فالهدوى غير على المرأة سواء
كانت بنا أو أختاً أو زوجة لكنه لا يمنحها من التحدث مع الغرباء لأنه
يعلم أنها تلتزم بحدود العفة والأدب واوحصل تعد طى هذه الحدود
واوعن طريق الكلام الذى يشم منه رائحة الغرام فان السيف هو الذى
يتكلم فى هذه الحالة ، فهذه احدى الشجريات تقول لرجل عشقتــــــــــــه
وعشقتها طالبة من أن لا يحدثها بحديث الغرام :

ان كان أهيك يحدلونك : أنا ترى السيف يحنى لى (٢)
واذا حدث خلاف بين الزوجين فان الرجل لا يستطيع أن يضرب
زوجته لأن العزة والأنفة تمنعه من ذلك ، واذا فعل ذلك ونــــــــــــادرا
مايفعل - فان المرأة تصيح بصوت عال تدعوصيها أو حامها سواء
كان أبا أو أخاً أو عما أو نحو ذلك ، فهيدئ الزوج ويجعله يستمع الى
صوت العقل ، أو يختلف هو والزوج وربما يتضاربان فتحدث مشكلات
تتطلب حلاً على مستوى شيخ القبيلة (٣) .

(١) حظ الندم : الحظ السيء ، من البيض مقرودة : من النساء الجميلات
سيئات الحظ ، هواش: أى محارب شجاع ، من الهوضة وهى الفتنة
وتطلق على الحرب ، ما صقلت دودة : من الصقل وهو الشد والمعنى
ام يتدرب على ركوب الخيل ، يوه : لفظة نجدية تطلب على الأم ، أبا : أريد
انحاش: أهرب ، ماني ، ما أنا ، طى النذل ، مووده : لأأحد يستطيع
روى الى هذا النذل . الفيروزابادى ٢ / ٢٩٤ ، ٣ / ٤٠ ، وعن الأبيات وقصتها
وشرح بعض كلماتها : (ابن رداى ص ٢١٥).

(٢) أهيك : تصغير أهل ، ترى السيف يحنى لى : مهددة بالقتل بالسيف ،
ابن رداى : المصدر السابق : ص ٥٥ .

Burkhard notes 1/177 (٣)

والمرأة في البادية شريكة الرجل في الأعمال بل تؤدي أعمالا مهمة لا يستطيع الرجال العمل بها فهي علاوة على قياسها برعى الأغنام وربما الأهل في بعض الأحيان فانها تقوم بجمع الحطب اضافة الى غزل شعر العاز وصوف الغنم وهر الأهل ليكون بيوتا وسطا وأبسة ، وهي تقوم كذلك بدهن الجلود لتعمل منها القرب للماء والصلان - جمع صميل - اللبن ، ولتعمل منها أنواعا من البسط الجلدية يكسوها الفراء وهو ما بان " الجاعد " (١) ، وتقوم باعداد اللبن والسمن والاقط (البقل) الذي تعمله بعد تجفيفها للبن فتجمعه على شكل اقراص لذيدة الطعم ، ثم انها تقوم بجلب الماء من موارده لاعداد وجبات الطعام والشرب والغسيل ، وتقوم بطحن الحنطة بالهاون " النجر " أو النقيرة ^(٢) . هذا اذا لم يقوم الرجل بطحنه فسي

(١) تقوم المرأة بغزل الشعر بواسطة المنزل وهو آلة خشبية اه رأس على أربعة جهات تديره المرأة حتى يتجمع عندها الشعر أو الصوف على شكل خيوط ثم تقوم ببنطوها على شكل قطع تخطط ما بينها لتعمل منها بيتا من الشعر وتعمل من الصوف بسطا أو ساحات كما تصنع منها أكياس لها مرى وهي ما تسمى بالمزاود - جمع مزودة - أو الخروج جمع خرج . أما الجلد فعند الذبح حتى وقت قريب كانوا يفرضون على الجزار الأغنام أن لا يكون بالجلد أثناء السلخ شقوق ليستفاد منه قرب وصيلان ويعقد مكان الزيل والأيدى والأرجل ويكون مكان الرقبة فم ، أو يفرض مع النصف ان يكون جاعدا أو فروة تلبس أثناء الشتاء .

(٢) الهاون فصيحة ، والنجر ، والمهباش لم أجدهما أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة الا أن يكون النجر من النجر بتشديد النون وفتحها وهو النحت والمهباش من المهبش بفتح الهاء وسكون الهاء وهو الضرب وكل هـ ذه الثلاث أسماء للمشي واحد كان يدق فيه كافة مستلزمات البيت من اللبن والبهارات والى هذا الوقت وهو يستعمل وان كان ذلك على نطاق ضيق ، أما النقيرة فهي مأخوذة من أصل فصيح أى المنقورة من الحجر ان أنها حجرة متوسطة الحجم ذات سمك متوسط تتخذ من الحجر الأصم (البازلت) وينقر في وسطها نقيرة تسع مقدار قبضة اليد ٤ مرات تقريبا ، ومعها حصة صابة طولها حوالي ٤ سم أو أقل قليلا ، وقد تعمل النقيرة من الخشب كما يعمل النجر من الخشب أيضا ، والنقيرة أقدم استعمالا فسي نجد من النجر لأنها من مصنوعات البيت والى وقت قريب وهي تستعمل مكان النجر . (الفيروز آبادى : ٢ / ١٣٨ ، ١٤٧ ، ٢٩٣ ، ٤٠٢ / ٢٧٨) .

القرى بواسطة الرحا^(١) (٢) .

ونظرا لجو الحرية الذى تتميز به حياة البادية فى الصحراء فان المرأة قد تستقبل الضيوف فى بعض الأحيان اذا كان البيت خاليا من الرجال وتصنع لهم القهوة والشاي وتقدمها لهم فى حدود الحشمة والأدب ، وربما قدمت له الحطب امصنع القهوة بنفسه اياأتى الرجل فيحيي الغرب متجاذبا معه أطراف الحديث عن الربيع والفزو والمواشى (٣) .

وقد تهان المرأة فى البادية ، فيحدث أن تمنع من الزواج ، اما بسبب عيب - لا يصل الى حد الجرم - ارتكبته ، أو لأنها رفضت قريبا لها - كابن عمها - وأهلها يريدونه ، وتسمى المرأة فى هذه الحالة "المحينة" أخذا من تحمين الشاة أو الناقة وهو تصريتها ، أى منعها من الحلب وذلك اذا أراهموا تسمينها أو الرغبة عن حليبها ، وفى هذا المجال ، قالت أحد فتيات قبيلة عنزة تخاطب فارسا يسمى " دهنى " :

وراك ما تهيق يادهنى : طى المحينات لك نومة (٤) .

(١) الرحا: بفتح الراء جمعها رحي (فصيحة) وهى تمنع من الحجارة الصماء (البازلت) وهى تتكون من طبقتين على شكل دوائر يكون فى الفوقانية فتحة صغيرة يدخل معها الحب لتدور به الرحا بمقشر خشبي مثبت على الطبقة العليا ويخرج الحب مطحونا أو مجروشا بين الطبقتين ، والرحى أقسام فمنها ماهولاحب وهو الكبير ، ومنها ماهولورد اليايس والأبازير والشنان وما الى ذلك : وهو الصغير ، وفى المثل النجدى " رحية ورد " والرحية تصغير رحا يضرب المثل للأداة التى لا تحدث ازعاجا من جراء العمل بها لأن الطحن برحا الورد لا يحدث صوتا كما تحدثه رحا القمح : (محمد ناصر المبودى : الأمثال العامة ١/٢ ٨١١ المثل رقم ٩١٦)

(٢) Burckhardt . Nots 1/177. Mohammed. then. Althenayan.

(٣) عبد الجبار السراوى : البادية ٣٠٣ . Burckhard. 1/188.

(٤) وراك : لماذا أو مالك ، ما تهيق لا تطلع أو تطل ، نومة : مرة . (ابن رداس : ٢٤٦) ، والتحمين والتصرية كلها فصيحة (الفيروزابادى ٢/١٣٤ ، ٢١٨/٤) ، وقد سمعت أن لفظة المحينات المقصود بها فخذ المحينات ،

ومعنى القبال تطلق على هذه العادة التحبير وعلى الفتاة محيرة
 كأن ابن عمها حيرها عن أن تعمل فى نفسها شيئا ، وهذا حق من
 حقوق ابن عم الفتاة الأدنى الذى يمنحها من أن تتزوج أحد غـيـره
 اذا رغبها ورفضه عند ذلك لا يستطيع أبوها أن يزوجهـا من غيره الا برضاها
 ولو حصل وتعمل وأقدم على تزويجها بغير رضى ابن أخيه فانه يصبح
 مهددا بالقتل بين فترة وأخرى من ابن أخيه ، والزواج نفسه يمرض للتفكيك
 الذى قد يصل الى القتل لرضاء بزواج المحيرة فان لم يحصل هـذا
 الزواج بسبب رفضه التخلّى عن حقه المزعوم فان البنت تعيش فى عذاب
 التحبير الى أن توافق على الزواج منه كرها أو تظل طائسا الى أن تصوت ،
 ويحدث من جراء هذا العمل مشكلات فى المجتمع البدوى لا أول لها
 ولا آخر قد تجر الى حروب ومقاتلات ان لم تكن بين قبيلتى الطرفين
 فعلى الأقل بين أفراد منهما (١) .

وتطلق بعض القبائل على هذه العادة التحجير أخذاً من الحجر وهو المنع ، ويبدو أن بعض أفراد القبائل يرمى من وراء إطلاق لفظة التحجير إلى التفاخي بفاته فيأخذ عوضاً كبيراً من طالب يدها حتى يفك

من المحلف من العلى من الدهامشة من العمارات من عنزة وكان هذه
هذه الفتاة تستعدى دوى الشجرى المشهور بفروسيته وظفره على هذا
الفخذ فلا يكون هذا البهت وقصته من قصص التحسين النوى الا أن هذا
لا يمنع أن تكون هذه الفتاة محينة وأرادت أن تسلو نفسها بهذه الأبيات
وتستعدى دوى على هذا الفخذ ، عن الحمينات : (حمد الجاسر :
معجم قبائل المظلة : ٢ / ٧٢٥)

(١) فهد المارك : من شيم الحرب : ٣٧/١ ، ٤ ، ٢٨١ - ٢٨٥ .

هذا التحجير ، وهذه العادة موجودة الى وقت قريب بل حتى الوقت الحاضر عند بعض أفراد الهادية ، رغم افتاء علماء الدعوة بتحريمه والتشديد على فاعله (١) .

وسواء كانت هذه العادة بلفظ التحمين أو التحجير أو التحميم فانها تلوى مفهوما واحدا لدى قبائل هادية نجد بل لدى القبائل البدوية طاعة فى شبه الجزيرة ، وهى تعتبر نظرة سوداء مظلمة نحو المرأة البدوية ، ووجودها فى هذا المجتمع البدوى يعتبر علامة قسوة ونظرة متخافة نحو المرأة ودورها الرئيسى فى المجتمع ولا تتكافأ مع وضعها الاجتماعى الممتاز الذى مرن كسر جوانب منه .

وعموما - وهذا وجود هذه العادة - فان المرأة البدوية تعيش مكرمة معززة سواء كانت أما أو زوجة أو بنتا أو اختا ، وهى بالنسبة لهذا التكريم فى درجة لا تستطيع المرأة الحضرية - على تكريمها أحيانا - أن تصل اليها ، وهذا طائد اعتماد الأدوار التى تقوم بها ولجو الصحراء المنفتح الذى يفرض على الرجل سلوك هذا السبيل الذى من أبرز مظاهره - بالإضافة الى ما سبق من الجوانب الايجابية - زهاب النساء مع محارمهن الى أسواق المصنوع والقرى النجدية للاشتغال وعرض بعض منتجات الهادية فيها ، والبدوى فى هذا يعتقدون أن نظرة المرأة أقوى ورأيها أحكم من الرجل فى كافة أمور البيت ومستلزماته لأنها صاحبة الشأن فيه ، ولا يحبون فى هذا المجال أن يفعلوا شيئا بخير ان يرضى نساءهم (٢) ، وأولا وجود العادة السيئة السابقة عاشت المرأة البدوية فى صحرائها طلة تتصرف كما تشاء ، ولقاقت فى وضعها الاجتماعى الفريد ، وضع الرجل البدوى بشكل عام .

(١) ابن قاسم : الدرر ٣٢١/٦ .

(٢) حسن المريكى : مع الشباب ١٨٥ .

٣ - الرق والأرقاء :

أ - الرق ونظرة الاسلام اليه (نهضة موجزة) :

الرق هو الوضع الذى يجرد الفرد من الحقوق العامة ، فلا يباح له اجراء تعاقد ، ولا تحمل التزام ، ولا تملك عقار أو منقول ، ويجعله هو نفسه من ممتلكات سيده .

ولقد كان الرق من صنع الانسان المتحضر فام يكن الانسان البدائى سترقا ، بل كانت الجماعات البدائية يشيع فيها التعاون من أجل تحصيل غذائها ، ولما أخذت فى التطور أخذت تفيد من بعض المستضعفين فى الرعى ، ومن هنا نشأ الرق كظاهرة اجتماعية (١) .

وقد أفر هذا النظام معظم المجتمعات فى العصور القديمة فالإيونانيون بمختلف مدارسهم ومذاهبهم كانوا ينظرون الى البشر على أنهم قسمين : يونان طاقين ، وبرابرة متوحشين ، وتلتقى الديانة اليهودية المحرفة مع مذاهب اليونان فاليهودى لا يسترى ، أما غير اليهودى فهو الذى يجوز استرقاقه بالحرب والشراء ويعامل بعنف ويبقى رقيقا أبدا الدهر .

أما المسيحية المحرفة فقد أقامت الكنيسة شرعية الرق ودعا آباء الكنيسة الأرقاء الى الاستماتة فى خدمة ساداتهم وأن لا يطمعوا فى

(١) معجم العاوم الاجتماعية :، اعداد نخبة من الأساتذة باشراف ومراجعة د . ابراهيم مذكور ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة نشر اليونسكو ١٣٩٥ هـ ، ص ٢٩٣ مادة (رق) عبد السلام الترماني الرق : ماضيه وحاضره - سياسة عالم المعرفة ، الكويت . ذى الحجة ١٣٩٩ هـ ، محرم ١٤٠٠ هـ . مطابع اليقظة ص ١٣ ، ١٥٠ .

التحرر حتى ولو أراد أسيادهم ذلك لأنه مادام رقيقا فسيحاسب يوم
القيامة حسابا يسيرا فعلى هذا الأساس أهدت المسيحية المحرفة
على وضع الرفيق لدى اليهود بل وسعت من موارده ، ملغية كل
الوسائل التي كان يمكن أن تؤدي إلى التحرر ، رغم دعوة نبي الله
عيسى عليه السلام إلى المساواة بين الناس (١)

أما في الاسلام فانه جاء والرق كان موجودا لدى العرب قبل
الاسلام وكانت تجارته رائجة بينهم لكنهم كانوا يحررون أرقائهم في
بعض الأحيان لقاء عمل عظيم يقومون به ، اما لشجاعتهم أو أخلاقهم
وربما رافة من السيد الذي يحرره بلا مقابل .

وإذا كان الاسلام لم يباغ نظام الرق ، فذلك لأنه كان حينئذ يشكل
دعاة تركز عليها جل النواحي الاقتصادية ضد العرب فكان سوق
المنحاسة مجالا رحبا لثراء أكثر العرب ، لكن الاسلام بدأ التمهيد

(١) التفصيل فيما سبق : د . أحمد شلبي : مقارنة الأديان : المسيحية
ط (٥) نشر مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص : ٤١ ،
٤٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٤ - ١٢٥ ، عمودة الخطيب :
نظرات اسلامية ، في مشكاة التمييز العنظري ، ط (٢) مؤسسة
الرسالة ، نشر الشركة المتحدة - بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ،
ص : ٢٦ - ٦٤ ، د . حسن ابراهيم حسن وأخوه على : التنظيم
الاسلامي ط (٤) مطبعة السنة المحمدية - نشر مكتبة النهضة
المصرية القاهرة - ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص : ٣١٧ ، جد السلام
الترمانيني : المرجع السابق ص : ١٩ - ٣٣ ، ول . ديورانت :
قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران . ط (٣) مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، نشر الادارة الثقافية بجامعة
الدول العربية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ٦٤ / ٢ - ٦٨ .

لتجفيف المنايع والروافد التي تؤدي الى الرق فحبب الى ولي الأمر
اطلاق سراح الأسرى الذين يسترقون ، قال تعالى :

" فاذا اقيمت الدين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اخنتموهم
فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فدا* حتى تضع الحرب اوزارها" الآية (١).

كما دعا الى الاحسان بالرقيق ، قال تعالى :

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى
واليتامى والمساكين . والجارى ذى القربى والجار الجنب والمصاحب
بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختلا
فخورا " (٢) .

ثم عمل الاسلام على توسيع المنافذ التي تؤدي الى العتق
فأوجب عتق الرقبة في عدد من الكفارات ، ففي كفارة القتل قال
الله تعالى :

" وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا ، فان كان
من قوم عدواكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة " الآية (٣) .

(١) سورة محمد : آية ٥٤

(٢) سورة النساء : آية ٣٦

(٣) سورة النساء : آية ٩٢ ، وجمع بين عتق الرقبة والدية بين المؤمنين ففى
القضية الأولى احرص على قطع وابر الرق بين المسلمين وتعويض أهل القتل
عما فاتهم من قتلهم ولا بد من تأديتهما مجتمعتين الا فى حال القلة والعجز
واوغى الورثة عن القاتل سقطت الدية ولم يسقط العتق لأن سقوط الحق
الخاص لا يسقط الحق العام معه ان فى تحرير الرقبة المؤمنة تعويض
المجتمع المسلم عما افتقده بقتل النفس المؤمنة باستحيا* نفس مؤمنة بدها
وفى القضية الثانية- اذا كان المقتول أهله محاربون الاسلام وهو مؤمن
تسقط الدية املا يستعين بها أهله على حرب المسلمين ويجب العتق تعويضا
بشرى عن النفس المؤمنة المقتولة خطأ بنفس مؤمنة مثلها . وفى القضية الثالثة
اذا كان المقتول خطأ أهله ايسوا مسلمين ، ولكنهم غير محاربين فتقصد

وأوجب عتق رقبة في كفارة اليمين ، قال تعالى :

” لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ” الآية (١) .

وأوجب عتق رقبة في كفارة الظهار ، قال تعالى :

” والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ” الآية (٢) .

-
- الدية الى أهله لأن شرهم ، ويعتق رقبة مؤمنة تعويضها عن النفس المؤمنة المقتولة ، وسواء كان المقتول في هذه الحالة مؤمناً أو غير مؤمن فان الدية تدفع - على خلاف بين العلماء - في تقديرها بالنسبة للكافر كما يؤيد الشوكاني أنها تدفع الى أهله المسلمين اذا كان مسلماً ، وتؤكد الاسلام على عتق الرقبة في كل الحالات الثلاث وهدم الاكتفاء بالدية عنها دأبل على حرصه الشديد على استئصال شأفة الرق في العالم آنذاك .
- للتفصيل فيما سبق : (ابن كثير : التفسير ١/ ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، أبو السعود ١/ ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، الشوكاني : ١/ ٤٩٨ ، ابن سعدى : ٢/ ١٢٥ ، ١٢٦ ، سيد قطب ٢/ ٥٥ ، ١٩٠ ص ، ١٩١ ، الصابوني : صفوة التفاسير ٢/ ١١٧) .
- (١) سورة المائدة : آية ٨٩ ، وقوله (رقبة) ورد فيه خلاف بين الأئمة أبرزه ما كان بين أبي حنيفة القائل باطلاقها بأن تجزئ الكافرة كما تجزئ المؤمنة ، والشافعي ، وآخرون حيث يقولون بأن لابد من تقييدها بالإيمان قياساً على كفارة القتل الخطأ ، ويغض النظر عن هذا الخلاف فان ظاهر الآية اجزاء أى رقبة على أى صفة كانت ما يتأكد معه محاربة الاسلام لكافة أنواع العبودية والذل الا لله عز وجل ، وحرصه على تحرير بني البشر من عبادة وامتنلاك بعضهم البعض . للتفصيل : (ابن كثير ٢/ ٩١ ، أبو السعود ٢/ ١١٤ ، الشوكاني ٢/ ٧٢ ، سيد قطب ٢٣ / ٢٧ / ٢٦) .
- (٢) المجادلة : آية ٣ ، وكان الظهار أبرز امتحان للمرأة في الجاهلية فجعل الله له هذه الكفارة الشديدة ، وصيغته أن يقول لأمرته أنت على كظهر أمي أو كأمي فيحرم ما أحل الله له ، والرقبة عند مالك والشافعي هنا مشروطة بالإيمان كسابقتهما ، وسلامتهما من الحبيب ، وأيدهما في ذلك بعض المفسرين بينما قال أبو حنيفة وأصحابه بعدم اشتراط ذلك لعدم تخصيصه بالآية ، وظاهر الآية يتمشى مع رأى أبي حنيفة ضمن اهتمام الاسلام بقضية الرق وفتح السبل المتعددة أمام المعتق منه لأى انسان كان . للتفصيل : (ابن كثير ٤/ ٣٢٢ ، أبو السعود ٥/ ٢٨٨) .

وأوجب عتق رقبة في كفارة الجماع في نهار رمضان ، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة ، رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النسي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله قال : مالك - وفي رواية ما أهلكك ، قال : وقعت على امرأتى وأنا صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبة تعتقها ؟ قال : لا ، قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد طعام - وفي رواية ما تطعم - ستين مسكينا ؟ قال : لا ، قال فمكث النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق - أى مكث - فيه تمر قال أين السائل ؟ فقال : أنا ، قال : خذ هذا فتصدق به فقال الرجل : على أفقر منى يا رسول الله ؟ فوالله يا رسول الله ما بين لاهيتها - يقصد حرث المدينة - أهل بيت أفقر من أهل بيتى . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا بطنه حتى بدا بطنه ثم قال : أطعمه أهلك (١) ، متفق عليه .

(١) ومن الطريف في قصة هذا الصحابي أنه جاء نادما على فعلته منتظرا عقاب الله ورسوله له فعاد محملا بمكث تمر يكفى ستين شخصا ليأكل منه وطأته فترة من الزمن ، وتشبه قصة الظهار هذه القصة وتختلف عنها بأن المظاهر أوس بن الصامت ، رضى الله عنه لم يمد بمكث التمر الى بيته والا فان الرسول قد دفع عنهما من تمر أتى به اما صدقة للمسلمين أو هدية له فأخذه وأطعم به ستين مسكينا ، وقد جعل العتق في عدد من الكفارات وسيلة مثلى من وسائل التحريم الرقاب التى أوقفها نظام الحروب فى الرق . (ابن حجر : فتح البارى ٣٠٧/٨ - ٣٢١ ، النووى : شرح صحيح مسلم ٢٢٤/٧ - ٢٢٨ وقد أورد فيهما البخارى ومسلم قصصا مشابهة لهذه القصة فقد تكون هي نفسها بروايات مختلفة ، ابن كثير ٣١٧/٤ - ٣٢٢ ، سيد قطب الجزء السابق ص ١٢).

كما رغب الأشخاص الذين يكون لديهم أرقاء - بوسيلة أو بأخرى أن يمهّدوا السبيل أمام حريتهم وعقلمهم وذلك بمكاتبتهم على قسدر معين من النقود أو العمل أو ما شابه ذلك ايمتقوا بمقتضاه وأمر هؤلاء الأشخاص أيضا بالتخفيف على هؤلاء الأرقاء بتيسير المكاتبة وذلك بحط شيء من مالها أو ماتم به ، أو بذل بعض المال إما من الزكاة أو الصدقة أو على شكل هبة ، أو هدية لتسهل أمور المكاتبة ، وإلى هذه المعاني أشارت الآية الكريمة في قوله تعالى :
والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيما نكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم " الآية (١) .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الأمر في الآية الاستحباب بينما ذهب آخرون إلى أنه للوجوب أخذا من ظاهر الآية ، وفي هذا ضدوحة الأرقاء إذا رغبوا أن يتصرفوا بمعزل عن سيدهم ويفكوا أسرار الرق عنهم أن يطالبوا من أسيادهم المكاتبة ، وعلى القول بالوجوب فلهم اللجوء إلى الشرع في حال رفض السيد اتاك المكاتبة ، وهذا منتهى الرأفة بالرقيق وأقوى وسيلة المقضاء على الرق الذي كان حقيقة واقعة أثناء مجيء الاسلام ، وضرورة استراتيجية لحفظ كرامة المسلمين الذين يؤسرون ويسترقون من قبل أعداء الاسلام أثناء حروب الفتوحات الاسلامية ، والاسلام من جانبه عمل جاهدا على التخلص من الأرقاء كما واثته الفرصة أيهى البشرية لقبول الفاء الرق بل ليعلم عبر الآيات السابقة وهذه الآية حربه الشعواء على استرقاق الانسان لأخيه الانسان (٢) .

(١) سورة النور: آية ٣٣ .

(٢) ابن كثير: ٢٨٨/٣ ، أبو السعود ١١٣/٤ ، الشوكاني ٢٨/٤ ، ابن سعدى : ٤١٦/٥ ، ٤١٧ ، سيد قطب ٢٦ / ١٨ ج ١ - ندبا أو ايجابا - للمسلمين ايعطوا المكاتبين من مال الله بصورة الزكاة وجها ، وبصورة الصدقة ، والهبة ، والهدية ندبا على ما يأتي بيانه في آية الزكاة .

وإذا كان الاسلام فى هذه الآية يشترط هذه الحكاية أن يعلم السيد فى رقيقه خيرا بالاهتداء الى الاسلام ، والقدرة على الكسب حتى لا يكون كلا على الناس فيلجأ الى أحط الوسائل لكسب العيش إذا كان الأمر كذلك فإن الاسلام انما يرغب الأسياد فى تهيئة رقيقهم لهذا الوضع الأمل المؤدى وجوها الى العتق بهدايتهم للاسلام وتعايهم شرائعه ، وتدريبهم على أعمال يواجهونها بها مسئوليات الحياة الجديدة ، ثم هو يجب أو يلزم هؤلاء الأسياد بحط جزء من الحكاية ، أو ما تتم به - إذا كان عملا - وهذا بعض المال - بأى صورة كان - لهم ان يكون عونهم على فكك أنفسهم من أسر الرق بما يتشارطون عليه مع أسيادهم من ناحية ، ويكون وسيلة من وسائل كسب العيش لمواجهة متطلبات الحياة الجديدة من ناحية أخرى .

وإذا كان الاسلام قد سن أو أوجب أن يعطى السيد رقيقه الحكاتب من ماله فإنه انما يهدف من وراء ذلك الى ابقاء الصلة موجودة بينهما تحت صورة من صور التكافل الاجتماعى وهو فى هذا المجال يتجاوز ذلك الى شمول هذا التكافل نحو هذه الفئة من المسلمين عموما ان اعتبر الرقيق أحد أصحاب الزكاة الثمانية فى قول الله سبحانه " انما الصدقات الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والمغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " ، واقد تواتر لدى عموم المفسرين والعلماء أن الرقاب هم الأرقاء على خلاف بينهم هل الأمر يقتصر على الحكاتبين أو يعم كافة الأرقاء ، وظاهر الآية دخول عتق الرقبة عموما فى أحد مصارف الزكاة ودخول الحكاتبين فيها ضمنا ، وفى هذه الآية لا يبقى عذر لأى رقيق من أن يحسن وضعه الاجتماعى الذى أفرزته أوضاع سيئة لا تدخل

للإسلام فيها ، ان أنه يعان حرية الرقيق بمجرد طابه لها
ليتحقق له ذلك على أى شكل يريد (١) .

ويشمل صرف الزكاة على هذا الوجه اطانة من يكاتب سيده على
أداء أقساط كتابته حتى يحصل على حريته بحقه من الزكاة ، وكذلك
فك الرقبة التي وقعت - بسبب الحروب وما شابهها - فى أيدي
أعداء الإسلام اما بصورة الأسر أو الاسترقاق فيدفع من الزكاة لفك
أسرهم أو اعتاقهم ، كما يدخل فيها شراء الرقيق واعتاقهم بمقد
تهيئة الوضع الأفضل أمامهم بالصلاح فى الدين والقدرة على الكسب ،
والإسلام فى هذا يترك المجال مفتوحا للصرف على هذه الجهات
بمعرفة صاحب المال المراد تزكيته أو بمعرفة الدولة الإسلامية سواء
كان ذلك بالنسبة للرقيق داخل المجتمع المسلم أو خارجه أو بتعاون
هاتين الجهتين (الشعبية والرسمية) . (٢)

وأرى - والرأى يخطئ ويصيب - عموم هذه الآية فيما يتعلق
بمقتى الرقاب كافة ، الأرقاء سواء كانوا ساميين أو غير ساميين ، وسواء
كانوا تابعين للدولة الإسلامية أو غير تابعين لها ، ان أنه بتضافر
الجهتين السابقتين - بما تقتضيه الأوضاع السياسية السائدة - يمكن
شراء رقيق من أى مكان ، وتحت أى صورة كانت ، وبأى صر كان
ويهيئون للدخول فى الإسلام واذا علم منهم خيرا بالصلاح فى الدين
والقدرة على الكسب اعتقوا ليكسبوا حرية وهداية الى هذا الدين ،

(١) ابن كثير ٣٦٦/٢ ، أبو السعود ٥٦٧/٢ ، الشوكاني ٣٧٣/٢ ،
ابن سعدى ٣٥٣/٣ ، سيد قطب ٢٤ / ١٠ / ص ٢٤٤ .

(٢) التفسير السابقة وصفحاتها السابقة أيضا .

وأيكسب المسلمون فيهم تكثير العددهم وتكثيرا قوتهم ، ويمكن أن يتم ذلك بالصرف من الزكاة (١) .

ويهيئ الاسلام بالمسلمين أن يتفهموا حرصه الشديد على القضاء على الرق في أنحاء المعمورة فلا يكتفوا بالصرف على حقوق الرقاب من الزكاة الشرعية الواجبة فحسب بل يحفز همهم لطرق سبل البر الذي هو جماع الخير بأن يجعلوا من أموالهم حقا لتحرير الارقاء وساعدة المكاتبين وفك الأسرى اضافة الى الزكاة الواجبة وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى :

" ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، وإن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والأنبياء ، وأتى المال على حبه ذوى القربى والميتاتى ، والمساكين ، وابن السبيل ، والسائلين وفي الرقاب" (٢) ، الآية .

(١) ليس المقصود الاسترقاق بل شراء من استرقوا لتوهب لهم الحرية . باسم الاسلام ، ولا غرابة في هذا فقد زحرت وكالات الأنباء العالمية مؤخرا بعدد من محاولات الاسترقاق التي قام ويقوم بها عدد كبير من الغربيين الرسميين والشعبيين تحت ستار رجال الأعمال فأصبحوا يجلبون الرقيق ليس المتعاقدين على عمل مقابل أجر معلوم بل لشرائهم للعمل في أماكن العمل المتعددة ، اضافة الى جانب عدد من النساء مراكز الدفارة ، وكل هذا عن طريق البيع والشراء من مناطق جنوب شرقي آسيا ودول أمريكا اللاتينية وكما حدث في القرن الثامن عشر والتاسع عشر من دول أفريقيا ، ولقد جمعت عددا من هذه الأخبار لا يتسع المجال هنا لاستعراضها ، اضافة الى ماسيرد ذكره من اصطفاة المنصرين لعدد من الأفريقيين كرقيق لادخالهم في النصرانية . (صحيفة الرياض عدد ١٩٧٥ ، السنة الثامنة عشرة ، الخميس ٢٣ شوال سنة ١٤٠٢ هـ ص ٢٥ ، عدد ٥٢٢٦ من السنة نفسها الثلاثا ١٤٠٢/١١/٢٦ هـ ص ١٨ ، عدد ٥٢٠٧ من السنة نفسها الثلاثا ١٤٠٢/١١/٥ هـ ص ٢٥ أحد هذه الأخبار تحت عنوان : تجارة الرقيق تعود من جديد).

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

والقرآن وهو يذكر هذه الفضائل في جملة الجبر ويقرنها بآداء الشعائر التعبدية انما يهدف الى أن يجعل من هذه الشعائر وسيلة للصلة بين العبد وربه المترتب عليها القيام بهذه الفضائل ، وهو ان يجعل فك الأسرى واعتاق الأرقاء من ضمن هذه الفضائل فانما لينسب في المجتمع المسلم نظارته نحو الرق والأرقاء ، وينفث في روع أفراد حب الخير الناس أجمعين حتى يتنبأوا لنشر الحرية الحقيقية لأخوانهم الذين أوقعتهم بعض الظروف السيئة في شباك الرق والأسر ويحرص القرآن في هذا على أن يلاس مواطن العصور بالخير في قلوب الصلبيين في محاولة منه للقضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة اضافة الى الزامه اهم في المساهمة بالقضاء عليها عن طريق الزكاة الواجبة كما مر (١) .

وتؤكد السنة جانبها مهما من جوانب موقف الاسلام من الرق ، فقد ورد في ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة ليس هنا مجال استعراضها والتحدث عنها الا أنها في عمومها تتحدث عن فضل العتق بما يحفز الهمم في الاكثار منه وريدا رويذا يكون القضاء النهائي على الرق ، وفي هذا المجال قال أبو هريرة رضي الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أيما رجل أعتق امرأ مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار " (٢) ، وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى تفصل الكلام فيه وكلها تجمع على هذا الثواب .

ويقرن الرسول صلى الله عليه وسلم بين بناء المساجد وهي من الأمور العظيمة الفضل في الاسلام وبين اعتناق النفس المسلمة ليرقى

-
- (١) عن تفسير الآية : ابو السعود ٣٠٧/١ ، ابن سعدى ١٢/١ وقد أدخل في عموم الرقاب من أسره الظلمة من المسلمين فيفتدى منهم ، سيد قطب ٢/٢٣٠ / ٢٣٠
(٢) ابن حجر : فتح الباري : ٢٣٦/١٠ ، ٢٣٧ ، النووي : شرح صحيح مسلم : ١٠٠/١٠ - ١٠٢ .

بفضله العتق والقضاء على الرق الى قم الفضائل فيه فيروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من بنى لله مسجدا يذكر الله فيه بنى الله له بيتا فى الجنة ، ومن أعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شبيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة " (١) .

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على حق المكاتب فى عون الله سبحانه المترتب عليه حفز هم أهل الخير لمعاونته فى أداء كتابته سواء عن طريق الزكاة الواجبة أو عن طريق مجالات الأخير الأخرى وفى هذا يروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " ثلاثة حق على الله عونهم : الغازى فى سبيل الله والمكاتب الذى يريد الأداة والناكح الذى يريد العفاف " رواه أحمد (٢) ، وهو كما يدعو أهل الخير لهذه المحاونة فانما يؤكد على الأرقاء أن يكاتبوا سترقيهم ، ويحسنوا النية فى تنفيذ شروط المكاتب ، وفى هذا حث لهم على التخلص من رقة الرق ووعد لهم بالمساعدة من الله سبحانه وتهيئة من يقوم بهذا من أهل الخير .

ويستغل الاسلام ظهور الحالات الكونية التى تستدعى الخوف والفرع ، والمجوع الى الله بتقديم الأعمال الصالحة لوجهه سبحانه ، وهو فى هذا يستغل ظهور كوار هذه الحالات ليقدّم المسلمون فيها عملا صالحا كبيرا ، وأما كان الكسوف والخوف ويقاس طيها الزلازل وما فى حكمها من أزمات الله الكبيرة التى تستدعى الخوف من الله القادر ناسب أن يكون العتق مع الصلاة والصدقة والدعاء من الأعمال المرغوبة عند حلول مثل هذه الآيات ، فيروى عن أسامة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت : " أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعتاقة فى كسوف الشمس " ،

(١) ابن كثير : ٥١٤/٤

(٢) الامام أحمد : المسند ٢/٢٥١ ، ٤٣٧ .

كما روى عنها أيضا قالت : " كنا نؤمر عند الخسوف بالعتاقة " (١) ،
والعتاقة هي العتق .

ويجيز الاسلام دخول الأسياذ برقيقاتهم في محاولة منه لمنحهم
الحرية إذ أنه كما لا يترتب على معاشرة السيد اجاريتة في الشرائع
والمجتمعات الأخرى تغير وضعها من الرق الى الحرية فان في نظام
التسرى في الاسلام أروع الأمثلة على احترام الاسلام للنساء الرقيات
تمهيدا لانتقالهن الى الحرية إذ يقرر الاسلام أن الجارية اذا تسراها
سيدها ودخل بها وجاءت منه بولد يصبح الولد حرا ، وتصبح هي
حرة بمجرد موت سيدها وتسمى أم ولد تكريما لها ، وكان من
شأن هذا أن تقاص الرق في المجتمعات الاسلامية لأن كثيرا من
تلك الاماء قد ولدن كبار الأئمة والعلماء ورجال الحرب والسياسة في
العالم الاسلامي ، وان نظرة في التاريخ الاسلامي تبين لنا وتؤكد
هذه الحقيقة ، ومن هنا فقد أوجد الفقهاء المسلمون عدة قواعد وأحكام
كأها رفق بالرقيق ، وساعدة له على حق نفسه ، وعلى أساسها سار
المسلمون في معاملة الأرقاء تأسيسا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه
الكرام ومن أبرز مظاهر هذا الرفق وجود الأوقاف المعنية بالأرقاء
واسماقهم وتهئية القرض أمامهم نحو الحرية (٢) ، ومن طريف ما يروى
عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله في هذا السجال حكاه في رجل لقي

(١) ابن حجر: ١٠/٢٤٠، ٢٤١.

(٢) المتفصيل فيما سبق : معجم العالوم الاجتماعية ١٤٢، ١٤٣، ٢٩٣ مادة

تسرى ، ورق ، د . د . طي وحسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ٣١٨ -
٣٢٦ ، محمد كرد طي : الاسلام والحضارة العربية المطبعة الثالثة طبع
ونشر لجنة التأليف والنشر : القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ١ / ٩٨ - ١٠٠ ،
د . طي الخريوطي : الحضارة العربية الاسلامية . المطبعة العربية
الحديثة ، نشر مكتبة الخانجي . القاهرة ، ص ١٠٩ - ١١٥ ، عصر
الخطيب : المرجع السابق ١٢١ - ١٥٧ ، عهد السلام الترماني : المرجع
السابق ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٦٦ - ٧٥ ، ٨٥
١٠٩ - ١١٦ ، ١٢٣ - ١٥٠ . د . صبحي الصالح : النظام الاسلامية ، ط
(٤) ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، دار العلم للملايين . بيروت ٤٦٧ - ٤٧٢ .

امراة في الطريق فقال : تنحى يا حرة فاذا هي جاريتة (من غير طم) قال : حققت عليه ، وفي رجل قال لخدم قيام على وليمة مسروا أنتم أحرار ، وكان فيهم أم ولد له ولم يعلم بها ، قال : هذا به عندي تعتق أم ولده (١) .

وانطلاقا من كل ماسبق يتبين محاربة الاسلام للارق كوضع اجتماعي سيئ فقد نادى تصريحها وتاحيها بالغاء الرق عبر الآيات والأحاديث وفهم الصحابة والتابعين وأئمة الفقه وأولى الفهم السليم من سلف هذه الأمة وخلفها ، وهو اذا اتبع أسلوب الرحاية لهذا الغناء فانما لأن الظروف الاجتماعية التي واكبت مجيئه وانتشاره قد حتمت وجود مثل هذا الوضع ، واذا حدثت تجاوزات عبر التاريخ الاسلامي لموقف الاسلام من الرق أدت الى انتشار الرق ومعاملة الأرقاء معاملة سيئة فليس ذلك هيبا في الاسلام ذاته بقدر ما هو قصور فهم أو سوء نية من بعض اتباعه وهم ان يتبعون هذا الأسلوب فانما يسيئون الى أنفسهم وإلى الاسلام نفسه بتلك الحرب الشعواء من أعداء الاسلام الذين يلقون ممارسات بعض اتباعه السيئة في هذا المجال فيه .

(١) منصور البهوتي : شرح منتهى الإرادات ، نشر مكتبة الرياض الحديثة الرياض ٦٤٨/٢ ، وليس في أبواب أو فصول الفقه الاسلامي بابا أو فصلا يسمى باب أو فصل الرق بينما يوجد فيها أحكام متعددة تحت عنوان كتاب العتق وتندرج تحتها أبواب الكتابة أو المكاتب وأحكام أم الولد ، وتعليق العتق بالموت وهو " التدبير " والأولاء بعد العتق ، وتفاصيل أحكامها تنادى بالغاء الرق ، وضم المعتقين (الموالي) الى أصول من أعتقهم ويكون ذلك بالاولاء .

ب - أحة عن الرقيق فى الخليج والجزيرة العربية فى العصر الحديث:

على الرغم من زوال رق الأرض فى أوربا فى القرن السادس عشر الميلادى ، إلا أن الأوروبيين - وعفة الاستعمار متأصلة فى نفوسهم - شرعوا فى البحث عن بديل له واتجهت أنظارهم إلى أفريقية ليتخذوا من زنجها البديل ، فأخذوا يقيمون مراكز تجارية على سواحلها أو جزرها القريبة من السواحل ، وكان الأسبانيان والبرتغاليون أول من أقام هذه المراكز لتكون منطلقا لاستعمار القارة الأفريقية ، وفيها كانوا يبيعون الأفريقيين بضائعهم وصناعاتهم ويشترون منهم وكانوا كثيرا ما يقايضونهم بالرقيق والرقيق الفقير بشكل خاص وكانوا يحملونهم إلى أسواق أوربا فيبيعونهم على أهلها للعمل فى الزراعة وكافة الأعمال الجسمية المرهقة (١) .

وفى سواحل أفريقية الشرقية كان الأوروبيون قد اصطفوا تجارا من أهلها الذين كانوا يصيدون الزنوج ويبيعونهم الأوروبيين ، أما فى سواحلها الغربية فكان الأوروبيون أنفسهم يقيمون بها فيفتعلون حروبها بينهم وبين الزنوج بأسرون منهم أسرى يحولونهم إلى رقيق ويفرضون على بعضهم اتاوات سنوية رؤوسا من الرقيق (٢) .

أما الرق فى الخليج والجزيرة العربية فكان كذلك من سواحل أفريقية الشرقية ، فمن زنجبار تبحر السفن محملة بالرقيق إلى سقط التي تعتبر أكبر مركز لتجارة الرقيق فى القرن الثامن والتاسع عشر الميلاديين كما أنها توزع الرقيق على دول الخليج وفارس والعراق والهند ، وهناك المراكز الحضرية التي تبيع رقيقها فى موانئ البحر الأحمر كاحديسدة وجدة ، واقد كان القواسم الذين كانوا يمتدرون أكبر تجارا لرقيق فى الخليج دور كبير لبيع الرقيق إلى سكان نجد عن طريق ميناء القطيف (٣) .

(١) عبد السلام الترماني: المرجع السابق ص ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ .

(٢) المرجع السابق: ص ١٥٥ .

(٣) جون . ب . كيان : بريطانيا والخليج (١٧٩٥ - ١٨٢٠ م) ترجمة محمد أمين عدا . طبع مطبعة : هيلى الحلبي . القاهرة . نشر وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٧/٢ ١٩٨٠ ص ١٧٠ .

ثم ان هناك مصدرا آخر الرقيق وهو الهند فان سفن حاكم سقط كانت بعد أن تفرغ رقيقها الأفارقة في بومباي تعود محملة بهم— نساء الهند ابيعهن في مناطق أخرى ومنها منطقة الخليج ، كما كانت سفن باقى امارات الخليج تجوب البحر العربى والمحيط الهندى اتأتى بالفتيات الهنديات اللاتى يتم اختطافهن أو شراءهن من أهلهن كل عام ، ويبدو أن هذا المصدر كان يجاب عن طريقه رقيقا من أجناس أخرى غير الهنود كالسيلانيين مثلا ، كما أن مدن الشام والعراق كانت مصدرا لرقيق آخر من شمال آسيا كالجرم والأرمن .

وإذا كانت الحكومة البريطانية خلال القرن الثامن عشر قد حاربت الرق في منطقة شرقى أفريقيا والخليج والهند فان الباحث يعتـوره الشك ارزاء هذا الأجراء لأن السفن البريطانية كانت في هذه الأثناء تبحر الى أوروبا محملة ببعض الرقيق . ويبدو أن أوروبا وقد اتخمت من كثرة الرقيق الذين بدأت تصدرهم الى أمريكا من كثرتهم قد أخذت تحرم على من هم تحت سيطرتها من حكام الخليج حينئذ تجارة الرقيق عامة ، ثم تساهلت بأن طابت منعه على الأوروبيين فقط ، وكما هو معروف أن الكثرة البشرية تحدث مشكلات اجتماعية نتيجة كثرة الطلب على الخدمات العامة اذا فان بريطانيا قررت أن يتوقف مد أوروبا بالرقيق خشية البطالة ، ومزاومة الأوروبيين في معيشتهم وما الى ذلك (١) .

وثمة سبب آخر دعا بريطانيا الى الضغط على تجار الرقيق العرب وهو أنها تريد أن تصطفى هؤلاء الرقيق وخاصة الأطفال لادخالهم الى النصرانية بواسطة احدى الهيئات التبشيرية التى أقامت لها في الهند فرعا مؤسسة ارسالية الكنيسة تحت اسم " الطاجا الأفريقى " (٢) .

(١) جون . ب . كيان : المرجع السابق ج ٢ / الصفحات ٢٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

٧٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) أرنولد . ت . ويلسون : الخليج العربى ، ترجمة د . عبد القادر يوسف . طبع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ، ونشر مكتبة الأمل . الكويت . ص : ٣٧٢ ، وقد بحث الكتابان الرق في الخليج والجزيرة العربية في العصر الحديث بالتفصيل الا أن الباحث يداخه الشك في كثير من نقاط الموضوع .

ج - الرقيق والخدم ادى بادية نجد قبل الدعوة :

لقد سبق أن ذكرت أنه كان انجد والجزيرة العربية مصادر شتى اجاب الرقيق فعلاوة على الذى يبقى من رقيق الأوربيين فى شرق أفريقيا والذى يأتى الى داخل الجزيرة عبر مسقط واليمن ، فهناك الرقيق الذى يأتى عن طريق بغداد كرقيق الكرج أو عن طريق مكة أو القاهرة .

ومن الطبيعى أنه لا يمتلك الرقيق الا الوجها والأغنيا من البدو فان كل شيخ قبيلة قوى يحصل سنويا على عدد من الرقيق الذكور والأنثى يصل الى خمسة أو ستة أشخاص .

واذا كان بعض البادية يعاشرون رقيقهم من النساء كما أباحته الشريعة الاسلامية مؤدين اما يترتب على ذلك من حقوق وامتيازات فان بعض البادية يمتنع عن معاشره رقيقاته فيذكر بركهارت : أن :
الهنزيين يمتنعون عن معاشره رقيقاتهم اكنه لا يذكر السبب ، ولعل السبب جهلا منهم بأحكام الرق فى الاسلام كجزء من جهلهم بالاسلام قبل الدعوة معتقدين بأن ذلك لا يجوز ، وربما أن السبب هو ترفعهم عن الأرقاء حفظا لأنسابهم ، اكن هؤلاء الهنزيون يعاملون رقيقهم بمنتهى الساحة والكرم فاذا ظهر اثم اخلاص الرقيق للقبيلة ابضع سنوات فانهم يمنحونه الحرية بلا مقابل بل ويزوجونه من رقيقهم الأنثى ، أو من نسل الرقيق الذى نشأ فى القبيلة (١) .

ومن فرط تكريم رجال البادية ارقيقهم الذين يودون تحريرهم أنهم يشهدون على ذلك وربما كتبوا وثيقة بذلك ومن علامات التحرر اديهم السماح لهم بحاق رؤوسهم . . كل هذا حتى لا يسترق مرة أخرى لأنه أصبح فى هذه الحلة حرا بحيث أنه يسكن فى خيمة اوحده ، وقد زادت الخيام التى تتبع ابن سمير (٢) عن خمسين خيمة كلها

Burckhard. Nots 1/181.

(١)

(٢) ابن سمير هو والطيار وابن طم رؤساء أفخاذ من بني وهب من غزوة التى تنتشر

لأشخاص كانوا رقيقا فحررهم ، ويبدو أن من أهداف تحرير الرقيق لدى البادية هو اضعاف نوع من الأبهة على شيخ القبيلة اذا زادت الاخيام التي تحت سلطته، واذا كان شيخ القبيلة يستفيد من هذا التحرير فلم يكن كرامته ، كذلك - يتقاضى منهم طالا مقابل هذا التحرير الا أنه يطلب منهم أن يزوجوا بناتهم الرقيقه المشترين أو المحررين حديثا ، كما أنه أيضا اذا حصل أن غزوا وغنموا يعطوه أحد الجمال القوية ، ويظهر أنه يطلب ذلك لا على أساس العتق بل من باب أن له الأمر وانتهى على القبيلة ان كان شيخا أو على الأسرة اذا كان فردا عاديا .

ومن الثابت اجتماعا أن الرقيق رغم تحررهم فانهم يظلون محتفظين ببعض مظاهر الرق فلا يتزوجون من امرأة عربية ، بل من بعضهم ، أو من أرباب الحرف الذين يستقربهم الحال قرب القبيلة ، ورغم هذا فانهم سواء تحرروا أو ام يتحرروا فانهم يلقون من أبناء البادية طيب المعاملة وحسن الجوار (١) .

أما الخدم وهم غالبا من العرب الفقراء ويسمون "الصبيان" ويقومون بأدوار شبيهة بأدوار الرقيق الا أنهم يعطون بالأجر الشهري الذي قد يحسب اهم بعد سنة أو عشرة أشهر ويقومون برعى الأغنام والابل وتقديم القهوة المضيوف ، أما أجورهم ، فقد تتكون من حمار أو جمل صغير سواء بعد تمرينه "صفه" على المشى بالراكب أو قبل ذلك اضافة الى زوج من الأحذية "نربول" وقميص "ثوب" وكوفية "طاقية" وشماع ، وصباة وجلد شاة اما على شكل فروة يستعملها في الشتاء أو على شكل سفرة يستعملها في بيته أو على شكل قربة للماء أو سقا للجن (٢) .

= بين بادية الشام وشمال نجد . عبد الجبار الراوى : البادية ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، عركحاة : معجم قبائل العرب ١٢٥٤/٣ .

(١) Burckhardt. Nots 1/182.

(٢) Burckhardt. Nots 1/183 , 182.

وطى أى حال فقد كان الرقيق والخدم يلقون من الهادية عموماً هادية نجد على وجه الخصوص كل مساعدة واحترام وتكريم ، ويكفى أنه اذا تحرر الرقيق أو انتهت مدة الخادم زوده سيده ، خاصة اذا كان رئيس القبيلة بما يحتاجه من خيام وابل وأغنام تاركاً له الحرية فى البقاء معهم أو مفادرة القطيين الى حيث يشاء ، أو الرحيل معهم الى مواطن كلاً ، أحسن أو البقاء فى القطيين الأول ، والارقاء والخدم غالباً ما يرغبون البقاء فى كف سيدهم ، واذا اضطروا الى الافتراق فانهم يظاون يذكرون كل ما لاقوه من رعاية وتكريم .

ولعل فى قصة مسعود - ملوك ابن هذال - أحد رؤساء فخذ الحبلان من عنزة - ما يؤكد توفر شعور المحبة والوفاء بين أبناء الهادية وأرقائهم ، هذا الشعور الجنى على توفر عناصر الشجاعة والاخلاص لدى الرقيق ، وتوفر المحبة والتقدير لدى الهدوى ذلك أنه كان لابن هذال ملوك اسمه مسعود أحبه لشجاعتهم واخلاصهم ، وقد طمعه كما يعامل أبناءه حتى أنه زوجه وهو فى حال الرق تكريماً ووفاء له ، ويبدو أنه كان تمهيداً لتحريره متى طلب ذلك وما خلف أولاداً خافت زوجته من بيع أولادها لأنهم لا يزالون فى حال الرق فطلبت من زوجها أن يطلب الصئق فتوانا على حسب سيده له ، وما كان من ابن هذال الذى أحب مسعود حسب الرقيق المخلص والصديق الوفى الا أن وافق على عتقه ، اضافة الى أنه أعطاه قطعة من الابل ، وقطعة من الفخم ، وربما بعض النقود والأطعمة ، ويظهر أن ابن هذال قد أدرك سر هذا الطالب ولا يريد اخباره به حتى لا يؤثر على نفسه فخير به بين أن يرحل معه فى احدى فترات الربيع الى منطقة أكثر كلاً أو يبقى فى مراتعهم الأولى فأثر البقاء نزولاً عند رغبة زوجته التى رغم هذا الجود والمعروف من ابن هذال فانها أنكرته ، ورحل ابن هذال وحاشيته وبقى مسعود وطائفة حرافة فى حياته الجديدة ، الا أنه وهو يمر كثيراً بالنازل التى ينزل فيها مع ابن هذال اما لقنى أو غزو

في المربع الأولى - أخذ يحن كثيرا الى سيده وصديقه ابن هذال
كلما مر بهذه المنازل وتذكره ، وفي ذات مر مر به ركب متجها نحو
مربع ابن هذال الثانية التي رحل اليها فبكى وقال هذه الأبيات
وأرسلها مع أحدهم الى ابن هذال ، وكان ما قال :

ياركب يا مترحلين طى كسوم : يا انا بكم ميرات انضا همامى
ايلا افيتوا ديرة أصحاب من قوم : فاحكواترى حمض الرجال العلامى
أبكى هلى ياناس منيب طيهموم : وأظن من يبكى هله ما يلامى
أبكى فريق غربوا هلت التوموم : تعطووا المعبار والشط حامى
أقفوا كما طير قلب راسه الحوموم : غريبة ما يندرى وين هامى
قللى عليهم صايبه ونة البوموم : ونات وجعان طواه الهيامى
وادي الرمة يذكره العشب ديهوموم : ترعى به القطعان والرزق حامى
هذى مرابط خيالهم دايهم الدوموم : حقب العيون مشورات القتامى
وذنا مشب النار والحفر مثلوموم : مركى الدلال الشهبات الشوامى
من طاروع الثنتين يصبر طى اللوموم : يصبر طى فرقى هله والعمامى (١)

(١) طى كوم : بضم الكاف : القطعة من الابل جمع كوما ، بفتح الكاف (فصيحة)
الناقة العظيمة السنام ، الميرات بكسر العين (فصيحة) تطلق طى
القافلة ، أو الابل تحمل الميرة ولا واحد لها من لفظها ، كما تطلق طى
كل ما أستير عليه ايلا كانت أو حميرا أو بغالا وهى هنا الابل ، والنضاب :
السباق ، همامى : لعابها من الهموم : بفتح الهاء الناقة الحسننة
المشى (فصيحة) ايلا ، الا : طامة من اذا الدالة على الزمان الماضى ،
لفيتوا ، من اللقاء بمعنى الوجود والوصول ، احكوا : انقلوا كلامى
(فصيحة) ، ترى : من ألفاظ التأكيد النجدية بمعنى اطموا يقينا ،
حمض الرجال العلامى : الحمض ما تأكله الدواب من شجر الحمض المتنوع
ايما حدها طى الهضم ، والعلامى : من الاطلام وهو الاخبار ، وقد شبه
تغير فؤاده من فراق سيده بالدواب الحاجة الى الحمض ، أو يكون قصد
قصد الحقيقة من قولهم : رجل حامض الفؤاد : متغيره أو فاسده ، منيب
مايوموم : طامة مخففة من ما أنا بطوموم ، هلى : أهلى : هله : أهله طى ماردة

ويروى أنه لما وصات القصيدة الى ابن هذال تأثر بقوة معانيها
قائلا : لولا أنه قال : اقفوا كما طير قلب راسه الحوم لدفعت اليه

النجديين باسقاط همزتها تخفيفا ، فريق : طائفة من الناس (فصيحة)
غربوا : اتجهوا غربا ، هلة التوم : طامة من هلال التوأم ، والتوم وهي
افظة نجدية تعني التوأم ، وهي عند البدو في مثل هذا الشطر تعني كل
شهرين ابن اسم واحد كالجماديان (الجبد) والريبعان (الربعان)
وأحيانا شوال وذى القعدة على أساس أنهما في الفطر من رمضان
(الأقطار) والمعنى هنا أنهم سافروا أول الربيعان أو أول الجماديان ،
تعطوا المعبار والشط حامي : تعطوا أخذوا ، أو قطعوا ، المعبار :
معبى الوادى وقت جريان المطر فيه ، والشط حامي : أى وشط الوادى
يمشى بقوة ، والمعنى أنهم لم يردهم شئ من سفرهم ، أقفوا ، ولوا
ونهبوا ، كما : أى مثل ، طير قلب راسه الحوم : طير أكثر الطيران
فى الجو والحوم فى الفضاء ما أهرطى تفكيره فأصبح يتقلب لا يدرى أين يتجه ،
غريبة : جهة الغرب ، ما يندرى : ما يعلم ، وين : أين : هاس : من
التهم بمعنى الطلب أى لا يعلم أن طلبها ، وجهتها التى تريد ، صابية :
طامة من مصيبة ، ونة : مخففة من أنه بمعنى التأوه ، وجعان : —
الوجع ، طواه ، الهيام : أى أخذت منى شدة الحب مع الفراق كـ
مأخذ ، ديهوم : من الدهم بمعنى كثرة الأغضر أو يقال حديقة دهماء
ومدهامة : أى خضراء تضرب الى السواد نعمة ورها ومنه قواه تعالسى :
" مدهمتان " سورة الرحمن آية ٦٤ ، القطمان : جمع قطع ، حاسى :
أما أن يكون من الحسى على طادة القبائل فى أنها تحس لنفسها مرمى
خاصا بها ، أو من الكثرة بمعنى أن الرزق فيه كثير ، داهم الدوم : داهما
والمعنى كثيرا ، حقب الميرون : من علامات الحسن فى الخيل باحاطة
البهاغرى منها ، مشورات القتامى : مشيرات الفبار فى الحرب ، مشب
النار : مكان ابتقادها ، والحفر مثاوم : أى حفرة النار التى لها فرجسة
لادخال الحطب منها ، مركى الدلال : مكان ارتكائها على النار أو حواها
الشعبات : أى التى تصب القهوة كما يصب الضمب (أفصح من الميزاب
والحرزام) أو تصب القهوة ثمايب أى صافية ، الشوامى نسبة الى الشام
المشهوره بجودة دلالها ، كنفداد ، من طاوع : وافق (فصيحة) ،
الثنيين : نفسه وزوجته ، فرقى هاء والحامى : فراق أهاء وأصام —
(أسياه) . اما تقدم من تحليل الأبيات : (الفيروزابادى ١/٤٠ : ٤١ ،
٣٢٨/٩٨ ، ٦٠/٣٠ ، ٢٧٥ ، ١١٥/٤٠ ، ١٧٣ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٣١٩ ،
٣٨٦ ، ٣٩٦ ، المبودى : الأمثال ٥/١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، مثل رقم ٢٩٨٣ ، وعن
الأبيات : الشيرى : الفنون الشعبية ٦١) .

أموالي كلها وأرسل له بعد ذلك أموالا طائلة تقديرا لوفائه السابق
وصدق تعبيره عنه في هذه القصيدة (١) .
ولا شك أن ابن هذال - بما عرف عن صتيقه اخلاصه وأمانته
وفائه - قد أتى بما رغب به الاسلام من اسقاط بعض نجوم المكاتبة
ويبدو أنه لم يكتب أصلا بل أعتقه اعتاقا خالصا وزاد بتطبيقه أقواله
تعالى : " وآتوهم من مال الله الذي آتاكم " أن قدم له قسما من أمواله
ومواشيه مساعدة له في بناء حياته الجديدة مما جعل سمود يعيش
حياة اجتماعية أرقى بكثير من حياته في حال رقه هذا على أنه كان يعيش
في رقه مكرما معززا .

وابن هذال ويبدو أنه قد الحق أو سمح لسمود أن ياحق نسبه به
قد طبق قواعد الاسلام في الولاء استنادا لحديث " الولاء لمن ائق " و
" الولاء أحمة كاحمة النسب " و " مولى القوم منهم " (٢) وهو بهذا
الاجراء قد رفع من مكانة سمود وأسرته بارتقائه - ولو بالولاء - انسب
قبيلة تعد من أكبر القبائل العربية وأصرحها نسبا في نجد ، وهو
بهذين الاجرائين - المكاتبة والولاء - بالاحسان فيهما قد قرر الحقيقة
الاجتماعية التاريخية التي تثبت بأن الاسلام جاء موافقا - بل مؤيدا -
للعديد من الاخلاق الكريمة والثل العليا والصفات الحماة الطيبة التي
تمثل بها العرب وأصبحت عندهم في مكان عزيز لا يقبلون معه لها التفسير
وفي المقابل من ذلك فإن قسما من بادية نجد قد تشاوا بحدادى الاسلام
المتعلقة بمكارم الاخلاق الى جانب بحدهم - النسي - من الايمان
بمعتقدات هذا الدين والقيام بشعائره .

وتنطاق نظرة بعض البدو للرقيق والأرقاء من نظرة الاسلام ووضع

(١) عن القصة والأبيات : الثميرى : المرجع السابق ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) عن أحكام الولاء : البهوتى : مرجع سابق ٦٤٠ / ٢ - ٦٤٧ .

كثير من الأرقاء فيه . هذا الوضع الذي رفع هلال وصهيب وعمار وسلمان
الفارسي ووضع أبولهب وأبو جهل وأبو طالب بما آمن به الأولون ،
وبما حاربهم وكفّر به الآخرون ، ويمثل هذه النظرة أهيأت الخلاوي التي
يقول فيها :

هلال عتيق وخصه الله بالتقى : وسلمان بالاسلام والدين ساد به
وأبو طالب عم النبي ما حظى بها : وأبولهب تبت أياديها خايبه
فلا في الهوى جود على جود صاحب : أبو طالب قد فاز بالنار حاجبه (١) .

واستنادا الى ما سبق فان جميع من كانوا أرقاء في السابق
للقبائل النجدية قد ألحقوا نسبهم بها ما ترتب عليه تكثير هذه القبائل
ورفع الوضع الاجتماعي لهؤلاء الأرقاء بعد تحررهم حيث عدوا من
ضمن التركيب الاجتماعي لهذه القبائل لهم ما لافرادها وأفخاذها
وطيهم ما طيهم ، ويدين كثير من أبناء هؤلاء الموالي للوضع الجيد
الأشمل الذي حصل عليه آباؤهم أو حصاوا عليه فيما بعد بالتحرر
ما يعطى الباحث انطبعا بأن فئة الرقيق أو الموالي فيما بعد قد
لقيت من بادية نجد - في الغالب - كل عطف ورعاية وتكرم لم تلقه فئة
الرقيق أو الموالي في كثير من المناطق المجاورة أو غير المجاورة
وهذا أثر على تشيع هؤلاء الأرقاء أو الموالي فيما بعد بكثير من طادات
البدو الأصيلة وأخلاقهم الكريمة (٢) .

(١) عبد الله بن خميس : الخلاوي ٢٥٤ .

(٢) " " " : من أحديث السمر ٢٥٢ / ١ - ٢٥٥

٤ - أمثلة من العادات والتقاليد البدوية :

١ - الكرم :

لقد كان الكرم وما زال أبرز صفات ابن البادية حتى الفقير منهم ، ومن الطبيعي أن الضيف يجلس عند بعض القبائل شهرًا ولا تسأله من أين أتى وما هو هدفه ، وهذا غالبًا ما يحصل إذا اختلف أحدهم مع قبياته ، ومن هنا ينشأ الحلف مع القبيلة الجديدة سواء كان على مستوى الفرد أو الجماعة .

ومن عادة أبناء البادية إذا أصابهم محل ولم يكن عندهم — ما يقرون به الضيف فانهم — وخاصة رئيس القبيلة — يختفون — الضيف خشية مواجهته وهم لا يجدون ما يكرمونه به (١) .

ويعتبر البدو اشعار النار في البادية دلالة واضحة على الكرم حيث كان لها الأثر الكبير على مرتاد الصحراء قديما حيث يكون هناك التيه والجوع والخوف مما يجعل اشعار النار يحد ذاته بشير اطمئنان وشبع ودفع في الشتاء والصيف ، ومن هنا جاء المثل " شَبَاب نار " لرجل الكريم الذي لا تخبوا ناره لاهداد طعام الأضياف ، وقد أصبح أضرام النار في البادية في الليل عادة متأصلة يعمل بها الفنى والفقير حتى يهتدى بها السائرون في الصحراء (٢) .

ويكرم أبناء البادية دابة الضيف كإكرامه فيعافونها من أطيب ما لديهم من الحشيش ، ويضعونها في مكان أمين ، وإذا كان الضيف مثاء مثل المضيف عرضة انهب الحنش (٣) فان المضيف — خاصة إذا كان غنيًا يعوض الضيف عن أية خسارة قد تاحق به خلال وجوده في ضيافته وتلك في الحقيقة أرقى درجات الكرم .

-
- (١) ابراهيم بن سليمان الطامي : نزعة النفس الأدبية في القصص والحكايات الغريبة . مطبعة كرم بد مشق ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ص ٣٩ ٤٠٥ .
(٢) ومثله المثل ما تطفأ ضوه : أي ما تخمد ناره عن المثلين . الحمودي : الأمثال ٢ / ١١٩ / ٣٠٦٦٥ مثل رقم ١٠٤٨ (١٩٣٠) .
(٣) سيمر تعريف الحنشولى والحنشل فى الفوز عند البادية .

واذا لم يكن المضيف صديق أو معارف في القطين الذي نزل عليه فإنه يترجل عند أول خيمة تظهر له سواء كان صاحبها فـسي المبيت أم لا ، ذلك أن المرأة - كما مر - سواء كانت زوجة أو ابنة أو اختا تقوم مقام صاحب المبيت في الترحيب بالمضيف ، وإذا كان المضيف لديه حاجة تتطلب بقاءه في القبية مدة طويلة فإنه بعد مضي ثلاثة أو أربعة أيام يذهب إلى خيمة أخرى في القطين ثم إلى أخرى حتى تقضى حاجته أو يصل إلى المكان الذي يقصده ، هذا رغم الاحاح صاحب الخيمة الأولى بالبقاء عنده (١) .

ويقول بركهارت : " ان العرب في قبيلة نجدية يرحبون بالمضيف بأن يصبوا فوق رأسه كها من الزبد السائح " (٢) . ولا أعرف أصلاً لهذه العادة فيما اطلعت عليه من مصادر مكتوبة أو مروية تؤيد وجود هذه العادة في بادية نجد . وطى كل لعل هذا السكب للزبد بعد أن يخلع المضيف كوفيته لتدهن رأسه حيث أن شعر رأس ابن البادية يتميز بالكثافة . . والا لا تسخت ثيابه وانقلب الاكرام إلى اهانة .

٢ - المسكن :

ليس في البادية مساكن ثابتة بل هناك بيوت شعر ترحل مع ابن البادية أينما رحل إلى حيث الكلاً والعشب وموارد المياه . وبعد البدوى مسكنه بنفسه - كما مر - ان يستعد لذلك بجميع شعر الماعز وصوف الغنم ووبر الابل ، لتقوم المرأة بغزلها ونسجها على شكل قطع تخطيط ما بينها حتى تشكل بيتاً كاملاً .

Burckhardt. Nots 1/179. 178.

(١)

Burckhardt. Nots 1/78.

(٢)

وتنقسم بيوت الشعر الى أقسام بحسب أحجامها ، فالذى يرفع
بعمودين فقط ويسمى " مقرون " لأن العمودين متقابلان ، والذى
يرفع على ثلاثة أعمدة يسمى مثولث . . وهكذا المربع والمخومس
والمسودس .

ويدور حول البيت ساحة من الشعر أيضا تسمى " رواق " أشبه
ما تكون بالفناء ابهوت الحضر ، أما فى المثولث فما فوق فيكون الرواق
من الخاف فقط ، ويثبت الرواق والبيت بأوتار تربط بها خيول الضيوف
عند الحاجة .

وإذا كان الحضر يتوسعون فى بيوتهم كل حسب قدرته وحاجته ،
ففقر البدو يسكن مقرون ، وربما أقل كذات العمود الواحد . وترتفع
المستويات الاجتماعية فى السكن لتصل الشيخ الفخذ أو القبيلة الذى
يسكن فى السومع الذى يقسم الى أقسام يفصل بينها حاجز من الشعر
ويكون قسم منها للضيوف وقسم للطعام ، وقسم للنوم ، وقد يدخل
البدو صفار الأغنام فى البيت خشية البرد .

وفى بعض الأحيان فان البدوى يشتري بيت الشعر جاهزا من
القرى لأن بعض البدو يعرض ما يزيد عن حاجته ، من الشعر فى
السوق على شكل بيوت أو على شكل ساحات (١) .

ولعل القسم الأكبر فى البيت بعد قسم الرجال والمضيف هو
القسم الخاص بالنساء أو الحريم (المحرم) وتستقبل فيه المرأة
ضيقاتها من النساء كما يمكن خزن جميع الأمتعة الخاصة بالأسرة من
سجاجيد وسط ومفارش الى جانب ما يهيم الأسرة من حبوب ودقيق ومن
وما الى ذلك من الأغذية . (٢)

(١) عبد الجبار الراوى : البادية ص ٢٧٥ ، ٢٧٧ .

(٢) مجلة الدارة : العدد الثالث والرابع - السنة الثانية ، شوال ١٣٨٦ هـ /

أكتوبر ١٩٧٦ م ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .

كما يوضع الى جانب أحد جدران البيت مجموعة أحجار توضع عليها
قرب الماء ، وأسقية اللابن ، وهكك السمن أو قد تعاق في أحد
أعمدة البيت التي يعلق فيها أيضا أدوات الانارة من سرج وفوانيس (١).
وعموما فقد كيف الهدوى سكنه مع جو الصحراء الحار صيفا
البارد شتاء فجعل بيت الشعر ينفذ على جو الأسرة دفئا في الشتاء
وبرودة نسبية في فصل الصيف .

٣ - اللطيس :

يحرص الهدوى على ارتداء الملابس الفضفاضة المريحة ، والخفيفة
صيفا والثقيلة شتاء ، وان كان قد يلبس الثقيلة أيضا في الصيف ، ويتكون
من قميص طويل عريض ، ويجلب الهدو خام هذه الملابس من القسرى
النجدية التي تستورده من بلدان الخليج كالبحرين والأحساء والكويت
أو من العراق ، وهما ذهب الهدو على شكل قوافل للاستيرار من هذه
البلدان بأنفسهم ، ويشكل الشام وتركيا والحجاز واليمن ومكان مصادر
أخرى اجاب القماش الى نجد حاضرة وبادية (٢) .

ومنذ أواسط القرن الثاني عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى
احتكرت شركة الهند الشرقية تجارة القماش تقريبا في منطقة الخليج الى
الهند حيث أقامت لها مراكز في بعض مدن هذه المنطقة وخاصة
البحرين والبصرة اللتين كان عن طريقهما يشتري تجار الخليج حاجنة
المنطقة من البضائع الانجليزية والهندية وخاصة الأقمشة والتي شكلت
صادراتها الى المنطقة فيما بين عامى ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م - ١١٨٤هـ /
١٧٧٠م الثالث من مجمل صادراتها منها ويعتبر قماش
هو أبرزها رواجاً في المنطقة ، وإعلاء المعروف لدى طائفة نجد بالاسلام
ELLS

(١) جاكسين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٢٠ .

(٢) الريكى : امع الشهاب ١٧٤ - ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، الراوى : البادية

وهو نوع من الحرير الصناعي ، اضافة الى البز الهندي وأنواع أخرى من الأقمشة البريطانية والهندية والفارسية ، ومن المؤكد أن نجدا حاضرة وبادية قد عرفت بها في تلك الفترة (١) .

وكان يتم حياكة هذه الأقمشة على شكل قمصان اما في القرى النجدية أو تقوم ابنة البادية بحياكتها بنفسها فتجعل أزرارها من القماش نفسه ، وتوسع أكمامها سعة ثلاثم الشوب الفخفاض ، وتسمى بالردون ، وكان طول الردون من علامات الرجولة ضد هم فهذه احداهن تتفزل بحبيبها قائلة :

يا ليت من جود ردونك : من قبل قصاف الآجالي

اضافة الى أن البدوي قد يستعملها في بعض الأحيان المحفوظ فيها ما يحتاجه من بن وسهارة وربما طباق فهي تقوم مقام الجيوب ، هذا علاوة على امكانية تنطقه بها اذا أراد أن يقوم بأى عمل يتطلب جهدا قويا وحركة سريعة (٢) .

ولا يختلف بدون نجد عن حضرها في تلك الفترة اختلافا ظاهرا في اللباس إذ يتفقون معهم في لبس القمصان الفخفاضة من دون الأقبية التي قد يلبسها الأغنياء والوجهاء من الفريقين ، كما يتفقون معهم في لون اللباس إذ يلبسون معا البياض والأديمي ، والأسود ، والسعودي (أى القرنفل) والسماثي (٣) وتخضع هذه الألوان لحالة الطقس

-
- (١) الريكي : ١٧٤ ، ١٨٠ ، هذا الأمير الأمين : المصالح البريطانية في الخليج العربي ص ٥٥ ، ٩٠ ، ١٨٦ - ١٩٨ .
(٢) الريكي : ١٨٥ ، ابن رداص : ٥٥ ، ١٥٧ ، جود رونك : تملك باكمك ، من قبل قصاف الآجالي - أى من قبل الموت .
(٣) الريكي : ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ولعل الأقبية هي المعروفة نجديا بالصاية .

والوضع الاجتماعي لدى الفريقين ، ولكنها كلها لا تخرج عن العادات النجدية في اللباس في عدم جر الثوب باطالته تحت الكمين ، أما الجيوب فكما أن قسما منهم كان يكتفى بالردون ضبا فانه يهدو أن بعضهم طلاوة على هذا يضع جيوبا القصيص ولكن ليس على الشكل الحالي بل توضع على أحد جانبي صدر القصيص من داخله ويختلف البدو عن الحضر - في الغالب - في عدم العناية باللباس الخارجي - القصيص ، ولعل مرد ذلك الى ظروف الحياة القاسية التي لا تتيح له العناية بهذا اللباس من ناحية خياطته على الشكل الدقيق الذي يخطه به الحضر (١) .

ويتمنطق البدوي بحبل حول بطنه يرفع ثوبه عن الأرض لمساعدته على سرعة الحركة وربما استعماء عقالا ابعيره ، ولباس تحت الثوب سر والانتفنن نساء البدو في زركشة أكمامه على عكس الثياب الخارجية ، ويهدو أنه يكتفى بذلك فلا يلبس شيئا تحت ثوبه حول الصدر والبطن كما يفعل الحضري في تلك الفترة وحدها ، الا أنه يتفق مع الحضري في لبس الكفية (٢) أو الشال المهدب في الصيف والشتاء ، وبعض البدو كالحضر يلبسون على الكفية عمامة حمراء - احماها الشماقي - وهي مخططة بلون أحمر ما يهدو معه أن الشماغ المعروف الآن قديم في الاستعمال في نجد ، وقد يلبس تحت الشماغ كفة (أو طاقية) (٣) أو يكتفى بالشماغ

-
- (١) المبودي : الأمثال ٤٨٣/٢ مثل ٥٧٥٢ .
 (٢) الكفية قيل انها من الكف بمعنى الجمع أي المكفوف بعضها الى بعضها وهناك من يقول انها تحريف عن الكوفية نسبة الى الكوفة وهناك من يؤكد أصلها العربي ، ومن يذكر أنها ليست عربية ، في جدال طويل عربي ليس هنا مجال تفصيله ، وهي عموما اسم جامع لكل ما يوضع على الرأس هذا العمامة فهي تشمل الشال والفترة والشماغ والغطية والعمدديل الرأسسي والحلاية والقزبة والمحرة والدسمال ، وللتفصيل في هذا انظر : (أحمد رضا العاملي : قاموس رد العامي الى الفصح ٥٠٤ ، ٥٠٥) .
 (٣) الطاقية اسم لكل ما يوضع تحت الكفية ويدخل بعضهم القلنسوة في معناها ، والطاقية ليست فصيحة وفصيحتها الكفة لانها تغطي الرأس كما تغطي الاكمام اليدين ، (المرجع السابق ٣٦١ ، ٣٦٢) .

لوحده ، والمقال (١) ولو كان قطعة حبل ضرورى لابن البادية
يمنع ما على رأسه من لباس من السقوط وخاصة ضد العواصف (٢) .
أما النعال فينتعل البدوى نعالا خفيفة يشترىها من المراكز
التجارية فى القرى النجدية وان كان غالبا ما يترك النعل سواء كان
ذاك فى فصل الصيف أو الشتاء ، وهذه النعال من الحنومات
المحامية التى تتم عن طريق خرازتها بيد أبناء القرى ، وهى فى
تلك الفترة تتسم بالبساطة المتناهية ان لاتعدو أن تكون سورا من
القد تلف القدمين وتدخل منها الأصابع (٣) .

ويلبس البدوى شتاء وصيفا عباءة وهو فى هذا يتفق - الذى
حد ما - مع الحضرى وأفخر العصى القيلانية المشتهر منها اللون
الأسود وسميت القيلانية لأنها تحاك من نوع من الصوف والوبر يسمى
القيلانى ، ويبدو أنها من المنسوجات التى تجلب لشبه الجزيرة
من الهند ثم تحاك فى الأحساء على شكل عباءة محاطة بالحريش
الأصفر أو الخيوط المذهبة وهى ناعمة ولا يلبسها فى الغالب إلا الأمراء
ومشائخ القبائل وأثرياء المجتمع ، أما طائفة الناس فانهم يلبسون فيها
شقرا طادية تصنع من الصوف العادى ، وأحيانا من تلك التى تكون
مخططة بأبيض وأسود وتجلب محاكة من الشام والعراق والأحساء
وقد تحاك قايلا فى نجد (٤)

ويبدو أن من أطيب العصى العباءة الشرقية (٥) ، ولا أعلم
هل هى القيلانية نفسها أو تنافسها فى الجودة . إلا أنه يمكن من
معرفة جهة ورودها وهى شرق الجزيرة أو العراق امكانية اعتبارها
القيلانية نفسها أو أن الثنتين من مكان واحد ، ثم هناك العصى

-
- (١) المقال ، والبريم ، والعرير ، والعصابة ، والخزام ، والسب كلها أسماء
أسمى واحد حسب المناطق العربية . (المرجع السابق ٥٠٦٥٥٠٥)
(٢) الريكى : ١٨٠ ، ١٨٥ ، والراوى : ٢٧٣ .
(٣) الراوى : ٢٧٣ .
(٤) الريكى : ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥ .
(٥) المنقور : الفواكه ١٩٧/١ .

الداودية المنسوبة الى داود ، واحله هو الذى يحيكها على شكل
حذاء ، ويظهر أنها من النوع الجيد والى أشارت الزخمة فى قولها :
من صنع داود عليهم مشالحو : تجيبه رجال من غنابم فهو لها (١).
وفى الشتاء قد يلبس عوضا عن الحذاء الفروة التى تتكون من
الغنم بشعره بعد ديفه ، وتكسيتها من جهة الجاد بقماش ،
والفروة كساء الهدوى فى الحضر ، كما أنها فراشه ولحافه عندما
يسافر أو يخرزو ، ومنهم من يرتديها حتى فى الصيف اتقاء لسموم
الصحراء المظلمة وشمسها الحارقة ، ويقوم أبناء البدو بتشكيلها
وصنعها بأنفسهم وأحيانا يجلبونها محاكة من المراكز التجارية
النجدية أو غيرها (٢) .

أما المرأة الهدوية فتتفق هى الأخرى مع المرأة الحضرية فى ألبستها
وزينتها ، فنساء الأثرياء يلبسن الحرير الهندى والبز الفارسي
والشامى والرومى (التركى) ، أما طامة النساء فيلبسن نوطا من القماش
أسود اللون متوسط القيمة أو قاياما ، وتلبس الهدوية فوق رأسها
خمارا أسود اللون وقد تعصب رأسها بعصابة تسكه من العواصف
وتختلف عن الحضرية بوضع البرقع الذى تخرج منه عينها ، وفوق هذا
كله قد تلبس حذاء تختلف نوعيتها حسب الوضع الاجتماعى فالثريات
يلبسن نوع من العبي القيلانية تقارب فى جودتها القيلانية الرجالية
وهى محاطة بخيوط الذهب ، أما طامة النساء فيلبسن حيا سوداء
تقل قيمتها كثيرا عن القيلانية ويحجب النوفين من بلاد : الأحساء وشرقى
الجزيرة طامة ، وتتميز الهدوية أحيانا بتركها للعباءة ولبس ثوب
فضاض أسود اللون ان كانت متوسطة الحال وملونا وفاخرا ان كانت

(١) تجيبه : تجى به من كسب شجمانها . (ابن رداى ٨٧) .

(٢) الراوى : ٢٧٣ .

من الأثرياء ويسمى هذا درطاً أو دراة ونساء الحضري في الغالب لا يلبسهن (١) .

أما الحلى فإذا كان الحضري يحرص على أن تتحلى نساءه بمختلف أنواع الحلى حسب الوضع الاجتماعي الذي يعيشه فإن البدوي هو الآخر يحرص على ذلك وتتفنن نساء الفريقين في هذا فليهن نساء الأثرياء منهنما أفخر مسبوكات الذهب المصممة بالجواهر النفيسة من المياقوت الأحمر والأخضر وغيرهما ، وأنواع الفصوص الراقية والزهرجسد والأحجار الكريمة سواها أما عامة النساء فليهن أنواط من الحلى أقل قيمة من السابقة (٢) .

وتلبس النساء البدويات أنواط من القلائد الخرز التي يعتقد البدوي تأثيرها الشديد على بعض الأمراض ، وتعقظ على جدائلها نوطاً من الحلى ، كما تسور معصمها بأسوار من الحلى يختلف جودته حسب الوضع الاجتماعي ، وتجمل البدوية أصحابها بخواتم من الذهب أو الفضة أو النحاس ، كما تضع على أنفها أقراطاً وأزمنة ، وتصور رجليها بحجول أو خلاخيل (٣) .

وعموماً فالبدوي في تلك الفترة لا يختلف كثيراً عن الحضري في طرز ألبسته كما لا تختلف البدوية عن الحضرية في ألبستها وحايها ومظاهرها زينتها الأخرى ، ومرد ذلك كله أن الحضري في نجد آنذاك كان - في الغالب - يعيش حياة متداخلة بين البادية والحاضرة ، هذا إضافة إلى أن البدوي كان حريصاً على أن يتأثر بالحضري في بعض مظاهر

(١) الريكي : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ويغسلون ملابسهم بالاشنان وهو من أشجار البادية وأحياناً بالصابون الذي بدأت نجد تعرفه منذ تلك الفترة .

(٢) المصدر السابق : ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ .

(٣) الأزهار النادية : ١٢/١٢ ، ٣٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، وتزين المرأة البدوية بمختلف الأصباغ المعروفة آنذاك . جاكين بيرين : ١٢٦ .

حياته وخاصة المباس انطلاقا من النظرة القاتلة : " المبر ما يجيب
الناس " مع احتفاظه بمظاهر حياته الأخرى التي يرى أنه يـبـز
الحضري فيها .

٤ - المأكـل :

يروى عن الحارث بن كدة (١) طبيب العرب في الجاهلية
قوله : اما سئل عن أفضل الدواء ؟ ، قال : الأزم أى قلة الأكل
ويعتقد البدوى بهذه النظرة وأنها تهمث على دوام الصحة في البدن
فهو على هذا يكتفى بالقليل جدا من الزاد حضرا وسفرا ما يظفر طميه
من صيد الحيوان أو الطير ، ان لم يستغن عن ذلك كل الاستغناء
ولكنه حينما يأتي اليه ضيف صديق أو غريب يظهر من الطعام الشيء
الكثير (٢) .

ويتألف طعام البدوى غالبا من التمر واللبن ، أو حليب الابل
الذى يشربه رأسا من الثدي ، اضافة الى الأقط وهو ما يسمى
بالخضير أو البقل الذى يقدمونه مع السمن ، واقد كان الاكثار من
السمن دلالة على الكرم فكانوا يقدمون الطعام اما رزا (٣) أو حنطة

(١) هو الحارث بن كدة الشقي أحد حكماء العرب من أهل الطائف ، رحل
الى فارس مرتين فأخذ الطب من أهلها وهرع فيه حتى أصبح طبيا
العرب في عصره ، ولد قبل الاسلام ، واختلفوا في اسلامه ، وكان صلى
الله عليه وسلم يأمر من به طعة أن يتطيب عنده ، توفي سنة ٦٢٠ هـ / ٦٧٠ م
له كتاب " محاضرة في الطب " وهو خلاصة الحوار الذى جرى بينه وبين
أنوشروان فى إحدى سفراته الى فارس (انظر كافي ١٥٩/٢ ، الموسوعة
العربية ٦٨٥) .

(٢) الراوى : ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٣) عرف العرب الرز قديما وكانوا الى وقت قريب يسمونه الرنز والرز والأرز ،
بفتح الهمزة وضم الراء وقد أورده ابن القيم فى زاد المعاد واشنى طوى
مادته الغذائية ، كما أشار صاحب المع الى معرفة النجديين بالرز فى تلك
الفترة ولانه محصول خارجى فان ما يبدو أن نجدا لا تعرفه الا فى
فترات الرخاء أما فى فترات قلة الموارد فانه يختفى وتبقى المحاصيل المحلية

مطحونة مخلوطة بالسمن ويضعون له حفرة في وسط الصحن يأخذ
الضيف اللقمة ويغمسها في السمن قالت شاعرة بنى لام التي سبق
ذكرها :

لا وابن عى تنثر السمن يمناه : على صحن كنهن التنايل (١)
أما الحنطة " أوحب القرايا كما يسمونها " (٢) فكانوا
يأكلونها بعد أن يطحنونها في القرى ويعطونها على شكل خبز أو أنواع
أخرى من الطعام. وكان أبناء البادية يمتارون التمر من القرى
حتى أنهم في بعض السنوات أثروا على المعروض في البلدان من
التمر ففي سنة ١١٢٥هـ / ١٧١٣ م خفي التمر حتى وصل إلى مائة
وزنة بأحمر إلا أن القوافل من عنزة اشترت ما في السوق ليصل سعره
إلى ٥٠ وزنة بالأحمر (٣) ومن الطبيعي أن يصل اهتمام أهل نجد
عموما وهاديتهم خصوصا بالتمر لأنه يشكل مادة أساسية للطعام اليومي
أهم ، ولأنه أكثر أنواع الغذاء قيمة من الناحية الحماية وخاصة أمن
كانوا على سفر لأنه لا يتطلب أية أعداد ، ومن هنا زاد اهتمام
البدو به والذي كان على استعداد لأن ينافس الحضري عليه في
السوق (٤) .

= هي الرائدة في المواد الغذائية ، (ابن القيم: زاد المعاد ١٥٧/٣ ،
الفيروز آبادي ١٦٥/٢ ، الريكي : ١٧٤ ، ١٧٦) .

- (١) ابن ردا س : ١٤٥ ، ١٤٦ .
- (٢) كما قالت الشاعرة السابقة في بيت سبق ذكره :
- (٣) زهابهم حب القرايا النظيف : وسلاحهم صنع الفرنجي والأروام .
- (٤) الأخرى : ٩٥ ، ابن بشر : ٢٣١/٢ .
- (٤) D.M.then.Altheenayan . History.W.in.nagd.P 5.

ومن هنا جاء المثل : " لو التمر عند البدو ما باعوه " ، وكذلك المثل :
" التمر ما يودع عند البدو " مصورين محبة البدو الشديدة التمسر .
المعبدى : الأمثال العامة : ١٦٤٦/٣ ، مثل رقم ١٨٤٦ . الجهمان
الأمثال الشعبية : ١٣٩/٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨/٦ ، الأمثال : ١٥٩٨ ،
٥٦٧٧ ، ١٩٨٤

وكما يستعمل البدو الحنطة مطحونة فانهم يستعملونها مجروشة مدهونة بالدهن الكثير وهي ما تسمى " الجريش " المعروفة الى الوقت الحاضر وهم قد استفادوا معرفة هذا الطبق من الحضرة الذين يلتقون وايامهم سواء بسواء في افراطهم في السمن مع هذا الطعام (١) .

وطلاوة على المحاصيل المحلية من الفصح والذرة والتي تأقلى التقدير الكبير من بادية نجد كما مر ، فان شحها أو عدمها في فترة من الفترات يدفع بالبدو الى الامتياز من المناطق المجاورة وخاصة العراق التي قد اشتهر قمحها " عيشها " بين بادية نجد وحاضرتها على حد سواء ، بأنه الرغد الأول للمحاصيل المحلية ، وكان الطعام هذا الطعام مضافا اليه لحوم الابل والأغنام كاملة منتهى الكرم ، ويحرص البدو في هذا المجال على السمينة منها وخاصة الابل السمينة بالشاطر لانها تتميز بكبر الجسم ووفرة الشحم (٢) ومن هنا جاء قوامهم : " الشاطر يذبح فاطر " (٣) ويصور ذلك هذين البيتين الاخلاوي في مدوحه منيع بن سالم :

يا ما ذبح للضيف كوم من النضا : الى شح في ماله خبيث الجاش
يذبح لهم من كل كبش مقرر : وعيش العراق بالصحون فراش (٤)

-
- (١) الريكي : ١٨٢ .
(٢) المصدر السابق : ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٣) الشاطر : قيل انها فصيحة وقيل مولدة ، واشتهرت بين العامة قديما وحديثا على عدة معان وهو هنا الذكي الحاذق اللبق في عاه أو السباق المسرع الى معالي الأمور . (الزبيدي ٩٩/٣ ، أحمد رضا : ٢٩٢) .
(٣) ياما : كثيرا ، الى : اذا ، الجاش : تأتي بمعنى النفس ، وأهله هنا يقول واذا شحت نفسه من ذلك ذبح لهم أكباشا مقررنة أي اها قرون ، وهي مرغوبة في نجد ، وعيش العراق أو العراقي : المجلوب من العراق ، فراش : من فعال بمعنى مفعول أي مفروش . عن البيهتين : (ابن خميس ، الاخلاوي ٣٠٩) .

ويبدو أن اتفاق البدو مع الحضر في أساليب طبخ بعض الأكلات المعروفة وعدم دقة البدو في جودة هذا الطبخ لها نسبة إلى الحضر لأنهم الأصل في معرفتها ، هذا الاتفاق مع هذه الملاحظات جعلت الحضر يتندرون على البدو في أساليب طبخ هذه الأكلات مما يمكن معه ادخال هذا في مجال النظرة السالبة من الحضر نحو البدو (١) .

وكما هي طبيعة البدو العربي عموماً في الحفاظ على كل ما هو أصيل موروث فإن البدو النجدي - وفي يتعلق بالضيافة وتقديم الطعام بشكل خاص - يحرص بشكل ملفت للأعجاب على التقيد بدرجة الحماس بأبرز مظاهر الكرم الموفقة في القدم وهي أسلوب تقديم الطعام المضيفان الذي يتجاوز الكرم الحائض ليصل إلى الأسلوب الأبراهيمي في الكرم وتقديم الطعام ، هذا الأسلوب الذي يعتبر قمة في مجاله ، والذي أشار إليه القرآن الكريم في قول الله سبحانه : " هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقره اليهم قال ألا تأكلون " (٢) ، والقرآن إذ يبرصد هذا الكرم وأساليب الاطعام الأبراهيميين فإنما ليرز آداب الضيافة والاطعام كما كان إبراهيم أبو المضيفان يتشبه بها أو كما يرغب القرآن نفسه أن يتمود الناس طيها .

(١) الجبهيمان : الأمثال : ١٤١/٠

(٢) الذاريات : الآيات : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، وقال ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/٤) ، " فراغ " أي انسل خفية في سرقة ، فجاء بعجل سمين : أي من خيار ماله " فقره اليهم " : أي أدناه ، " قال ألا تأكلون " : تطف في العبارة وحرص حسن ، وهذه الآيات انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرقة ولم يحتمن طيهم أولاً فقال نأتكم بطعام بل جاء به بسرقة وخفاء ، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين ، مشوى - كما في سورة هود آية ٦٩ - فقره اليهم : أي لم يضعه وقسال اقترهوا بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة

وانطلاقاً من هذه العادة الاسلامية القديمة فان البدوى فى نجد يحرض على تفقده بهذا الأسلوب - تقديم الطعام للضيف وعهد تكليفهم عناء الذهاب اليه - بغض النظر عن طعمه أو جملته بمصدره واقتراحه بسنة ابراهيم عليه السلام ، ومن هنا فان البدوى يراعى عدم تكليف ضيوفه عناء مفادرتهم المضيف الى مكان الطعام بل يأتى بالطعام اليهم فى مضيفهم ويضع الصحون المسماة المناسف (جمع منسف) (١) والتي تحوى نوطاً من البر أو الرز وفوقه السمن والشحم واللحم يأتى به من أطيب أفنائه وان لم يجد منها ما تصلح أن تكون ذبيحة جيدة اشترى واواظطه ذلك الى استدانة ثمنها ، ويصور هذه العادة هاذان البيتان لأحمدى البدويات التى توجه أخاها الى عوائد البدوى فى الكرم وأسلوب تقديم الطعام للضيف حيث تقول :

خل الشحم والسمن للربح تكثر : مع منسف واف طيهم تشيله
من ضيننا والا فزين المتجر : عطهم ثمنهم نقد والا بحيلة (٢) .

وطريقة الأكل لدى البدو تخضع للوضع الاجتماعى بينهم فالأمير أو شيخ القبيلة تقدم له سفرة كبيرة من الجلد يوضع عليها طعامه بخلاف عامة البدو الذين يقدم لهم الطعام بدون سفر أو سطر فى جفان ، أو صحاف خشبية يجلسون حولها متعلقين ، ولا يأكلون الا فى اليمين أما اليسرى فلا يمكن استعمالها الا عند الضرورة أو الاستناد عليها ، وهم

الجزم بل : " قال ألا تأكلون " على سبيل المرز والتلطف كما يقول القائل اليوم : ان رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل " انتهى كلامه . قلت : ولو قارنا بين هذه الآداب وغيرها ما حماته هذه الآيات اوجدنا أن ابن الهادية يتصف بها تمام الاتصاف ويحرص على أن لا يحيد عن أى واحدة منها قيد شعرة ، وانظر (الراوى : الهادية ص ٢٢)

(١) المنسف : هو الصحن الكبير مطوً طعاماً وهو طامى بدوى اه أصل فصيح : (أحمد رضا : ٥٥٠)

(٢) خل الشحم والسمن الربح يكثر : أى دعها تكثر والمعنى أكثرها لقومك : أى كن كريماً ، والربح : بفتح الراء ، الجماعة من الناس (فصيحة) واف : أى حاراً طيهم : المعنى تحمأ اليهم وهو لا يزال حاراً ، من ضيننا : الضين : طامية من الضأن ، المتجر : جمع تاجر ، عطهم ثمنهم نقد والا بحيلة : أى

في هذا يصدر من طاعة عربية اسلامية في محبة التين في الأمر كله وخاصة عند الأكل ، وللبدو طريقة في الأكل تتلخص في لطمة مافى اليد على شكل مضغة بعد ضغطها وتليدها ثم ازديادها بعد ذلك ، وإذا تناثر منها شيء على اللحية قرب الفم نفثوه أو أطاوه الى الفم ببساطة متناهية (١) ، ويحرص شيخ القبيلة أو رب الأسرة على المباغة في خدمة ضيفه مثلاً ذلك بتقطيعه اللحم أو مافى الطعام من مادة جيدة كاللحمة مثلاً ويضعها ما يلى ضيفه حتى لا يكلفه عناء البحث عنها داخل الجفنة (٢) ، وكما رصد الرحالة الغربيون هذه الطريقة مهددين اعجابهم بكافة مظاهرها منذ فترة متقدمة (٣) فانهم قد أبدوا سخريتهم وتندرهم من المباغة في خدمة الضيف ومظهرها السابق الذى ربما أثار تقززهم واشمئزازهم ومنعهم من تناول الطعام ولا يستعمل البدوى للأكل الا يديه وأصابعه ولكنه اذا رغب الضيف فى ألا يستعمل يديه أتى له بأى مادة خشبية أو معدنية يأكل

= انقدهم ثمن الضأن أو اشترها موجهة وتحيل عليهم لتأجيل الثمن بأى حيلة والمهم أن تكرم ضيفك بسرعة . (الفيروز آبادى ٢٤/٣ ، الراوى : البادية : ٣٠١ وعن الأبيات : ابن رداى : ٢٧٠ : ٢٧١) (١) الراوى : ٣٠٨ ، اليهودى : الأمثال ١٧٩١/٥ مثلاً : ٢٩٧٤ ، جاكين بيرين : ١٢٧ ، والسفرة ، والسماط فصيحان . (الفيروز آبادى : ٣٦٦/٢ ، ٤٩) .

(٢) بيردى قوصيل : الحياة فى العراق منذ قرن ١٨١٤ - ١٩١٤ م ترجمة أكرم فاضل - المؤسسة العامة للصحافة والطباعة . نشر وزارة الثقافة والاسلام العراقية ، سلسلة الكتب المترجمة (٤) ١٣٨٨هـ / ١٣٦٨م ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) لعل من أوائل من قام بهذا العمل الرحالة الفرنسى السفير لويى دارنيو ، الذى بدأ رحلته من بادية الشام سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م ثم توغل فى جزيرة العرب وبعد انتهاء رحلته ألف مجموعة كتب منها رحلة فى فلسطين نحو الأمير الكبير زعم أمراء البادية العرب المعروفين

بواسطتها (١) ، وإذا نهض أحد الطاهرين حل محله أحدهم
الجالسين من كانت المائدة قد ضاقت بهم أيذهب المنتهى إلى
غسيل أيديهم بالماء والتراب أو بالتراب وحده عندما لا يجدون
صابونا (٢) ، وإذا كانت هذه الطريقة لازالت معروفة لدى البدو
وقسم من الحضرماء يبدو معه أن لفائدة في مرضها فان رصدها من
قبل الرحالة الغربية منذ فترة متقدمة جدا يفضي عليها طابع الأصالة
بشكل دقيق ، ويجعل الباحث والمطلع يعجب بل يفخر أن لم
تروها الأيام الا رسوخا .

والقد كان البدوي الذي يقدم لجماعته وضيوفه طعاما وفيرا محملا
أعجابهم وتقديرهم خاصة في سني المحل والشدة ، وذلك لأن كافة
الملتصقين بهذه القبيلة أو هذا الفخذ سينالهم شبع وري من أي تكريم
لأي ضيف أو وجيه ان بعدما يطعم كل الضيوف من كان الطعم
لأجابه يأتي بعدهم رجال القبيلة وشبابها ثم بعدهم الرعاة والخدم
والرقيق لموزع الباقي على كلاب القرية بعدما ترسل الجفان إلى بيت
الضيف اما لتأكل منها النساء أو أيوزنه بمصرفتهن ، وكل هذا كان
مجال مدح ورثاء لمن يقوم به فهذه إحدى البدويات ترثي زوجها بقولها :
له حكمة بها الجماعه مكاريح : تاخذ بعدهم ساحة للتوالى (٣) .

= بالبدو " و " أخلاق حرب الهادية وطاداتهم " ، ولا يستبعد الباحث أن
تكون رحلة دارفيو تدخل ضمن المخطط القديم الذي كان يرمي اليهود
من وراء الاستيلاء على فلسطين خاصة وأن الرجل فيما يبدو لا غير أنها ،
(جاككين بيرين ١١٧ - ١٢٢) .

(١) بيردي قوصيل : المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) يبدو أن الصابون قد عرف قديما في نجد وان كان ذلك على نطاق ضيق .
(بيرين ١٢٢) .

(٣) حكمة : أي جفنة كبيرة مصنوعة من الخشب تقوم مقام الصحن الكبير وتشبه
الموقعة الكبيرة عند الحضر ، بها الجماعه مكاريح : أي أن جماعتك
يحيطون بها يأكلون منها بكثرة ونهم وقد استعارت الشاعرة الكرع الذي
هو الشرب بنهم عن طريق الفم ، للأكل كناية عن الجوع ، تاخذهم ساحة

واستنادا لكل ما سبق وإلى وقت قريب بل إلى العصر الحاضر
والصعوبة الحياة في الصحراء وشح الموارد فيها فإن الكرم والاكثار
من الطعام وزطاة القبيلة أمور تتداخل فيما بينها بين البدو ، ومن
يكثّر تقديم هذا الطعام لابناء قبيلته وضيوفه وضيوفها فإنه هو الذى
يتسنى إمارة القبيلة إضافة إلى المؤهلات الأخرى كالشجاعة ولا يمكن
بأى حال من الأحوال انتخاب أى شخص لشيخة القبيلة ما لم تتوفر
فيه عناصر الشجاعة والجود ، وانحداره من أصل معروف بهمساً ،
إلا أنه تبقى صفة الكرم واطعام الضيوف والقبيلة بين فترة وأخرى هي
التي تؤهل الرجل للزطاة أو الوجاهة في الهادية ، وإلى وقت قريب ،
ولقب " مصوت بالمشا " يعتبر من ضمن عناصر الوجاهة والزطاة في
القبيلة يحرص على التخلق به زعماء القبيلة ووجهائها ، وتتأخص صفته
كما كان يفعل أحد زعماء القبائل النجدية في أن يأمر هذا الزعيم أحد
رجالها فيعلو مرتفعاً حوله ليرفع صوته ضاداً بأهل القبيلة ومجاورهم
والمارين بالصحراء : من كان يريد شاة فليقتل ، وأصبح بعد
ذلك هذا اللقب مثلاً يطلق على كل كريم في الصحراء (١) .

= بالتوالي : أى تبقى بعدهم مدة في انتظار من يأتي للأكل منها .
(ابن رداس ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، الراوى : ٣٠١ ، بيرين : ١٢٧) .
(١) محمد الأحمد السديري : أبطال من الصحراء : ٢٤٧ ، بيرين : ٢٢٢ .
٢٢٣ ، الدارة : ٣ / ٣ ، ص ٢٥ .

٥ - الشرب :

يعانى البدوى من شح المياه فى الصحراء وهذا فهو يستغل مواطن الأمطار فى الوديان وغيرها " كالغدران " ليحلب منها ماء الشرب (١) ، كما أنه يحرص أن يضرب أطنابه قرب مورد ماء ، ويتكلف البدوى فى نقل مياه الشرب حيث ينقلها اما على الجمال أو الحمير بواسطة القرب . الأمر الذى جعله يحرص أشد الحرص على المياه (٢) ، ويحاول أن يعوض عنها بما لديه من مشروبات أخرى .

ويبقى الحليب أهم مشروبات البدوى بعد الماء ، ولهذا فإنه وهو فى المرض أو عند البيت يحلب ما لديه من ابل أو غنم ويقدمه لضيوفه وأهله كما يشرب منه رأسا من الثدي . ويفضل البدو شرب حليب الابل خاصة بعد حلبه مباشرة من الثدي ، وإذا كان فى المرض ولم يكن معه انا للحاب فإنه يرضع الثدي رضعا إذا كانت الناقصة هادئة الطباع .

أما حليب الأغنام فإنه أحيانا يسخنه على النار ليشربه حليبا ، أو يتركه حتى يروب لتقوم المرأة بخضه فى الأسقية " جمع سقاء " اتعده لينا خالصا سائغا الشاربين يقدمه البدوى لأهله وضيوفه مع التمر ، وتخرج المرأة منه الزبد اتفأيه على النار لخراج السمن الجرى الممتاز ، أو تطبخه اتصنع منه الأقط " أو البقل " .

(١) عبد الجبار الراوى : البداية ٠٦٦

(٢) المرجع السابق : ١٢٩ ، ١٨٠٠

أما قهوة البن : فقد ذكر الشيخ المنقور أنها انتشرت كمشروب في القرن التاسع الهجري (١) ، وأن العلماء اختلفوا فيها بين الحلال والحرام حتى صدرت الأوامر السلطانية المشتملة بإبطالها من الأقطار إلى أن استقر الأمر على شربها من غير انكسار مما ساعد على انتشارها في أنحاء العالم (٢) .

ونظرا لأن معرفة العرب بالبن كمشروب قديم لم تكن واسعة فان القهوة البنية لم تدخل إلى بلاد العرب كمشروب بشكل واسع الا في

(١) الفواكه الجديدة : ٨٥/٢ ذكر بعض الباحثين أن الرازي (٢٥١هـ/ ٨٦٥م - ٣١١هـ/ ٩٢٣م) قد ذكرها في كتابه الحاوي . الا أن هانز هولفريتز قد ذكر أن العرب قد عرفوا البن قبل الاسلام وأيام الرسول (ص) ، وكان في تلك الفترتين يدخل في نطاق التجارة من اليمن التي تعتبر الموطن الأصلي للبن الأصلي حتى الآن ، ولعل اسمها اللاتيني كافيا أرايكا يؤكد أن الغرب قد عرفها عن طريق العرب المسلمين . (هانز هولفريتز : اليمن من الباب الخافي ٢٥ ، ٢٠٦ ، جاكين بيرين ١٠٦ - ١٠٨ ، ١١٣ - ١١٦ . الموسوعة العربية ٤٠٦ مادة بن ، مجلة قافلة الزيت ٢٢ / ٤ / ص ١٩ - ٢٥ ، مجلة الكويت عدد ٦ ص ٨٨ - ٩٥ ، وقد أوردت هاتان المجلتان مقالتان عن القهوة وقصة انتشارها في العالم) .

(٢) لقد اقي انتشار شرب القهوة في أول أمره الكثير من الجدل والنقاش بين العلماء والمفكرين والساسة ، ولم تقتصر على ذلك منطقة دون أخرى فقد حرم شربها عدد كبير من مفكرى أوروبا كما أن الكنيسة الإيطالية قد اعتبرتها مشروها ما عونا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . الا أن العلماء المسلمين منذ القرن التاسع كان لهم مواقف مؤيدة لهذا المشروب باعتبار حله ، فقد كان المحالون أكثر من المحرمين ومن ضمن من حرمها ولقى معارضة شديدة في هذا كبير علماء مصر آنذاك (احمد بن عبد الحق السنهاطي) الذي دمه ودم من تابعه أحد الحكمين بقوله
حرموا القهوة ظالما : زادهم ظالما ومقتلا
ان طلبت النص قالوا : ابن عبد الحق أفتي
ويبدو أن من أسباب تحريم المحرمين لها في العالم الاسلامي كون اسمها "القهوة" كان يطلق في اللغة العربية على الخمر من الغناب أو التمسسر وهذا فان المتنطعين في الدين الذين يفسرون القهوة تفسيراً حرفياً

القرن التاسع الهجرى / الخاص عشر الصلادى ، ودخلت تدريجيا الى نجد فى هذا القرن أيضا (١) .

وطى أى حال فقد أصبحت القهوة ضوان الكرم وعلامة الرجولة فى نجد عموما وفى باديتها على وجه الخصوص وطالما تبنى بها الشعراء الهدويون كما يتفنون بحبوتهم ، كما أنها تعتبر من دواهي الرثاء المصيت فهذه احدى شاعرات البادية ترثى زوجها بأبيات قالت منها :
مرحوم ياهلى بالضيف : يامكثر الهيل بالداء (٢)

وكما أن كثرة رماد القدر واسوداده علامة على الكرم فان أسوداد الداء علامة على ذلك أيضا لأنها دائما قرب لاهداد القهوة وتجهيزها وجعلها حارة لأى ضيف يأتى فجأة ، وفى هذا تقول احدى الهدويات

= يحرمونها على أنفسهم ويرون تحريمها على عامة المسلمين الا أن الكتب التى ألفت تبين حل هذا المشروب أكثر من التى تحرمه اضافة الى رجوع جميع من أفتى بالتحريم الى الحل عدا ابن عبد الحق ، ومن ألف فيها الزبيدى صاحب تاج العروس ان أن اه رسالة اسمها " تحفة بنى الزمن فى حكم قهوة اليمن " واحشمان بن قائد النجدى رسالة فيها ، وقد عقد بشأن ذلك عدد من المؤتمرات أبرزها مؤتمر مكة عام ١٩١٧هـ / ١٥١١ م ، ويبدو أن اتخاذ المحاقى فى أوروبا والعام الاسلامى - مراكز لائترشرة والنقاش السياسى والأدبى وأحب الميسر ، وخشية اشتباهاها بالخمير هى أسباب دعت الى تحريمها فى بعض الفترات ، (الفيروزابادى : ٤ / ٣٨١ الزبيدى : التاج ٣٠٨ / ١٠ ، المنقور : الفواكه : ٨٥ / ٢ ، عدا الله الهسام : طامء نجد : ٦٨٥ / ٣ ، الموسوعة العربية ص ٤٠٦ ، مجلة العرب ج ٩ / ١٠٤ / ص ١٢ / ص ٧٠٧ ، مجلة قافاة الزيت ، العدد السابق ص ٢٠ ، مجلة الكويت العدد السابق ص ٩٥) .

- (١) المنقور : ٨٦ / ٢ ، الموسوعة العربية ٤٠٦ .
(٢) مهلى : أى يكثر من قول أهلا ، يامكثر الهيل بالداء : هذا كناية عن الحالفة فى الكرم لأن الهيل كان ولا يزال أغلى من السبن ، (ابن رداى : ٣٤٢)

حاجة أخيهما على الاتصاف بصفات الرجولة :

يا اخوى يا ريف الهزال الضاكيف : يا مقلط للضيوف حلو النوال
دالين كما اخربان سود مهاديف : من كثر ماهي للسماير تصالى (١)

ويقرن ابن الهادية بين الاكثار من ذبح الأيها للضيوف وبين
اعداد القوة اهم فاو قدم اهم الطعام وطيه عدد من هذه الأنعام
ولم يقدم القهوة احد ذلك معيها ، باعتبار أن تقديم القهوة ركن
أساسي في الكرم . قالت احداهن تمدح أحد الكرماء :

يا ما قطع من راس كبش سمين : وله دلة داهم على النار مركاه (٢)

واقدر كان اهتمام البدوى بالحصول على الجن كبيرا قد يفوق
اهتمامه بالحصول على الطعام ، فانه يقطع الفياض والقفار في سبيل
أن يبتاع من القرى المحيطة بالصحراء أو البهادران المجاورة السبن
والهيل والقرنفل ، وأواني القهوة ، ثم انه يحافظ على هذه المواد
والأواني كأز ما يملك خوفا من مداومة ضيف له فلا يجد ما يقهويه به (٣) .

(١) ريف الهزال الضاكيف : ربيع الجوى الحائدين من السفر المتعب كناية
عن اعداد الطعام والقهوة (الكرم) يا مقلط للضيوف حلو النوال :
أى مقدم للضيوف التمر ، دلال كما اخربان : سود كاخربان ،
كناية عن كثرة ما عمل فيها من القهوة ، مهاديف : احلمن الهدف
بمعنى الانتصاب أى منتصب على النار ، السماير : جمع سميرة وهى
النار ، تصالى : تصطلى فيها . (الفيروزابادى : ٢٠٧/٣ ، ابن رداى : ١٣١ ، ١٣٢) .

(٢) يا ما قطع من راس كبش سمين : أى كثيرا ما ذبح خروفا سمينا اكراما
أخيه ، دلة داهم على النار مركاه : أى أن داته موضوعة بجانب النار
دائما استعدادا لأى ضيف قادم ، مركاه : مركبة أى مستعدة
(فصحة) . (الفيروزابادى : ٣٣٦/٤ ، ابن رداى : ٢٦٦)

(٣) قافلة الزيت : العدد السابق ، ص ٢٢٢ .

وتتفق القهوة مع الطعام في أسلوب تقديمها لدى البدو بخضوعه
الوضع الاجتماعي بينهم إذ أن أول القهوة ، وطيبها يقدم السي
الضيوف الكبار ومشايخ القبيلة ووجهائها أو من خدموا القبيلة شجاعة
وكرما ، أما رطاع القبيلة ومن لم يسدوا خدمات جليلة للقبيلة فلهيهم
آخر القهوة ، ومن هنا فإن القهوة بهذا الأسلوب تعتبر أسلوبا من
أساليب التكريم والتقدير لدى البدوى ، وهي إذ تكرر هذه الافاهيم
الاجتماعية بين البدو أكثر من الطعام فانما لأن لها دور في التخفيف
من المجهود الذى يؤديه الانسان بخلاف الطعام الذى يحتاج
حاجة ضرورية ، ومن هنا كانت نظرة البدوى بل النجدى عموما طسى
أن القهوة هي صاحبة التقدير الأول بين المشروبات والأماكولات ، وهي
المادة الوحيدة التى بها يكرم البدوى ضيفه لأول مرة قبل الطعام
وبعده (١) .

ويحرص البدوى على صنع القهوة بطريقة تجعل الضيوف ،
والمارين بالصحراء يتلذذون بذلك ويقدمون على المبنى اليها من
بعد فيدق بالنجر أول مرة اشارة الى بدء عمل القهوة ليتجمع
لها الضيوف والسما في الليل ثم يبدأ بتجهيز مادة القهوة حصا
الجن ودماله وللهيل في النجر وهو في هذا يؤكد على رفع صوت النجر
حتى يتزايد عدد القادمين اليه ، ويكثر من الهيل أو القرنفل "أصلاح
القهوة" (٢) .

وبعد أن تجهز القهوة يقف الذى يقدمها على قدميه مبالا قىل
عدد الضيوف مسكا الداة بيده اليسرى مادا الفنجال بيده اليمنى
وان أى خرق لهذه العادة امواجه بالنقد والتقريع والتعنيف ،
ويحرص على عدم اكنار القهوة فى الفنجال لأن الزيادة فيها نوع من
الاحتقار نظرا لأن القهوة لا تستازمها حاجة الانسان الجسدية

(١) عبد الله الصقرى : من نوادر الأشعار ط (١) ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م . مطابع الرياض ١٤٨

الراوى : ٣٠٥ .

(٢) الراوى : ٣٠٧ .

بقدر ما تتطلبها حاجته الذهنية والفكرية (١) .

ويعتني الهدوى والنجدى عموماً بأواني القهوة وخاصة الداسة حرصاً لا يتوفر لأواني البيت الأخرى ، وهو في هذا المجال لا يطبق أن يرى في الدلة أي لون طارئ يؤثر من بعيد أو قريب - على طعم القهوة المتميز فيبادر بالذهاب بها إلى الصانع أو المصلب ليحلوها ويحلوها بالمواد التي تحافظ على معدن النحاس الذي تصنع منه الدلة .

والى وقت قريب والنجدى عموماً يحرص على اختيار أواني القهوة وخاصة الدلة من أطيب أنواعها صناعة وجاهاً أما من بغداد كالذلال البغدادي ، أو من الشام كالذلال الرسلانية - نسبة إلى رسلان وهو مشهور بصناعة الذلال - وكانت الرسلانية - بشكل خاص - تلقى قبولاً أكثر لما تتميز به من دقة الصناعة وجمالها . وفي هذا تقول إحدى الهدويات معجبة بكرم أحد أبناء البادية :

راعى دلال متقنة عمل (رسلان) : ونجر يطقه للنشامى بجونه (٢) .
أما الطبايق والتتن^(٣) أو التنباك^(٤) أو الدخان وهى كلها أسماء لسمى واحد هو التبغ فقد ذكر أحد المؤرخين أن ظهوره في العالم الاسلامى

(١) المرجع السابق : ٣٠٧ .

(٢) راعى : صاحب ، يطقه : يدق فيه ، النشامى : الكرماء الشجعان وأحدهم

نشامى ، بجونه : بأتونه . ابن رداى : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) التتن : محرفة من التركية (توتون) ومعناها الدخان طامة ثم قصرت على التبغ لأن الدخان أهم سمة فيه . (مراجعة كاية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ٦ / سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٢٠٥ من مقال للدكتور / أحمد السعيد سليمان ، بعنوان : "تأصيل ماورد في الجبرتي - من الدخيل")

(٤) التنباك : بتشديد التاء وضماً : أخذتها التركية باسم طوباق أو توباق من الهندية ، وقيل أنه من الفرنسية Tabac بمعنى التبغ ، وقيل أخذتها التركية من الإيطالية بصيغة تنباكوفتج التاء ودخالت العربية بصيغة تنباك ، وقيل أصلها فارسي ، وقيل هى مركبة من كلمتين لاتينيتين

قد بدأ سنة ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م (١) ، إلا أن المنقور ذكر في فواكه
نقلا عن الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة (٩٤٨هـ / ١٥٤١م) عدد
من آراء العلماء فيه من المذاهب الأربعة وكأهم افتو بتحريمه والنهي
عن تعاطيه ، مهداة فابن عطوة من عرضه لآراء هؤلاء العلماء وتأبيده
لها فانه ينظر الى الدخان نظرة تحريم (٢) ، والمهم أن بدء معرفة
العالم الاسلامي به كان متقدما فمن المتوقع أن يكون قد ظهر بين
المسلمين منذ أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي
تقريبا ولا يمنع هذا أن يكون التاريخ الثاني ١٠١٢هـ هو تاريخ شيوه
وانتشاره بشكل واسع بين المسلمين ، اضافة الى أن معرفة بعض
المناطق بأى طادة اجتماعية قد تتأخر عن بعض المناطق الأخرى ، طى
أن القضايا الاجتماعية من الصعب تحديد تاريخ لابتدائها أو انتهائها
فى أى مجتمع (٣) .

= هما : Ton بمعنى وحدة ، Bacco اختصار تبغ . د . كرسى :
الدخينة فى نظر طبيب - طبع مطابع الأصفهاني بجدة . نشر مكتبة
المعارف - الطائف ، ص ١٠٨ ، المجلد السابقة . العدد السابق ص ٢٠٨ .
(١) عمر الوردى : تنقطة المختصر فى أخبار البشر ، ط (١) نشر دار المعرفة
بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م ١١١/٢ من فقرة فى آخره بعنوان : " وقائع
مهمة بعد هذا التاريخ " ليست من تأليف ابن الوردى .

(٢) المنقور : ٧٨/٢ .

(٣) يقال ان موطن التبغ الأصلى أمريكا وزره فيها الهنود الحمر قبل وصول
الأوربيين اليها ، ثم أدخل الى أوروبا عام ٩٦٤هـ / ١٥٥٦ كأداة للزينة
ثم انتشر شره فيها عام ٩٩٥هـ / ١٥٨٦ ، أما العالم الاسلامي فقد عرفه
فى حدود سنة ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م تقريبا وأتى به يهودى يدعى الطيب
الى المغرب ، ودا الناس اليه ، وأدخله الى تركيا العثمانية رجل نصراني
ووصل الحجاز عن طريق الحجاج المفاوية والهنود ، وقد بلغ من افتتان
كثير من الناس به أن أطلقوا عليه اسم " طابه " وألف فيه امام وخطيب
المسجد الحرام عبدالمقادر بن محمد الحسينى الطبرى (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م)
رسالة أسماها " رفع الاشتباك عن تناول التباك " وذكر فيها أن أجوده
الذى يأتى من الهند قد بيع بمكة بعشرين دينارا للارطل ما يدل على رغبة

وطى أى حال فنتيجة لاحتكاك البدو بالحضر فى الأمور التجارية و غيرها فقد حصل تأثر الأولين بالآخرين فى شرب الدخان ، وهذا كله نتيجة لاحتكاك حاضرة نجد بسكان المناطق المجاورة سواء كان فى الخليج أو الحجاز أو الشام أو العراق أو غيرها من البلدان ، إضافة الى من الممكن أن تكون بادية نجد قد عرفت من هذه المناطق بشكل مباشر حيث أنها تمارس الامتياز والاتصال الاجتماعى معها بشكل خاص ، ولا يستبعد المرء أن يكون انتشاره فى نجد طاعة و هاديتها على وجه الخصوص عن طريق أوائل الرحالة الغربيين الذين كانوا ، فعلا - يفتخرون أبناء البادية البسطاء أن يعطونهم معاولات ويساعدونهم على اجتياز الصحراء بأمان مقابل حفنات من البن والدخان وقطع من الأقمشة ، والتمتع بجعلهم يجتازون الصحراء آمنين بـل يحلون على البدو محبين معززين مكرمين (١)

وأم ينتشر الدخان بين أبناء البادية بشكل واسع فى أوائل هذه الفترة إلا أنه أصبح فيها وفيما بعد لها من الانتشار حيث عدسة من سمات الكرم البدوى بعد الشجاعة لدى بعض البدو لأنهم يقرنون بينه وبين القهوة ، واطعام الطعام ، فان يذبح دوما لضيوفه وقياته ، ويدير القهوة كثيرا على زائريه وبارى الصحراء ، ويفتح أكياس تبغهم ليملا أصحابه وضيوفه فلا يبينهم ، ويشرك أصحابه وأقرباءه من غنائم غزوه يكتسب فى نظر قبياته احتراماً وقدرا قد يفوق قدر واحترام شيخ القبيلة نفسه ، ومن هنا كان للتبغ لدى البدو قدرا لا يقل عن القهوة (٢) .

= بعض الناس به ، أما علماء نجد - قبل الدعوة - فقد وقفوا منه موقف التحريم فعلاوة على ابن طوة ، ألف الشيخ عبد الله بن عصب (١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م) رسالة فى تحريم الدخان . أسماها (الأفعى) ، وفصل المنقور القول فيه حينها آراء العلماء وفتاويهم ، (المنقور : الفواكه : ٢ / ٧٨ - ٨٧ ، عبد الله البسام : علماء نجد : ٢ / ٥٢٠ ، الموسوعة الميسرة ٤٨٩ مادة تبغ ، من مجلة العرب ج ٩ ، ١٠٠ / ١٢ ، ص ٦٨٦ ، مجلة الحرس الوطنى ٥ / ٢ / ٨٠) .

(١) بيرين : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، الدارة ٣ / ٣ / ص ٢٢٢

(٢) بيرين : ٢٢٥

ونظرا لأن صناعة التبغ لم تتطور فقد كان يصل الى البادية اما
بأكياس أو بالوزن وهم يمتارونه عن طريق بعض تجار نجد في تلك
الفترة الذين يجلبونه اما من الخليج أو من جدة التي وجد فيها اثنان
وثلاثون تاجرا لا يمتاطون الا تجارة التبغ (١) ، وقد يأتيهم من
طريق الرحالة الغربيين الذين يجهون الصحراء - كما مر .

وكان انساء البادية وقفات ضد انتشار التبغ فجعلن ينصحن
أزواجهن بتركه مهنات مضاره على الجسم والأسنان والمال ، وذلك في
حدود النصيحة لأنهن ما يلبثن أن يعتذرن اذا رأين من الزوج اصرارا
عليه ، فهذه زوجة ابن هذال " أمير الحبلان من عنزة " تقول ناصحة
زوجها عن شرب الدخان :

يا شارب الدخان شارك لا طال : إياك وإيا واحد جاز دونه
مادام به نقص على الحال والمال : أيضا وشرا به يدمر سنونه

فغضب ابن هذال لقولها هذا فاسترضته بأبيات يشم منها رائحة
التهكم بالمدخنين :

شراة التنباك فيهم سعة بال : واللى طويل شاربه يقصرونه
يستاهل التنباك مثل ابن هذال : اللى يصره فى ثانى ردونه (٢)

(١) جالكين بمرين : ص ٢٣٦ .

(٢) شارك لا طال : لن يطول شارك ، والمقصود : لن تبغ المجد ، إياك ،
وإيا واحد جاز دونه : أى قارن نفسك وأنت تشرب التبغ مع شخص
سليم منه تجد الفرق صحة وغنى وطيب نفس . مادام به نقص على الحال
والمال : أى مادام أنه ينقص من صحتك ومالك وشرا به يدمر سنونه ،
كما أن شاربه أسنانه تسود ويضعف فيها المرض ، شراة : جمع شارب ،
سعة بال : أى سعة صدر . وواضح تهكمها والا فالمدخنون فيهم
ضيق نفس وهم تحمل ، اللى طويل شاربه يقصرونه : الذى يتناول طيبهم
يردونه دون قصد ، يستاهل : يستحق ، يصره : يربطه ، فى ثانى
ردونه : داخل اكمامه الواسعة . (ابن رداى : ١٥٨) .

أما هذه البدوية فيبدو أن نصحتها قد أضر على زوجها فترك
شرب الدخان ، وأحل لصوغ أبياتها دور في ذلك فان طلى عكس
أبيات زوجة ابن هذال فيها مخاطبة لقلبه واستدرازا لعاطفته قالت:

لا تشرب التتن يا الملووح : يخرب ثناياك يا الغالى
أولاك عندى وزن السروح : ماشرت لك يا بعدد حالى (١) .

ورغم أن وسائل شرب التبغ لم تكن متطورة في ذلك الوقت
فقد وجدت الغلايين التي كان يجلبها التجار النجديون الى البادية
من جدة التي كان يباع فيها الغلايين بكثرة (٢) ، وربما حصل عليها
البدو أثناء الحج ، الا أنه يبدو أن السجائر لم تكن موجودة في
ذلك الوقت فقد كان بعض البدو يشترون التبغ وزنا أو جزافا ليافوه
بقراطيس أو يشربونه بواسطة الغلايين التي يبدو أنهم كانوا
يحصلون عليها أيضا عن طريق الرحالة الغربيين .

وطى أى حال فان البدوى الذى بلى بالتبغ لاتبه الوسيلة
التي يشربه بها ، فقد يشربه طفوفا في خرق أو قد يشربه بواسطة
العظام الصغيرة القديمة التي تأتي على شكل قليون والمنتشرة في
في الصحراء ، قال أحد شعراء البادية الذين بلوا بالتبغ :
أولا شراب العظم يوم اتى أملاه : أكو به بالجمره ويكوى جروحي

(١) الملووح : الطامح أو الجميل أو الغالى ، يخرب ثناياك : يفسد
أسنانك ، أولاك عندى وزن الروح : أى أولا أنك عندى تعدل نفسى
من الحب ، ماشرت طليك ، لم أبدلك مشورة ، يا بعدد حالى : هذا داء
بأن تكون فداا له وأن تموت قبله . (ابن رداى : ٢٦٨)

(٢) بيرين : ص ٢٣٧ .

مع دلة صفرا على النار مركاه : أبصر بصيتها على كيف روحى
لا طق طقة محة البهزخباء : لا قام هاجوس الضماير بجوحى (١).
أما النارجيلة (٢) ، فيبدو أن ابن الهادية فى تلك الفترة اسم
يعرفها ، ولعل ذلك راجع الى كثرة ترعاه وتنقله وفزواته التى يصعب
معها حمل النارجيلة فى كل وقت بخلاف التبغ الذى يمكن أن يحمله
فى أكمام ثوبه - كما مر ، ولم أجد أثرا يبين استعمال البدوى لها
على عكس ابن الحاضرة ، وما لاشك فيه أن المدخنين من
أبناء الهادية لم يكونوا بالكثرة التى يعتقد أنها طفت على مظاهر
الحياة الاجتماعية البدوية ، لكنها على أى حال ظاهرة تستحق
الرصد والتحليل والنقد .

(١) ص ١٢٨ . لولا شراب العظماء الخ :
أولا أنى أشرب التبغ بالمعظم حالة كونى أملاه تها وأشعل النار فيه
أبكرى جروحي ، مع دلة صفرا . الخ : أى ومع الدخان أشرب قهوة
من دلة صفرا موضوعة على جانب النار وأسكب منها ما يجعل نفسى سبتي
تتكيف وترتاح . . . لولا هذا كله ، لا طق طقة محة البهز . الخ : أى لا قوم
من مجلس فزط عند أدنى هاجس يختج فى ضميرى ، والمعنى لا أتحكم فى
أهاسى .

(٢) النارجيلة أو النارجيل : هو جوز الهند وقد يهزم ، وهو مغرب أصله العربى
(المقل) ، وهو نخلة طوية تشبه نخلة التمر إلا أنها أدق منها وألين
نمها ، ويكون فى قنوها الكبير ثلاثون نارجيلة ولها عين له خاصيات
وهناك نارجيل البحر له خاصيات أخرى ، ويؤخذ من جوز الهند مادة
النارجيلة التى تدخل فى صايرها فى مشروب النارجيلة أو الشيشة أو البيرة
كما كان يعرفها حضر نجد فى تلك الفترة . (الفيرز باهى ٥١/٤ ،
٥٦ ، وذكر فيها أن اليهود كانت تتدخن به ، الزبيدى ١١٨/٨ ، ١٣٣ ،
١٣٤ ، الموسوعة العربية ٦٦٤ ، ٦٦٥ مادة جوز الهند)

(١)
٦ - الْخُوَّةُ أَوْ دِهْلُومَاسِيَّةُ الْبَدُو:

لن أتطرق للخوة كمصدر اقتصادي هام للبادية عموماً، وبأدوية نجد التي تقع على طريق الحجاج وقوافل التجارة على وجه الخصوص... وانما سأبحث الخوة كنموذج للعلاقات الاجتماعية التي كان متعارفاً عليها بين البادية أنفسهم في ذلك الوقت وبين الحاضرة والبادية .

لقد كانت الخوة التي تنشأ بين مختلف القبائل والمشائير البدوية تحكمها نوع العلاقة الاجتماعية بين هذه القبائل والعشائر من قرابة أو حلف أو صداقة أو عداوة :

١ - علاقة القرابة : تلتزم القبيلة التي يكون جزء منها متحضراً والجزء الآخر بدوياً فيما بينها على حماية الحضر منها أثناء اجتيازهم الصحراء للحج أو التجارة أو الاعتشاب (٢) من كلاء الخلاء فترة الربيع ، ويتعاون البدو والحضر في بعض القبائل تعاوناً وثيقاً ، فقد يستغني البدو عن إبلهم التي يستخدمونها في الغارات والحروب إبل جروها لاخوانهم الحضر الذين يستخدمونها طيلة ثلاثة أشهر في مشروعات الرى لقاء كمية من القمح والتممر ،

-
- (١) الخوة مأخوذة من الإخاء والتآخي ، والمقصود منها في نجد الرفقة في الطريق والحماية من قطاعه ولها جانبان ، اجتماعي وهو مدار حديثنا واقتصادي ويدخل في الحياة الاقتصادية لدى البادية وهو الذي يتقاضى عنه رسم " الإخوة " . وقد أطلق أحد الكتاب على هذه العلاقات اسم دِهْلُومَاسِيَّةُ الْبَدُو ولا شك أن هذه التسمية وإن كانت حديثة ومفنة إلا أنها من باب التجاوز يمكن إطلاقها على هذه العلاقات . انظر (صحيفة السياسة الكويتية عدد ٤٨٧٣ سنة ١٦ الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ / ٢١ كانون الثاني / يناير ١٩٨٢ م ص ٢٠)
- (٢) الاعتشاب ، فصيحة من المشب وهو الكلاء الرطب والتعشب والاعتشاب أصوب من الاعتشاب سواء كان ذلك من فعل الإنسان أو الحيوان . (الفيروز آبادي : ١٠٤ / ١ ، الزبيدي : التاج : ٣٨٢ / ١ مادة عشب) .

وإذا حصل هجوم سواء كان على الحضرة أو على البدو تواجد الجميع للقتال سواء كان لرد ذلك الهجوم أو القيام بهجوم مثال ما أدى إلى اكتساب الحضريين في بعض القبائل - كشمرا مثلا - نواحي من صفات البادية ، فيذهب عدد من سكان القرى والمدن خلال الربيع إلى البادية بخيلهم وأبلهم وقطعان أغنامهم للارعى وجمع الحشيش (١) ، كما أن لأكثر الأسر البدوية مزارع ، ونخيل ، وإن تضامن الحضرة مع البدو في أى قبيلة ليسهم أسهاما عظيما في زيادة سلطتها ونفوذها . . . وهذا التعاون لا يترتب عليه أى التزام مادي ولكنه التزام تفرضه القرابة والعصبية (٢) .

٢ - علاقة الخاف : وقالها ما تكون من البدو فتتحالف القبيلة الضعيفة مع القبيلة القوية على أن تقوم بحمايتها من اعتداء المعتدين من القبائل الأخرى ، ولا يترتب على قيام القبيلة القوية بذلك أى التزام مادي ، إلا أنه يبدو أن الضعيفة تعترف بسيادة القوية عليها ، مع اشتراط أن تكونا متعادلتين في نقاوة النسب (٣) .

ولعل اشتراط نقاوة النسب له ما يبرره إذ أن هاتين القبيلتين ربما اضطرتنا للتزواج فيما بينهما - والبدوى شديد الحرص على نقاوة نسبه - ، وقد تضرر الضعيفة - مع مرور الوقت - إلى الحاق نسبها بنسب القوية ، وقد تضعف القوية فتلحق نسبها بنسب الضعيفة التي ربما تقوت ، فإذا كانتا متعادلتين في النسب لا يقف أمام ذلك حائل .

(١) الحشيش لفظة فصيحة من فصيل بمعنى مفعول وهو العشب بعد حشيه وجمعه . (الفيروز آبادي ٢/٢٦٨ ، ٢٦٩ ، الزبيدي : التاج ٤/٢٩٧ ، ٢٩٨)
(٢) جاكين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(٣) جاكين بيرين : المصدر السابق ص ٢٧٨ .

وقد ينشأ الحلف بين مجموعة من القبائل ، أو مجموعة من العشائر الضعيفة على أن تجتمع لتحمي نفسها من القبائل القوية ، وتتخذ لها مواقع قريبة من بعضها ، ويتكون بعد ذلك حلف وتتسب إليه هذه القبائل كما حدث مع قبيلة " سبيع " التي دخلت معها بالحلف قبيلة " بني ثور " ، " والعربيات " فصار لها مالها وعليلها ما طيها ، فأصبحت قبيلة " سبيع " تضم مجموعة قبائل تتحالف فيما بينها وتدين بالولاء للقبيلة الأم " سبيع " ، وكما حصل من آل بهيك من الدواسر الذين تحالفوا مع شهر فأصبحوا منهم (١) ، وأن هذه القبائل لتشبه الكيانات السياسية الصغيرة التي تتفق فيما بينها لتكون كيانا سياسيا كبيرا يحميها من اعتداء المعتدين وطمع الطامعين .

٣ - علاقة الصداقة : وتكون في الغالب بين القبائل القوية التي لا تستغنى عن إقامة هذه العلاقة فيما بينها اتفاقا لشر قطاع الطرق من كلا القبيلتين فلا يغير أحدهما على الآخر ، وتأمين بموجبهما من أن يلقي أى فرد معاملة سيئة من القبيلة الأخرى ، إلا أنه لا يحق لأى قبيلة أو عشيرة أن تمنع صديقتها من الاغارة على أى قبيلة أخرى أو على أى قافلة تريد ، ما لم يكن معها هذه القافلة " خوى " من القبيلة الصديقة (٢) .

وتشبه هذه العلاقة علاقة الصداقة بين الدول التي تقوم علاقاتها على الندية فيما بينها ، منعا للاعتداء ، وتحقيقا للمصالح المشتركة بين الطرفين .

ولا يترتب على إقامة هذه العلاقة أى التزام مادي لكن كل قبيلة تسهل للأخرى تحقيق مصالحها في الرعي ، وتساعد إذا تعرضت للهجوم من قبيلة أقوى منها .

-
- (١) الشيخ عبد الله عبد الرحمن البسام : طاما نجد خلال ستة قرون ٥٩٨/٢ ، محمد بن أحمد السديري : أبطال من الصحراء ١٠٦/١ ، ١٠٧ .
(٢) جاكين بيرين : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

٤ - علاقة المداوة : وذلك في حال انعدام العلاقات الثنائية والثالثة فتتوتر العلاقات بين القبائل وحينئذ ترفع يد كل فرد من أفراد القبيلة أو العشيرة على كل فرد من أفراد القبيلة أو العشيرة العدو ، ولا تكف القبائل عن الاعتداء فيما بينهما إلا إذا كانت فيما بينهما هدنة قد تتحول إلى صداقة ولا فإن أى مجتاز من أحد القبائل المتعادية للصحرى التى تقطن فيها القبيلة المتعادية لقبيلة عليه أن يدفع رسم مرور " أخوة " ولا تعرض السلب والنهب من هذه القبيلة .. وإذا كان الغالب على هؤلاء المجتازين عدم الدفع لهذه الأخوة لأنهم يعتبرونها ذلاً وإهانة ، فإنهم قد يتعرضون - إضافة إلى السلب والنهب - للأسر وعضد ذلك ينطبق عليه نظام " الرهيط " الذى سيأتى بيانه (١) .

وان التاريخ السياسى لمنطقة نجد بشكل عام والبادية بشكل خاص .. ان هذا التاريخ ليحفل بالكثير الكثير من الغزوات والغزوات التى تتعرض لها الحاضرة من البادية والقبائل البدوية فيما بينها .

ويعتبر عدواً لى قبيلة كل عامر سبيل عادى ، وإذا ما أراد أن يجتاز الطريق الذى يمر بهذه القبيلة عليه أن يختار مرافقاً منها يعطيه ملجأ من المال يتفق عليه فيما بينهما وينطبق هذا على القوافل التجارية التى تجعل لها فى كل قبيلة تتوقع الدخول إلى أراضيها " أخوة " من هذه القبيلة تقدم لها منحة سنوية مجزية مع عمولة نقدية (٢) .

(١) جاكين بيرين : المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، ٢٧٨ .

(٢) " : " : " ، ص ٢١٨ .

الا أن هذا لا يكفي فقد تصادف القوافل وهي تجتاز الصحراء
ومعها " الخوى " .. قد تصادف فريقا من قبيلة ليس معها من
ينتهي اليها فتتعرض للنهب والسلب ولا يستطيع هذا " الخوى "
أن يعمل شيئا .. صحيح أن القبيلة تتعهد مقابل رسوم
الاخاوة أن تحمي دافعها من كل الأخطار ، ولكن ضمن حدود
أراضيها فقط ، الا أن العادة جرت أن لا يجتاز أحـــــد
موطن (١) قبيلة ما الا ومعها خوى منها أو من حلفائها ، فاذا أراد
اجتازه الى موطن قبيلة أخرى بحث عن خوى من هذه القبيلة الثانية
أو من حلفائها وهكذا .

ويبدو أن بعض القبائل تتعهد بأن توصل دافع الاخاوة الى
الأمان وذلك لأنها تكون قد اتفقت مع القبائل الأخرى على عدم
التعرض للقافلة التي يكون معها " خوى " منها .. والا اعتبر ذلك
انتهاكا لشرف القبيلة كلها ، وتدفع القبيلة المعتدية ثمن ذلك غالبا ،
فلا يكفي القبيلة الحامية أن تعيد القافلة ماسلب منها بل انها تقوم
بسلب القبيلة المعتدية اثر حرب طاحنة تأخذ من أفرادها أسارى ،
وهذا ما حدا بركهارت لاقول عن هذه القبائل الحامية : " ان الحماية
تشتري منهم شراء " ، ولكنها سلامة مضمونة " (٢) .

ونظرا لأن البدو يعدون الحضر أعداء طبيعيين لهم في تلك
الفترة ، فانهم لا يسمحون لهم أن يضرخوا أطنابهم بجوارهم - وخاصة
في فترة الربيع التي يحرص الحضر فيها على الرعي وجمع العشب
والحطب ، الا اذا اشترط الجوار منهم وهذا ذلك أحيانا يلتزم البدو
بحماية الحضر ، لكن الحضر بقدر ما يكونون أقويا وكثر بقدر ما يزاد
امتناعهم من تنفيذ مطالب البدو بالرحيل عن جوارهم ، وتنشأ من جراء
ذلك حروب بدوية حضرية يكون البقاء فيها للأغلب (٣) .

(١) ابن بايهد : صحيح الأخبار ١٢٦/٢ ، ١٢٧ ، وقد ذكر فيها نمـــــاذج

من الخوة ، وانظر مجلة الدارة ٢/ ٣ ص ٢١ ، جاكين بيرين

ص ٢١٨
(٢) جاكين بيرين ٢١٨

3-Mohammed thenayan.AL thenayan:history.Writlng in nagd.P13.

وجاكين بيرين ٢٢٨ .

٧ - نظام الغزو :

من المعروف أن الغزو يعتبر من أهم الأنشطة الحياتية لدى البدو ، وهم يعتبرون أنفسهم مضطرون له ، فهم لا يستطيعون العيش طويلا في حالة سلام ، والا نقصت ثرواتهم . الأمر الذي يصبح معه الغزو والحرب ضروريان في حياة البادية .

ولكن البدوى ينظر للغزو من ناحية أخرى ، انه ينظر اليه على أنه زاد روحى لنفسه التواقة الى الشجاعة والفروسية ، ثم انه ينظر اليه على أنه حاجة أدبية لاستكمال الروجولة ومظاهر الهيبة ، ومنعة الجانب فى قيامه باستعراض قوته ومواهبه أمام القبائل الأخرى ، وحتى يجسد ما يتصجد به أمام شباب قومه الذين يرون فى ترك الغزو اذهاها للشجاعة ، واطفاءً لئار الحمية ، والبدوى من هذه الناحية لا ينظر الى الغزو كسلوب لكسب العيش والثراء محسب ، فهو يلقي بنفسه فى المهالك ، وقد يهدل من ماله ومن شباب قومه أضعاف ما يكسب من الفنائم التى قد لا يستفيد منها بل يفرقها على قومه قبل وصولها الى أهله .. ولكن ينظر اليه كوسيلة لكسب الهيبة والسمة الأدبية (١) .

وعلى كل فقد أخضع البدو الغزو انظام دقيق وكامل ومنظم ، ومرجع ذلك كل قانون الشرف الذى يحرص البدوى على أن يطبقه على نفسه بصرامة (٢) .

ولعل أهم ما فى هذا القانون هو عدم جواز القتل - بأى حال من الأحوال - الا اذا كان ثارا يراى الانتقام له (٣) .

(١) جاكين بيرين : ص ٢٢٣ ، هذا الجبار الراوى : البادية ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) Burckhardt, Notes on the Bedouins. And wahabys, 1/158.

(٣) جاكين بيرين : ٢٢٣ .

وان في نظام الغزو ولدى البادية بعض التفاصيل المشوقة التي بالفور فيها يتضح أبرز جانب في الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد قبل الدعوة .

فعندما يقرر رئيس الغزو - وهو ليس بالضرورة شيخ القبيلة ولكنه شخص محترم من وجهائها ... عندما يقرر القيام بغزو ومعه ، فانه يجتمع الفرسان ، ويجعل مع كل واحد منهم رفيقا أو اثنين يركبان جملا قويا ، وتتقدم الابل حاملة الطعام والشراب على الخيول التي تسير خلف الابل في أول الأمر حتى لا تتعب قبل الساعة الحاسمة ، فاذا اقتربت الخيول من الابل حدد رئيس الغزو ثلاثة أمكنة طمس المرافقين أن ينتظروا فيها الفرسان الذين يندفعون الى الامام للهجوم على القبيلة المقصودة . وتكون هذه الأمكنة على مسافات متباعدة يكون أولها قريبا من المخيم المقصود ، والثالث يبعد عنه سافة يوم ، وينتظرون فيه ثلاثة أو أربعة أيام حتى اذا انتهت هذه المدة ولم يمد المهاجمون فان عليهم أن يرجعوا سرعين الى موطنهم حتى لا يلحق بهم العدو ، وان انجحت الغزوة في الحصول على غنائم ، فان الرفيق يكافأ بفاقة واحدة حتى ولو لم يحصل صديقه الفارس الا على جمل واحد .

ويحدث في هذه الغزوات البعيدة أن يهلك جميع الفرسان اذا تمكن المخيم المهاجم من صدهم ، وقطع الطريق بينهم وبين رفاقهم الذين معهم الطعام والشراب ، فعندئذ لا غفر من أن يهلكوا في الصحراء القاحلة أو يستسلموا ليعرضوا للتجريد والسلب وربما الترهيب كما سأأتي (١) . وهكذا نرى أن القوة هي الفيصل في هذا النظام الذي ليس الهدف منه السلب والنهب فحسب بل هناك هدف آخر وهو احتلال موارد المياه ومواطن الكلاء لهدف أكبر من ذلك وهو استلام مركز الصدارة بين قبائل نجد يوضح ذلك ما كانوا ينتخون به في هذا الغزو من شعار أصبح بعد ذلك مثلا لكل من يريد زعامة أو إمارة : " نجد لمن طالت قناته " (٢) .

Burckhardt, Nots 1/139 - 137.

(١)

(٢) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز - الطبعة الثانية دار العلم للملايين - بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ١١١ / ١ ، ومجلة الدارة ١٤ / ٢٧ ، ص ٢٧ ، ٢٨ من مقال للدكتور عبد الله المشيم .

ويقرر بركهارت على ضوء اقامته بين البدو أنه عندما يأتي الفوز من مسافة بعيدة لمهاجم مخيما ما فانه لا يهتمه مافي الخيام — من متلقات وعتاد بل يسرع بقيادة الابل والخيول ، وعلى العكس من ذلك اذا كان معسكر العدو قريبا ، فان المنتصرين يأخذون معهم الخيام بجميع ما فيها ، ويبدو أنهم يفعلون هذا اقربهم من منازلهم ، وفي هذه الحالة التي يكونون قد انتهزوا عدم وجود مدافعين من العدو فان الشجاعة من النساء تستطيع أن تسترد أحد جمال زوجها بترجيبها رئيس الفوز الذي يرى أنه من الشرف أن يعطيها ولد جملا واحدا ومن نصيبه الخاص (١) .

وفي هذه الحالة من الفوز والتي تكون على مستوى كبير ، ولمسافة بعيدة ، واحد ومقصود فان قسمة الغنائم تتبع أسلوبين هما :

١ - كل فارس يسلب ما يسلب فهو لحسابه هو ، وذلك بأن يكون هذا السلب لأول من يلمسه ولو لم يأخذه الا بعد فترة المصم أن يكون أول من لمسه سواه كان بحرته أو بعصاه أو يده ، ولهذا فان كل واحد من الفوز يسارع الى احس أكبر عدد ممكن من الابل أو الخيول مشهدا أحد أصحابه بأنه لمسها (٢) .

٢ - يتم تقسيم الغنائم تقسيما متساويا وذلك بعد أن يحصل رئيس الفوز على جزء لا بأس به — عشر السلويات — بالإضافة الى نصيبه العادي كمضو من أعضاء الفوز . . هذا اذا كانت السلويات كثيرة والفوز قليل ، أما اذا كان الفوز كثير والسلويات قليلة فان رئيس الفوز يجمعها أمام خيمته ويوزعها بين أعضاء الفوز توزيعا متساويا — ويأخذ حقه كمضو من أعضاء الفوز فقط .

(١) Burckhardt. Nots... 1/140, 139, 138.
(٢) المصدر السابق . 1/141

وتختلف القبائل في توقعات غزوها، فممنزة مثلا لا تقوم بالمهاجمة في الليل ان أنهم يعتبرون ذلك " بوقا " أى خيانة يترتب عليها مذبة طامة لا تريد لها القبائل فيما بينها ، أما قبيلة شعر فأنها تهاجم العدو بالليل وهم يسمون هذا " بيات أو مبايتة " (١) يتم على أثرها سوق الماشية ، لكنهم لا يأخذون الرجال ولا النساء ولا المبيد أسرى ، ولا يقتل الهدوى طامة من لا يقاوم الا من كان له طية ثأر (٢) .

وبفشل الهجوم في حالة ما اذا أشعرت القبيلة المقصودة بواسطة من كانوا بين ظهراني العدو سواء كانوا من أفرادها أو المتعاطفين معها ، وقد يشعرها أحد أفراد القبيلة المعادية لرغبتها في انقاذ بعض أصدقائه ، ويطلق على أحد المشعريين " نذير " حيث تكون القبيلة المقصودة قد استعدت لهم فتحصل معركة فاصلة قد لا تنتهى الا بازاحة القبيلة المهاجمة عن موطنها ، ومن هنا فان الغزو الذى على مستوى مقرزة من القبيلة يتطور الى حرب مكشوفة بين قبيلتين تنتهى بتنقلات قبلية تتغير بمقتضاها حدود هذه القبائل (٣) .

ولقد زخر تاريخ الغزو لدى القبائل النجدية بغزوات عديدة فيما بينها أثرت على الوضع القبلى حيث ينتج عنها - وخاصة الكبيرة - ازالة قبيلة من مراتعها لتحل محلها فيه قبيلة أخرى ، وشيئا فشيئا حتى تكثر هذه القبيلة ويكثر أحلافها فتتسبب زعامة القبائل النجدية الأخرى ، بهل تصبح مرهوبة الجانب في نجد جميعها حاضرة مهدية ما جعل الوضع

(١) البيات والمبايتة فصيحتان ، والمعنى الايقاع بالليل وقد وردت عدة آيات كريمة بهذا المعنى منها قوله تعالى : " وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون " ، الأعراف آية (٤) بياتا : ليلا ، والقائل النائم بالظهيرة ، والقيلولة : نوم ، نصف النهار اذا اشتدت القيلولة ، (الشوكاني التفسير ١٨٨/٢)

(٢) Burckhardt. Nots 1/142, 141. (٢)

(٣) المصدر السابق : 1/13, 142

القبائل في نجد يتغير فترة بعد أخرى ، فتختفى أسماء قبائل — من الوجود نهائيا — وان كان يبقى منها أسر تحت أسماء أخرى ، وتضعف قبائل فلا يعد لها ذلك المجد والقوة اللذين كانت تدل بهما على سائر النجديين كما سبق بيان جانب منه عند الحديث على بادية نجد قبل الدعوة ضمن الكلام على الفئات الاجتماعية في نجد (١) .

ويمكن للباحث اعتبار الغزو عاملا من عوامل الطرد السكاني من نجد سواء كان ذلك في فترات الخصب والنماء حينما تنفذ قبائل — من جنوب الجزيرة أو من غربها مزيج القبائل النجدية الأصلية عن أماكنها فتضطرب هذه القبائل إلى النزوح شمالا وشرقا أو غيرهما من الجهات تحت ضغط هذه القبائل الجنوبية لتضغط هي بدورها على قبائل هذه الجهات أو تعيش معها بسلام ، أو سواء كان ذلك في فترات الجذب والمحل حينما تضطر بعض القبائل النجدية أو جزء منها إلى النزوح منها إلى الجهات الأخرى وخاصة بلاد الرافدين والشام فتتبعد قبائل هذه الجهات أو جزء منها أو تعيش معها بسلام لتصبح بعد ذلك من قبائل هذه المناطق ناسية الموطن الأصلي لها ، ومن هنا جاء انقسام كثير من القبائل النجدية إلى أقسام بعضها في نجد والبعض الآخر في مناطق أخرى بل وجود قبائل نجدية بأسمائها القديمة التي لم يعد لها في نجد أي ذكر (٢) .

(١) ابن بلعيد : صحيح الأخبار ١٢٧/٢ - ١٣١ .

(٢) س. ه. اونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٠٤ ، وقد ذكر فيها نزوح قسم من قبيلتي شعرو ونزوح إلى العراق والشام ، كما ذكر قبيلة بني لام من ضمن القبائل العراقية ، وانظر : الحلاق — حوادث دمشق اليومية ص ٨٨ ، ١٠١ ، ١٨٦ .

٨ - السلب والسرقة :

من الصعب اعتبار أبناء البادية اصوصا بشكل عام كما ينظر الى ذلك الغربيون الذين قاموا برحلات الى شبه الجزيرة العربية ، غير أنه - في الوقت نفسه - لا يمكن اغفال دور قسم كبير من بعض القبائل البدوية في أعمال اللصوصية وقطع الطريق . . لكن بوركهارت السذى عاش فترة متقلبا بين البدو يقرر بأنه يجب أن لانتصق بهذه الحراسة مفاهيم الاجرام نفسها التي نحتفظ بها لقطاع الطريق ومقتحمى المنازل في أوروبا ، فاللص العربى يعتبر مهنته مهنة شريفة ، ومن يسرق - من المخيم ، أو بين القبائل الصديقة - يوصم بالعار ، لأن أساس الفخر فيما يتعلق بالسرقة هى أن تكون من الأعداء (١) .

واذا قرر البدوى قطع الطريق أو الاغارة على مخيم بطريقة سرية لنهب أى شىء تقع عليه يده ، فانه يأخذ معه عددا لا بأس به من الرفاق ، ويأخذون معهم زادا قليلا من الدقيق والملح أو التمر ، وقرية صغيرة من الماء ، ويبدأون رحاة على الأقدام قد تستغرق ثمانية أيام ، وفى الغالب فان اللصوص وقطاع الطرق لا يركبون ، وعندما يصاون قريبا من المخيم المستهدف ، يبعثون نحو الخيام ثلاثة - من أجراهم ، عليهم أن يصلوها فى منتصف الليل ، بعد التأكد من نوم أهلها ، وعلى البقية انتظارهم على مسافة قصيرة من المخيم ، وتبدأ مهمة الثلاثة من خلال أدوارهم التي أوكلوا بها ، فأحدهم يسمى " المستبح " ويتخذ موقعه خلف الخيمة المستهدفة محاولا اثارة انتباه كلاب الحراسة التي تهاجمه فى الحال ، فيهرب فتتبعه الى مسافة بعيدة عن المخيم ويبدو أنه يربطها أو يسامها للمنتظرين ، وفى الغالب

1- Burckhardt. 157 ، 1/158 .

يشغلها بنفسه حتى يتم رفاقه المهمة ، وهكذا يتم تخليص المهمة من هذه الكلاب ، وسمى المستنبح لأنه يشير الكلاب فتنبح لاثارة أهل المخيم الذين قد لا يستيقظون ، أو عندما يستيقظون ولا يرون أحدا يأمنون .

وهنا يأتي دور " زعيم الفرقة " وهو المص الكبير ، الذي يتجه نحو الابل ليفك حبالبها ويقود واحدة من النوق الى خارج المخيم فتنبحه الأخريات بدون أية حركة يمكن أن تستفز أهل المخيم لأن الابل لا تحدث صوتا اذا لم يكن عليها حمل .

أما الثالث وسمى " القعيدة " لأنه يجلس عند مدخل الخيمة لئلا يخرج منها أحد ومعه عصا طويلة وثقيلة يرفعها عند المدخل ليطرح بها أى شخص يحاول أن يتقدم الى أن يهرب الزعيم بالابل فيتخلص بطريقة ما - من أهل المخيم ليلحق به ، فيسوق معه الابل التي قد تصل الى ٥٠ جملا بسرعة الى مكان اللقاء .

وتبدأ بعد ذلك قسمة الغنائم ليأخذ رئيس المجموعة والمثلون الثلاثة الرئيسيون حصة أكبر من الغنيمة (١) .

أما اذا فشلت المهمة فان نتائج عكسية تنتظرهم بالسجن - كما فى الرهبط ، أو قد يسلموا ولكنهم يخسرون ماسلبوا كما فى الدخيل .

٩ - نظام الرهبط والدخيل (٢) :

نظرا لأن هذين النظامين متداخلان فيما بينهما فمن الصعب اللقاء الضوء على أحدهما مستقلا عن الآخر .

1- Burckhardt, 1/160 -158,

وجاكلين بيرين : ص ٢٢٤ .

(٢) ان نظام الدخيل بمثابة حماية سياسية للمجرم ، كما أنه أسلوب لتخليص الرهبط من أسره . وهو نوع من أنواع الاستجارة والحماية ومعز القبائل تقصر الدخالة على أبناء قبيلتها فقط ، وهذا النظام وان كان يعتبر نوعا من النخوة والتكريم الا أنه فى المقابل يعتبر أسلوبا من أساليب ضياع الحقوق

قد تفشل مهمة اللصوص بأن يراهم جارا للخيمة المستهدفة فيوقظ أصدقاءه من أهل الخيام الأخرى لمحيطوا بهم ، والذي يمسك واحدا منهم فانه يعتبر رهيبا له " أى سجين " .

ثم يبدأ الرّبّاط بسؤال رهيبه عن غرضه مع ضربه على رأسه فيرد الرّبيط " جئت للسرقة ولكن الله أطاح بي " فيقوده الى خيمته حيث يثير أسر أي لص ابتهاجا كبيرا ، ولكي لا يهرب بسهولة أو يصبح دخيلا لأي أحد : تحفر حفرة في أرض الخيمة نحو قدمين ويمدد فيها الأسير بعد ربط قدميه ويديه بالسلاسل الى الأرض ، ويشد شعره الى وتدّين على جانبي رأسه ويثبت حول الحفرة أعمدة يوضع فوقها أكياس الحبوب أو أي شيء ثقيل ، ويترك فتحة صغيرة فوق وجه الرّبيط ليتنفس من خلالها ، وسنرى كيف أن هذه الفتحة تؤدي دورا مهما في خلاصه ، ويحاول الرّباط أن يستخرج منه أي فدية لكنه - ان كان - من عائلة غنية نفى ذلك مصورا نفسه شحاذا أو فقيرا ، الا أنه اذا عرف الرّباط بحقيقته فان عليه أن يدفع فدية كبيرة ، واذا أصر على ادعاء الفقر واخفاء اسمه الحقيقي فان هذا يطيل من سجنه ، ولعل غياب الرّباط ولولهنهية فرصة لاتموض ليهرب الرّبيط الى أقرب خيمة معلنا أنه دخيل لصاحبها (١) .

ويستमित أقاربه وأصدقاؤه في تخايصه من سجنه : اما بالقوة المكشوفة ، أو تأتي احدى قريباته في صورة " شحاذة " وتحاول أن تجعل نفسها ضيفة لدى الرّباط ، وفي الليل تدخل الى خيمة الرّبيط ، وفي يدها كرة من الخيوط التي غزاتها ، وتفرد طرفها لتلقى

= عند البادية فهو من قبيل أنصر أخاك ظالما أو مظلوما بمفهومها الجاهلي لا الاسلامي . (فهد الحبارك ، من شيم العرب ١٤١/٢ ، مجلة الإدارة : ٤١/٤٣ ، ص ٢٧) .

(١) جاكين بيرين : ص ٢٢٤ ، Burckhardt 1/165-163-160 ،

به مع الفتحة التى فوق وجه الربيط ليعص عليه أو يثبتته الى قدمه ، ثم تخرج المرأة من الخيمة ، وهى تفرد الخيط حتى تصل الى أقرب خيمة مجاورة فتوقظ صاحبها ، وتجعل آخر الخيط عند صدره وهى تقول : " انظر الى : استحلفك بالحب الذى تحمله لك ، ولنفسك أن تجعل هذا تحت حمايتك " : " ترانى بالله هك هذا دخيلك " (١) وينتشى صاحب الخيمة لأن الدفاع عن الدخيل من الأمور الواجبة فى البادية ، ويعنى أن القائم به محبوب وله وجهة . وينهض ليمشى مع الخيط الذى يرشده الى موقع الربيط ليوقظ الرباط ويهرىبه الخيط الذى يمسك به الربيط بفمه أو رجله ويعلم أنه دخيل ويجب أن يتحرر ، فتفك السلاسل التى ربط فيها ، وتقطع قيود شعـره بسكين ، ويطلق سراحه ويعامل معاملة الضيف .

وإذا حصل أن انتقل المخيم الذى فيه الربيط عن مكانه فانهم يحملونه مرهوطا فوق بعير ، وعندئذ يجتهد صديقه الذى يكون قريبا من المخيم فى استغلال فرصة ما لفصل البعير الذى عليه الربيط عن الابل الأخرى ، ويذهب به الى أى خيمة أخرى أو شخص من القافلة ليحرر الربيط ، أما إذا فشلت محاولته وقبض عليه فانه يعامل هو الآخر كرहित .

وهناك وسيلة أخرى وهى الفدية ، وتكون اما أن يضحى أبو الربيط بجميع ممتلكاته لأنه يعتبر أنه من الشرف له أن يكون ابنه حنشولى (٢) ، وهو ان يفديه هذه المرة فانه يرجو أن يعوضه سريعا من نتاج غارة أكثر نجاحا .

(١) السنة أن يعطف بثم لأن العطف بالواو يقتضى التسوية مع الله وهذا شرك . وهو يصور جانبها من جوانب الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة ، وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بابا تحت عنوان " قول ماشاء الله وشئت " للتفصيل فيه وشرحه : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والاقتا . الرياض ، من ص ٣٧٩ - ٣٨٢ .

(٢) 105-167, 169, 170 , 1/171 Burckhardt .
ولفظه حنشولى عامية نجدية ليست فصيحة الا أن تكون معرفة من حشل بفتح الحاء وسكون الشين ، وهو الرذل من كل شئ لفة فى الحسل وقصد ذهب العبودى الى هذا الرأى على أساس أن الحنشل من أرد ١

وإذا لم يجد وسيلة من تلك الوسائل فإنه يجرم بعض شروط
الفدية ، فإذا تحدد المبلغ فإنه يحدث أن يكون بين قبيلة
الرباط أفرادا من قبيلة الرميح يكفلونه اجمع المبلغ من قبيلته ،
ويأتى بها الى الرباط ويحرر .

أما إذا عجز عن جمع قيمة الفدية فيستسلم الى رباطه ايمود
أسيرا .

وفى بعض الأحيان فإن الرميح يحرر بدون فدية ، أو فدية
متواضعة جدا ، خاصة إذا تعرضت حياته للخطر نتيجة اسجنه ، لأنه
إذا مات وهو فى رباطه ، فإن دمه يقع على الرباط الذى تتأثر منحه
قبيلة الرميح (١) .

ويمكن للبدوى إذا قابل بدويا عدوا له وهو يمشى على قدميه أن
يجعل منه رهيبا ، لأنه يفترض فيه النية المبيتة على سرقة مخيمة فى
هذه الليلة . . هذا إذا رآه قريبا من المخيم ، أما إذا قابله فى
مكان يبعد أكثر من مسيرة نهار ، فإنه لا يدخل له أن يجعل منه رهيبا
بل عليه أن يعامله معاملة العدو العادى الصريح ، لأنه جرت العادة
عند البدو أن لا يقترب العدو من مخيم عدوه وهو على رجله ، أو فى
أعداد قليلة الا من أجل السرقة .

أما إذا أرادت القبيلة هجوما صريحا فإنهم يأتون راكبين الخيول
أو الجمال ، وهدفها ليس السرقة فقط بل الاستيطان فى موطن

= الناس لأنهم يفتصبون الضعفاء ، ويتعاشون من يكون معهم سلاح الا أن هذا
الرأى وإن جاز لفهوا أو أمكن تعليله من واقع النقد الاجتماعى الا أن التاريخ الاجتماعى النجدى
يشهد أن الحنشولى رجل شجاع ذكى بارع ولقب حنشولى أو حنشلى يدل على المهارة
حتى أن من يطلق عليه لا يغضب من ذلك وهذا شئ متعارف عليه عند البادية
والحاضرة على السواء رغم أن الحنشلى (بضم الميم وفتح الشين) إذا ظفر
بالحنشولى أدبه ، للتفصيل (الفيروز آبادى ٣/ ٣٥٧ ، الزميدى : التاج ٧/ ٢٧٨ ،
٢٧٩ ، العبودى : الأمثال ١/ ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، جاكين بيرين ٢٢٤) .

الكلأ والما ، وهنا اذا فشلت محاولتها فان أفرادها يعاملون معاملة الأعداء الصرحاء ، وليس معاملة اللصوص ، وفي هذه الحالة فانهم يجردون ويسلبون واكنهم لا يسجنون ، وان كانت قلة من القبائل لا تفرق في ذلك .

ومن تكريم البادية للمرأة أن النساء لا يمكن بأى حال من الأحوال معاملتهن كرهيط ، ومن يفعل ذلك فقد أخل بقانون الشرف ، ولم أشرطى عقاب اللص من النساء لدى البادية لأنه يبدو أن هذا نادر الحدوث ، أو أنه تعاقب القبيلة أو الأسرة التي تنتسب اليها ولا تعاقب بشخصها (١) . أما فيما يتعلق بالدخيل : فقد تأخذ بين البدو وكقانون أنه بمجرد أن يصبح شخص ما في خطر حقيقى من شخص آخر ، ويستطيع أن يلمس شخصا ثالثا حتى لو كان الطموس أخا للمعتدى ، أو اذا لمس شيئا عزيزا بين يدي شخص كسيف أو رمح أو عصا أو ملابس ، أو بالقاء حجر عليه ، فانه بمجرد أن يعمل هذه ، يصبح دخيلا للطموس ، وبمجرد أن يقول : " أنا دخيلك " " أنا محميــــــــــــــــك " " ترانى بالله وبك أنا دخيلك " يعلن الطموس أن هذا دخيلى وسأدافع عنه (٢) .

ويمكن للرهيط منذ اللحظة الأولى التي يجرى فيها رباطه أن يطلب أن يكون دخيلا ، ولكن هذا في أول يوم ، ففي الأيام التالية لا يقبل هذا الطلب . . . هذا اذا أتاح له الرباط ذلك .

ويمكن للصوص بمجرد أن يعلموا أن خطتهم قد انكشفت أو أن ضوء النهار قد أزف ما يعرضهم للخطر ، أو أن أحد جماعتهم قد أصيب

Burckardt, 1 170, 1 69.

(١)

(٢) جاكين بيرين : ٢٢٤ .

بمجرد ، ولم يعد فى مقدوره أن يتبعهم ، يمكنهم والحالة هذه أن يدخلوا أحد الخيام قائلين : " نحن حنشل نريد أن نتحول " فيقول لهم صاحب الخيمة " سلمتوا " أى أنتم آمنون ، وبعد لهم القهوة والافطار ، ويستضيفهم طيلة المدة التى يريدون البقاء فيها ، وضد رحيلهم يعطيهم زادا يكفيهم للوصول الى أهلهم .

فإذا اتقوا أثناء عودتهم الى أهلهم بجماعة معادية من القبيلة التى كانوا ينوون سرقتها وفشلت خططهم ، وأرادوا بهم شرا فانهم بمجرد قولهم : " نحن سالعون " أى أكانا طعاما عند الخيمة افلانية تتركهم هذه الجماعة وتغلى سبيلهم ، ويكون هذا بمثابة جواز ، ويمكن اشهادة مضيفهم أنهم أكلوا عنده أن تخلصهم من أيدي أى بدوى يعترضهم سواء كان من القبيلة التى كانوا ينوون سرقتها أو من أى قبيلة عديقة لها (١) .

الا أنه اذا كان هؤلاء اللصوص من اللؤم بحيث أنهم بعد استضافة حاميمهم لهم وفى أثناء عودتهم الى أهلهم قد سرقوا بعض البدو الذين فى الطريق من القبيلة التى كانوا ينوون سرقتها ، فانهم يفقدون امتيازهم كدخيل بلجؤ الشخص المسروق الى مضيفهم الذى يرسل فى الحال الى شيخ قبيلة اللصوص مطالبا بممتلكات هذا الشخص على اعتبار أنها سرقت بطريقة مخالفة لقوانين الشرف ، فإذا ما أعادها اللصوص حل الموضوع ، أما اذا رفضوا فان المضيف نفسه يذهب الى شيخ قبيلتهم ، ويجمع القبيلة كلها بما فيها اللصوص ويبرز الطبق الذى أكلوا فيه عنده " رمز الحماية الممنوحة لهم " طالبا منهم اعادة الممتلكات المسروقة فان استجابوا انتهى الموضوع ، والا فان المضيف يرفع الطبق ويقول للصوص : أنتم خونة ويكون نتيجة ذلك فقدانهم لأن يكونوا ضيوفاً أو دخلاء بل يمكن حتى لمضيفهم أن يجردهم من جميع ممتلكاتهم ، ويعاملهم مرة أخرى معاملة الربيط اذا ظفر بهم ، وتسمى هذه الحالة " رفع الجناية " وتتجاوز حاة رفع الجناية كونها تنطبق على من سرقوا مضيفهم الى انطباقها على كل رجل من احدى القبائل يعمل شيئا مع رجال

القبيلة الثانية وخاصة المرتبطة معها بأى نوع من أنواع العلاقات الاجتماعية التى مر ذكرها ، وعندما يعمل هذه الجناية فان المجنى عليه يأتى الى رئيس قبيلة الجاني ويشتكى اليه فيبلغ رئيس القبيلة بصورة تعميمية بأن فلانا عليه حناية فلا يستطيع رجل من القبيلة اجارته اذا استجار به ، وان أجاره فان هذا يعد من الاخانات العظمى فى البادية فيرغم المجير على تسليم المستجير ويقتل ليس عقابا للمستجير لوحده بقدر ما هو عقاب أدبى ونفسى للمجير ان أن قتل المستجير أو تأديبه يعانى منها المجير عناية شديدة لأنها تعد خفرا لاجارته وعهده ، ولا شئ " أشد على المجير من ذلك ولهذا فان المجير يعمل المستحيل ويهدد ويتوعد حتى لا تغفر اجارته ، ولا ينقض عهده وعموما فمن المتعارف عليه بين قبائل البدو أن مرفوع الجناية لا يعطى عهدا ولو حصل وأعطاه أحد رجال القبيلة أى عهد فان رئيس القبيلة له الحق فى أن ينقض هذا العهد ولا يأبه به معاقبا المعاهد والمعاهد بما يشاء من العقاب (١) .

وهكذا نرى أن الحياة الاجتماعية لدى البادية لا تخضع لنظام عادل صارم فى احقاق الحق وابطال الباطل وان كانت هذه العادات والتقاليد تختلف من قبيلة الى أخرى قربا أو بعدا من تحقيق العدالة والعيش الكريم سواء لابن البادية أو المار فيها ، الا أن بعض هذه العادات وخاصة المتعلقة باليهود والحماية ينطبق عليها المفهوم الجاهلى لبدأ : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " فهى وان كانت قد راعت قوانين الشرف والعدل فى بعض الجوانب فانها جعلت ابن البادية يعيش أحيانا فى فوضى يأكل فيها القوى الضعيف ويتمصب فيها كل لقبيلته وأسرته ، ورغم كونها فوضى مقننة بأعراف وتقاليد بعضها حسن وبعضها سيء الا أنها فى حاجة الى عقيدة صافية وحكم شرعى ينمى الحسنى ويوجه وينبذ السيء ، ويعيد هؤلاء البدو الى دينهم الاسلامى الذى يعيشونه مشوها يحتاج الى توضيح وتطهير .

(١) فهد الطارك : من شيم العرب ٢/ ١٥٢ - ١٥٧ ، وانظر :

Burckhardt , 1/ 173, 172, 168.

الباب الثالث

النزول الحرة على الحياة لله سبحانه وتعالى بالوعد بغير.

توطئة:

الفصل الأول : مواقف بادية نجد سر الدعوة السلفية.

الفصل الثاني: اثر الدعوة على الحياة الدينية لدى بادية نجد.

الفصل الثالث: اثر الدعوة على مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد.

- ١- أثر الدعوة على الوضع الأمني.
 - ٢- " " على الحرة
 - ٣- " " التحوّل الجماعي وزعامة القبيلة.
 - ٤- " " بضمهم أساليب الحياة العامة.
- والعادات والتقاليد بادية نجد.

- ١- اثرها على نظام الربيط والدخيل .
- ب- " " وضع المرأة .
- ج- " " الملبس .
- د- " " المشرب وبقية العادات .

توطئة :

لقد كان من الطبيعي أن تولي الدعوة الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد اهتمامها فقد كانت البادية تشكل غالبية سكان نجد في تلك الفترة .

ومن هذا المنطلق جاء تركيز الشيخ محمد علي نقد الأوضاع الدينية لدى هذه البادية كما مر ، الا أن من الصعب أن يلم الباحث بآثار الدعوة على كل الجوانب الاجتماعية لدى بادية نجد لأنه سيواجه بالحقائق التالية :

أ - شح المصادر التي تحدثت عن هذه الفترة فيما يتعلق بآثار الدعوة عموماً على المجتمع النجدي من جميع النواحي ، وخاصة على البدو ، ولو ذهبنا ننتهـم ذكر آثار الدعوة في هذه المصادر الى جانب الأحداث السياسية والعسكرية لوجدنا أن هذه الآثار لا تشكل الا نسبة ضئيلة من الحديث عن هذه الفترة .

ب - طبيعة هذه المظاهر مثلها مثل المظاهر الاجتماعية لدى أي أمة أو شعب فيها الحسن وفيها السيئ ، وفيها ما يمكن اعتباره مظهراً حضارياً يعكس مالدی البدو من قيم اجتماعية مثلى وفيها ما هو الى شريعة الغاب أقرب .

ج - طبيعة الدعوة نفسها وأنها تجديد لهذا الدين ، وتطبيق لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة ومعتقد السلف الصالح ، ومعروف أن الرسالة الإسلامية جاءت باقرار مالدی العرب من عادات وأعراف اجتماعية

حسنة ، وتهذيب ما كان الى الخير أقرب ، ونبذ ما كان متنافيا مع القيم الاجتماعية المثلى التي جاء بها الاسلام ، وعلى هذا الاساس عاملت الدعوة السلفية مالدى أهل نجد من مظاهر اجتماعية ، فأقرت بعضها ولم ير لها أثر فيها ، ونبذت أو حسنت بعضها فبدأ تأثيرها فيها واضحا .

د - طبيعة البدو أنفسهم فى كونهم رحل لا يستقرون فى مكان معين مما يصعب معه على الدعوة ملاحقتهم فى هذه الصحراء الفسيحة ، ويستحيل بالتالى نزع هذه العادة الاجتماعية أو تلك منهم ، هذا اضافة الى حساسية البدوى عند التعرض لقيمه وعاداته الاجتماعية بأى نقد ، مما جعل الدعوة لا تصطدم بالبدوى بسبب هذه العادات بشكل مباشر لأنها تسير على مبدأ " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " فهي قد اكتفت باستعداد البدوى لتقبل مبادئ الدعوة عامة لما كان يعيشه من فراغ عقدي ، وما يتمتع به من فطرة سليمة وصفا نفسى ، واكتفت باستعداده قبول مبدأ السواء العام للدولة ، أما العادات الاجتماعية وبعض الجوانب العقيدية أيضا فلم يتدخل عنها الا تدريجيا ، وارضاه للكيان السياسى للدعوة الجديدة والذي ما ان سقط حتى عادت بعض هذه المظاهر الى حالتها الأولى .

هـ - محدودية الامكانيات لدى الدعوة والدولة ان لم يتوافر لها عدد من العلماء الذين لديهم الوعي الكافى بجوانب الحياة الاجتماعية التفصيلية لدى البادية ، اضافة الى عدم فهمهم الفهم الكافى لنظرة الاسلام نحو البدوى فى استشارة نوازع الخير لديهم ، هذا فضلا عن انشغالها فى أغلب الأوقات باخضاع المدن والقرى والقبائل من ناحية ، وصد المعتدين على حكومة الدرعية من النجديين وغيرهم من ناحية أخرى .

الا أن الباحث لا يعدم ولو اشارات خفيفة يتلمس معها بعض آثار الدعوة على بعض المظاهر الاجتماعية لدى بادية نجد .

الفصل الأول

مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية :

بدأ الشيخ بعد ما استقر في الدرعية تحت حماية أميرها محمد بن سعود يرأسل هو والامام بن سعود أهل البلدان وطماهم ، رؤساء قبائل البادية يوضحان مبادئ الدعوة السلفية ونظام الدولة السعودية الأولى الوليدة (١) وأن هدفها لا يعدو أن يكون الرجوع الى الدين الاسلامي بمناجعه الصافية ، وتعميم الوعي فيه ، وتحقيق الكيان السياسي لهذه الدولة لتوفير الأمن الاجتماعي بين البادية والحاضرة على حد سواء ، فاختلقت المواقف الهدوية ازاء ذلك في الهداية .

ولعل من أوائل القبائل الهدوية تلبية للدعوة هم أفخاذ من قبيلة سبيع العارض ، ولهذه المبادرة جذور من الولاء والتبعية لآل سعود منذ كانوا أمراء الدرعية فقد كان ولا هذه القبيلة قبل الدعوة يتنازع آل معمر في الميمنة وآل سعود ففي سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م اشتركت هذه القبيلة وأفخاذ منها - مع ابن معمر في حرب أهل حريملاء ، ويبدو أن هذا الولاء قد استقر أخيراً لآل سعود ففي سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م اشتركت هذه القبيلة مع زيد بن مرخان - أمير الدرعية آنذاك - في محاولته غزو الميمنة ، هذه المحاولة التي أودت بحياة زيد هذا عندما مناه ابن معمر - خرفاش - بتلبية مطالبه وأمر رجاله أن يرموه اذا جلس فرموه فمات فتولى بعده في الدرعية محمد بن سعود (٢) .

(١) ابن بشر : ٢٦/١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٩/٢ ، ٢٣٧ .

وكمصلحة طبيعية لهذا الولا^١ انضمت قبيلة سبيع المعارض الى الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى ، ولئن كان قد حصل من هذه القبيلة أو أفخاذ منها عدم استجابة أولية للدعوة إلا أن استجابتها تعتبر من أولى الاستجابات ان لم تكن أولها ، وبداية لهذا فان فخذاً من هذه القبيلة قد تعرض في سنة ١١٧٤هـ / ١٧٦٠م لاغارة من الدرعية ، وغنم جيش الدرعية منهم غنائم من الابل والامتنعة وقتل عشرة رجال ، كما أنه في سنة ١١٧٦ / ١٧٦٢م غزا عبد العزيز بن محمد عرباناً من سبيع وغنم منهم مائتي بعير (١) .

وهذا هاتين الحادثتين فقد كانت علاقة هذه القبيلة بالدولة السعودية الأولى علاقة ولا^٢ وتبعية ، وقد وعى قادة هذه الدولة هذه الحقيقة فأخذوا يدافعون عنها ضد القبائل المعادية لها ففي سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م أخذ غزو من العجمان فريقاً من سبيع فثار لهم عبد العزيز بن محمد في جيش الدرعية وقتل منهم أشخاصاً وأخذ ركاباً ، وقد فتحت هذه الغزوة وهذا الثأر المجال أمام المكرمى - صاحب نجران - لغزو الدرعية عندما لجأ اليه العجمان طالبين منه الثأر لهم ومنوه بالقضاء على الدرعية ، أو غنائم الحرب معها (٢) .

ولم تحض سنة على هذه الحادثة حتى أصبحت سبيع تشكل قسماً كبيراً من التشكيل البدوى لجيش الدرعية ففي سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م اشتركت سبيع في المعركة التي دارت رحاها بين صاحب نجران وجيش الدرعية (٣) ، ويبدو أن هذه

(١) ابن غنام : روضة ٥٨ / ٢ ، ٦٣ ، ابن بشر ٥٣ / ١ ، ٥٦ ،
(٢) ابن غنام : ٦٤ / ٢ وذكر فيها أن الذين أخذوا سبيها غزواهم أهل اليمن وانظر
ابن بشر : ٥٦ / ١ ، ٥٧ ،
(٣) ابن بشر : ٥٧ / ١ ، ٥٨ ،

القبيلة قد بايعت على الولا^١ والطاعة للدعوة والدولة في أواخر سنة ١١٧٧هـ (١) إلا أن هذا الولا^٢ لم يكن شاملا للقبيلة فقد تعرضت أفخاذ منها لغزوة من الدرعية سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، وفي سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م غزا عبدالعزيز بن محمد قسما من سبيع يبدو أنه نقض البيعة، ولكن عبدالعزيز نفسه قد ثار لسبيع سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م عندما تعرضت لغزوة من دهام بن دواس أخذت منها ابلا، ولعل اغارة ابن عريم على هذه القبيلة سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م كانت بسبب ولائها للدعوة والدولة (٢) هذا الولا^٣ الذي وان كان مذبذبا بالنسبة لبعض أفخاذها فإن ما يظهر أن أغلبية أفخاذ هذه القبيلة قد ثبتت طلي ولائها وهو ما يمكن أن يفسر به الباحث اشتراك سبيع في جيش الدرعية من ناحية، وتعرض بعض أفخاذها لتأديب ذلك الجيش من ناحية أخرى، ويبدو أن حكومة الدرعية قد أوعزت لقادتها مساعدة هذه القبيلة إذا تعرضت لغزو أو غزت هي، وأكبر دليل على ذلك مساعدة سليمان بن ضيفان لسبيع عندما غزاها ابن زامل أمير الدلم، هذه المساعدة التي كانت سببا في مقتل ابن زامل وبعض رجاله واستنقاذ ابل سبيع (٣)، وعلى العموم فإن هذه القبيلة تعتبر في نظر مؤرخي هذه الفترة من القبائل الموالية للدعوة والدولة فقد كانت تشترك في المعارك التي تدور رحاها بين الدولة السعودية الأولى وأعدائها سواء كان من بني خالد في شرقي الجزيرة أو من الأشراف في غربيها، أو ضد الحملات التي وجهت للقضاء على حكومة الدرعية من خارج الجزيرة (٤).

-
- (١) مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب، دراسة وتحقيق وتعليق د: عبد الله الصالح العثيمين، مطابع دار الهلال. الرياض منشورات دار الملك عبدالعزيز ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٦٢.
- (٢) ابن غنام: ٢/ ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١٠٦، ابن بشر: ١/ ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧٣، ٨٨، مؤلف مجهول: ٧٤، وقد أشار صاحب لمع الشهاب الى قد موالاة سبيع للدولة ص ٣٧.
- (٣) ابن غنام: ٢/ ١١٩، ابن بشر: ١/ ٩٥، ٩٦، أحداث سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م.
- (٤) ابن غنام: ٢/ ١٥٧، ابن بشر: ١/ ١٢٧، ١٣٥، ١٤٢، ١٦٢.

ويذكر صاحب اللمع عن سبيع النصارى : "أنهم فى عين الطاعة والانقياد
لآل سعود وهم معهم فى الحمية وتعصب (١) كان كاللحمة وأبناء العم ، ودائما
مهما ركب أحد من آل سعود فى الحروب فهم معه ولا يأمن أحدا مثل ما يأمنهم ،
ولهم شجاعة معروفة فى نجد " (٢) . ولعل تأديب ابراهيم باشا ، والقادة الاتراك
من بعده لهذه القبيلة مع بعض قبائل نجد يؤكد قدم ولائها للدعوة والدولة ،
كما يؤيد ما ذهب اليه صاحب اللمع فى هذا المجال (٣) .

ويبدو أن قبيلة المسهول التى يقال انها ترجع الى سبيع أيضا من القبائل
الموالية للدعوة فى فترة متقدمة من بدايتها يؤيد ذلك عدم ذكر هذه القبيلة ضمن
من كانت حكومة الدرعية تشن غاراتها عليها فى أول قيامها ، كما يؤيد ذلك اشتراكها
فى أغلب الجيوش والغزوات التى كانت تشن من قبل الدولة السعودية الأولى (٤) .

ولقد كان تقرير الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قبيلتى عنزة والظفير —
ومواقفهما من الدعوة صحيحا فقد شاركت الظفير أكبر مناولى الدعوة من الزعماء
النجديين — د هـ ام بن دواس — وذلك فى غزوته لمنفوحة (٥) عندما أعلن أهلها
ولا هم للدعوة والدولة مما يعطى الباحث بعض التصور عن هذه القبيلة وانها تنظر

(١) هكذا وردت ولعل الألف واللام قد سقطتا من أول الكلمة .

(٢) ص ٦٤ .

(٣) ابن بشر : ٢٩١/١ ، ٣٠٠ ، لوريمر : دليل الخليج العربى : القسم التاريخى :

٠١٦٢٦/٣

(٤) ابن بشر : ١٣٢/١ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، الرمكى : ٠٦٤ .

(٥) منفوحة : بلدة قديمة ذكرها الأصفهانى ، والهمدانى ، والبكرى وياقوت واشتهرت
قديما بأعشى قيس الذى لا تزال بعض اطلاله باقية فى جنوبها وظلت بلدة لوحدها
الآن أصبحت أحد أحياء مدينة الرياض . للتفصيل فى موقعها وتاريخها —
(الأصفهانى : ٣٦٠ ، ٣٦١ ، الهمدانى : ٢٦٤ ، ٢٨٤ ، ٣٠٧ و ذكرها أحيانا باسم
منفوحة وأحيانا باسم المنافع ، البكرى : ١٢٧٢/٤ ، ١٣٦٨ ، ياقوت : ٢١٤/٥ ،

للدعوة نظرة عداء (١) ، ويؤيد ذلك أن هذه القبيلة قد ساعدت بعض أهل الزلفى (٢) وأهل سدير والوشم في اغارتهم على بلدة رغبة (٣) بدعوة من بعض أهلها الذين نقموا على أهل بلدتهم دخولهم في الدعوة ، وتمكن الفزاة من دخول البلدة ونهب الأموال (٤) ، كما أن هذه القبيلة قد ساعدت بعض أهل الوشم وأهل سدير وبعض أهل الجنوب على غزو ضرماء بدعوة من بعض أهلها الذين جلوها عنها ، ويبدو أن ذلك كان بسبب عدم موافقتهم لعامة أهل ضرماء على السؤلا للدعوة ، وقد حدثت هاتان الغزوتان لهاتين البلدتين سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥١ م (٥) .

= ٢١٥ ، ابن بشر : ٢٩/١ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، وللاستزادة من أخبارها في ابن بشر انظر : أحمد مرسى عباس : فهارس عنوان للمجد ط (١) مطبعة المدينة الرياض - نشر دار الملك عبدالعزيز ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ابن خميس : معجم اليمامة : ٣٩٧/٢ - ٤٠٠

- (١) ابن بشر : ٣٠/١
- (٢) بلدة قديمة ذكرها الأصفهاني وياقوت بأسس زلفة وذكرها البكري باسم الزليفات الا أن ابن بليهد قال ان زلفة غير زليفات وأن زليفات هي القرى التابعة للزلفى التي تحمل هذا الاسم منذ القدم ، وقد حفلت الزلفى بأحداث كثيرة ، وانجبت عددا من العلماء والفضلاء ، وللتفصيل فيها موقعا وتاريخا (الأصفهاني : ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، البكري : ٢/٧٠ ، ياقوت : ٣/١٤٦ ، ابن بشر : ١/٤١ ، ٣٠٢ ، ٧٩ ، ٦٦ ، ٥٢ وفيه أخبار كثيرة عن الزلفى ، للاستزادة منها يمكن الرجوع الى أحمد مرسى عباس . المرجع السابق ١٣٠ ، ١٣١ ، ابن خميس : ٧٢ ، ٨٠ ، ١١٠ ، ١٧٤ ، ١٩١ ، ابن بليهد : ٤٧/٥ ، ٤٨ ، مقبل الذكير : طوق الحمامة (مخطوط) ورقة ١٥٨ ، ابن خميس : ١/٥٢٩ - ٥٣٥ .
- (٣) رغبة : إحدى بلدان المحمل . لم أر لها ذكرا فيما بين يدي من معاجم البلدان القديمة ، وذكر ابن خميس أن محلاتها الأولى قد بنيت سنة ١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م ، ولها تاريخ حافل حيث خرجت قضاة وعلماء ومرت بها أحداث قبل الدعوة وبعد ها . وللتفصيل (ابن بشر : ١/٤٠ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٨٨ ، ٣٠٢ ، ٢٢١/٢ ، ٢٣٠ ، ابن خميس : ٧٦ ، ٦٢ ، ١٠٩ ، ٩٠ ، ٢٢٧ ، والذكير : ورقة ١٢٩ ، عبد الله البسام : علماء نجد : ١/٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ابن خميس : ٨١/٤٧٤ - ٤٧٤)
- (٤) ابن غنام : ١٦/٢ ، ابن بشر : ١/٤١
- (٥) ابن غنام : ١٦/٢ ، ابن بشر : ١/٤١

وكانت حكومة الدرعية حريصة كل الحرص على تأديب هذه القبيلة على مناوأتها للدعوة وتحزبها ضدها ففي سنة ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م انتهز عبدالعزيز بن محمد ورود آل عسكر من الظفير على مورد ماء قرب رغبة فصحبهم بعد أن استنفر كافة رعاياه وحدثت بينه وبينهم معركة هزم فيها آل عسكر وقتل زعيمهم وبعض رجاله وأخذ عبدالعزيز وجيشه كثيرا من أثاثهم وأبلهم غنيمة (١) ، وتعتبر هذه الغزوة من أولى غزوات الدرعية ضد هذه القبيلة إن لم تكن أولها إضافة إلى أنها تعد من كبار الغزوات التي شنتها حكومة الدرعية ضد مناوئتها في المرحلة الأولى من انتشارها ويكفي دليلا على ذلك أن عبدالعزيز قد استنفر لها جميع رعاياه بادية وحاضرة يدفعه إلى ذلك قوة بأس هذه القبيلة وقدرتها على تجميع نفسها وتهيئة أعوان لها من البدو والحضر .

ويذكر مؤرخو نجد أن لهذه القبيلة دور في تسهيل مهمة المكرمي في غزواته لنجد حيث اجتمع على تأييده زعماء المعارضة السياسية النجدية من بادية وحاضرة عاقدين العزم معه على القضاء على حكومة الدرعية (٢) .

وفي سنة ١١٨٥هـ / ١٧٧١م أرسل عبدالعزيز بن محمد ابنه سعود للفرزو وفي رواية أنه سار هو بنفسه فذكر له غزو من آل ظفير فلحق بهم وقتل عددا منهم وأسر آخرين (٣) .

أما عنزة فقد كانت هي الأخرى مناوئة للدعوة في بدايتها ففي سنة ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م سار ابن عريم متجها لفرزو نجد واشترك معه بعض حاضرة نجد

-
- (١) ابن غنام : ٥٧/٢ ، ابن بشر : ٥٢/١
 - (٢) ابن غنام : ٦٧/٢ ، ابن بشر : ٥٨/١ أحداث سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م
 - (٣) ابن غنام : ٨٠/٢ ويذكر أن الذي قام بالفرزو سعود بينما يذكر ابن بشر : ٨٧/٢ أنه عبدالعزيز ، ويتفقان في تفصيل الغزوة كما يتفقان في أن عبدالعزيز قد قصد الظفير في السنة السابقة لتلك السنة وأنه هزمهم وأخذ بعض مواشيهم وقتل بعض

المناوئين للدعوة وانضم اليهم فخذ الحبلان من عنزة بزعامة ابن هذال ، ويبدو أن هذا الجمع من كبر الحجم بحيث أصبح مصدر خطر على الدولة الوليدة إذ أن كثيرا من النجديين حاضرة وبادية قد اشتركوا فيه ومن لم يشترك فيه بقي محايدا أو نقض عهده مع الدولة حتى يتبين الأمر ، وأخذت الدرعية في الاستعداد التام لمواجهة هذا الغزو فأمر عبد العزيز البلدان النجدية بالاستعداد والتحصين كما تم بناء سورين محصنين بأبراج حول الدرعية ، إلا أن هذا الجمع لم يتمكن من تنفيذ خطته ويبدو أن ذلك بسبب خلاف نشب بين مجموعاته ففشل وطاد كل إلى محله مما اضطر الدولة لتأديب كافة من ساهم فيه من النجديين حاضرة وبادية إلا من طالب العفو واستعد لدفع ما تقرره الحكومة من جزاء مادي عن هذه الخيانة^(١) ، وإذا كانت المصادر لم تذكر القبائل النجدية الأخرى التي اشتركت في هذه الأحزاب فليس معنى هذا عدم اشتراك بعض هذه القبائل إلا أن ذكر عنزة لوحدها يعني أنها اشتركت بأكبر كمية من أبنائها مع ابن عريم ، وأن القبائل الأخرى اشتركت بكميات أقل .

والذي يظهر أن هذا الفخذ من عنزة من العداء للدعوة والدولة في مراحلها الأولى بحيث أن انهزامه أمام أي من القبائل النجدية ولو لم تكن قد والت الدعوة بعد ، مصدر فرج لمؤيدي الدعوة ، فقد حدث سنة ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م أن قصده سعدون بن عريم مع الحبلان غزو الدهامشة من عنزة (٢) ، وصارت الهزيمة على

= رجالهم . (ابن غنام : ٨٠ / ٢ ، ابن بشر : ٧٤ / ١ ، حسين خلف خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ٣٠١ / ٣٠٢)

(١) ابن غنام : ٥٤ / ٢ - ٥٦ ، ابن بشر : ٥١ / ١ ، ولكن صاحب اللع أشار إلى قدم موالاة أفخاذ من عنزة للدعوة : (ص ٣٧)

(٢) الحبلان : والدهامشة كلاهما فخذان يرجعان إلى العمارات من بشر من عنزة فالدهامشة يرجعون إلى العلوي العمارات والحبلان يرجعون إلى الجبل العمارات . حمد الجاسر : (معجم قبائل المنطقة : ٥٥٦ / ٢)

الدهامشة مما دفع بهم الى الاستنجاد بقبيلة مطير فالتقى الجمعان وقتل من بني خالد والحبيلان عدد كبير فرحل ابن عريعر الى مراحه فاضطر ابن هذال للاستعانة بالسظفير وبقية أفخاذ عنزة لمنازلة مطير وتواعدوا للقتال فحصل بينهم مـداولات وجولات حتى هزم السظفير وعنزة ، وكان الاشخان في عنزة واضحا ان قتل عدد من رؤسائهم وفرسانهم ، ويلمح الباحث فرح مؤيدى الدعوة لهذا النصر العظـمـى من عبارة ابن غنام : " فأراد الله أن يوافقه - ويقصد ابن هذال - مطير في ذلك السير فناوخه أولئك العربان وقتل جديع وأخوه وثلاثة معهما فباؤا بالخسران " (١) ، ولا يستبعد أن يكون تحالف عنزة والسظفير والخوف من قوة هذا التحالف وتأثير انتصاره على مستوى موالاة بعض بادية وحاضرة نجد للدعوة ما حدا بابن بشر هو الآخر الى تسجيل فرحته بهذه الهزيمة (٢) ، إضافة الى أن هذا التحالف يدخل فى سلسلة التحالفات بين هاتين القبيلتين والتي تؤثر من قريب أو بعيد على الجبهة النجدية ودرجة ولائها للدولة السعودية الأولى ان ما من شك فى أن انتصاره على مطير سيدفعه الى غزو القبائل والبلدان النجدية الموالية للدرعية ان لم يغز الدرعية نفسها .

(١) ابن غنام : ١٠٨ / ٢ .

(٢) ابن بشر : ٩١ / ١ ، وقد ذكر مقبل الذكير فى مخطوطته " المعقود الدرعية فى تاريخ البلاد النجدية " ما ملخصه أن هذه الواقعة بين عنزة ومطير كانت سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٧٩ م وأنها تسمى وقعة الحجانوى حيث وقعت فيه وهو موضع بين البدائع والرس ، والذكير فى هذا قد خطأ ابن غنام وابن بشر فى تحديد تاريخ الواقعة ، ووضح مكانها ، وبين سببها فى أن عنزة كانت من قوة الجانب بحيث ترهبها أكثر القبائل النجدية حاضرة وبادية ، وكانت تهجم على معظم بادية القصيم ومطير تجاورها من الشرق وحدث أن أمحلت مراح مطير فى حين أخصبت مراح عنزة فطلبت مطير الجوار مدة الربيع وهى ثلاثة أشهر ووافقت عنزة على ذلك حتى اذا انتمت هذه المدة أنذر ابن هذال أمير عنزة الدويش أمير مطير بانتهاؤها وبأنهم مصبحوهم غدا ، ولم تفـد =

ومن المؤكد أن تخوف الدولة من هذا التحالف في محله فقد اجتمع قسم كبير من هاتين القبيلتين في هذه السنة نفسها ولا يبعد أن يكون قد انضم اليه أخلاط أخرى من حاضرة وبادية نجد المناوئة للدعوة حيث بلغ مجموع هذه الأحزاب سبعة آلاف مقاتل، وقد نزلوا على مبايز (١)، فلما علم بهم سعود استنفر أتباعه من البادية والحاضرة واتجه اليهم ولما يعلم بعد دهم الكبير فلما أشرف عليهم واستكثروهم رجع القهقرى إلى إحدى البلدان المجاورة في سدير (٢)، ويقال أنه قد دخل معهم في معركة جانبية استكثروهم بعدها فخشى الهزيمة الساحقة خاصة وأنه لم يستطع هزيمتهم، وفي أثناء إقامته القصيرة في ذلك البلد استنفر أهل سدير رجالاً وركبانا فأتوا إليه من كل مكان فسار بهم إلى الماء السابق - مبايز - ونازل هؤلاء الأحزاب الذين فرحوا برجوع سعود وقومه معتقدين بأنهم سيقمعون غنيمته

- = محاولات طوى والجبلان من مطير في الأمهال ثلاثة أيام فأيقنوا بالحسب والتقى الجمعان في الحجاوى فانهزمت غزوة وقتل جديع بن هذال وبعض قاداته، وسجل مسعود الطقب حصان البليس أمير الجبلان من مطير هذه الواقعة في أبيات شعبية بحث بها إلى الإمام عبد العزيز بن محمد ليس هنا مجال ذكرها تبين أن مطير كانت قد والت الدعوة. وللتفصيل في رأى الذكير وتحليله لهذه الغزوة انظر (مخطوطته السابقة ورقة ٣١ - ٣٢٥)
- (١) مبايز: بضم الميم بلدة قديمة كانت مورد ماء تحمل اسمها الحالى وأحياناً أبايز وقد ذكرها جغرافيو البلدان المسلمون بهذه الأسمين وكان بها يوم من أيام العرب في الجاهلية بين بكر وتميم، وتقع شرقي مجزل وغربي العربة بينهما وهى اليوم هجرة يقطنها فخذ من الهوامل من مطير وتعتبر إحدى هجر منطقة سدير وتتبعها إدارياً. للتفصيل: (الأصفهاني: ٢٥٧، ٢٨٤، ٣٢٩، الهمداني: ٣٩٦، ٢٨٥، البكري: ١١٧٩/٤، ١١٨٠، ياقوت: ٥١/٥، الفاضل: ١١٩، ابن بشر: ١/٨٦، ٨٧، ٩١، ٩٤، ابن بلهيد: ٩٠/٢، حمد الجاسر: مقدسة المعجم الجغرافى: ١٨٠/٢، ابن خميس: اليمامة: ٣٢٦/٢ - ٣٣٠)
- (٢) هي تسمى الواقعة جنوب شرقي المجمعة وهى معروفة منذ القدم بهذا الاسم. (الأصفهاني: ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٨٤، ٣٢٩، الهمداني: ٢٨٥، ياقوت: ٤٦/٢، ابن بلهيد: ٢٤٥/٤، ابن خميس: ٢٠١/١ - ٢٠٢)

سهلة لهم اعتمادا على المنازلة الأولى ، الا أن سمودا وقد تقوى بأهل سدير قد عزم على المقاتلة مهما كانت شديدة فنازلهم على مائهم وحصلت معركة كبيرة مالم يهتبعهم بها الأحزاب أن انكشفوا ولولوا مدبرين وهرب قسم منهم اضافة الى ما يروى على المائة من القتلى من الفرسان والرجال ، وغنم سمود وجنده منهم حوالي سبعة عشر الف رأس من الغنم وخمسة آلاف من الابل ، وخمسة عشر فرسا هذا عدا الأمتعة والأثاث ما كان معهم في غزوتهم أو في مقاطعتهم القريبة من مكان المعركة (١) .

لقد كان هذا التجمع البدوي فيما يبدو أكبر تجمع واجهته الدعوة من أهـل الهادية ، وذا كان من غير المستبعد انضمام تلك الاغلاط الحضرية والهدوية اليه التي ساهمت في كبر حجمه ، فان تزعم هاتين القبيلتين (عنزة والظفير) له اعطاء قوة الى قوته لأن هاتين القبيلتين تعتبران من القبائل الكبيرة في نجد في تلك الفترة كثرة عدد وسعة نفوذ وقوة بأس (٢) ، وما من شك في أن انتصار جيش الدرعية على هذه الأحزاب كان مصدر فرح وسرور للدعوة والدولة ومؤيديها في نجد يفوق الفرح والسرور الذي نشأ من هزيمة هذه الأحزاب السابقة في معركتها مع مطير ، هذه الهزيمة التي لم تحل بينها وبين تجمع هذا العدد الضخم لغزو الدرعية في مقر دارها أو منازل جيشها اذا ما أراد التوجه اليهم واذا كانت مصا در تلك الفترة لم توضح هذين الهدفين لهذه الأحزاب فانهما ما من شك - يعدان من الأهداف الأولية لهما ، ويلمح الباحث رنة الفرح والسرور تلك من عبارة ابن غنام : " فحين حمل عليهم المسلمون طاعنهم ساعة ، ثم جدوا في الفرار لا يملون ، فتولى المسلمون أكتافهم حين حقق الله تعالى انكشافهم " (٣) ، ومن عبارة ابن بشر : " فأدال الله المسلمين عليهم وانهمز تلبك العربان فولوا مدبرين " (٤) .

-
- (١) ابن غنام : ١١١ / ٢ ، ابن بشر ٩١ / ١ ، حسين خزهل : ٣٠٢ .
(٢) لعل الشل : " كل قوم دون عنزة " يؤكد أن ليس في نجد أحد يقاوم عنزة في تلك الفترة (الرهبي : ٥٩ ، المبودي : الأمثال : ١٥٤ / ٣ ، شل رقم ١٦٨١ وروى الشل " كل قوم ولا عنزة) وأورد سببه فيما يقال .
(٣) ابن غنام : ١١١ / ٢ .
(٤) ابن بشر : ٩١ / ١ .

ولا توضح لنا المصادر المعاصرة هل هذا التجمع الهدوى قد حظى باشتراك فعلى من سعدون بن عريمير العدو والألد للدعوة والدولة ، أو بشاركته وتأيمده على الأقل سواء كان ذلك فى منازلة هذا التجمع لمطير أو فى معركته مع جيش الدرعية ، إلا أن هذه المصادر وغيرها من مراجع تاريخ نجد قد ذكرت أن سعدونا هذا قد جمع جموعاً من بنى خالد وشعر وعنزة والظفير سنة ١١٩٦هـ / ١٧٨١م وسار بهم إلى القصيم بعد ما ظم بوجود قسم من العلماء وطلاب العلم وأئمة المساجد يدعون لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية وهو على يقين بأن القصيم تتبع بنى خالد (١) ، وكان قد أرسل إلى أمراء القصيم لقتل من يوجد لديهم من هؤلاء بحكم إمارته العامة عليهم فوافق على ذلك بعضهم وامتنع البعض الآخر ، وهذا ما عجل فى مسيره لتأديب المتنعمين وقتل من لديهم من الدعاة لآل سعود ، ولما وصل إلى بريدة طلب أن يؤتى بمن فى عنيزة من الدعاة وقتل اثنين منهم (٢) ، ثم حصل بينه وبين معارضيه من أهل القصيم عدة جولات جانبية ونهب وسلب من كل منهما لما شئى الطرف الآخر حتى غادر القصيم بجموعه ولما يظفر بشئ ، واستغل أمير بريدة حجيلان بن حمد العليان الذى كان قد والى الدولة السعودية ذلك لتأديب الأمراء الذين أهدوا سعدونا والتشجيع على بقية أهل القصيم - وخاصة عنيزة - ببغض الدعوة وقتل أئمة المساجد المؤيدين للدعوة ، وهو ما وجد أننا صاغية من سعود بن عبد العزيز ففزاها مع حجيلان بغتة سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م ولمس من المعروف هل كان ذلك

(١) ابن غنام : ١١٢/٢ ، ١١٣ ، ابن بشر : ٩٢/١ ، مقبل الذكير : المرجع السابق : ورقة ٣٣ .

(٢) ذكر ابن غنام وابن بشر فى الصفحات السابقة أن ابن عريمير عندما وصل إلى بريدة أرسل إليه أهل عنيزة - على سبيل الإكرام والامتنال - مؤيدى الدعوة فى عنيزة عبد الله القاضى ، وناصر الشيبلى فقتلها صبرا ، بينما يذكر الذكير - وهو من أهلها - أن ابن عريمير هو الذى طلب أن يؤتى بطالب العلم الذى فى عنيزة على حين جهل من أميرها المسافر إلى الدرعية لمقابلة الامام عبد العزيز ابن محمد . (المخطوطة السابقة ، ورقة ٣٣) .

بإذن من الامام عبد العزيز ام لا ، وأوغرت تلك الأحداث فيما بعد صدورى
مؤرخى نجد ابن غنام وابن بشر ضد أهل القصيم طاعة وهو ما يلحقه الباحث فى
تاريخها لهذه الأحداث فى تفصيل ليس هنا مجال البسط فيه (١) .

والصهم فى هذا أن عنزة والظفير كانتا من القبائل البدوية الرئيسية فى
جموع سعدون تلك ، ولعل هزيمتهما أمام جيش الدرعية كما مر هو السبب الرئيسى
فى اشتراكهما فى هذه الجموع ضافة الى نظرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نحوهما .
هذه النظرة التى لا شك أنها مبنية على مواقفهما المعادية للدعوة والدولة .

وفى سنة ١٢٠٢ هـ غـزـا الامام سعود بن عبد العزيز بجيشه من
حاضرة نجد وماديتها وأغار فيها على عنزة وهى مجتمعة فى عالية نجد فقتل منهم
رجالا وغنم أموالا ، ويظهر أن هذه آخر الغزوات الكبيرة التى تعرضت لها هاتان
القبيلتان مجتمعتين أو كل واحدة على انفراد وبعد ركنتا الى الهدوء
وضعت شوكتها بعد أن جلا قسم كبير منهما الى العراق ، ودخل قسم فى طاعة
حكومة الدرعية (٢) .

ويبدو أن قسما من قبيلة الظفير قد والى الدعوة فى أوائل عهد الامام
عبد العزيز بن محمد ، وفى فترة قريبة من موالة سبع لها (٣) على أن ابن سويط
زعم قبائل الظفير قد قام بدور الوساطة بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام

-
- (١) ابن غنام : ١١٢/٢ ، ١١٣ ، ابن بشر : ٩٣/١ ، ٩٤ ، الذكير ورقة ٣٣ ، ٣٤ ، ولقد
حاولت أن أجمع بين روايتى ابن غنام وابن بشر لحادثة قتل المطاوعة بالقصيم
وورود هذا التجمع له وبين تصحيح الذكير لهما ، ولا شك أن الذكير بهذا
قد أحسن صنعا بتوضيح جانب خفى من القضية ، وهو أن ترحم على المؤرخين
السابقين فأنما أراد أن يرد على ما وقع فيه من أخطاء بخصوص هذه القضية
والتي صورتها فى صورة المتحاملين على أهل القصيم ، وقد أورد أبياتا شمعية
للعرف مولى عبد الله بن رشيد أمير عنيزة آنذاك تؤكد قوة دليله فى رده على
هذين المؤرخين .
- (٢) ابن غنام : ١٣/٢ ، ابن بشر : ١٠١/١ ، حسين الشيخ خزعل : ٣٠٢ لكنه وهم فى
ذكره أن الغزوة كانت على الظفير .
- (٣) مؤلف مجهول : كيف كان ظهور شيخ الاسلام : ص ٦٢ .

محمد بن سمود وبين المكرم صاحب نجران في غزوته لنجد سنة ١١٧٨ هـ ، وإذا علمنا أن هذه الوساطة قد تمت بناءً على طلب من الشيخ محمد والامام محمد بن سمود أدركنا إلى أي مدى كان يحظى ابن سويط بالتقدير لدى أئمة الدعوة ، وبالسمة العاليتي نجد كأحد كبار زعماء القبائل فيها آنذاك ، وكان موضوع الوساطة المصالحة بين الطرفين وأن يغادر النجراني المعارض إلى وطنه ، ويطلق كل منهما أسرى الطرف الآخر الذين أسروا في المعارك التي حدثت في المنطقة - وقد حدث ذلك فعلاً ، ولا يملك الباحث إزاء هذه الوساطة الناجحة وما صاحبها من تشجيع ابن سويط للمكرم على غزو الدرعية (١) ، وعلى اشتراكه في التجمعات البدوية ضد الدعوة ، وعلى غزو جيش الدرعية لقبيلته كما مر . لا يملك إزاء هذه التناقضات إلا أن يعتبر هذا في سلسلة التذبذب الذي تتسم به علاقات القبائل البدوية مع الدعوة في تأييدها فترة والانقلاب عليها أخرى بعدها ومنأوتها حيناً والخضوع لقوتها حيناً آخر .

وموالاة قبيلة الظفير للدعوة تتضح جلياً عندما اشتركت هذه القبيلة أو أفخاذ منها مع سمود بن عبد العزيز في غزوته لبني خالد قرب الأحساء وذلك في سنة ١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م حيث هزم بنو خالد وقتل عدد من رجالهم وغنم سمود وجنوده منهم غنائم كبيرة : إبلا وغنما وأثاثاً وأمتعة ، وأهمية هذه الغزوة واشتراك الظفير فيها تأتي من أنها قد غيرت ميزان القوى بين نجد والأحساء لصالح الدرعية حيث دانت الأحساء لحكومة الدرعية وقدم بدوها وحضرها لمهاجرة سمود والدخول في طاعته (٢) .

-
- (١) ابن غنام: ٦٧/٢ ولكنه لم يشر إلى دور ابن سويط في هذه الوساطة بينما أشار إليها ابن بشر : ٥٨/١ ، ٥٩ .
- (٢) لم يذكر ابن غنام: ١٤٢/٢ اشتراك الظفير مع سمود في غزوته بينما ذكر ذلك ابن بشر : ١٠٥/١ .

الا أن هذه الموالاة لم تستمر طويلا فقد اجتمعت جموع كثيرة من بادية نجد أبرزهم قبيلة الظفير وذلك في شمال نجد ويبدو أنه قد بلغ سمودا ما أشاره ضدهم فصار بجيشه نحوهم وذلك سنة ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م وأغار عليهم حيث قتل منهم رجالا ونعم غنائم كثيرة وأفشل خطة هذه الجموع في غزو الدرعية أو البلدان والقبائل المؤدية لها على الأقل (١) .

ولا شك أن هذه الغزوة بهذه النتيجة قد أثارت الظفير ومن تحزب معها فيه فاخذت على عاتقها اهتبال أى فرصة للانتقام من حكومة الدرعية ففي سنة ١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م وعند ما عزم ثويني بن عبد الله - شيخ المنتفق - على غزو نجد ثانية انضمت اليه قبيلة الظفير بأكملها مشكلة قوة كبيرة في جيشه ، وذكر المؤرخين لها من دون سائر القبائل التي اشتركت في هذا الغزو دليل على دورها الرئيسي وكثرتها العددية فيه (٢) .

ويمكن اعتبار هذه الغزوات بين الدرعية وقبيلة الظفير سواء كانت بفردهما أو مشتركة مع قبائل أقوى أخرى من أبرز ملامح المرحلة الثانية لعلاقة هذه القبيلة بالدرعية ، هذه العلاقة التي رغم أنها أدت الى جلاء قسم كبير من هذه القبيلة الى العراق كما مر ، فقد ظل هذا القسم رغم بعده عن منطقة نفوذ حكومة الدرعية عدوا لدودا لها تتحين الفرصة لغزوه - وخاصة اذا تحزب مع قبائل أو قوى أخرى ضدها ، كما يحرس هو الآخر على استفلال الفرص للانقضاض على الدرعية أو المؤيدين لها ، وفي هذا المجال اجتمعت أفخاذ من شمر والظفير وغيرهما من

(١) ابن غنام: ١٦٩/٢ ، ١٧٠٠ ، ابن بشر : ١٣٣/١ ، حسين خلف خزعل : ٣٦٣ .

(٢) ابن غنام : ١٩٣/٢ ، ابن بشر : ١٤١/١ . وكانت غزوة ثويني الأولى عام ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م .

البوادي التي جلت عن نجد وقطنت جنوب غربي العراق فاستغل سعود بن عبد العزيز فرصة وجوده فيه لغزو بعض بلدانه فغزا هذه الجموع سنة ١٢١٢ هـ / ١٢٩٧ م فحصلت بينهم عدة معارك سجال الى أن انتهت بهزيمة هذه الجموع وغنم سعود وجنده كثيرا من ماشيتهم وأثاثهم ، وجدير بالذكر هنا أن السهول قد اشتركوا مع سعود في هذه الغزوة (١) .

وقد انتهت غزوات هذه المرحلة بتقديم قسم من هذه القبيلة فروض الطاعة والولاء للدعوة وحكومتها واهرز مظاهر هذا الولاء دفع الزكاة الشرعية للحكومة حيث أصبحت زكاة الظفير تشكل موردا أساسيا من موارد الزكاة الواردة لبيت المال في عهد الامام عبد العزيز بن محمد ، الا أن دفع هذه الزكاة - في الواقع - لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر الولاء الاسمي الذي ما ان تختفي دواعيه حتى تسرع بعض القبائل في نقضه ، ولعل من أبرز دواعيه قوة شخصية الامام عبد العزيز التي أسرت كثيرا من القبائل وحفزتها نحو الطاعة والانقياد بما تحمله من حزم وعطف على الرعية في وقت واحد (٢) ، وفي هذا الصدد تشير الأحداث الى أن هذه القبيلة بحجود أن توفي عبد العزيز سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م حتى بدت منها بوادر تحلل من ربة الولاء للدعوة ودولتها . ولما كانت بمحض فرائض الدين تعتبر مظاهر ولا ك الزكاة فقد كان ترك دفعها الى الدرعية مظهر تحرر لدى أي قبيلة تريد ذلك وتشير عبارة ابن بشر : " وكان قد حدث من هربان الظفير حوادث من تضيق بعض فرائض الدين واهواء المحدثين وتوهيلهم واضافتهم " (٣) الى أنه ربما كانت بعض الشعائر التعبدية بالاضافة الى الزكاة في نظر بعض القبائل أمورا ينبغي التخلص منها اذا ما أرادت التحرر من

(١) ابن بشر : ١٥٠ / ١ ، ١٥١ .

(٢) ابن بشر : ١٧٣ / ١ - ١٧٥ .

(٣) ١٨١ / ١ .

انولاء السياسى لحكومة الدرعية ، ولا يبعد أن تكون الظفير قد حدث منها ذلك فعلا فى سبيل هذا التحرر اضافة الى ايوائها الناقسين والمعارضين لحكم آل سعود وفى هذا المجال - وفى سنة ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م غزا قسم من بوادى الشمال البوادى المؤيدة للدعوة وأضافهم الظفير طلاوة على اشتراك قسم من الظفير أنفسهم فى هذا الغزو بل قد غزا الظفير بمفردهم بعض البلدان والبوادى المؤيدة للدعوة وأخذوا منها مواشى وأمتعة (١) .

وأبرز هذه الغزوات هو ما حدث بين الظفير ومطير حيث قتل عدد من رؤساء القبيلتين فأرسل لهم الامام سعود للإصلاح وكف أيدي بعضهم عن البعض الآخر ، وتوعد من اعتدى منهم على الآخر ، الا أن الظفير لم يأبهوا بهذا التوعد فاستعروا يتحينون الفرص لغزو مطير وغيرها من البوادى أو البلدان المؤيدة للدرعية (٢) .

واجتمعت هذه الأسباب كلها مع موقف الظفير القديم ضد الدعوة ليسيير لها سعود فى هذه السنة وورى فى هذه الغزوة بفيرها ، فلما اجتاز بواديهم فى الدهناء أوهمهم أنه يريد غزو جنوب العراق حتى يتبين صدقهم حيث أمرهم بالنفور معه فنفر معه شزيمة قليلون ، ولما رأى تمسك غالب القبيلة بموقفها ضده حفر الجيوش عن جهة العراق اليهم وشن عليهم غاراته فاعطت فيهم القتل والنهب وأخذ قسما كبيرا من أموالهم اضافة الى ما أخذوه من البوادى والبلدان ففى غزواتهم السابقة ، وكانت هذه الغزوة الكبيرة ضد هذه القبيلة بمثابة النهاية للفصل الأخير لوجودها فى نجد ان لم ينج منها الا الشريد ، وتفرق الباقون فى المناطق النجدية حيث أخلدوا للسكنة فيها بينما هرب القسم الأكبر على شكل جماعات الى جنوب العراق ، والى الجزيرة الفراتية ، والى مناطق الخليج المجاورة

(١) المصدر السابق : ١٨١/ ١ ، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، ط (١) منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٧ م ، ٨٩٠٨٨ / ١

(٢) ابن بشر : ١٨٢ / ١ ، المختار : ٨٨ / ١

أما سعود فانه بعد اطمئنانه الى القضاء على الوجود الظفيرى فى مرحلتته
الاخيرة ، رحل الى الزلفى فأخذ يقسم الغنائم فيها ، ويميد لأهل سدير
وغيرها من المناطق والى البوادر الأموال والمواشى التى أخذها منهم الظفير فى
غزواتهم السابقة (١) .

وقد حرصت الأفخاذ الظفيرية التى قطنت العراق على قطع الطريق على
القوافل المتجهة الى نجد والمائدة منها اضافة على غزوها البوادر والبلدان
المؤيدة للدرعية والمجاورة لها وكل هذا ردا على تأديب سعود لهم فى الغزوة
السابقة ، الا أن سعودا أرسل لهم جيشا فى سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م حيث
صادف غزوا لظفير الجزيرة الفراتية يضم كبار رؤساء الظفير والتحم هذا
الجيش بهم قرب الحفر وأعمل فيهم قتلا وأخذ أموالهم غنيمة (٢) .

وكما سلف فان عنزة بعد غزو جيش الدرعية لها سنة ١٢٠٢هـ —
استسلمت للدعوة والدولة وأبرزت ولائها بدفع زكاتها لبيت المال ليرى
بالنسبة لمن يقطن منها نجدا فحسب بل دفع أفخاذها الذين يقطنون فى
الشام زكاتهم الى الدرعية تضامنا مع أبناء قبيلتهم فى نجد واعترافا بقوة وسعة
نفوذ هذه الدولة (٣) الا أن عنزة الشام كانت أحيانا تمتنع عن دفع الزكاة
وتناوى حكومة الدرعية لأنها تعتبر نفسها خارج منطقة نفوذ هذه الحكومة ،
ولكن سعودا كان يطمح الى بسط نفوذه عليها باعتبارها قبيلة نجدية الأصل
وتمشيا معهدا نشر الدعوة وتوسيع النفوذ ففى سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م استنفر

(١) الفاخري : ١٣٣ وذكر أن ذلك فى شهر ذى الحجة لكنه لم يفصل أحداثها

كما فعل ابن بشر : ١ / ١٨٢ ، المختار : ١ / ٨٩ .

(٢) الفاخري : ١٣٤ ، ابن بشر : ١ / ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣) ابن بشر : ١ / ١٧٣ ، ٢٣٢ .

سمود كافة رعياه بادية وحاضرة فى نجد والحجاز والجنوب والشرق وسار الى
بواى عنزة الشام ولما وصلهم حصل بينه وبينهم جولات حربية جانبية اشارت
أهل الشام عموما ورجع منها بفنائم كثيرة من مواش وأموال بعد أن قتل منهم
عددا ، وكانت هذه سببا فى تغيير باشوية الشام (١) .

واستمرت قبيلة عنزة نجد على ولائها للدولة السعودية الأولى طيلة عهده
الامام عبد العزيز بن محمد وابنه سمود تؤدى الزكاة وتخضع لكافة الأحكام
الصادرة من الدرعية (٢) ، ولم يذكر لها أدوار ذات أهمية فيما بعد ذلك الا
ما كان من تعرضها لغزوة من ابراهيم باشا بعد هدم الدرعية مباشرة مثلما حدث
تماما مع سبيع كما مر مما يوحى بان هذه القبيلة قد استمرت على ولائها لحكومة
الدرعية ولم تؤيد حملات محمد على على نجد كما حدث من بعض القبائل
البدوية . (٣)

أما مطير وهى من القبائل الرئيسية فى نجد فقد تعرضت فى سنة
١١٨١هـ/١٧٦٧م لغزوة من الدرعية بقيادة عبدالله بن محمد بن سمود (٤)

-
- (١) ابن بشر : ١/١٩٨، ١٩٩ .
 - (٢) ابن بشر : ١/١٧١، ١٧٣، ٢٣١، ٢٣٢ .
 - (٣) ابن بشر : ١/٢٩١، على أن جلاء قسم كبير من عنزة الى الشام قد ساهم
الى حد كبير فى تقليص الأدوار الكبيرة التى كانت تقوم بها عنزة فى نجد .
 - (٤) هو أحد أبناء الامام محمد بن سمود ويبدو أنه اصغر من الامام عبدالعزيز
وهو والد تركى بن عبدالله - الجد الثانى للملك عبدالعزيز ، والذى انتقل
به حكم آل سمود من أبناء عبدالعزيز بن محمد الى أبناء عبدالله بن محمد
فى الدورين الثانى والثالث ، ولعبدالله هذا عدة مشاركات فى الغزو ففى
سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م غزا أفخاذا من سبيع وبلغ العودة ، وفى هذه السنة
غزا مطيرا ، وفى سنة ١١٩١هـ/١٧٧٧م غزا حرمة ومناطق من سدير ،
وفى سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م غزاها مرة أخرى وفى سنة ١١٩٤هـ/١٧٨٠م غزا الزلفى
وفى السنة التى بعدها غزا الخرج واليمامة وكاد أن يقتل مع أخيه عبدالعزيز

الا أنها كانت قد استعدت لهذه الغزوة فقد سبق النذير اليها فجهزت ستمائة فرس ، فلما حصلت الجولة الأولى من المعركة اعتقد جند الدرعية أنهم سينتصرون عليهم لأنهم يظنون أنهم لم يكونوا يعلموا بهذه الغزوة فاخذوا بعض ابلهم فما كان من مطير الا أن ردوا عليهم - وهم أهل الردات (١) - بهذه الخيول المعدة ، فحصل بين الفريقين معركة قتل فيها عدد من جند عبدالله وفروا الى الدرعية هاربين ، ولم تشر المصادر النجدية الى عدد القتلى من غزو الدرعية لكنه فيما يبدو كان كبيرا كما لم تشر الى عدد القتلى من مطير ، وكانت هذه الغزوة أولى غزوات الدرعية ضد هذه القبيلة (٢) .

ولا شك أن هذه الهزيمة قد أثارت قادة الدرعية ضد هذه القبيلة فأرادوا ان يستعدوا لها ، ولما تعلموا فياخذونها على غرة ، فجهز الاملم عبدالعزيز جيشا يظهر أنه أكبر من السابق ولم يكل أمر قيادته لأحد بل قاده بنفسه ، ولم يدرك من هذه القبيلة الا ألف رجل فقتل منهم خمسين وغنم منهم غنائم رجع بها الى الدرعية ولم يقتل من جيشه أحد (٣) .

-
- = وجرح فتصارع هو وقاتل عبدالعزيز حتى صرعه عبدالله ، وقد توفي سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م في الدرعية . للتفصيل : (ابن غنام : ٢ / ١٠٠٥٧٥ ، ١٠٤٠ ، ١٠٦٤ ، ١١٠ ، الفاخري : ١٣٢ ، ابن بشر : ١ / ٦٦ ، ٦٤ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢ / ١٤٠ ، ابن محسى : ٤٢ ، ٤٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠) (١) سمو أهل الردات لأنهم مها انكسروا وانهزموا وتبعهم العدو ويتحينون الفرصة . حتى يردون عليه ويغلبوه . (الريكي : ٦٢ ، ٦٣ ، ابن بسام : السدور الفاخري ٩٧ ، ٩٨) . (٢) ابن غنام : ٢ / ٧٦ وقد فصل الكلام عن الغزوة ولكنه لم يشر الى قيادة عبدالله بن محمد لها ، ابن بشر : ١ / ٦٦ ، مؤلف مجهول : كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب : ٦٧ ، على أن صاحب اللمع ذكر أن مطيرا قد والست الدعوة في فترة متقدمة من بدايتها : (ص ٣٧) (٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق : ٦٧ ، ولكنه لم يحدد تاريخ هذه الغزوة ، الا أن تاريخها بعد السابقة فيما يبدو .

ومن المعتقد أن هاتين الغزوتين قد دفعتا بهذه القبيلة أو بطون منها إلى إعلان ولائها للدعوة وحكومتها - ولو أنه فيما يبدو كان ولائاً اسمياً - ففى موقعة الحجناوى (١) التى هزمت فيها عنزة من قبل مطير نلاحظ فرح مؤرخى الدعوة ابن غنام وابن بشر بهذا الانتصار المطيرى كما مر ما يؤكد رضا حكومة الدرعية عن هذه القبيلة المبنى على ولائها لها ، هذا الولا الذى صورته أبيات مسعود (حصان ابلهيم) ^(٢) التى أرسلها للامام عبدالعزيز بن محمد والى التى منها :

ياراكب من فوق ناب الفقار ا : كن الضوارى تنهشه من مقافيه
الى مشيت الليل هو والنهار ا : تلغى الى قصر بين هو وراعيه
أقره سلام وخبره كيف صار ا : ما بهر المولى لحكمه نسويه (٣)

- (١) الحجناوى : كانت قرية تابعة للرسم منذ فترة متقدمة ثم اندثرت وأصبحت مزارع فقط ، ويقال انها كانت موقلة فى القدم وهى تقع الآن بين الرس والبدائع بقرب نحو البدائع على ضفة وادى العاقل (العاقل قديما) ملتقى وادى النسا مع دخنة ، وقد كانت هى والشبيبة مركزين استراتيجيين لجيوش محمد طلى وعبد الله بن مسعود (هاقوت : ٦٨/٤ ، ابن بشر : ٢٥٠/١ ، ابن محسى : ١٤١ ، العبودى بلاد القصيم : ٧٨٥٣ ، ٧٨٦).
- (٢) هو مسعود الجبلى رئيس فخذ الجبلان من طوامن مطير . لم أجد ترجمة كاملة له فيما بين يدي من المصادر الا اشتراكه فى موقعة الحجناوى مع الدويش أمير طوامن وفى موقعة العدو التى حدثت بين قبائل من مطير وشعر من جهة وجيش الدرعية من جهة أخرى قتل فيها مسعود سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م وكان فارسا مغوارا ولعل ذلك هو سبب تسميته حصان ابلهيم جريا على عادة الهدو فى تسمية من يتصدى للفروسية بأسماء قبيحة كذئب ، وعير وشيطان (ابن بشر : ١٠٩/١ ، ١١٠ ، الذكير : العقود : ٣٣ حمد الجاسر معجم قبائل المملكة : ٨٥/١ ، ٨٤/٢ ، ٥٤٨/٢ ، وذكر الفاخري : ١٢٣ أنه من البراهضة ، الرىكى : ٩٩ وذكر أنه هو الذى كنى نفسه حصان ابلهيم والشيطان وأن اسمه مسعود من البراهضة).
- (٣) ناب الفقار : أى التى ظهر فقارها كناية عن الابل لبروز سنامها ، كن : مخففة من كان ، الضوارى جمع ضارى وهى السباع ، تنهشه : النهش الصع والعسفر

وختم القصيدة بأبيات يصور فيها شجاعة مطير وأن الذي اضطرها لابرار
هذه الشجاعة هو غدر عنزة بها بعدما أعطتها الجوار ، ويجدر بالذكر هنا أن
هذه الغزوة كانت في عداد الغزوات التي غيرت ميزان القوى القبلية البدوية في
نجد .

وكغيرها من القبائل فلم تكن كل هذه القبيلة قد واثت الدعوة في هذه
الفترة المتقدمة بل بقي منها أفخاذ على مناوأتها للدعوة أولم تستجب لها بسرعة
غيرها ففي سنة ١١٩٧هـ / ١٢٨٢م سار سعود بن عبد العزيز إلى أحد بطون هذه
القبيلة التي تقطن شمال نجد حيث التقى بهم وقتل عددا من رجالهم وزعمائهم
وفهم بعض أهلهم وفنمهم وخيلهم وأثاثهم (١) .

وفي سنة ١٢٠٥هـ / ١٢٩٠م أغار سعود على أخلاط بدوية أكثريتها من مطير
في عالية نجد ، ويبدو أنهم قد علموا باستعداد سعود لهم فانهزموا ، ثم مال بشوا
أن استعدادا بخيولهم إلا أن جند سعود كروا عليهم فحصلت بينهم معركة ضاربة
انهزمت هذه الأخلاط فقتل منهم سعود وجنده نحو خمسين وغنموا غنائم متونة (٢) .

= (فصحة) ، مقافيه من خلفه وهو في هذا يصف بعيره بشدة العدو وكأن
وراءها سباع تعضها فهي لا تنفي من سرعة السير هربا منها ، الى : اذا ،
تلقى : تصل ، بين واضح ، راعيه : صاحبه ، والمعنى تصل الى قصر هو
كالعلم في الوضوح سواء المبنى أو صاحبه والمقصود : الامام عبد العزيز بن
محمد ، أقره سلام : الواجب نصب سلام ، خبره : أعظم ، نسويه : نعمله .
(الفيروز آبادي : ٢ / ٢٩١ ، أحمد رضا : ٢٧٥ ، وعن الأبيات : الذكر :
العقود : ٣٢) .

(١) ابن غنام : ٢ / ١١٨ ، ١١٩ ، الفاخري : ١٢٠ ، ابن بشر : ١ / ٩٥ ، ابن عيسى
١٢٠ ، حسين خزعل : ٣٠١ .

(٢) ابن غنام : ٢ / ١٤٥ ، ابن بشر : ١ / ١٠٧ ، الريكي : ٩٥ ، ٩٦ وقد ذكر فيهما أن
سبب الغزوة موالاة مطير للشرية غالب وتنكرها للدعوة .

وفي السنة نفسها وعندما سير الشريف غالب بن مساعد (١) جيشها الى نجد لمحاربة حكومة الدرعية والبلدان المؤيدة لها ايده عدد من القبائل البدوية وأشرأبت اليه أعناق المناوئين للدعوة ودولتها حيث راسله الدويش زعيم مطير مؤيدا كما انضم اليه عدد من قحطان وشمر والدواسر وأيقن المعارضون والمؤيدون للدعوة نجاح حملة الشريف هذه ، وكان تأييد هذه القبائل له حافزا لتكثيف استعداداته بالرجال والعتاد ، واستنفر الامام عبد العزيز كافة البلدان والبيوادي المؤيدة واستعد الجيشان للالتقاء ، الا أن ذلك لم يحصل فربط جيش الشريف في السر بعد أن حاول هدم بعض حصونه ولم يستطع ، ثم مالبت الشريف غالب نفسه أن سار على رأس عدد نزل به على الجيش الشريف في السر ثم تحول الى عالية نجد وأقام فيها أكثر من شهر لتتهيأ حاضرتها وهاديتها ثم رحل الى الحجاز بعد أن قتل من جموعه خمسون في إحدى الجولات ، ثم تفرغت حكومة الدرعية لتأديب البوادي الترابيدت الشريف في حملته تلك فأغار سعود على بعض قبيلة مطير برئاسة الدويش فقتل

(١) هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن بنى الحسن تولى شرافة مكة بعد وفاة أخيه سرور وتنازل أخيه عبد المعين له عنها بعد أن ظل فيها يوما أو بعض يوم وقيل أياما ، وفي أيامه بدأ الخلاف للسعودي الشريفين يشتد وأظهر غالب خلال مراحل هدا من التناقضات : كالحرب ومنع حجاج نجد ومكاتبة أعداء الدرعية من داخل نجد وخارجها كآل عريمير الى موالاة الدعوة واعتبار نفسه طاملا لها ، ولما جاء محمد طلي لحرب الدعوة تحول عنها فاستخدمه محمد طلي فترة قصيرة ثم شك فيه بسبب خدمته السابقة للسعوديين ثم قبض عليه محمد طلي بحيلة وأرسله الى مصر مع أولاده فتركها حيث أرسل الى سلانيك فمات فيها سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م . للتفصيل (أحمد دحلان : خلاصة الكلام : ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٦٠ - ٢٧٩ ، الريكي : ٩٥ - ١٠١ ، ابن بشر : ١٠٦ - ١٠٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٥٣ ، وللمزيد من أخبار غالب فيه : فهارس ابن بشر : ٧٦ ، أحمد السباعي تاريخ مكة ص ٤٤٨ - ٤٥٠ ، ٤٨٧ - ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، ٥١١ ، الزركلي ٥ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، د . منير المجلاني : عهد عبد العزيز بن محمد ١٣٨ - ١٦٤ عهد سعود بن عبد العزيز ، ٥٤ - ٦٣ ، ١٣٥ - ١٤٠) .

منهم عشرين وأخذ بعض ابلهم (١) .

على أن قسما كبيرا من مطير برئاسة حصان ابلهم قد تجمعوا مع قسم من
شمر وغيرهم بعد أن انسحب الشريف الى مكة وشكلوا تجمعا مناوئا للدعوة في شمال
نجد فسار اليهم سعود بعد أن انتهى من هزيمة الدويش ، وكان هذا التجمع
الطيرى الشمرى كبيرا مما جعل سعودا يستنفر بادية نجد وحاضرتها لئلا يلتهم
فحدثت بينه وبينهم موقعة كبيرة قرب حائل فانهمز هذا التجمع وقتل منهم قتلى أغلبهم
من الفرسان والقادة كحصان ابلهم وغيره وغنم جيش الدرعية منهم غنائم كثيرة مختلفة
ثم استنفر هذا التجمع ما حوله من القبائل لئلا ينزل سعودا وجيشه مرة أخرى ويهددو
أن مطيرا قد وكلت القيادة الى شمر بعد مقتل أكثر فرسانها الا أن الهزيمة
مالبت أن حلت بهم مرة أخرى فقتل سعود منهم قتلى من القواد والجنود ، وأخذ
اموالهم غنائم ، وتعتبر هذه المعركة من أقوى المعارك بين الدرعية والتجمعات
البدوية المناوئة (٢) .

وتوالى بعد ذلك غارات الجيش السعودى ضد مطير ، ولعل ما زاد فى
كثرتها ما سبق من تأييدها للشريف ، وتحزبها ضد الدعوة مع عدد من القبائل
المناوئة ، ففي سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م أرسل الامام عبدالعزيز بن محمد

-
- (١) ابن غنام : ١٤٥/٢ - ١٥٠ ، ابن بشر : ١٠٧/١ - ١٠٩ ، ابن عيسى : ١٢٥ ،
الريكى : ٩٦ - ٩٨ ، العجلانى : عهد عبدالعزيز : ١٤٢ ، ١٤٣ .
(٢) ابن غنام : ١٥٠/٢ - ١٥٢ ، الفاخرى : ١٢٣ ، ابن بشر : ١٠٩/١ ، ١١٠ ، مؤلف
مجهول : ٩٥ ، ابن عيسى : ١٢٥ ، الريكى : ٩٩ ، ١٠٠ ، وذكر فيها أن
حسين الدويش اشترك فى المعركة بعد هزيمته فى الأولى ، وكانت المرحلة
الأولى من المعركة عند العدو وهى قرية تقع الى الجنوب الشرقى من حائل
بحوالى ٧٠ كم ، أما الثانية فكانت عند ياطب وهو مورد ماء يبعد عن حائل
شرقا بحوالى ٤٠ كم ، (محمد الجاسر : شمال المملكة : ٢/ ٨٨٨ ، ١٣٩٩) .

هادى بن قرطة (١) مع جيش من قحطان فأغار على قسم من مطير وهم على أحد موارد المياه في عالية نجد فحصل بين القبيلتين قتال شديد انهزم على أثره المطران وأخذت قحطان منهم عددا من الابل غنية (٢) ، ولا يستبعد الباحث أن تكون هذه الغزوة وغيرها بين هاتين القبيلتين داخلية في نطاق التحرك القبلي في نجد الذي ينتهي بازاحة قبيلة عن مراتبها واحتلال المنتصرة مكانها ، كما أنها وغيرها كذلك تدخل في سلسلة الغزوات التي يرجع سببها للتنافس بين هاتين القبيلتين على احتلال مركز الصدارة القبلية في نجد ، ويظهر أن حكومة الدرعية كان ينفذها مثل هذا التنافس بين القبائل حينما تقوم بتأديب القبيلة المناوئة لها خاصة اذا أظهرت القبيلة لأخرى ولا للحكومة وحرضا على استتباب النظام والأمن

-
- (١) هو هادى بن غانم الجحدرى القحطاني ، وينسب الى أمه قرطة ، بايع أئمة الدعوة سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م وأصبح أحد كبار قادة الدولة السعودية الأولى حيث لعب أدوارا رئيسية في توسيع رقعتها ، ففزا في هذه السنة مطيرا واشترك قبلها مع قاعد بن ربيع الدوسري في إحدى غزواته ، وتعرض سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م لغزوة من الشريف غالب بسبب مواقفه المؤيدة للدعوة وفي السنة نفسها اشترك مع البوادي المؤيدة للدعوة في غزوة الجمانية ضد الشريف غالب وكان له دور رئيسي فيها ، وفزا في سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م قبيلة البقوم المؤيدة للشريف ، وكان له دور رئيسي في معركة الخرمة في السنة نفسها ، وفزا في ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م بمجموع من قحطان وعتيبة الطائف فهرب الشريف منها ، قتل سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م في معركة الصفراء - قرب بدر - إحدى معارك الحملة التركية الأولى ، وتولى بعده ابنه محمد بن هادى . (ابن غنام : ٢ / ١٣٠ ، ١٤٨ ، ١٧١ ، الفاخري : ١٢٤ ، ١٤٠ ، ابن بشر : ١ / ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٣٤ - ١٣٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ٢١١ ، مؤلف مجهول : ١١٩ ، الريكي : ٩٩)
- (٢) ابن غنام : ٢ / ١٥٧ ، الفاخري : ١٢٤ ، ابن بشر : ١ / ١١١ .

فى نجد الذى كانت توليه الدعوة ودولتها جلالهما (١) .

وفى السنة نفسها وبعد أن انتهت هذه الغزوة بهزيمة مطير للممست صفوفها واتصلت ببعض القبائل المناوئة كحرب وربما شمر كذلك وتكرزت هذه الجموع فى شمالى نجد بين منطقة حائل والمدينة حيث شكل هذا التجمع البدوى خطرا جديدا على الدعوة ودولتها ، مما جعل سعودا يسارع اليهم بجيش كثيف بلغ عشرة آلاف مقاتل صبحهم فيه فى موقعهم وحصلت بينه وبينهم معركة هربت بعدها هذه الأحزاب البدوية لاتلوى على شئ بعد أن قتل منهم ثلاثون ، وغنم جيش الدرعية منهم غنائم مختلفة من ابل وخيل وأمتعة وأموال . وسواء كانت هذه الغزوة قبل التى سبقت أو بعدها (٢) فان حكومة الدرعية قد عقدت العزم فيها على اخضاع قبيلة مطير لسيادتها ، والحيلولة بينها وبين أن تؤيد المناوئين للدعوة ، أو تنزعهم ضدها ، ومن هنا فان هذه الغزوة بما حشدت لها حكومة الدرعية من جيش كثيف واستعدادات كبيرة يمكن اعتبارها آخر الغزوات الكبيرة التى وجهتها هذه الحكومة ضد مطير وأحلافها وبعد هذا انخفضت حدة المعارضة المطيرية للدولة السعودية

(١) ذكر صاحب اللمع ما قد يدل على استفادة الحكومة من هذا التنافس حينما أشار فى كلامه عن معركة العدو التى سبقت أن غزوة قد صاحبت جيش الدرعية فى غزوة لمطير - عدوتها - . الريكى : ٩٩ ، قلت : اذا كانت غزوة قد استفلت هذه الغزوة لصالحها فان حكومة الدرعية لم تضع مثل هذا الهدف فى حساباتها بقدر ما يحقق مثل هذا الاشتراك استتباب النظام والخضوع للحكومة لتبدأ مرحلة من تصافى القبائل فيما بينها ، وهو ما كانت تفعله هذه الحكومة بالصلح حينما والقوة حينما آخر .

(٢) ابن غنام : ١٥٧/٢ ، الفاخرى : ١٢٤ ، مؤلف مجهول : هو ذكر أن الغزوة كانت ضد حرب ولم يشر الى مطير فيها مع تواتر ذلك لدى مؤرخى نجد ، ابن بشر : ١١١/١ ، وقد ذكر ابن غنام هذه الغزوة قبل غزوة ابن قرطمة ، الا أن الفاخرى وابن بشر ذكرها بعدها بل ان الفاخرى ذكر أنها سنة ٢٧٢ هـ مما يؤكد تأخرها عن

الأولى - فى أوج قوتها على الأقل - وركنت هذه القبيلة بعدها الى الهدوء^(١).
 وعدا غزوتين صغيرتين نسبيا ان ما قورنتا بالغزوات الكبيرة ضد مطير
 احدهما توجهت من القصيم الى أحد موارد المياه فى السر وكانت تقطنه مطير ،
 وكان جيش القسم التابع لحكومة الدرعية يبلغ ألفا ومائتى رجل ومائة وثلاثين فرسا
 فقط وحصلت معركة صغيرة بين الجانبين انهزمت فيها مطير وقتل من أفرادها
 خمسون وأخذ منها عدد من الابل والخيول والأغنام كغنائم (٢) . والأخرى سنة
 ١٢١٠ هـ / ١٢٩٥ م والتي أغار فيها سعود على تجمع صغير من عتية ومطير فى
 الحرة وحصل بينه وبينهم قتال قتل فيه رئيس الخيالة السعودى فى هذه الغزوة
 وقتل من التجمع البدوى حوالى ثلاثين رجلا بين قائد وجندى وغنم سعود منهم
 عددا من الابل والأغنام والأمتعة^(٣) ، هذا هاتين الغزوتين فلم يذكر المؤرخون
 غزوات ذات بال بين مطير وجيش الدرعية ، ان بعد تلك الغزوات الكبيرة السابقة
 والت مطير الدعوة وحكومتها وبرهنت على ذلك باشتراكها فى الغزوات التى توجهها
 الدولة الى القبائل والبلدان المناوئة لها ، فضلا عن أدائها للزكاة الواجبة
 شرطا للحكومة وخضوعها لكافة الأحكام الصادرة من الدرعية (٤) .

= غزوة ابن قرطة ، وأنها آخر غزوات الدرعية الكبيرة ضد مطير ، وهذه الغزوة
 تسمى غزوة الشقرة وهى مورد ماء شامى الحناكية (ابن بليهد : ١٣/٢ ، ١٠٤٠)

(١) حسين خلف خزعل : ٣٠١ .

(٢) مؤلف مجهول : ١٢٠ .

(٣) ابن غنام : ١٧١/٢ - ١٧٣ ، الفاخرى : ١٢٧ ، ابن بشر : ١٣٤/١ .

(٤) انظر على سبيل المثال لهذه الموالاة ابن بشر : ١٣٢/١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ هـ

١٤٢ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٣١ .

وفى سبيل ذلك فقد اشترك قسم كبير من مطير فى غزوة أرسلتها الدولة سنة ١٢٠٨هـ / ١٢٩٣م الى قبيلة بنى هاجر (١) فى عالية نجد ، وذلك ضمن جيش اشترك فيه كذلك عدد من البلدان والقبائل المؤيدة للدعوة ، وعادت هذه الغزوة بنجاح تمثل فى قتلها عددا من بنى هاجر وأخذها قسما كبيرا من ابلها وأغنامها وأمتعتها غنائم ، هذا بالإضافة الى اشتراك مطير أو أفخاذ منها فى عدد من الغزوات والمعارك بين الدعوة ومناوئها فى داخل نجد وخارجها (٢) .

أما شمر فيبدو أن تأييدها للدعوة كان متقدما مثلها فى ذلك مثل بعض القبائل البدوية أو أفخاذ منها كما مر ، فيشير صاحب اللع الى أن كثيرا من شمر قد دخلت فى طاعة حكومة الدرعية منذ عهد الامام محمد بن سعود ، وهو فى هذا لا يبين هل دخلت هذه القبيلة فى هذه الطاعة عن طريق الغزو أو عن طريق الاقتناع ، ولكنه يؤكد أنها قد رجعت عن هذه الطاعة كما رجع عنها كثير من البلدان والبهودى النجدية بسبب قدوم المكرمى صاحب نجران وابن عريم

-
- (١) قبيلة متفرعة من شريف من جنب أحد أفخاذ قبيلة قحطان المعروفة فى جنوبى المملكة وكانت منازلها فى سرات عبيدة حتى انتقلت منها فى القرن الثالث عشر الهجرى الى منطقة الأحساء وبقي منها أقسام فى الجنوب وبعض مناطق نجد ، ومن أبرز من أنجبتهم قبيلة بنى هاجر الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب (١٢٣٠/١٨١٤م - ١٣١٧/١٨٩٩م) العالم المعروف وصاحب الخطب المنبرية ، للتفصيل : (عبدالله البسام : علماء نجد : ٢ / ٥٣٠ - ٥٣٢ ، حمد الجاسر : معجم قبائل المملكة : ٢ / ٨٦٩ - ٨٧٢ ، جوهرة أنساب الأسر المتحضرة : ٢ / ٩٥١ ، ٩٥٢ ، عمر كحالة : ٣ / ١٢٠٦) .
- (٢) ابن غنام : ٢ / ١٦٩ ، ابن بشر : ١ / ١٣٢ ، ١٣٥ ، حيث ذكر فى السنة نفسها غزوة اشتركت فيها مطير أرسلتها الدرعية لتأديب عتيبة ، وذكر اشتراك مطير بزعامة فيصل الدويش فى معركة الجسانية ضد الشريف غالب وذلك سنة ١٣١٠هـ /

بجيوشهما لغزو الدرعية والقضاء على حكومتها الجديدة ، واستغل قسم من شعر هذا الرجوع للاغارة على الأطراف الموالية لهذه الحكومة (١) .

وكان رد الدرعية على هذا أن جهز الامام محمد بن سعود جيشا بمعد رجوع النجراني وابن عريعر الى بلديهما في نهاية سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م يبلغ ستة آلاف مقاتل بقيادة ابنه عبدالعزيز ففزاهم ليلا وقتل منهم عددا كثيرا وأسسر مائتي رجل أو يزيدون ثم قفل راجعا الى الدرعية وقد تم هذا الغزو والقول بموافقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمره مثلما كان يتبع ذلك الأسلوب وخصوصا في المراحل الأولى لقيام الدولة السعودية الأولى (٢) .

ولما غزا ابن عريعر القصيم حينما بدت منها بوادر تأييد للدعوة كما مر انضمت شعر الى الجموع التي أيدته وسارت معه في غزوته تلك ، ولعل تلك الغزوة الكبيرة التي قام بها عبدالعزيز ضد شعر وما ترتب عليها من نتائج أضرت بهذه القبيلة مع أسباب أخرى تكاثفت لتجعل هذه القبيلة تنظر نظرة عداوة للدولة السعودية وتتحرب مع كل من يحاول الاطاحة بها (٣) .

ولما توسعت الدولة السعودية الأولى وكثرت بالتالي غزواتها وأعمالها ، ونظرا لقرب القصيم من منطقة حائل ولكونه أيد الدعوة قبلها ، فقد وكل أئمة هذه الدولة الى امر القصيم مهمة غزو الشمال عموما وخصوصا قبيلة شعر وتأديب المناوشين فيها للدعوة ، ويبدو أن الدرعية قد وكلت هذا الأمر في بدايته لمنطقة عنيزة حيث

(١) السريكي : ٣٧ ، ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ٤٢ ، وأعيد الى الأذهان ما سبق أن أشرت اليه في نظام الغزو أن الغزو ضد شعر يتم في الليل " بيات " فكان عبدالعزيز عاطمهم بأسلوب الغزو لديهم .

(٣) ابن غنام : ١١٣/٢ ولكنه لم يذكر شعرا ضمن هذه الجموع الا ان ابن بشر : ٩٢/١ ذكرها ضمنها .

غزا أميرها (ابن رشيد) قوما من شعر فأسر منهم مائتي رجل فدوا أنفسهم —
بأموال (١) ، مما يوحى بأن عنيزة كانت أقدم ولاء للدعوة من كثير من بلدان
القصيم حتى نثار بعض مؤرخي تلك الفترة الى القصيم في مرحلة تأييده الأولى
للدعوة من خلال دخول عنيزة تحت حكم الدرعية أن أمير عنيزة كان هو الحاكم على
القصيم التابع للدعوة (٢) .
على أنه في مرحلة تالية فيما يبدو واستطاعت بريدة أن تكون منافسة لعنيزة في هذا
التأييد ليكون شاملا لمنطقة القصيم بأكملها إلا أن حادثة قتل المطاوعة في القصيم
وصاحبها من ملابسات لعبت فيها بعض الأهواء جعلت حكومة الدرعية
تنظر نظرة مريبة نحو أمير عنيزة وبعض أمراء بلدان القصيم الأخرى ، واستتبع ذلك
تحويل انطلاق الغزو نحو الشمال وخاصة شعر الى امارة بريدة التي أصبحت تسمى
امارة القصيم .

وفي نطاق ذلك غزا أمير بريدة حجيلان بن حمد آل أبي عليان ١٢٠٠ هـ /
١٧٨٥ م منطقة شعر ، ولما علم بورود قافلة من جنوب العراق محملة بمؤن لأهل
هذه المنطقة اهتملها فرصة حيث رصد لهذه القافلة في إحدى البلدان المجاورة
وتمكن من أخذ القافلة بما فيها بعد أن تم قتل عدد كبير من رجالها (٣) .

ولما كانت شعر قد اشتركت مع ثويني بن عبد الله في غزوته لمنطقة القصيم
سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م فقد غزاها حجيلان في آخر هذه السنة بأمر من الامام
عبد العزيز وسار معه في هذه الغزوة قسم كبير من أهل القصيم وغيرهم من البوادي

(١) مؤلف مجهول : ص ٨٢ .

(٢) المصدر السابق : ٨٢ ، ٨٣ حيث قال عن أمير عنيزة : " وابن رشيد المذكور
هو شيخ من تحت يد عبد العزيز ومطيع له ، وحكمه على القصيم " .

(٣) ابن غنام : ١٢٦ / ٢ وذكر فيها اشتراك بعض عنزة مع حجيلان ، ابن بشر :

٩٨ / ١ ، حسين خزل : ٣٠٣ .

المؤيدة للدعوة حولها ، وحاصر المنطقة وضيق على أهلها فطلبوا منه الأمان ، وتعهدوا فيه بأن يعودوا مواليين للدعوة تابعين للدولة السعودية حيث بايعوه على دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسمع والطاعة ، وكانت هذه الفسوة متجهة الى القسم الحضري من منطقة شمر ، ولما غادر ثويني منطقة القصيم وتفرغ حجهلان لتأديب المؤيدين له من البوادي أغار في السنة نفسها على بوادي شمر حيث قتل منهم ما يقرب من مائة رجل وأخذ منهم غنائم متنوعة (١) .

ومبايعة القسم الحضري من شمر وغيرها ممن يقطنون تلك المنطقة لايعنى أن بوادي شمر قد ثبتت على ولائها السابق للدعوة بل ذكر صاحب اللمع أن حرباً قد حدثت بسبب هذا الولا بين القسم الحضري لشمر والموالي للدعوة ، وبين القسم البدوي برئاسة الجربا حيث أرسل الحضر للامام عبدالعزیز أن الجربا يغير عليهم لهذا السبب ، اضافة الى اشتراك بادية شمر مع عدد من بوادي نجد والحجاز التي أيدت الشريف غالب في غزوته السابقة لنجد ، كل هذا حدا بالامام عبدالعزیز أن يرسل ابنه سعود بجيش كي يؤدب شمر ومطير على هذا التأييد كما سبق بهانه في معركة العدو التي كانت زعامة التجمع البدوي فيها لشمر حيث كان قائد هذا التجمع مصلط بن مطلق الجربا ابن زهم شمر قاطبة (٢) ، ومن طريف ما يروى ابن بشر في هذه الموقعة أن مصلطاً هذا قد نذر أن يجشم فرسه مجلس سعود الخاص ومكان

-
- (١) ابن غنام : ١٣٠ / ٢ ، ابن بشر : ١ / ٩٩ ، ١٠٠ ، حسين خزعل : ٣٠٣ .
 (٢) ذكره صاحب اللمع باسم سلطان بن مطلق ، ويبدو أن مصلط يطلق أحياناً على سلطان ، وذكر الراوى في كتابه " البادية " (ص ١٥١) أن أسرة الجربا نسبوا الى أمهم التي ابتليت بالجدري فغير بشرتها على عادة العرب قديماً وحدثاً بالتسمى بأمهاتهم سواء من جهتهم اذا كانت أمهم ذات مركز وسمعة عالية ، أو من غيرهم اذا كانت غير ذلك ومن أمثلة ذلك باهلة الطفافة وقرطة ، وذكر الطارك في شيم العرب : (٣٣٣ / ٤) أن مطلق الجربا كان نسيباً رئاسية في تلك الفترة على شمر قاطبة بل ترأس تحالفاً من عنزة وشمر والظفير .
 (من شيم العرب : ٦٨ / ١)

أكله فأرخصى عنان فرسه لذلك وما أن قرب من المكان حتى اختطفه جند سعود ورواه
أحدهم بعود فيه نار كان يشوى به قرصاً حيث سقط عن جواده فقتل ويقتله
انهزمت تلك البوادي حيث أخذ سعود وجنده يتبعونهم يومين وهم لا يلوون على
شيء فقتل منهم عدداً كبيراً وسيقت نعمهم وأخذت أموالهم وأمتعته غنائم (١) .

ولما كان الأشخان في مطير وشمر كان شديداً ، إضافة إلى أن هذه المعركة
تعتبر من كبار المعارك بين قبيلة شمر وحكومة الدرعية فقد كانت نتائجها على هذه
القبيلة واضحة إذ خضع قسم كبير منها لحكومة الدرعية بعد حروب يسيرة استتبع
تلك المعركة الكبيرة ، وجلا قسم كبير آخر من هذه القبيلة إلى بوادي
جنوب العراق والشام بزطمة مطلق بن محمد الجربا الذي ما من شك في أن هزيمته
في تلك المعركة علاوة على مقتل ابنه مصلط كانا سببين رئيسيين وراء دفعه بجموع
كثيرة من شمر نحو تلك المناطق حيث اتجه بقسم منها نحو السماوة جنوب غربى
العراق ، وأصبح هذا القسم يسمى شمر الجربا والرياسة فيه لآل محمد
الجربا (٢) وجلا مطلق وهذه الأقسام من تلك القبيلة عن نجد دانت شمر
النجدية للإمام عبدالعزيز بن محمد حيث أصبحت تؤدى الزكاة إلى بيت المال رمزا
لهذه الطاعة ، كما اشتركت في حملة الحج سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م تحت قيادة الإمام

(١) ابن غنام: ١٥٠/٢ - ١٥٢ ، الفاخري : ١٢٣ ، ابن بشر: ١٠٩/١ ، ١١٠ ، الريكى :
١٠٠ ، ٩٩ ، ابن عيسى : ١٢٥ ، حسين خزعل : ٩٧ وهو حين قال ان زطمة الجربا
كانت لعنزة على أنه خلط بين أحداث شمر ومدينة عنيزة ، ثم تأكد في ص :
٢٩٩ أن إمارة شمر في أسرة الجربا وأورد أحداث معركة العدو كما ذكرها
المؤرخون الآخرون .

(٢) الريكى : ١٠٠ ، حسين خزعل : ٢٩٩ ، الراوى : البادية : ٣٤٤ - ٣٥١ وذكر فيها
أن أول من رحل من نجد هو فارس الجربا وهو يتفق في هذا مع لونكريك (١٠٤)
الذي ذكر أن ذلك عام ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ على أنه قد ذكر مؤرخو نجد من أهلها
وغيرهم أن مطلقاً قد رحل بقسم كبير من شمر ثانية من نجد للأسباب السابقة ،
ويؤكد الريكى (٦٢) أن الإمام عبد العزيز بن محمد هو الذي أجلا قسماً من
شمر مع مطلق في أواخر أيامه بسبب ما بدر منهم من خلاف ضده .

سعود بن عبدالعزيز ، هذه الحملة التي كان من أهدافها كذلك توطيد الحكم
السعودي في الحجاز واشتركت فيها قبائل نجد والحجاز والجنوب (١) .
أما شمر الجرباء فتحت تأثير ذلك الجلاء وأسبابه أخذت تكيد العداء
للدعوة ودولتها متحينة الفرصة للاغارة على الأطراف الموالية لهذه الدولة وكانت
هذه القبيلة تتحزب في سبيل ذلك مع القبائل النجدية الجالية الى العراق
للسبب نفسه كالظفير ففي سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م غزا سعود بن عبدالعزيز
جنوبي العراق وأغار على بعض بلدانه فذكر له تجمعاً بدوياً مكوناً من شمر الجرباء
والظفير وغيرهما ، وكان هذا التجمع مقيماً على أحد موارد المياه في جنوبي العراق ،
فالتقى به سعود ونازله وحصل بين الفريقين قتال شديد تداوله الفريقان وقتل فيه
من جند سعود خمسة عشر رجلاً ، وفي المرحلة الأخيرة من الغزوة حمل سعود
وجنده على هذا التجمع فقتلوا عدداً من فرسانه من القبيلتين ، وكانت نهاية المعركة
اثر مقتل زعيم هذا التجمع مطلق بن محمد الجرباء الذي عثر جواده وهو يطارد خيل
سعود في نعمة أدركه بعدها زعيم السهول المشتركين مع سعود في هذه الغزوة
فقتله فانهزم هذا التجمع وغنم جيش الدرعية ابلهم وأثاثهم وأمتعته (٢) ، وهكذا
انتهت علاقة هذه القبيلة بالدعوة ودولتها بدخول قسم منها في طاعة هذه الدولة ،

-
- (١) ابن بشر: ١/ ١٧٣ ، ١٨٨ ، ٢٢٣ وذكر فيها اشتراك شمر بقيادة أمير
منطقة حائل محمد العلي مع أهل القصيم بقيادة حجيلان من قبل حكومة
الدرعية للاغارة على بوادي حرب قرب الحناكية .
(٢) ابن بشر: ١/ ١٥٠ ، ١٥١ ، عثمان بن سند البصري : مطالع السعديون

باخبار الوالد ————— داود ورقة ١٢١ حيث ذكر فيها مقتل
مطلق الجرباء مشيراً الى أن سعوداً كان يفضل أسره على قتله ، ولعل ذلك
لما يتمتع به مطلق من حنكة ودهاء وكرم أراد سعود أن يستثيرها فيه ليضمه
وقبيلته الى صفه .

وجاء قسم منها الى بواى الشام والعراق حيث يمكن اعتبار هذا الانتهاء لهذه العلاقة من معالم التقسيم القبلى لهذه القبيلة ، ودافعا من دوافع التحرك والتغيير الاجتماعى لهذه القبيلة ومن يشابهها .

أما الدواسر فقد ابتدأت هلاقتها بالدعوة حينما انضم فخذ الوداعين منها مع النجرانى فى غزوته للدرعية سنة ١١٧٨ هـ ، التى مر ذكرها ان كان حويل الوداعى من المحرضين والمؤيدين بالأنفس والأموال للنجرانى أسوة بزعماء المعارضة النجدية حاضرة وبادية ، ولعل لقرب منطقة الدواسر من نجران وكثرة التعامل بين المنطقتين أثر كبير فى هذا التأييد الذى برز مرة أخرى عندما قدم النجرانيون مرة ثانية سنة ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م لغزو منطقة العارض وأيدتهم المعارضة النجدية كذلك وكانوا أثناء مريرهم بواى الدواسر قد اصطحبوا معهم قسما كبيرا من أهله يبد وأن الوداعين أيضا تولوا كبرهم ، وحصل بين النجرانيين وبعض بلدان العـارض مقاتلات صمد لهم فى آخرها أهل ضرا مما اضطرهم للخروج منها والعودة من حيث أتوا وتفرقت الجموع التى أيدتهم نادمة على هذا التأييد المادى والمعنوى ، وخاصة ما بذلته تلك الجموع من أموال طائلة فى سبيل نجاح خطة النجرانيين (١) .

ولم تشر أحداث تلك الفترة الى أى محاولة قامت بها حكومة الدرعية لغزو منطقة وادى الدواسر سواء باديته أو حاضرتها ، وكان تركيز الغزوات منصبا على شمال نجد وأواسطها ، ولعل ذلك كان راجعا لقوة بأس الدواسر بزعماء الوداعين ، إضافة الى قربهم من نجران التى يشكل حاكمها قوة لا يستهان بها خاصة وهى تقف موقف العداء من الدعوة ودولتها ، إلا أن المرء لا يستبعد أن تكون هناك معرفة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بعض الدواسر سواء كان ذلك بالاتصال بينهم وبين الدرعية التى من الممكن كذلك أن تكون قد أوعزت لمن يوضح مبادئ الدعوة فى المنطقة ولو لم يكن ذلك بشكل علنى ، أو كان ذلك نتيجة لقدوم بعض الدواسر لمنطقة العارض ومعرفتهم

أو سماعهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وعلى أى حال ففي سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م قدم إلى الدرعية ربيع وبن ابن زيد الدوسري رئيس فخذ المخاريم من الدواسر وباعها الشيخ محمد والامام عبدالعزيز على السمع والطاعة عنهما وعن فخذهما حيث شكلا في الوادي قوة لاستهان بهما تستطيع أن تقف في وجه الذين يريدون غزو الدرعية من الجنوب، إضافة إلى دورها في نشر الدعوة والولاء للدرعية في المنطقة، ورغم أن عددا كبيرا من قومهما قد انضموا اليهما، إلا أن قسما كبيرا من عشائر الدواسر الأخرى بقي على عدم ولائه لحكومة الدرعية (١) .

(٢) وفي ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م قدم قسم كبير من الدواسر مع ربيع وبن رئيسا المخاريم لحماية حكومة الدرعية بمعد معارك قامت بينهما وبين بقية الدواسر بزعماء الوداعين وكانت بسبب ما قاما به من إزالة ما في الوادي من أشجار وأحجار كانوا يقدسونها، واستعان ربيع وبن بالامام عبدالعزيز الذي أمدهما بجيش من قحطان بزعمامة مبارك بن عبد الهادي بن قرطة، وخضع قسم كبير من أهل الوادي بعد هذه المعارك لطاعة ربيع ومبارك، وبقي قسم على محاربتة لجيش الدرعية واستفزع أهل نجران

-
- (١) ابن غنام: ١٢٢/٢، ابن بشر: ٩٧/١، مؤلف مجهول: ١٥٣ وذكر فيها أن ربيع قد بايع قبل قومه بثلاث سنين، ويمكن أن يفهم من هذا أن المخاريم أنفسهم لم يبايعوا إلا سنة ١٢٠٢هـ إلا إذا كان يقصد عموم الدواسر.
- (٢) ذكر ابن غنام أن ربيع وبن فيهما رئاسة المخاريم منذ مبايعتهما الأولى بينما ذكر ابن بشر في الحادثة الأولى أنهما أبناء الرئيس وفي الثانية بلقب رئيس المخاريم مما يبدو معه أن أباهما في الأولى كان موجودا وتوفي بعدها إلا أن رواية ابن غنام - فيما يبدو - أدق، ويمكن تعليل رواية ابن بشر بوجود خطأ مطبعي أو أثناء نقله من ابن غنام هذه الأحداث .

الذين جاءوا بخيلهم ورجلهم وحدث بينهم وبين جيش الدرعية والمؤيدين له من الدواسر عدة مقاتلات انهزم فيها الوداعين والرجبان مع النجرانيين الذين تركوا حلفاءهم وطادوا الى نجران فما كان من الرجبان والوداعين الا نزلوا على طاعة ربيع الذى قدم مرة أخرى بقسم من أهل الوادى الى الدرعية للمبايعة حيث أكرمتهم الحكومة غاية الاكرام ، ولم يفت ربيع هذه المرة أن يطلب من الشيخ محمد والامام عبدالعزیز معلما يتولى تعليم الدواسر أمور دينهم مؤكدا فى هذا أن الخضوع نتيجة الحرب لا يستمر طويلا مبينا أن الدواسر سيكونون قوة فى يد الدهوة اذا ما انضموا اليها على بصيرة وعن اقتناع ووافق الشيخ محمد والامام عبدالعزیز على ذلك حيث أرسلوا معه واحدا من كبار العلماء والمعلمين فى عهد الدولة السعودية الأولى هو الشيخ عبدالله بن فاضل (١) ليكون معلما لأمر الدين

(١) هو الشيخ عبدالله بن فاضل أحمد علماء الدرعية، ويبدو أنه كان محل ثقة الشيخ محمد وأئمة الدولة السعودية الأولى حيث كانوا يرسلونه معلماً للبلدان التي تتطلب جهداً كبيراً في التعليم والاقناع أما لفشو الجهل فيها كوادى الدواسر، أو لوجود فئات معارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولمذهب أهل السنة طامة كالأحساء، فقد كان معلماً في المنطقتين حيث انتقل من الوادى إلى الأحساء بعد الاستيلاء عليه سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م من تلاميذه الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م) والشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م) وقد تتلمذ عليه الأخير في السيرة ويبدو أن الأول تتلمذ عليه فيها، وفي يوم الجمعة ١٠ شوال ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م وبعد مضي أشهر معدودة على مبايعة أهل الأحساء للإمام عبدالعزيز نكص جماعة منهم عن هذه البيعة حيث قتلوا الأمير السعودي وصاحب بيت المال والمعلمين حيث بلغ مجموع القتلى ثلاثين رجلاً كان من بينهم الشيخ عبدالله بن فاضل، (ابن غنام: ٢/ ١٣٥، ١٦٢، الفاخرى: ١٢٥، ابن بشر: ١/ ١٢٩، ١٣٠، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم: ص ٢٩، ٥٩، ٦٥، عبدالله البسام: علماء نجد: ١/ ٥٦، ٢٩٤، محمد القاضى: روضة الناظرين: ١/ ١٢١، ٢٠٠) وذكر فيها أن عبدالرحمن بن حسن قد

واماما للصلاة حيث بقوا على هذا الولا* مدة ستة أشهر الا أن فخذ الرجبان والوداعين نقضوا هذا الولا* - وليس من المعروف سبب ذلك - فأرسل الامام عبد العزيز اليهم جيشا قاتلهم فهزمهم حتى طلبوا من قائده الأمان ، الذي طلب منهم الذهاب الى الدرعية ليرى فيهم رأيها فقدوا على الامام عبد العزيز وظهدوا على السمع والطاعة فاشترط عليهم دفع ثلاثة آلاف ريال منها ألف معجلة - مع ألف بندق فقبلوا بذلك الشرط وسلموا المعجل منها (١) .

ويبدو أن الرجبان والوداعين استنكفوا أن تكون اماره الدواسر فــــــى المخاريم (٢) نفى سنة ١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م غزا قاعد بن ربيع الدوسرى مع هادى ابن قرطه بنى هاجر فانتفض عليه بعض الدواسر حيث قتل من جيش قاعد عددا وأسر آخر ، وكان أبرز المنسحبين عن قاعد حويل الودعاني وجماهر الرجبانى مع قومهما : الوداعين والرجبان ، ولعل كون القيادة بيد قاعد وهما يريان نفسيهما أكبر وأقدر على القيادة منه سببا رئيسيا فى هذا الانسحاب (٣) .

= تتلمذ عليه فى الأصول والفروع والحديث وعلوم العربية والفرائض وحسابها ما يدل على أن الشيخ ابن فاضل كان من كبار العلماء حتى لقب بعالم (الدرعية)

- (١) ابن غنام : ١٣١ / ٢ - ١٣٦ ، ابن بشر : ١٠١ / ١ - ١٠٤ .
- (٢) ذكر الشيخ حمد الجاسر فى معجم قبائل المملكة : أن المخاريم أحد أفخاذ الرجبان الذين هم من الوداعين من الدواسر . وللتفصيل فى هذه الأفخاذ الثلاثة انظر (معجم قبائل المملكة : ٢٦٥ / ١ ، ٢٦٦ / ٢ ، ٧٢٦ / ٢ ، ٨٥٩) .
- (٣) ابن غنام : ١٤٣ / ٢ ، ١٤٤ ، وقد ذكر فيها أن قاعدا اسم آخر لربيع بينما ذكر ابن بشر : ١٠٧ / ١ فى الحادثة نفسها أن قاعدا ابن لربيع وهو الذى يتفق مع الأحداث الأخرى ومع ذكر ابن غنام لذلك فى سنة ١٢١٠ هـ القادمة على أنه يخلط بين كون الامارة لأبيه أو له .

واستفحل خطر الرجبان والوداعين على حكومة الدرعية ومؤيديها في منطقة جنوب نجد عامة ووادي الدواسر خاصة حينما أرسل الشريف جيشه لفوزو نجد فانضمت اليه القبائل النجدية كما مر وانضمت اليه جموع من الدواسر مؤيدة ، ولم يكتف الرجبان والوداعين بالتأييد فقط كما فعلت سائر القبائل النجدية بل أرادوا أن يكونوا قوة رئيسية أخرى مساندة للشريف وقبلوا - في هذا الصدد - أن يكون وادي الدواسر ولاية شريفة حيث أمر فيهم الشريف غالب الشريف شاكر السدي تولى قيادة جيش شريفى قوامه الرجبان والوداعين وبنى هاجر ومفرزة من الجيش الشريفى القادم الى نجد ، ونذارا لخطورة هذا التجمع فقد بادرت حكومة الدرعية بارسال جيش على وجه السرعة بقيادة نعيمش بن حمد (١) ، وشكل مع ربيع وصبارك بن عبد الهادي الودعاني مجلس قيادة للجيش السعودى القادم من الدرعية وجموع الدواسر المواليين للدعوة ، والتقى هذا الجيش فى وادي الدواسر بالجيش الشريفى والجموع الهدوية المؤيدة له وحصل بين الجيشين عدة مقاتلات وجولات انهزم فيها جيش الشريف وجموعه بعد أن قتل من الطرفين عدد من الرجال (٢) .

وتسكت الأخبار عن علاقة الدواسر بالدعوة بعد هذه المعركة ، الا أنه يبدو أن لها تأثير قوى فى خضوع قسم كبير منهم ، وتمثل هذا فى اشتراكهم مع الجيش الذى أرسلته الدرعية لتأديب بنى هاجر كما مر ، وليس من المعروف هل كان

(١) نعيمش بن حمد : أحد قواد الدولة السعودية الأولى وهو من أهل التويم ، (ابن بشر : ١٠٨ / ١) ، ولعله من آل ابن حمد من آل يبنى من قحطان ، (حمد الجاسر : جمهرة : ١٢٩ / ١) .

(٢) ابن غنام : ١٤٨ / ٢ ، ابن بشر : ١٠٨ / ١ ، الريكى : ٩٦ .

الرجبان والوداعين ضمن الجيش السعودي أو من المؤيدين لبني هاجر والبقوم في تخزيهم ضد الدولة السعودية الأولى (١) .

واشتركت الدواسر مع عدد من القبائل المؤيدة للدعوة وكان ذلك سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م بزعامه ربيع الذي أصبح أميراً عاماً على الدواسر حاضرة وبادية والتقت هذه الجموع ضد جيش الشريف في مورد الجمانية بمعية نجد حيث انهزم جيش الشريف ، على أنه في السنة نفسها غزا قاعد بن ربيع مع قسم من الدواسر قبيلة بني هاجر حيث قتل منهم عدداً من الرجال ، وأخذ قسماً من الابل والخيـل والأغنام والأموال كغنائم (٢) .

وواصل الدواسر بزعامه ربيع غزو القبائل والبلدان غير المؤيدة للدعوة والمناوئة لها لتوسيع رقعة الدولة وكسب الأموال لبيت المال ففي سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م غزا ربيع بجيش كثيف من الدواسر ومعهم غيرهم بأمر الامام عبد العزيز الذي حدد له قبائل الطائف مقصداً حيث غزا قبيلة شهران وقتل منهم عدداً من الرجال ونзм ابلأ وأغناما (٣) .

وبدا نجم ربيع العسكري في الصعود حيث أصبح من كبار قادة الدولة السعودية الأولى ، وأمراء المقاطعات الذين يحظون بتقدير واحترام أئمتها ،

(١) ابن غنام : ١٦٩/٢ ، الفاخرى ١٢٥ ، ابن بشر : ١٣٢/١ وهي التي قتل فيها ناصر بن شري أمير بني هاجر سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م ، وأشار السبي اشتراك الدواسر في جيش الدرعية ابن بشر فقط .

(٢) ابن غنام : ١٧٢/٢ ، ١٧٣ ، وذكر أن قاعد بن ربيع في غزوته لبني هاجر رئيساً للدواسر ، بينما ذكر اشتراك ربيع في الجمانية وهو رئيس للدواسر وسار على ذلك ابن بشر : ١٣٥/١ إلا أنه وصف قاعد بأمر وادي الدواسر بينما وصف ربيع بأمر جميع الدواسر حاضرة وبادية .

(٣) ابن غنام : ١٩٩/٢ ، ابن بشر : ١٤٧/١ .

وقد استغل الرجل هذه الثقة في التفاني والاخلاص لهذه الدولة ، وفي هذا المجال غزا سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م بجنود من الدواسر وغيرهم منطقة بيشة حيث نازلهم وضيق عليهم الحصار حتى بايعوه على الولاية للائمة السعودية ، الا أن الشريف غالب لما علم بذلك سارع بارسال جيش التحم مع أهل بيشة وحاصرهم وقطع بعض نخيلهم ، وقتل عددا من رجالهم مما أثر على ولائهم للدولة السعودية حيث تحولوا عنه ودخلوا في طاعة الشريف (١) .

ولعل أبرز دور بطولي قام به الدواسر بقيادة ربيع بن زيد هو اشتراكهم الرئيسي في معركة الخرمة ضد الشريف غالب في السنة نفسها حيث سار الشريف بجيش كثيف بادية وحاضرة ، ويبدو أنه استثار من قدم للحج أو للجوار من المصريين والمغاربة حتى أصبح جيشه ضخما في العدد والعدة سار به حتى نازل بعض بلدان الجنوب ، ونزل الخرمة (٢) ، ولما كان سعود بن عبدالعزيز غازيا في شمال نجد وجنوب العراق في المعركة التي قتل فيها مطلق الجرباء كما مر (٣) ، فلم يرد الرجوع بكامل جيشه بل رد مفرزة من هذا الجيش تكون عوناً لمن يتعرضون لهجمات الشريف الى أن يأتي اليهم جيش آخر من الدرعية أو من القبائل والبلدان المؤيدة التي لم تشترك في حرب الشمال ، وفي الوقت نفسه

-
- (١) ابن غنام : ١٩٩ / ٢ وقد ذكرها سنة ١٢١١ هـ بينما ذكرها ابن بشر : ١٤٩ / ١ في سنة ١٢١٢ هـ ، وذكرها ابن غنام مرة أخرى سنة ١٢١٢ هـ ، ٢٤٢ / ٢ .
- (٢) الخرمة : بلدة تقع الى الجنوب الشرقي من الطائف على وادي الخرمة أو ترينة شمال حضن سكانها من سبيع مع بعض الأشراف وغيرهم تشتهر بزراعة النخيل وجودة التمور ترتبط بالطائف اداريا وتتصل به عبر طريق معبد بطول ١٨٠ كم ويتبعها عدد من القرى . (الفاخرى : ١٢٩ من حاشية المحقق ، ابن بشر : ٥٣ / ١ من حاشية المحقق ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافي : ٣٩٤ / ١ ، ابن خيمس : المجاز : ١٨٦ ، ٢١ ، طاق البلادى : معجم معالم الحجاز : ١٨ / ٣) .
- (٣) ومن الموافقات أن مقتل الجرباء وهزيمة الشريف غالب في يوم واحد (ابن بشر : ٨ / ١٥٢) .

أرسل الامام عبد العزيز الى هادى بن قرطبة لينفر بمن لديه من قحطان ، والسي ربيع بن زيد لينفر بمن لديه من الدواسر وغيرهم والى أخلاط أخرى من البادية وبعث جيشا من الحضرة ، وأمر هذه الجموع بالمسير لملاقاة الشريف فى الخرمة فسارت اليه - ويبدو أنها بقيادة ربيع وهادى ، وقومهما هم الأكثرون - فأغـسـارت عليه فى منزله الخاص حتى أصيب جنده بالرعب فانهزموا لا يلوون على شئ تاركين خيامهم وأموالهم ، والجيش السعودى وراءهم يعمل فيهم قتلا ، ومن لم يقتل أدرك ظمأ وجوعا فكانت هذه الموقعة على حد تعبير ابن بشر : " وقعة عظيمة ومقتلة كبيرة (١) " حتى بلغ عدد القتلى من الأشراف والمصريين والمغاربة وقريش وعتيبة وثقيف الغين وأربعمائة ، وأخذ السعوديون ما فى خزائن غالب المنقولة معهم من النقود التى بلغت ثمانية عشر ألف شخص (٢) كان يريد توزيعها صبيحة ذلك اليوم على الجند تشجيعا لهم اضافة الى ماغنموه من الأسلحة والأثاث والأمتعة مـاردوا من الأموال والأمتعة التى أخذها الشريف من قحطان فى غزوة سابقة ، علاوة على الاستيلاء على المدد العثماني للشريف غالب (٣) المكون من الابل المجهـزة للحرب ، ورجع الشريف الى بلده منهزما يتحين الفرص لمهادنة السعوديين اذ لسم يلبث الا فترة قصيرة حتى صالح الامام عبد العزيز سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م على تعيين

(١) ٠١٥١/١

(٢) الشخص : عملة عالية القيمة من الذهب الخالص عيار أربعة وعشرين وهو من النقود الأوربية التى كانت تضرب فى البندقية منذ القرن السابع الهجرى وسمى بالشخص لوجود صور بعض قد يسي ودقات البندقية عليه ويبدو أن معرفة نجد بهذه العملة كان عن طريق الحجاز التى عرفت بها عن طريق مصر ولقى قبولا فى هذه المناطق وغيرها حتى كان النجديون وخاصة البدو يطلقونه على الرجل الطيب الأصل والمحبوب .
(د . أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : عبد الرحمن الجبرتي ، دراسات وبحوث الهيئة المصرية العامة للكتاب ، نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٥٧٧ ، الفاخري ٩٦ ، ابن بشر ٨٠ / ١ ،
٠ (٢٣٢ / ٢٠١٥٢

(٣) بينما ينفى دحلان فى خلاصة الكلام : (٢٦٦) أن تكون الدولة العثمانية قد أيدت الشريف فى معركته تلك وذلك فى قوله : " وفى سنة اثنتى عشرة أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركى للدولة العلية يستجد هم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابى فلم يجيبوا دعوتهم ، ولم يلتفتوا لذلك ولسم يكثرثوا به فما زال قائما بدفاعهم وحده " ، بينما ينفى ذلك يؤكد ابن بشر مساندة الدولة للشريف غالب فى غزوته تلك وأن ابل الدولة ورواحلها كانت من ضمن الفنائم التى أخذها السعوديون : (١٥٢ / ١) .

حدود القبائل والممالك التابعة لكل منهما ، وعلى السماح لأهل نجد بالحج ، وما من شك فى أن هذه المعركة برجحان كفتها لصالح السعوديين قد هيأت الأوضاع لهم للاستيلاء على الحجاز وأبرز مظاهر ذلك دخول بعض القبائل الحجازية فى طاعة حكومة الدرعية حيث أصبحت هذه القبائل تثير المشكلات أمام الشريف ، علاوة على ضعف الجانب العسكرى ، وسوء الحالة الاقتصادية ، كل هذا مهد السبيل لدخول السعوديين الحجاز ، وجعل الشريف لا يكتسح بذلك بل يقبل أن يصبح تابعا لحكومة الدرعية (١) .

والمهم فى هذا أن هذه المعركة قد أثبتت اخلاص بعض القبائل البدوية للدعوة ودولتها هذا الاخلاص الذى دفع بهذه القبائل الى الاستماتة فى حرب الشريف أكبر قوة كانت تناوئ حكومة الدرعية على الرغم من أن أغلب الجيش السعودى يحارب فى الجبهة الشمالية ، على أن هذه القبائل كانت تقدر جيدا القوة الكبيرة والاستعداد العظيم الذى كان عليه جيش الشريف وخاصة فى هذه المعركة .

واستمرت بعد ذلك اشتراكات الدواسر فى الغزوات التى ترسلها الدولة السعودية لتأديب المعارضين أو فتح بلاد جديدة ففى سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م اشترك الدواسر فى جيش بلغ مقداره ثلاثين ألف مقاتل لغزو نجران - القوة التى كانت تهايبها حكومة الدرعية فى أول نشأتها - وقد كان بلاد الدواسر فيها حسنا حيث قتل أمير الوداعين ابراهيم بن مبارك بن عبد الهادى ، وادريس بن

(١) للتفصيل فى معركة الخزيمة ونتائجها : ابن غنام : ٢ / ٢٤٢ - ٢٤٨ ، ابن بشر ١ / ١٥١ ، ١٥٢ ، دحلان : ٢٦٧ ، د : عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى . ط (٢) مطابع دار نافع ، نشر معهد البحوث .
جامعة الدول العربية ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ص ١٣٧ - ١٤٨ ، د : العجلانى : عهد عبد العزيز : ١٥٤ - ١٥٨ .

حويل الودعاني وعدد من الدواسر ، وقد كان لهذه الغزوة الأثر الكبير في توسيع رقعة الدولة جنوبا ، وأصبح امام اليمن يحسب لقوتها حسابا كثيرا خاصة بمعد ما خضع رئيس الحديدة وميت الفقيه للسيادة السعودية (١) .

ولاشك أن ولاء الدواسر بصدقه وإخلاصه يرجع السبب الأول والأخير فيه لصدق وإخلاص ربيع بن زيد الذي لاشك أنه طاني في سبيل تعميم هذا الاخلاص لكافة الدواسر بعد ما كان مقتصرًا على فخذ (المخاريم) الشئ الكثير ، وقد قدرت حكومة الدرعية لربيع هذا الاخلاص كل التقدير فرفعته من امارة فخذ صغير الى امارة الدواسر كافة - حاضرة وبادية - حيث استمر على هذه الامارة - بلا منازع - طيلة عهدي الامامين عبدالعزيز وسعود ليخلفه ابنه قاعد في عهد الامام عبدالله بن سعود (٢) .

أما قططان فقد ابتدأت علاقتها بالدعوة والدولة حينما غزاها سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م وغنم منها ابلا وأموالا ، ويبدو أن هذه الغزوة هي الوحيد فيما قبل دخول هذه القبيلة في طاعة الدرعية ، واناعطنا أن قططان

(١) ابن بشر: ١/ ١٨٦، ١٨٧، الريكي: ٣٧٧، د: عبد الرحيم: ١٧٧ وقد فصل علاقة السعوديين باليمن في الصفحات ١٥٧ - ١٨٧ ، واشترك الدواسر في غزوة سعود لكرهلا سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م وفي حجته السادسة سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م ابن بشر: ١/ ١٩٠، ١٩٥ .

(٢) ابن بشر: ١/ ١٧٧، ٢٣٧، ٢٨١، د: عبد الرحيم عبد الرحمن: ٢٣٦، د: عبد الكريم الغرايبة: قيام الدولة السعودية العربية . مطبعة الجبلأوى ، نشر معهد البحوث ، جامعة الدول العربية ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ص ٦٨ ، وقد وهم حين قال ان الولاة للسعوديين اقتصر على ربيع وابنه قاعدان لم نشر المصادرا الى هذا الاقتصار وان الوادي كان مصدر متاعب للسعوديين بل كان الولاة فيه عاما وابرز مثل لذلك اشتراكهم - حتى الوداعين فيما بعد - في الغزوات التي ترسلها حكومة الدرعية وخاصة معركة الخرمة كما مر .

لا تقل عن الدواسر قوة بأس وشدة مراس أمكننا - الى حد ما - فهم السبب وراء
قلة أو ندرة الغزوات التي وجهتها الدولة ضد هذه القبيلة في بداية تكوينها ،
بل ان سعودا وجنده قد ذهل في هذه الغزوة مما أظهرته قحطان فيها من
ضروب البأس والشدة والشجاعة في القتال حتى شد عليهم بجنده وهزمهم (١) .
على أنه لم تطف فترة قصيرة حتى قدم أحد أفراد هذه القبيلة وهو —
هادي بن غانم — المعروف بابن قرملة — وذلك سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م على الشيخ
محمد بن عبد الوهاب والاصم عبدالعزيز وبايعهما على السمع والطاعة على
دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم معلنا صدقه مع الدعوة واحدة بأن
يجاهد بأفراد أسرته بقية قحطان حتى تخضع لسيادة حكومة الدرعية (٢) .

ولم يكن هادي من كبار رجالات قحطان ولا مشهورهم بل كان أحد
أفراد فخذ الجحادر ان لم تشر المصادر الى ترؤسه هذا الفخذ كذلك ، الا
أن صفات القيادة كانت موجودة لديه فيما يبدو ، فاجتمعت هذه الصفات فيه
مع الصدق والاخلاص في الولاء للدولة السعودية الأولى حتى استطاع أن يضم
قحطان الى طاعة هذه الدولة مشكلا منها قوة للجيش السعودي حيث أبلت
قحطان بلاء حسنا في الغزوات التي قامت بها أو أمرت ببعثها حكومة الدرعية (٣) .

(١) ابن غنام : ١٢٥ / ٢ ، ١٢٦ ، ابن بشر : ٩٨ / ١ ، حسين خليف خزعل :

٣٠٥ وقد ذكر تاريخ الغزوة : ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م .

(٢) ابن غنام : ١٣٠ / ٢ ، ابن بشر : ١٠٠ / ١ .

(٣) ابن غنام : ١٣٠ / ٢ ، ١٣١ .

ويقرر صاحب اللمع أن هذه القبيلة قد بان منها النصح والاخلاص للدعوة السلفية منذ مبايعة هادي ومن معه على السمع والطاعة مما جعلهم لا يقلون في ذلك عن بعض القبائل البدوية التي أيدت الدعوة كسبيع مثلاً حيث أنهم قد أخلصوا في تبني المبادئ السلفية والخضوع التام للسيادة السعودية ، ومنذ الوهلة الأولى لهذه البيعة وهم قد ألزموا أنفسهم الغزو باسم الدعوة ودولتها فيما وإلى بلادهم من الحجاز وتهامة واليمن وحتى أطراف حضرموت ، ولم يفتروا عن هذه الغزوات منذ تلاء الوهلة رغم وجود خروج عن ذلك من بعضهم في فترات تخلت فيها القبائل البدوية أو بعضها عن هذا الولا^(١) .

وتؤكد الأحداث التاريخية صدق هذا التقرير عن هذه القبيلة إذ في سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م ، وفي الغزوة التي غزاها قاعد بن ربيع الدوسري ضد بسني هاجر كما مر اشترك هادي بن قرطة معه فيها بجموع من قحطان وثبت معه على حين انخدل عنه قسم كبير من الدواسر أنفسهم كالرجبان والوداعين (٢) .

وتدل هذه الغزوة وغيرها من التي اشترك فيها الدواسر مع قحطان في الغزو باسم الدعوة ودولتها على قوة تأثير مبادئ الدعوة في هاتين القبيلتين إذ استطاعت هذه المبادئ أن تجمع بينهما وتزيل ما كان بينهما من أحقاد وضغائن ورثته تلك الحروب والمناوخت (٣) الكثيرة التي كانت تقوم بينهما - في فترة ما قبل الدعوة -

(١) الريكي : ٦٥ ، ابن بشر : ١ / ١٠٨ .

(٢) ابن غنام : ١٤٤ / ٢ ، ابن بشر : ١ / ١٠٧ .

(٣) المناوخت : جمع مناوخة أصلها فصيح من أناخ الأهل إذا أجلسهم ، ونوخت الأهل جلست والمقصود به هنا المصافحة للقتال ، وحدث هذا القتال فعلاً ، فهو يطلق على زمن المعركة ومكانها ، ويقال نوخ : أي هجم وهزم ، ويكثر استعمال هذا التعبير لدى مؤرخي نجد ، وعلى سبيل المثال : انظر : (المنقور : التاريخ : ٨١ ، الفاخري : ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٤)

نظرا لقرب مرابعهما من بعضهما (١) ، واستطاعت هذه العبادى بقوتها، وعزم القبيلتين مثلتين فى ربيع وهادى على الاخلاص للدعوة وتناسى كل شئ فى سبيلها ، استطاعت هذه العبادى وهذا العزم أن يحولا القوة والشجاعة التى اشتهرت بها هاتان القبيلتان الى قوة لنشر الدعوة وتوسيع رقعة السيادة السعودية فى جنوبى شبه الجزيرة ، وهذا ما يؤكد أن الشيخ محمد وأئمة الدولة السعودية كانوا حريصين على التأخى بين القبائل فى سبيل نشر الدعوة ، وتحقيق الأمن والنظام فى ربوع نجد ، وأنهم ان لجأوا الى استفلال التنافس بين القبائل لتأديب المناوئة والمثيرة للقلقل فان ذلك على نطاق ضيق ، ويقدر ما يحقق استتباب الأمن والنظام ، وبعد استحالة تطبيق أسلوب التأخى كما تم بين الدواسر والقحطانيين .

ولما أرسل الشريف غالب جيشه بقيادة أخيه عبدالعزيز فى السنة نفسها لغزو نجد كما مر تابعه قسم من قحطان وخاصة عندما نزل السرورأت القبائل النجدية كثافة جيشه الذى عقد العزم به على القضاء على حكومة الدرعية (٢) ، الا أن فشل

(١) ذكر البسام فى تحفته المخطوطة عددا من هذه الحروب والمناوئات فى فترة ما قبل الدعوة وتكاد لا تمر سنة الا ويحدث فيها مناخ أو أكثر بين هاتين القبيلتين يقتل فيه من زعمائهما وفرسانهما عدد كبير وأبرز مظهر لهذه المناوئات وقوع الهزيمة على الدواسر فى الغالب . أنظر (التحفة : المرقآت : ١٣ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٦١) وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

(٢) ابن غنام : ١٤٧/٢ ، ابن بشر : ١٠٨/١ ، الرىكى : ٩٦ ، دحلان :

هـ ذا الجيش والمدد الذى جاء اليه بقيادة الشريف غالب نفسه فى تحقيق أى هدف من أهدافه جعل هذا القسم من هذه القبيلة يرجع عن تأييده للشريف كما رجعت عن ذلك أغلب بادية نجد ، إضافة الى أن قحطان قد تعرضت بعيد انصراف الشريف وجيشه الى مكة لغزو شاذيى من احدى مفارز الجيش السعودى الذى جاء لملا قاة الشريف ثم لتأديب القبائل التى أيدته بعد ذلك حيث أفارت هذه الفرزة على قحطان وأخذت عليهم ابلا أراد استردادها بعض فرسان قحطان ، فالتحمت هذه الفرزة بهم وحصل قتال بين الطرفين هزمت قحطان على أثره وأخذ السعوديون منهم خمسة عشر فرسا (١) .

وبعد هذه الغزوة التى كانت بسبب هذا التأييد للشريف والذى حصل من كثير من قبائل نجد ، فان قحطانا قد عوضت عن ذلك بكثرة الغزوات التى قامت بها أو اشتركت فيها بقيادة ابن غانم سواء كان ذلك لتأديب مناوئين نجديين حضر ويدو أو لفتح بلدان جديدة خارج منطقة نجد .

وتعتبر معركة العدو التى مر ذكرها أول اشتراك فعلى لقبيلة قحطان بشكل كبير بعد ثبوت ولائها للحكومة الدرعية حيث قاد هادى قسما كبيرا من قحطان للاشتراك مع جيش الدرعية بقيادة سعود بن عبدالعزيز ، ويبدو أن هاديا وجموعه قد أبدوا من ضروب الهسالة فى محاربة مطير وشمر فى هذه الغزوة ما جعل شأنهم يشتهر فى شبه جزيرة العرب بالولاء لآل سعود فضلا عن أن ذلك أعطى لهادى نفسه عيئا كبيرا لدى حكومة الدرعية حيث عد من كبار قادتها وولاتها (٢) .

(١) المصادر السابقة على التوالى : ١٥٠ / ٢ ، ١٠٩ / ١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، وذكر فيها أن قحطانا التجأت بالامام عبدالعزيز وطلبت منه الأمان عن اشتراكها مع الشريف .

(٢) سبق ذكر مصادر موقعة العدو ، وعن اشتراك قحطان فيها : الريكى ٩٩ .

وتوالت بعد ذلك غزوات قحطان بقيادة هادى بن غانم لتأديب القبائل المناوئة ، فقد مر بنا أن مطير اقد تعرضت لغزوة من هذه القبيلة سنة ١٢٠٦ هـ بقيادة هادى وبأمر من الامام عبدالعزيز بن محمد حيث هزمتهم قحطان وأخذت بعض ابلهم ، وقد اشترك مع قحطان عدد من البدو والمؤيدين للدعوة الا أن القيادة والعدد الأكثر كانا لهذه القبيلة ، كما أن هذه القبيلة اشتركت فى جيش الدرعية الذى أغار على بوادى بنى هاجر سنة ١٢٠٨ هـ كما مر (١) .

وقد شكل الثنائى الدوسرى القحطاني قوة رئيسية فى الجيش الذى أمر بتشكيله الامام عبدالعزيز بن محمد من بوادى نجد وحاضرتها لملاقة الشريف غالب سنة ١٢١٠ هـ فى عالية نجد ، وذلك عندما أرسل هذا الشريف جيشا لغزو نجد التحم به الجيش السعودى حتى انهزمت جموع الشريف وكان لهادى وجنوده من قحطان دور رئيسى فى هذه الهزيمة فقد استطاعوا أخذ ابل كثيرة منه علاوة على خيمته ومدفعه مما عجل بهزيمته وتفرقت البوادى التى كانت معه وعناد الى وانه ، وكان الامام عبدالعزيز قد أرسل مددا لهذا الجيش الا أن هادى استطاع أن ينهض المعركة لصالح السعوديين ، وكانت هذه المعركة كما بقتهم القيادة والأكثرية فيها لقحطان ثم الدواسر وبقية القبائل الأخرى (٢) .

وقد اشتركت قحطان ضمن البوادى المؤيدة للدعوة فى صد الهجوم الكبير الذى قام به ثوينى بن عبد الله لغزو الدرعية والذى لم يكتبله النجاح حيث قتل ثوينى ولما يصل الى نجد فى احدى استراحاته وذلك سنة ١٢١١ هـ / ١٢٩٦ م (٣) .

(١) ابن غنام : ١٥٧/٢ ، ١٦٩ ، الفاخري : ١٢٤ ، ابن بشر : ١١١/١ ، ١٣٢ .

(٢) ابن غنام : ١٧٣/٢ ، ١٧٤ ، الفاخري : ١٢٧ ، ابن بشر : ١٣٥/١ ، ١٣٦ ، دحلان : ٢٦٥ .

(٣) ابن بشر : ١٤٢/١ ، ابن سند : مطالع السعود : الورقات : ١١٢ ،

وكان لقحطان دور رئيسي في تأديب القبائل الحجازية أو ما بين منطقة الحجاز ونجد والتي كانت تؤيد الشريف في غزواته على نجد ففي سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م غزت قحطان برئاسة هادي قبيلة البقوم الحجازية وكان أغلبها معروفًا بالولاء للشريف ، وهزم البقوم بعد قتل عدد من رجالهم ، ثم بعد شهرين — أعادت قحطان الكرة على البقوم حيث غنمت الأولى من الثانية عددًا من الأبل والغنم وقتلت بعض الرجال (١) .

ولعل أبرز دور قام به الثنائي الدوسري القحطاني هو الاشتراك الرئيسي في معركة الخرمة التي مر ذكرها والتي كانت باجماع العلويين الحجازيين والنجديين وغيرهم أعظم المعارك التي دارت رحاها بين الشريف غالب وحكومة الدرعية ، وكان لهذا الثنائي الدور الرئيسي في هزيمة جيش الشريف هزيمة شنعاء كما مر ، وقد صور الشريف راجح (٢) هذا الدور وشدة بأس وقوة وشجاعة الدواسر

(١) ابن غنام: ٢٤٣/٢ ، ابن بشر : ١٤٩/١ .

(٢) هو الشريف راجح بن مرز الشنبري (هكذا رسمه ابن بسام في تحفته ورقة ٩٨) ، ويبدو أن هذا خطأ من الناسخ فقد ذكره دحلان باسم راجح بن عمرو الشنبري ، من أبرز القادة الأشراف أرسله الشريف غالب سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م على رأس كوكبة من الفرسان والرماة لصد اغارة قام بها قسم من قحطان بقيادة سعد بن قرطه المهدي للسعوديين حيث انهزم القحطانيون وقتل سعد وغنم راجح منهم غنائم كثيرة ، كما غزا سنة ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م قوما من بني لحيان كانوا مؤيدين لحكومة الدرعية فهزمهم وغنم منهم ، وفي سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م نجا من هجوم فرسان سعوديين أرسلهم المضايقي لتهب ابل الشريف ، وكان الشريف غالب قد أرسله على رأس ستة من الخيالة لطرده فرسان المضايقي حيث لم ينج غيره ، واشترك في أولى غزوات حملات محمد علي على الطائف مع ابن الشريف غالب سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م كما اشترك في غزوة لجيش محمد علي ، على تربة في السنة نفسها ، وفي ذي القعدة من هذه السنة قبض محمد علي ، على الشريف غالب وأراد أن ينصب راجحا على شرافة مكة فخاف منه أن يعمل به ما عمل به غالب فهرب الى تربة حيث اشترك

والقحطانيين في هذه المعركة بالبيتين التاليتين :

جوناً الدواسر مع فريق القحاطين : كلنا لهم بالمد وأوفوا لنا الصاع
الأشراف لا نوقب ما هم بقاسسين : والشق ما يرفاه خمسة عشر باع (١)

= مع الأميرة غالية البقمية التي هزمت جند محمد علي في إحدى المعارك بتأييد من راجح وجند الشريف غالب الهاربين إليها ، ثم صالحه محمد علي سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م بأموال كثيرة ومرتبات معلومة حتى أصبح من كبار جنده ومستشاريه ، فبعثه إلى رنية سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م حيث دس سر شغورها السعودية وبغض بيوتها ، واستطاع في السنة نفسها أن يحقق رغبة عزيزة عند محمد علي في القبض على طامي بن شعيب المتحى أمير مقاطعة عسير للدولة السعودية وذلك بحيلة ودقة تدبير بعد أن عجز عنه في الحروب ، وفي سنة ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٣ م قتل الشريف راجح في معركة بين الأشراف المواليين لمحمد علي وقبائل عسير التي مقتت حكم محمد علي .
للتفصيل في هذه النبذة : (ابن بشر : ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٤٦ ، أحمد دحلان : خلاصة الكلام : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، د : عبد الرحيم المرجع السابق : ص ٣١١ ، ٣١٢ ، د : منير العجلاني : عهد سعود بن عبد العزيز : ١٢٧ - ١٤١ ، ١٤٥ ، عهد عبد الله بن سعود ص ٤٢ ، ٤٣) .

(١) جوناً : تحريف من جاؤنا ، القحاطين : عامة من القحطانيين ، الصاع : مكيل بمعدل ثلاثة أكيال تقريباً ، والمد : ثلاثة ، لأنوا : من اللين بمعنى التسامح ، عقب : بعد ، ما هم بقاسسين : أي بعد ما كانوا متشددين ، الشق : الفتق أو الخرق ، يرفاه : من الرفأ (فضيحة) بمعنى خياطة الشقوق في الثوب ، باع : مقهاس طولى بمعدل مترين . (الفاضل : ١٢٩ ، ابن بشر : ١ / ١٥٢) على اختلاف بسيط بينهما في رواية البيتين ، ويروى ابن بسام في تحفة المشتاق ورقة : ٩٨ البيت الأول كالتالي :

جهنا الدواسر مع فريق القحاطين : كلنا لهم بالمد وأوفوا لنا الصاع
ويروى بعض الدواسر الشطر الأول : " جوناً الدواسر مثل ورد محبين " ويكملون بقية البيت كما وردت مؤكدين أن قحطان لم يكن لها دور رئيسي في هذه المعركة بل أي دور على الإطلاق ، ويروون سبباً آخر لهذه الغزوة ملخصه أن شخصاً هرب من الشريف ولجأ إلى سبيع الغزاة فرفضوا ذلك فلجأ

وسواء كان الشريف راجح قد قال هذه الأبيات بعد الهزيمة مباشرة أو بعد ما رأى أهم نتائجها وهى الصلح بين الامام عبدالعزیز والشريف غالب وما ترتب على ذلك من الاسراع فى فتح الحجاز ، سواء كان هذا أو ذاك فان هذين البيتين يصوران أثر هذه الهزيمة الكبير أمام تلك المعارك التى كان الشريف يشنها على هذا الثنائى - وخاصة قحطان - كما سيأتى ، مما تعتبر معه هذه المعركة بنتيجتها قد عوضت قحطانا عن كافة الضربات التى تلقتها من جيش الشريف على مدى غزوات متعددة ، كما أن هذين البيتين قد أوجزا النتائج والآثار التى ترتبت على هذه المعركة بما لا يمكن تغطيتها أو اصلاح ما قصت عليه أورد ما أضعته من الرجال والمال والمعنويات مما أثر على نفسية الشريف غالب والاشراف عموما فى اتباع أسلوب اللين والمهادنة مع حكومة الدرعية بعد أن كانوا لا يرضون معها بالحرب بديلا (١) .

وبعد هذه المعركة المظمية أرسلت الدرعية جيشا قوامه الدواسر والقحطانيين وفيه غيرهم لكن الكثرة والقيادة فيهم وذلك سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م بقيادة ربيع بن زيد الدوسرى وهادى بن غانم القحطاني حيث سار الجميع الى بيشة وحاصروها واستولوا على قراها بعضها بالصلح وبعضها بالعنوة وذلك بسبب تحول أهلها عن ولاء آل سعود الى الشريف قبيل معركة الخرمة (٢) .

= الى الدواسر فحموه ومنعوا الشريف من الوصول اليه فشن الشريف عليهم هذا الجيش والله أعلم . (إفادة من أحد أفراد قبيلة الدواسر، وهو يحفظ عددا من القصص والأبيات الشعبية القديمة ما ليس موجودا فى المصادر المتوافرة وما سيرد ذكر بعضها) .

(١) الفاخري : ١٢٩ من حاشية المحقق .

(٢) ابن بشر : ١٥٧/١ ، مؤلف مجهول : ١١٩ .

وكان لقحطان دور في فتح الطائف سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢ م حيث اشترك جيش من هذه القبيلة برئاسة هادي ضمن القبائل البدوية النجدية والحجازية المؤيدة للدعوة ، وقد تمكنت هذه الجموع من دخول الطائف عنوة بغير قتال حيث قتلت عددا من أهله وأخذت قسما كبيرا من الأموال والأمتعة والسلاح والسلع والجواهر ، وهرب الشريف غالب الى مكة ، وكان فتح الطائف بهذه الصورة ايذانا بدخول مكة بل الحجاز كله (١) .

وشكل الفريق القحطاني قوة رئيسية في الجيش الذي أمرت بتشكيله وتجميعه حكومة الدرعية سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩ م لتأديب من حصل منهم خلاف ، من أمراء منطقة عسير حيث سار هادي بن قرملة بكافة قحطان واجتمع مع من أرسلتهم الدرعية من قبلها وأمرت عليهم من أبناء منطقة عسير المؤيدين لها حيث شكل القحطانيون قوة كبيرة في هذا الجيش الذي التقى بالمناوئين وهزمهم وغنم منهم غنائم كثيرة ، كما اشتركت قحطان مع الجيش الذي غزا اليمن سنة ١٢٢٥هـ / ١٣١٠ م حيث غنم منها غنائم متنوعة (٢) .

وفي سبيل هذا التأييد المطلق لحكومة الدرعية ، وهذا الزخم المتعدد الجهات من الغزوات في سبيل الدعوة وتوطيد أركان هذه الدولة فقد تعرضت قحطان لكثير من الغزوات من مناوئي الدعوة من القوى غير النجدية ، وتركز انطلاق هذه الغزوات التأديبية من أشراف الحجاز حيث كانت منطقة قحطان تقرب من مناطق نفوذ الأشراف مما جعل الغزوات التي تقوم بها قحطان أو تتعرض لها تتركز فيما بين الحجاز ونجد ، وفي نطاق ذلك فقد كانت أخبار الغزوات الشريفية ضد القبائل المناوئة لها لا تخلو من ذكر لقحطان بمختلف أفعائها بل يلمح الباحث تركيز هذه الغزوات الشريفية ضد عامة قحطان في الغالب .

(١) الفاخري : ١٣٢ ، ابن بشر : ١ / ١٦٢ ، وعن نظرة المؤرخين الحجازيين

لفتح الطائف انظر (دحلان ٢٧٣ - ٢٧٥) .

(٢) ابن بشر : ١ / ١٩٤ ، ٢٠٠ .

وان لا مجال للتفصيل في هذه الغزوات فلا بد من ذكر أمثلة لها تبين معاناة قحطان من كونها تقطن على حدود أعداء الدولة السعودية فسي شبه الجزيرة وهم الأشراف علاوة على أن هذه القبيلة قد شكلت بتكتيفها الغزوات ضد الأشراف العدو الأول في القبائل النجدية للأشراف .

ومن هذا المنطلق فان جل الغزوات الموجهة من الدرعية ضد الأشراف تشكل فيها قحطان النسبة الكبرى كما مر ، وفي المقابل فان أغلب الغزوات التي كان يشنها الأشراف ضد السعوديين أول من يتضرر منها قحطان بمختلف أفعانها .

وما من شك في أن اعتقاد قحطان بمبادئ الدعوة ، وتحسبها لها ، وولائها للسيادة السعودية كانا - بادئ ذي بدء - الأسباب الرئيسية وراء شتى الأشراف الغزوات المتلاحقة على هذه القبيلة بغض النظر عن الغزوات التي قامت بها أو اشتركت فيها ضمن الجيش السعودي ضد الأشراف الذين كان من ضمن ما يدفعهم لشن مثل هذه الغزوات كذلك - فيما يبدو - اعتقادهم أن قحطان من القبائل التي يجب أن تتبع في ولائها السيادة الشريفة .

واذا كانت مصادر التاريخ النجدي تشج علينا بمثل هذه الغزوات على عكس التي كان يقوم بها السعوديون أو مؤيدوهم ضد الأشراف فان مصادر التاريخ الحجازي تبرز مثل هذه الغزوات التي يبعثها الأشراف ضد القبائل المؤيدة للدعوة ، فعلى سبيل المثال وتأديبا لقحطان على دخولها في طاعة آل سعود بعث الشريف غالب سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م غزوة قوامها عتبية والبقوم وغيرهما ، وذلك لمقابلة أحد أفعان قحطان حيث حصل بين الطرفين ملحمة أخذ بعدها جيش الشريف ابل قحطان ثم كرت عليه قحطان فهزمته ولكنها لم تستعد ابلها (١) .

(١) دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٦٣ ، ويبدو أن اشتراك عتبية في هذا الجيش ضد قحطان كان من ضمن دوافعه منافسة قحطان على أهم مناطق نجد الرعوية وهي عاليتهما ، مما يجعل هذه الغزوة وما شابهها تدخل في نطاق الغزوات التي أثرت على الوضع القبلي في نجد .

وفى سنة ١٢٠٩هـ / ١٢٩٤م جهز الشريف غالب جيشا بقيادة أخيه
عبدالمعين حيث اشتركت فيه كثير من القبائل الحجازية طلاوة على الجنود
النظامي ، وكان هدف هذا الجيش هادي بن غانم الذي كان مقبلا مع قومه ففى
أحد المواضع قرب الطائف ، وكان هادى قد أنذر بالجيش ففر هاربا الى نجد
فحول عبدالمعين هدفه الى القبائل والبلدان قرب الطائف والتي دخلت فسى
طاعة السعوديين - ربما بتأثير هادى - حيث استطاع أن يشمل بجيشه عددا
من الغزوات ضد هذه القبائل والبلدان بعد أن كان هدفه الوحيد هادى
وجماعته (١) .

وفى سنة ١٢١٠هـ / ١٢٩٥م أرسل الشريف غالب جيشا لتأديب القبائل
الخارجة عن طاعة الأشراف والمؤيدة لآل سعود ، ولما كانت قحطان هى السبي
لها التأثير الأكبر فى هذا المجال ، فقد قصد هذا الجيش آل روق (٢) منها
حيث قتل منهم عددا كبيرا وأخذ عددا من قطائع ابلهم ثم رجع الى مكة (٣) .

ولعل من أبرز الغزوات التى وجهها الشريف غالب ضد قحطان تلك
الغزوة التى كانت فى السنة السابقة بل بعد مضي أقل من شهرين على الغزوة
السابقة ، وكان هدف هذه الغزوة مجموعة أفخاذ من قحطان اتخذت ما بين
الطائف ونجد مسرحا لغزواتها التى تهدف من وراءها كسب التأييد والمال
للدعوة ودولتها ، وفى الهداية قبض جيش الشريف على ثلاثة جواسيس
يتنطسون الأخبار لهادى بن غانم حيث أخبر أحدهم بعد قطع رأسه صاحبيه
بسوق ابن غانم وجنده فجد جيش الشريف فى طلبه حتى التقى الجمعان فهزم

(١) المصدر السابق : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) آل روق أحد فخذى آل الأبيطن من آل محمد من قحطان ، يربفون
أحيانا قرب ضрма : (ابن بشر : ٢ / ١١٥ محمد الجاسر : قبائل المملكة / ١)

(٣) دحلان : المصدر السابق : ٢٦٤ .

هادى بعد أن قتل من قومه ما يقرب المائة رجل ، وبعد ذلك مباشرة التقى الجيش الشريفى بفخذ آخر من قحطان موال للدعوة وهو برئاسة أحد رؤسائه فأغار عليه وقتل عددا من رجاله ، واستولى على عدد من الابل ، وكان آخر مراحل هذه الغزوة أخذة فخذ كبير من أفخاذ قحطان كان غازيا لبعض القبائل فى تلك المنطقة برئاسة شيخه الذى وجه هذه الغزوة باسم حكومة الدرعية والتقى به جيش الشريف فقتل من رجاله خمسة وأربعين وأسر زعيمه وعددا من جنده ، واستولى على قطائع من الابل ، وقلائع من الخيل (١) ولعل أبرز ما ميز هذه الغزوة الشريفية قصر وقتها ، إضافة الى شمولها لعدد من بطون قحطان ممن كانت تؤدى أدوارا رئيسية فيما بين الحجاز ونجد لضم قبائل وبلدان الى الدولة السعودية وكل بطن منها يعمل لتحقيق دوره على انفراد.

ويبدو أن هاديا وفخذه كان هدفا رئيسيا لغزوات الأشراف ضد قحطان باعتباره أول المؤيدين للدعوة ودولتها ، وعلى أساس أنه وجماعته أكثر قحطان إخلاصا لهذه الدعوة وحرصا على تكثيف الغزوات فى سبيلها وضم أكبر عدد ممكن من القبائل والبلدان لها ، ففي سنة ١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م غزا الجيش الشريفى جماعة من قحطان برئاسة هادى حيث حصل بين الطرفين مقتل عظمى أخذ فيها جيش الشريف فرس هادى الخاص ، وابل كثيرة له وجماعته (٢) .

وقد برز فى هذه الغزوات الشريفية القحطانية أكثر من قحطاني أثبتوا جدارتهم فى قيادة الجيوش الصغيرة والكبيرة التى كانت تبعثها حكومة الدرعية أو تأمر بتشكيلها من أبناء القبائل الموالية لها ، فقد أمد سعود حامية الطائف بجنود تحت قيادة سعد بن قرطة - ولعله كان أخا لهادى - وذلك حينما أرسل الشريف غالب مجموعة لمحاصرة الطائف والتضييق على حاميتها مما اضطر جند الشريف الى الارتحال الى مكة ، ودخلت ثقيف فى طاعة الدولة السعودية بعد أن كانت تشكل نسبة كبيرة فى تلك المجموعة الشريفية (٣) .

(١) المصدر السابق : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٨١ .

حيث كانت الدواسر فيها حاضرة وهادية بينما كانت قحطان قبيلة بدوية ففى تلك الفترة (١) .

وبمثل ولاء قحطان الشامل للدعوة وتغانيها فى سبيل نشر مبادئها عاملا من ضمن العوامل التى أدت الى دخول بعض القبائل الحجازية النجدية فى طاعة هذه الدعوة (٢) وخاصة عتيبة بغض النظر عن الأسباب الكامنة وراء هذه الطاعة من جانبها التى ربما كانت الغيرة من قحطان وربما لمحاولة التسلل الى عالية نجد والاستيلاء على أهم مرابعها وطرد قحطان منها كما حصل ذلك من عتيبة فعلا .

الا أن عوامل أخرى قد دفعت ببعض القبائل الحجازية النجدية للدخول فى طاعة السعوديين لعل أبرزها تقرب الأشراف للعناصر الأخرى فى الحجاز من أبناء العالم الإسلامى الذين يقيمون فى الحجاز اما للمجاورة أو بعد الحج حيث شكلوا جيشا نظاميا للشريف طلاوة على تبوؤهم المراكز الإدارية بحكم معرفتهم السابقة لذلك فى بلادهم .

وسواء كانت هذه العوامل أو غيرها وراء دخول هذه القبائل تحت السيادة السعودية ، فإن مبادئ الدعوة السلفية قد تغلغلت فى قبيلتين من كبار القبائل الحجازية هما عتيبة وحرب اللتين يمكن اعتبارهما من أبرز القبائل التى لها وجود فى نجد كما لها كيان فى الحجاز ، ذلك أن عتيبة كانت تتسلل الى مرابع نجد من جهة الطائف ، بينما كانت حرب تغد الى نجد ويقطن بعض أفرادها فيها من جهة المدينة وذلك منذ فترة متقدمة جدا عن بدء الدعوة (٣) ، وقد استطاعت مبادئ الدعوة أن تصرف قسما كبيرا من هاتين القبيلتين عن الولاء للشريف الى الولاء لحكومة الدرعية .

(١) ابن بشر: ٢١١/١ وتولى رئاسة قحطان بعده هادى ابنه محمد (ابن بشر: ٢/

(٢) لعل الالتزام قحطان فى مبايعتها لآل سعود باخضاع من تستطيع اخضاع

من قبائل الحجاز دور كبير فى هذا . (الريكي: ٦٥) .

(٣) فهما على هذا الأساس قبيلتان حجازيتان نجديتان .

أما عتيبة : فبحكم كون أغلبها حجازيا في فترة قيام الدعوة فقد والت حكم الأشراف ، وبحكم التنافس بينها وبين قحطان على المراعى بين الحجاز ونجد فقد شكلت في البداية عدوا تقليديا للدعوة والدولة التي كانت قحطان تغزو منطقة الحجاز باسمها ، وأبرز مظاهر هذا العداء اشتراكها فى الحملات التي يقوم بها الأشراف لغزو منطقة نجد أو القبائل الموالية لحكم السموديين فيما بين الحجاز ونجد وخاصة قحطان ، إضافة الى غزوها بنفسها لقحطان بدفعها الى ذلك ولا قحطان لحكومة الدرعية ، وشنها الغزوات باسمها ضد القبائل والقوى الموالية لها ، طلاوة على منافسة عتيبة لقحطان فى الاستيلاء على تلك العرابع .

ولعل أول مظهر لموقف عتيبة المناوئ للدعوة السلفية فى البداية هو اشتراكها فى أول غزوة شنها الأشراف فى عهد غالب ضد الدولة السعودية سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م كما مر حيث شكل أفرادها قوة فى جيش الشريف بالإضافة الى الجيش النظامى والقبائل الحجازية الأخرى ، الا أنه لما لم يكتب لهذه الحطة النجاح تفرقت الجموع القبلية عن الشريف حيث رجع الى مكة بجيشه النظامى ويبدو أن هذه الغزوة كانت فرصة لعتيبة للزحف عن مواطنها قليلا باتجاه أطراف نجد من جهة الطائف تمهيدا للاستيلاء على عالية نجد فيما بعد (١) .

وقد اشترك قسم من عتيبة فى الغزوة التى بعثها الشريف غالب سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م والتقى بأفغان من قحطان دخلت فى طاعة آل سعود كما مر ، وكانت هذه الغزوة التى اشتركت فيها قبيلة البقوم مع عتيبة وجيش شريفى نظامى تهدف الى تأديب من أيدوا الدعوة السلفية من قبائل شرقى الطائف عامة الا أنها وقد لقيت فحذا من قحطان فقد جعلته هدفها الرئيسى نظرا لدور قحطان الكبير فى دخول هذه القبائل فى الطاعة السعودية (٢) .

(١) المصدر السابق : ٩٦ ، ٩٩ .

(٢) دحلان : ٢٦٣ .

ولما رأّت عتية تأديب الدولة السعودية للقبائل النجدية وغيرها ممن أيدت الشريف في غزوته لنجد طلبت الأمان من الامام عبدالعزيز والعفو عن جريرة اشتراكها في تلك الحرب فقبل منها تأليفا لقلوبها في الطاعة ، وحتى يحين موعد هذه الطاعة فقد قبل منهم ذلك بلا قيد أو شرط (١) .

على أن البادية النجدية المؤيدة للدعوة أخذت تغزو الحجاز وتركز على بواي ما بين الحجاز ونجد ، وكان كل ذلك يعلم الامام عبدالعزيز ، وبأمره أحيانا ، وأحيانا كان يبعث جيشا مكونا من الحاضرة والبادية اما لينضم الى هذه البواي المؤيدة ، أوليفزو بنفسه بواي الحجاز ، ففي السنة السابقة تشكل جيش سعودي مكون من أهل الوشم والبواي النجدية المؤيدة وأمرهم الامام عبدالعزيز أن يقصدوا بواي الحجاز وخاصة عتية بعد أن تحولت الى أطراف نجد من جهة الحجاز حيث وقع بين الجيش السعودي وهذه القبيلة قتال شديد هزم فيه السعوديون وأخذت عتية منهم مائة ركبة وقتلت عددا من رجالهم على أنه قتل منها هي الأخرى عدد من الرجال (٢) ، وليس من المعروف سبب هذه الغزوة وهل كانت عتية قد نقضت ما عاهدت عليه الامام عبدالعزيز أو أن هذه الغزوة قد وجهت نحو قسم منها لم يعاهد أو أن هذه الغزوة في نطاق الغزوات التي تبعتها حكومة الدرعية لكسب المال ، وإبراز قوتها أمام القبائل المعادية سواء عاهدت أو لم تعاهد على الهدنة ، وذلك حتى تهاب هذه القوة تمهيدا لتقديم فروض الطاعة من قبل هذه القبائل للسعوديين .

وفي سنة ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م غزا جيش من أهل الوشم وغيرهم قبيلة عتية حيث التقوا بقسم منها هزموه وأخذوا منه ابيلا كثيرة ، وكان هذا القسم مقيما على أحد موارد المياه في طريق الحجاج (٣) ، ويلمح الباحث من هاتين الغزوتين

(١) الريكي : ١٠٠ .

(٢) ابن بشر : ١ / ١٣٢ ، ١٣١ .

(٣) ابن بشر : ١ / ١٣٤ .

تحمر أهل الوشم لغزو عتيبة تنفيذا لأوامر حكومة الدرعية ، على أنه يبدو أن لذلك بعض الأسباب الأخرى التى ربما كان أقربها تعرض منطقة الوشم للنهب والسلب التى تستتبع الغزوات العتيبية ، والتى استفحلت فيما بعد - ربما نكابة بأهل الوشم - حتى أصبحت عتيبة تشكل أغلب بادية هذه المنطقة فى الوقت الحاضر .

على أن الدولة السعودية لم تكثف بهذين الجيشين لتأديب هذه القبيلة على عدم دخولها فى الطاعة ، ولولاها للأشراف فأرسلت فى السنة نفسها جيشا بقيادة سعود بن عبدالعزيز حيث أغار على أخلاط مجتمعة من عتيبة ومطير فى الحسرة والتقى الجمعان فيها فهزمهم جند سعود ولم يحل بين سعود واستمرار القتل فيهم الا أنهم توعروا فى الحرة ولم يستطع السعوديون اللحاق بهم والمشى فى حجارتها فتركوهم ورجعوا ، وكانت حصيلة هذه الملاحقة مقتل زعيم هذا التجمع (أبو محيىر العتيبي) وأحد رؤساء مطير مع ثلاثين من رجاله ، وقتل من السعوديين رئيس الخيالة بعد أن غنموا من هذا التجمع الهدوى عددا من الابل والاغنام والأمتعة (١) .

ويبدو أن قسما كبيرا من عتيبة قد التزم بمعهد الأمان الذى تم بينه وبين الامام عبدالعزيز بل اشترك مع الجيش السعودى الذى تشكل من هذا القسم من عتيبة برئاسة محمد بن حمود بن ربيعان ، وفيصل الدويش مع قسم كبير من مطير وعدد من بوادى نجد ، وكانت القيادة العامة لهادى بن غانم ، وتقابل هذا الجيش مع الأشراف فى عالية نجد فى العشر الأواخر من السنة السابقة .

(١) ابن غنام : ١٧٢/٢ ، ولم يذكر مطيرا مع عتيبة فى هذه الغزوة ، وذكر أن السعوديين أخذوا ما يزيد على الألفى بعير والعشر آلاف من الفم ، بينما ذكر الفاخرى : (٢٧) اشتراك القديح وهو من رؤساء مطير ، وذكر ابن بشر : (١/ ١٣٤ ، ٣٥) أن الابل المأخوذة من عتيبة نحو مائة بعير ، وكثيرا من الفم ، وذكر اشتراك مطير ومقتل ثلاثين من رجالها .

كما مر (١) .

وما من شك في أن اشتراك هذا القسم من عتية في صف السمود يمين يدل دلالة أكيدة على أنه قد دخل في ولائهم وآمن بالدعوة السلفية وإن لم تصرح المصادر النجدية بذلك ما يبدو معه أن غزوات البوادي المؤيدة للدعوة لهذه القبيلة علاوة على غزوات الحاضرة ، وجيش الدرعية قد آتت نتائجها المرجوة من حكومة الدرعية ، ويؤكد حسن سياسة الامام عبدالعزيز في استمالة كهـنـ القبائل الحجازية لتشكـل قوة ضغط على الشريف لتسهيل مهمة فتح الحجاز ، كما يعطى تصورا باستغلال قسم من عتية لهذا الولاة للانسياح الى المناطق الرعوية الجيدة في نجد .

ومعنى هذا أن الولاة قسم من عتية قد بدأ منذ سنة ١٢١٠ هـ ، وبهـذا يمكن تعليل ما ذكره مطر خوند وأشار اليه صاحب اللمع من أن حمود بن ربيعان قد ناب عن قسم كبير من عتية ممن يخضعون لرئاسته ، وكذلك بعض قبائل الحجاز في تأدية البيعة للامام عبدالعزيز على السمع والطاعة وأداء الزكاة ، وعدم التعرض للطرق وذلك سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م ، يمكن تعليل ذلك بأن القسم السـدى طلب الأمان من عبدالعزيز ثم دخل في الولاة بعد تعرضه لعدد من الفزوات

(١) هي المعروفة بغزوة الجمانية وهي ماء بمالية نجد قرب جبل النير ولم يذكر: (ابن غنام ١٧٣/٢ ، ١٧٤ ، اشتراك العتبان فيها بشكل خاص ، ولا الفاخرى ١٢٧ ، بينما ذكر ابن بشر : ١/ ١٣٥ اشتراك بن ربيعان مع قسم من عتية مع الجيش السمودي وإن كان في طبعة وزارة المعارف ١٣٩٤ هـ قد ورد اسمه على بن محمد بن حمود بن ربيعان بينما ورد في طبعة مكتبة الرياض الحديثة : ١/ ١٠٤ وغيرها من الطبعات الأخرى محمد بن ربيعان وهو الذى تطمئن اليه النفس على أساس أنه ابن حمود بن ربيعان لا حفيده ، وقد ذكر دحلان في خلاصته : ٢٦٥ اشتراك ابن ربيعان في الجيش السـدى من دون ذكر اسمه) .

قد نقض ذلك الولا^١ لسبب أو لآخر ، وربما تعرض هو وعدد من أفخاذ عتيبة
وبعض قبائل الحجاز لغزوات جعلته يقدم فروض الطاعة والولا^٢ للمرة الثانية
وبشكل أشمل من السابق ، على أنه يمكن فهم إشارة مؤرخي نجد بأن هــ الولا^٣
المبايعين قد بذلوا دراهم معلومة نكالا (١) نتيجة لترتيب الامام عبد العزيز
قبول بيعتهم الثانية بجعله على كل بيت منهم شيئا من النقود عقوبة ونكالا ،
بأن ذلك دلالة على نقضهم البيعة الأولى لأن من أسباب توقيع النكال فى
الدولة السمودية الأولى نقض البيعة أو الامتناع عن تقديم أى شئ يؤدى اليها
كالزكاة مثلا (٢) .

-
- (١) النكال معناه العام : العقوبة قال تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا
أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " المائدة آية : ٣٨ ،
والمراد به هنا غرامة مالية نقدية أو عينية أو هامة بدون تأديب جسدى
أو معه جزاء من خرج عن طاعة حكومة الدرعية ، أو حاربها ، أو أخفى
سائمته أو تجارته أو نتاجه فرارا من الزكاة . (تفسير الجلالين ص ١٤٩ ،
ابن بشر : ١ / ١٧٣ من حاشية المحقق) .
- (٢) ابن غنام : ٢ / ٢٤٥ وذكر فيها أن العتبان وبعض قبائل الحجاز
أرسلوا حمود بن ربيعة رسولاً لهم فى ذلك ، بينما ذكر ابن بشر :
(١ / ١٤٩) أن حمودا ومن تبعه من عتيبة وعربان الحجاز أرسلوا
لعبد العزيز فى ابرام البيعة ، وحمود ابن ربيعة رئيس الروقة من عتيبة وهو
أكبر زعمهم عتيبي ومن جلالة قدره وعظم مكانته فى عتيبة يطلق عليه رئيس
بوادى عتيبة وتوفى سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م ، (ابن بشر : ١ / ١٦٢) .

ومن الجائز أن يكون ذلك القسم الذى اشترك مع الجيش السعودى ضد الأشراف برئاسة محمد بن حمود بن ربيعان قد استمر على ولائه ، وأصبح أداة ضغط أو تأثير على القسم الأكبر من عتيبة وغيرها من بعض قبائل الحجاز لتقدم السلطة والولاة لحكومة الدرعية فى هذه السنة .

ويرى ابن غنام فى روضته أن دخول هذا القسم الكبير من عتيبة ومضى قبائل الحجاز فى السلطة السعودية كان أحد الأسباب التى دفعت بالشريف غالب أن يخرج بجموه من نظاميين وبوادرى لملاقاة الجيش السعودى وتأديب هذه القبائل حيث وقعت بين الطرفين معركة الخربة التى مر ذكرها (١) ، ومعنى هذا أن دخول عتيبة وهذه القبائل فى الدعوة السلفية كان أحد الأسباب التى أشعلت نار معركة الخربة ، ويبدو أن هذا القسم قد شارك فى هذه المعركة الى جانب السعوديين وان لم يكن ذلك بالكثرة التى كان عليها الدواسر والقحطانيين .

على أن هذا لا يمنع أن يكون قسم من عتيبة قد ظل على ولائه للأشراف وخاصة أولئك الذين بقوا فى بوادرى الحجاز القريبة من مكة حيث اشترك هذا القسم فى هذه المعركة الى جانب الشريف غالب وقتل منهم رجال ، ويبدو أن هذا القسم قد اعتبر فى هداد القبائل الحجازية فى الصلح الذى أعقب هذه المعركة (٢) .

وقد اشترك القسم العتيبي المهدى للدعوة فى الجيش السعودى الذى فتح الطائف^(٣) ، وليس من المستبعد أن يكون لهم دور رئيسى فى هذا الفتح بحكم كونهم من بوادرى المنطقة مما جعل الفتح يتم بصورة سريعة وبدون قتال كما مر .

(١) ٢٤٥/٢ ، وألحج الى ذلك الرهكى فى الملح ص : ١٠٠

(٢) ابن بشر : ١٥١/١

(٣) ابن بشر : ١٦٢/١

واستمر هذا القسم من عتية من يقطن نجدا في تقديم الطاعة والولاء لحكومة الدرعية مؤديا لأبرز مظاهرها وهي الزكاة (١) ، ومشاركا في غسزوات الجيسر السعودى ، أو يقوم بغسزوات بأمر أو علم هذه الحكومة ، وفى هذا النطاق غزا الهيفل زعيم الدعاجين (٢) فى أربعمئة مقاتل وقصد شمالا حيث التحم مع قسم من شعر والشرارات (٣) ورجع الى مرابعه (٤) .

أما القسم الحجازى فقد ظل أحد القبائل الحجازية المهمة والتي تقدم الولاء للأشراف ، وكان رؤساؤه من مستشارى بعض الأشراف وسفرائه حيث اشترك ابن حميد شيخ برقاء من عتية فى سفارة بعثها الشريف غالب لحكومة الدرعية لأجل تجديد الصلح الذى تم فى أعقاب معركة الخرمة ، كما كان لبعض هذا القسم دور فى القبض على بعض مناوى الشريف ممن يعتبرون خارجين عن الطاعة فى نظره ، على أن بعض أفخاذ هذا القسم تدخل أحيانا فى طاعة السعوديين عندما كانت الأوضاع السياسية فى الحجاز تنقلب عن الأشراف الى السعوديين (٥) .

-
- (١) ابن بشر : ١ / ١٧٣ .
(٢) الدعاجين وأحدهم دعجاني أحد أفخاذ برقاء من عتية . (حمد الجاسر : قبائل المملكة : ١ / ٢٢٨ ، ٢٢٩) .
(٣) الشرارات وأحدهم شرارى . قبيلة ترجع الى بنى كلب القحطانية ومع الزمن دخل فيها قبائل من طى وعنزة وغيرهما وهى الآن قبيلة كبيرة ذات أفخاذ متعددة يكثرون فى شمال المملكة الغربى فى منطقة الجوف وما والاها (حمد الجاسر : فى شمال غرب الجزيرة ٤٣ - ٤٦ ، وقبائل المملكة : ١ / ٣٨٨ - ٣٩٠) .
(٤) مؤلف مجهول : ١٢٣ .
(٥) دحلان : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وكان أبرز دور قام به العصاة أحد أفخاذ برقاء هو القبض على عثمان المضايقى زوج أخت الشريف غالب ووالى الطائف السعودى الذى انشق على غالب ، وكان القبض عليه سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م (ابن بشر : ١ / ٢١٧) .

أما حرب : فقد كانت علاقتها بالأشراف متذبذبة بين السـولاء والعصيان الا أن الغالب عليها المعارضة من قبل حرب لحكم الأشراف ، وأبرز سبب لهذه المعارضة تحيز الأشراف لأمرء الحج الذين يرفضون أحيانا دفع ما كان مقررا دفعه لهذه القبيلة حين المرور بمواطنها أو الدخول الى المدينة فيلجأون الى الشريف الذي يجرّد الحملات ضدّهم وقد حفّـل التاريخ الحجازي بالعديد من هذه الغزوات بين الأشراف وحرب ما ليس مجال التفصيل فيها أو الإشارة اليها هنا ، وهي تبين بعض الأسباب لولاء هذه القبيلة للدعوة السلفية ودولتها السعودية فيما بعد (١) .

أما عن موقف هذه القبيلة من الدعوة ودولتها ، فقد بدأ سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م بغزو سعود بن عبدالعزيز لقسم من حرب كان مجتمعاً مع أغـلـاط بدوية من مطير وغيرها في شمال نجد كما مر ويبدو أن القسم الأكبر في هذه الغزوة كان لحرب لقرب مكان المعركة من مواطن هذه القبيلة حيث قـتـل سعود منهم ثلاثين رجلاً ، وأخذ قسماً من أموالهم كغنائم (٢) .

وقد تعرض القسم الحربي ما يلي القسم لغزوة من أهل القصيم بقيادة أمير المنطقة سنة ١٢٠٧ هـ / ١٧٩٢ م ، ويبدو أنهم كانوا يناوئون الدعوة ومؤيديها في القصيم ، وأن حكومة الدرعية قد وكلت لأمانة المنطقة تأديبهم من قبلها ، وقد قتل من حرب في هذه الغزوة عدد من الرجال ، وغنم الجيش السعودي بعض أهلهم (٣) .

-
- (١) انظر على سبيل المثال لهذه الغزوات وتعرض عرب الحجاز وخاصة حرب للحجاج : (العصامي سبط النجوم للعوالي : ٤ / ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٦٥ ، ٥١١ ، ٥٢٧ ، ٥٣٠ ، دحلان : ٧٥ ، ٢٣٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٦٦ ، السباعي : تاريخ مكة ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، طائق البلاذري : نسب حرب : ١٢١ - ١٣٤ . وانظر أيضاً البديري : حوادث دمشق : ٧ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨) .
- (٢) هي المعروفة بغزوة الشقرة . (ابن غنام : ٢ / ١٥٧ ، ابن بشر : ١ / ١١١ ، مؤلف مجهول : ٩٨ وذكر أن الغزوة اتجهت لحرب فقط) .
- (٣) ابن غنام : ٢ / ١٦٤ ، ابن بشر : ١ / ١٣٠ ، حسين خلف خزعل : ٣٦٣ .

وفى طريق عودة جيش أهل القصيم من إحدى غزواتهم للشمال سنة ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م التقوا بجمع من حرب هزموه ، وأخذوا منه بعض الغنائم ، وكان أهل القصيم فى غزوة الشمال ضمن جيش سعودى مكون من أهل الوشم ، وأما غزوتهم لحرب فيبدو أنها بعد أن تفرق الغزو السعودى كل الى بلده (١) .

وما من شك فى أن هذه الغزوات وغيرها بالاضافة الى موقف الأشراف من حرب ، علاوة على الفشل الذى منى به جيش الشريف غالب فى غزوته الأولى لنجد سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م ، كل هذا دفع بقسم كبير من هذه القبيلة سواء الحجازية منها أو النجدية الى اعلان ولائها للدولة السعودية منذ فترة متقدمة (٢) .

ولقد كان لمبايعة حرب المدينة مثليين فى آل مضيان أثر فى دخول المدينة تحت السيادة السعودية سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م والذى أضاف على دخول الطائف فى هذه السيادة عامل ضغط على الشريف غالب حتى أعلن دخوله هو الآخر فيها أميرا اقليميا من قبلها على الحجاز .

وكان لسيطرة حرب على بواى المدينة علاوة على أحياء من المدينة نفسها أثر كبير فى دخول المدينة فى طاعة السعوديين ، ويبان ذلك أن رؤساء حرب من آل مضيان وفدوا على الامام عبدالعزيز منذ فترة متقدمة وبمعيد غزوة الشريف الأولى حيث بايعوا عن قبيلتهم ، والتزموا باخضاع المدينة للحكم السعودى ، وطلبوا ايضاً أحد العلماء لتعليمهم التوحيد والشرائع ثم بدأوا يطاولون المدينة بلا حرب ،

(١) ابن غنام : ١٦٨ / ٢ ، ابن بشر : ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ وقد ذكر اغزو أهل الوشم والقصيم والجبل لدومة الجندل فى هذه السنة ولم يذكر اغزو حرب بينما أشار الى ذلك صاحب كتاب كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب : (ص ١١٢) وان لم يذكر غزو الشمال فيها ولكن المحقق عقد مقارنة بين الغزوتين وضح فيها أن غزو حرب كان فى هذه السنة ، وتبعاً لغزوة الشمال .

(٢) الريحكى : ١٠٠ .

وفي هذه الأثناء جاءتهم أوامر من الامام عبدالعزيز ببنا قصر للحامية السعودية فيها ثم بعد فترة تبعهم أهل قبا ومن حولهم ، واستمروا على هذه المطاوعة سنين يقطعون السابلة عن المدينة ويضيقون على أهلها حتى بايع أعيانها وحاميتها وقضاتها للامام سعود بن عبدالعزيز في السنة السابقة (١) .

ولعل من أبرز مظاهر ولاء هذه القبيلة تأديتها للزكاة لحكومة الدرعية ان شكلت زكاة حرب موردا ماليا لهذه الحكومة منذ عهد الامام عبدالعزيز ، كما أن تولية مشائخها أصبحت تخضع لموافقة هذه الحكومة ، وخاصة بين آل مضيان المواليين للدعوة ، وان كانت الحكومة غالبا لا تخرج عن الأسلوب التقليدي الذي تسير عليه هذه القبيلة في تولية زعمائها (٢) .

وقد اشتركت حرب المدينة وخاصة آل مضيان ومن ينضوي تحت زعامتهم في منع الحج الشامي من دخول الحجاز سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م خوفا من أن يثيرهم الشريف غالب ضد سعود ، واشتركوا مع سعود في حجته في السنة نفسها ، وكان الهدف من ذلك كله القيام بحركات استعراضية تهيئ قوة الدولة السعودية ان لم يحدث من جراء ذلك أى حرب أو مقاتلة تذكر حيث فهم رئيس الحج الشامي ذلك فرجع الى وطنه ، ولا يبعد أن يكون أثار الدولة العثمانية ضد السعوديين أو أن تكون هي قد استثارت من ذلك العمل (٣) .

وسا لا شك فيه أن هذه القبيلة بما تحمله من بغض للأشراف نتيجة لكثرة غزواتهم لها فيما قبل الدعوة وبمعددها قد استغللت اتباعها للدولة السعودية في

(١) ابن بشر : ١٨٦/١ ، وتكاد تكون المدينة المنورة المدينة الوحيدة التي اذكرت حرب ذكرت معها . (البلاذري : المرجع السابق : ٤٠ ، ١٣٥) ، وذكر ابن بشر في الصفحة السابقة أن لحرب دور في هدم القباب التي كانت على القبور والمشاهد في المدينة .

(٢) ابن بشر : ١٧٣/١ ، ١٨٢ .

(٣) الفاضل : ١٣٥ ، ابن بشر : ١٨٨/١ ، وقد عزل رئيس الحج الشامي الذي رجع عن الحج .

القيام بكل ما من شأنه تمكيز صفوف الأمن في الحجاز ضد الأشراف ، وكان وقت الحج هو المجال لهذه الأعمال بما يثبت فشل الأشراف في السيطرة على الوضع الأمني في الحج ففي حج سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م اشترك قسم من حرب في تجمع بدوى حجازى - بيدو وأنه موال للدعوة - فقطع الميرة والماء عن مكة بأوامر من القيادة السعودية في الحجاز ما سبب تضايقا بين القليل من الحجاج الذين دخلوا مكة قبل حصار هذا التجمع لها ، وأوجد في مكة مجاعة ربما كانت من الأسباب التي دفعت بالشريف غالب الى اعلان ولائه للسعوديين فيما بعد (١) .

وكان هذا الأسلوب اضافة الى الاغارة على قوافل الشريف ناقلة المسيرة عبر مواطن هذه القبيلة أو القادمة الى المدينة هو أبرز الأساليب التي تتبعها في تأكيد معارضتها للأشراف وخاصة الشريف غالب حيث أضفى دخول هذه القبيلة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هدفا أبعد مما كانت ترمى اليه من قبل ، هذا الهدف الذى يرمى الى تثبيت أقدام السعوديين ونشر الدعوة السلفية في الحجاز وخاصة منطقة المدينة .

وفى سبيل ذلك فقد تعرضت هذه القبيلة لعدة غزوات من الشريف غالب لا على أساس قطعها الطريق أو تمكيزها صفوف الأمن ضده فحسب بل لدخول هذه القبيلة أو أفخاذ منها فى الدعوة السلفية ، واعلان ولائها السياسى للدولة السعودية ، وتؤكد الأحداث وقوع عدد من الغزوات من الشريف لهذه القبيلة منذ فترة متقدمة ، ولهذا السبب نفسه فقطع فى ٢٥ محرم سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م جهاز الشريف غالب جيشا وأمر عليه أحد الأشراف وأمره بغزو قوم من حرب دانوا للدعوة السلفية بالولاة حيث غنم منهم غنائم رجع بعدها الى مكة (٢) .

(١) الفاخري : ١٣٤ ، ابن بشر : ١ / ١٨٢ - ١٨٥ ، ولم يذكر دور حرب فيها بالتحديد بينما ذكر ذلك دحلان : ٦٨ والسباعي : ٥٠٠ ، ٥٠١ ، والبلادي : ١٣٤ .

(٢) دحلان : ٢٦٦ .

وقد كثف الشريف غالب الغزوات ضد هذه القبيلة في هذه السنة مما يبدو معه أنها هي التي تمت فيها أول مبايعة من حرب للامام عبدالعزيز ، ففي ٢٥ ربيع الثاني منها أرسل الشريف غالب جيشا بقيادة أحد الأشراف أيضا أغار فيه على قسم من حرب كان قد تابع الدعوة السلفية ربما كان القسم السابق وربما غيره وحصل بين الفريقين مقاتلة على أحد المواضع الحجازية التابعة لحرب استطاع هذا الجيش الشريفى أن يخنق من الحربيين بمضى مواشيهم (١) .

على أن هذه المبايعة لم تكن - فيما يبدو - شاملة لأكثر حرب الحجاز ، وأن زعماء حرب الكبار والعدد الأكثر منها لم يبايع في تلك السنة المتقدمة ، وأن من دخل في الدعوة لا يعدو أن يكون قسما صغيرا من هذه القبيلة ، أو أن الاعلان العام عن هذا الدخول لم يكن في هذه السنة (١٢١٢هـ) ، وفي هذا المجال تذكر المصادر الحجازية أنه في شهر صفر سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م جاءت الأخبار أن بداي شيخ حرب (٢) دخل ومن معه من حرب في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واستولوا على بعض البلدان الحجازية بمساعدة بعض القبائل المؤيدة للدعوة كذلك (٣) ، ومعنى هذا أنه ليس بين الدخول العام لحرب في الدعوة ، ومبايعة أهل المدينة الا بضعة أشهر لاسنين كما يذكر ابن بشر الا أن تكون المطاولة التي قامت بها حرب ضد أهل المدينة كانت من ذلك القسم الذى دخل

(١) المرجع السابق ٢٦٦ .

(٢) هو بداي بن بدوى بن عجد بن مضيان من الظواهر من بنى سالم من حرب تولى بعد وفاة أخيه بادى سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م ، وتوفي سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م وتولى مشيخة حرب بعده أخوه مسعود بموافقة الامام سعود بن عبدالعزيز . للاستزادة : (ابن بشر : ١ / ١٦٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، دحلان : ٢١٣ ، ٢٨٤ ، حمد الجاسر : معجم القبائل : ٢ / ٧٧٤) .

(٣) دحلان : ٢٨٤ ، ومن الطريف أن دحلان - فى معرض تحامله على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - يعبر عن الدخول فى الولاة لها بالدخول فى الطين حيث يقول : " وفى شهر صفر جاءت الأخبار أن بداي شيخ حرب دخل ومن معه فى الطين وفى ص ٢٧٣ يقول عن عثمان المضايقي : صار يمدحها ابتداء محمد بن عبد الوهاب من الطين ، ويثنى عليه ويرغب فى اتباعه والدخول فى طينه " وللإستزادة من الاطلاع على هذا التعبير المتحامل انظر : (٢٨٨ ، ٢٨٩) .

فى الدعوة سنة ١٢١٢هـ ، ومن هنا فان اشتراك حرب فى محاصرة مكة فى حج عام ١٢١٩هـ كان بعيد اعلان ولائها للسعوديين بأشهر .

وبهذا يمكن الجمع بين اشارة صاحب اللمع أن حرباً أطاعت الدعوة عقب فشل حملة الشريف غالب الأولى على نجد سنة ١٢٠٥هـ (١) ، وبين اشارات ابن بشر من أن حرباً كانت تؤدى الزكاة للإمام عبدالعزیز وأن المدينة بايعت على أثربيعة حرب عام ١٢٢٠هـ (٢) ، وما ذكره دحلان من غزو الشريف غالب لقوم من هذه القبيلة سنة ١٢١٢هـ مرتين بسبب دخولهم فى الدعوة السلفية ، وما ذكره من أن ولاء حرب للدعوة والدولة كان فى أوئل سنة ١٢١٩هـ (٣) .

هذه أبرز الملامح والأحداث لمواقف أغلب القبائل البدوية النجدية من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما ترتب على ذلك من موقف هذه الدعوة من تلك القبائل سواء المؤيدة أو المعارضة وسواء كانت نجدية خالصة كالشمران القبائل الأولى أو كانت نجدية حجازية كمتيبة وحرب ، واللتين ذكرتهما مع القبائل النجدية بحكم وجودهما النجدى الكبير ، وبحكم التأثير المتبادل بين قسما هاتين القبيلتين الحجازى والنجدى .

وما من شك فى أن استيفاء أحداث وملامح المواقف البدوية عامة من هذه الدعوة يصعب التفصيل فيه إذ أن هناك قبائل أخرى لم أستطع التعرف على ملامح مواقفها من الدعوة فى ضوء المصادر المتوافرة .

على أن مواقف تلك القبائل التى ذكرتها لم تكن بالتفصيل والوضوح الذين يطمح اليهما الباحث فيها ويمثل ذلك فى اختلاف المؤرخين فى تاريخ

(١) الريكى : ص ١٠٠ .

(٢) ابن بشر : ١٧٣/١ ، ١٨٦٠ .

(٣) دحلان : ٢٦٦ ، ٢٨٤ .

دخول بعض القبائل في الولاة للدعوة ، بل الغموض الذي يكتنف هذا التاريخ عند مؤرخ واحد مهم في تاريخ الدعوة كاهن بشر الذي ذكر أن حربا تؤدي الزكاة لعبدالعزیز ثم ذكر مبايعة حرب قرب سنة ١٢٢٠هـ ، وهي السنة الثانية لوفاة الامام عبدالعزیز ، ثم انه ذكر في هذه المبايعة أن بداى وبداى ابني بدوى بن مضيان قد بايعا الامام عبدالعزیز ما يؤكد أن ذلك كان قبل سنة ١٢١٨هـ وهي السنة التي قتل فيها عبدالعزیز ، ثم انه ذكر في أحداث سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م وفاة بادى بن بدوى وتولية أخيه بداى ما يدل أن هذه المبايعة كانت قبل سنة ١٢١٧ لأنهما بايعا سويا عن تبعهما من حرب (١) إلا أن المصادر الحجازية كدحلان مثلا تذكر أن بداى قد بايع سنة ١٢١٩هـ علما أنه ذكر غزو الشريف لأفغان منها سنة ١٢١٢هـ كما مر (٢) ، وهذا الاختلاف لا شك أنه يجر الى الغموض الذي يصيب الباحث عندما يحاول رصد درجة ولاه مثل هذه القبيلة ، اضافة الى أن الباحث قد يضطر الى الجمع بين الروايات بصفة الاحتمال لا التأكيد عندما يواجه بأن الدولة قد شنت غزوات على قبيلة قد أيدتها ودخلت في ولائها .

وحقا ما قاله "جان ريموند" (٣) في هذا المجال من أنه : "من المستحيل أن تحصى القبائل التي دانت للوهابية" (٤) وكل هذا يرجع الى كثرة الغزوات بين الدعوة وهذه القبائل والتي كان منطلقها كثرة نسبة البادية في نجد في تلك

(١) ١٦٢/١ ، ١٧٣ ، ١٨٦٠ .

(٢) ٢٦٦ ، ٢٨٤٠ .

(٣) هو جان ريموند : ضابط مدفعية فرنسي سابق أرسل من قبل وزارة الخارجية الفرنسية في عهد نابليون للخدمة والتجسس لدى والي بغداد العثماني ، كان على اطلاع واسع على التقارير والمؤلفات التي كتبت عن الدعوة السلفية بالاضافة الى أنه شاهد عيان في أكثر بعض أحداثها ، ومعاصر لأغلب هذه الأحداث فجاء تقريره هذا ذو قيمة كبيرة . (من مقدمة ادوارد يوليت لهذا التقرير)

(٤) جان ريموند : مذكرات في أصل الوهابيين . تقرير مقدم الى ديه شامباني وزير خارجية فرنسا في عهد نابليون ، وقد كتب سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م وهو مستخرج من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية ومترجم ومطبوع على الآلة الكاتبة ص ١٠ .

الفترة ، و دورها الرئيسى - اذا دخلت فى الدعوة - فى سرعة وسعة انتشارها ، علاوة على التداخل فى هذه الغزوات أحيانا بين توجهها ضد القبائل المعارضة - لمعارضتها - أو المؤيدة لتأديبها على عمل قامت مخالف لبادئ الدعوة ، أو مناوئ للدولة بعد أن تكون قد أعلنت ولائها .

وبصرف النظر عن سوء النية التى نظر بها بعض المستشرقين الى الهدف من ولاء القسم الذى أيد الدعوة من هؤلاء البدو فى أنهم يظهرون منتهى التعصب والحماسة خدمة لمصالحهم الشخصية ، هذه النظرة الاستشراقية التى لاشك أنها وجدت فى بعض القبائل ما يؤيدها بأن ظلت قلوب بعض أفرادها غلغا بعيدة عن التشرب بروح الدين الخالص الذى جاءت الدعوة السلفية - بتجديده فى النفوس (١) بصرف النظر عن هذه النية السيئة ، فان الباحث المنصف لا يمكن أن يعم مثل هذه النظرة على غالب البدو الذين أمسكوا بالدعوة ، أو أعلنوا ولائهم التام لها ، ان أن جهاد قسم كبير من هؤلاء البدو فى سبيل الدعوة ، وهى لما تكتسب القوة الكافية لذلك دليل على اخلاص هذا القسم فى ولائه ، ولا ينفى فى الوقت نفسه وجود عناصر من راعت مصالحهم الشخصية فقط ، وبين هذا وذاك خيط رفيع يصعب معه تحديد من اتخذ الدين تجارة ، من أخلص فى ولائه له ، والذى جدت ظروف وحالات قاهرة جعلته يتحول عن الدعوة - ظاهرا - أو يبقى على الحياد عندما أصبح لا قبل للنجديين بالجيوش التى أرسلها محمد على للقضاء على الدعوة السلفية ، وهو ما حصل من بعض البدو الذين اضطروا الى اتخاذ هذا الموقف .

وانطلاقا من هذا فقد تواتر لدى المؤرخين المؤيدين للدعوة ، والمعارضين لها على حد سواء بل لدى الكتاب الغربيين أن القسم الأكبر من والى الدعوة من البدو قد التزموا الطاعة المطلقة للقيادة الجديدة المنظمة والتى أشبعتهم نهمهم فى الغزو والحرب ووجهتهم نحو الأهداف الخيرة التى جاءت بها ، وفى هذا المجال يشير هؤلاء المؤرخون الى أن أئمة الدولة السعودية بمجرد أن

(١) رينهارت بيتر آن دوزى : تاريخ سلى أسبانيا . ترجمة : د : حسن حبشى . طبع ونشر دار المعارف . القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ١ / ٣٤ .

يكتبوا ، أو يبعثوا كلاما شفويا مهما بلغ من الاختصار بأن يكون فحواه الى شيخ القبيلة الغلانية كذا عدد من الرجال يكونون في مكان كذا ، بمجرد أن يصل هذا الى أى شيخ قبيلة فانه ينفذ كاملا بل وتتكفل القبيلة أو الأفراد أنفسهم بكل ما يحتاجون اليه من مأكّل ومشرب وأسلحة تكفيهم لمدة طويلة ، وقد أدّهشت هذه الظاهرة المصادر المعارضة للدعوة بل المصادر الغربية التي أبعدت استغرابا شديدا من هذا الولاة العظيم ، وهذه السرعة في تكوين الجيوش مما جعل الدولة السعودية تخضع في فترة قصيرة كل القبائل النجدية وقسمًا كبيرًا من غيرها (١) ، وكان هذا الأسلوب التجهيزي للغزو تلتزم به الحاضرة والبادية على حد سواء ، وإن كان التزام البادية به أوضح لا شتياهم بالفوز والحرب وتوفر أدواتها لديهم أكثر من الحاضرة .

على أن هذه المصادر لم تغفل السبب الرئيسي وراء هذه الطاعة المطلقة ذلك أن أئمة الدولة السعودية إذا أرادوا ضم قبيلة الى جانبهم استشاروا نزيعة الخير فيها قبل مهاجمتها وفزوها بأن أرسلوا اليها أو كتبوا عبارات تحمل من معاني الإصلاح والتغيير الاجتماعي الى الأفضل أكثر من عبارات الضم السياسي والتهديد العسكري ، ولعل من أبرز معاني هذا الإصلاح اشعار أى قبيلة بدوية بأن اتباع مبادئ الدعوة ، والولاة للكيان السياسي التابع لها فيه ارضاء الله سبحانه لان هذه الدعوة لا تعدو أن تكون تجديدا للدعوة الاسلامية الأولى ، بقدر ما في معارضة ذلك واحتقاره - حلول غضب الله وعقوبته التي قد تأتي على شكل غزو من جيش الحكومة السلفية ، ولا شك أن هذا فيه ما فيه من استشارة نوازح الخير في البدو ، والتهديد بالقوة العسكرية لهذه الحكومة ، وقد أدنى هذا

(١) ابن بشر : ١ / ١٧٤ ، دحلان : ٢٣٧ ، جان ريموند : ص ١٠ ولا شك أن اتفاق هؤلاء المؤرخين على اختلاف وجهات نظرهم ، وفترات تسجيل تواريخهم دليل على تأصل هذه الظاهرة وانتشارها بين البدو ، وتسجيل ريموند لها وهو لم يطلع على أى من المصادر المؤيدة للدعوة لأن تقريره كتب قبلها يضيف دليلا آخر على ذلك .

الأسلوب عله القوى فى نفوس أهلاء البادية ما أوجد تلك الكثرة من القبائل المؤيدة للدعوة وقذف فى قلوبها هذه الطاعة المطلقة لهذه الحكومة (١) .

وعلى أى حال فقد استمرت القبائل البدوية على ولائها لهذه الدولة وخاصة فى عهدى الامامين عبدالعزيز وابنه سعود ، وكل هذا يرجع الى شخصية الامام عبدالعزيز الذى تعلقت به رعيته واطاعته طاعة مطلقة يستوى فى ذلك الحضر والبدو (٢) ، حتى اذا جاء عهد الامام عبدالله وبدأت حملات محمد على فى الكثافة ، والاغراء المادى ، والتهديد الحربى انقسمت القبائل حيثال ذلك الى أقسام بعضها تابع هذه الحملات تحت تأثير هذه العوامل من أول بدايتها ، ولا يستطيع الباحث تعميم ذلك على كل قبيلة بعيينها ، وبعضها ناوأ هذه الحملات فى بدايتها واشترك مع السعوديين ضدها حتى اذا كشفت جهودها اضطرت هذه القبائل تحت تأثير هذين العاملين أيضا الاشتراك مع محمد على فى البقاء على الحياد ، وبعضها الأخير استمر على ولائه للدعوة وولائها وعانى من حملات محمد على نتيجة لذلك (٣) .

(١) ريموند : ٩ ١٠٤ .

(٢) ريموند : ١٠ .

(٣) أما الآثار الاجتماعية لهذه المواقف البدوية من الدعوة فسيأتى تفصيله فى الفصل الثالث من هذا الباب — ان شاء الله .

الفصل الثانى :

أثر الدعوة على الحياة الدينية لدى بادية نجد :

لقد مر بنا ذكر جانب من نظرة الاسلام نحو البدو والهداوة ، هذه النظرة التى تنطلق من منطلق توفر عناصر الخير فى ابن البادية الى جانب وجود عناصر الشر فيه كأي انسان ، وما من شك فى أن هذه النظرة جعلت البدوى يحافظ على أسلوب حياته فى صحرائه وهو متابع لمبادئ الاسلام وشرائعه حتى اذا دعى داع الجهاد فى سبيل الله لى هذا النداء حيث شكل أبناء البادية أغلـب القواد المسلمين الذين فتحوا مختلف بلاد الدنيا فى العصور الأولى للاسلام .

ورغم ماران على الحياة الدينية لدى البدو من بعد عن مظاهر الدين وشعائره عبر العزلة التى مارسها هؤلاء على أنفسهم فى فترات من التاريخ استدعت ذلك حتى أصبحت هذه الحياة بعيدة بعدا شديدا عن هذه المظاهر والشعائر مما سبق ذكر جانب منه فى الحياة الدينية لدى البدو قبل الدعوة ، رغم كل ذلك فان عناصر التدين متأصلة فى البدوى عامة بعد الاسلام بل ان العناصر السليمة لهذا التدين هى التى يشتهر بها البدوى عن غيره ، وهذا ما ميز البدوى بالسلفية من دون سائر العناصر المسلمة عبر فترات التاريخ المتعاقبة ، يدعم هذا عدم وجود ما يشوب هذا التدين لديه من الخرافات والبدعيات وقد أكد هذا الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله حينما قال : " ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم " كما أكدّه أحد العلماء حينما قال : " اذا أردت أن تسمع الدعاة فاسمع دعاة الأعراب " (١) وهذه النظرة تنطبق على البدو وبشكل عام .

على أن الرحالة الغربيين قد لاحظوا هذه الظاهرة في البسندوى النجدي منذ فترة متقدمة مما شكل لدى بعض الهادية النجدية استعدادا نفسيا لقبول مبادئ الدعوة السلفية، وما يؤسف له أن يدرك الغربيون فقط هذا الاستعداد النفسى لدى البدو وأنهم بمجرد أن يوجهوا التوجيه الاسلامى الصحيح يصبحون طاقة دينية هائلة يمكن توجيهها نحو الخير، وأن هذا البعد عن شعائر الدين ومظاهره القولية والفعلية يرجع السبب الأول والأخير فيه الى أنهم لم يجدوا من يقوم فيهم بتلك المهمة الاصلاحية وفى هذا المجال يقول دارفيو: " ان البدو متدينون ولا ريب، ولكنهم يأتون فى أغلب الأحيان على ذكر الله، ولا يقرنون بذكره الا القليل من الدين لأن أحدا لم يلقنهم اياه " (١) .

ومقابل هذه النظرة الغربية نظرة أخرى تتم عن جهل أو تجاهل بأوضاع الهادية بعد الاسلام بشكل عام، وهذه النظرة تتلخص فى أن قسما كبيرا من الهادية النجدية لم يصل اليها الاسلام منذ بعثته، وتستند هذه النظرة الى الجهل المطبق والبعيد شبه الكامل عن معالم الدين الرئيسية (٢)، الا أن الواقع أن العزلة التى مارستها القبائل البدوية على نفسها، والتى فرضت عليها من قبل الخلاقات الاسلامية المتعاقبة بعد الراشدة، هذه العزلة بنوعها هى السبب الرئيسى وراء هذا الجهل المطبق بتعاليم الاسلام .

واذا كانت هاتان النظرتان تلتقيان عند كون "عرب نجد أكثر بعدا عن الاسلام من أية مجموعة أخرى فى العالم الاسلام" (٣) فذلك راجع الى توافر أسباب المعرفة التفصيلية بشرائع الاسلام لدى مجموعات العالم الاسلامى الأخرى وهو ما كان نتيجة طبيعية لانتقال مراكز الثقل الحضرى من شبه الجزيرة العربية اليها بعد الخلفاء الراشدين .

(١) جاكين بيرين : ١٢٤ ، محمد أسد : الطريق الى الاسلام : ص ٢١٢ .

(٢) محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامى : ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) محمد أسد : المرجع السابق : ص ٢٠٠ .

وانطلاقاً مما سبق من كون الحياة الدينية لدى بادية نجد بعيدة كل البعد عن تعاليم الاسلام بشكل عام ، وتوفر الاستعداد النفسى لدى البدوى بوجود نزعة التدين لديه ، فقد أولت الدعوة السلفية هذه الناحية جل اهتمامها وأبرز مثل على ذلك تقارير الشيخ محمد بن عبد الوهاب التى حللت الوضع الدينى لدى البدو كما مر ، وهذا الزخم الكبير من الغزوات ، والمحاولات السلمية لضم هؤلاء البدو الى الدعوة كما مر .

ولعل أول مظهر لمحاولات الدعوة تصحيح الوضع الدينى لدى بادية نجد بعد اعلان ولائها للدولة السعودية هو بعث العلماء الذين يقومون بدور التوجيه والارشاد والتعليم لمن لم يكن لديه أية معرفة بمعتقدات وشعائر الدين ، وأولديه معرفة قليلة لا تفى بالفرض المطلوب لممارسة أقل مستوى من الحياة الدينية كما يريد لها الاسلام ، ويقومون كذلك بدور تركيز الولاة للدولة .

ولقد كان ارسال العلماء لهذا الهدف سمة من سمات انتشار الدعوة ففى نجد عامة وبين القبائل البدوية خاصة ، وكان يتم ذلك سواء طلبت هذه القبائل بعث من يقوم بهذا الدور أو لم تطلب ، وقد مر بنا كيف أن بعض القبائل بمجرد مبايعة زعمائها لائمة الدولة السعودية يبعثون معهم أحد العلماء ، وكانوا يتخيرون من هؤلاء حسب أهمية القبيلة ودرجة جهلها وولائها السابق ، وما أرسال الشيخ عبد الله بن فاضل وهو الذى تتلمذ عليه أكابر علماء الدعوة الى وادى الدواسر المشهورة بالجهل فى تلك الفترة الا مثلاً من الأمثلة على ذلك حيث أقام مدة لا شك أنها أثرت فى درجة تشبع بعض الدواسر بمبادئ الدعوة والولاة للدولة ، وربما أرسلوا الى قبيلة من القبائل أو بلداً من البلدان عالماً واحداً استطاعته القيا بهتوجيه البدو والحضر على حد سواء فبعد ما ينهى مهمته لدى قبيلة أو يمكن أن يقوم عنه أحد فى ذلك يوجه الى بلد من بلدان الحضر كما حصل من الشيخ عبد الله بن فاضل نفسه فيما مر (١) .

وقد يجمعون في هذا العالم أو ذاك وظيفة القضاء ، والافتاء ، وإمامة الصلوات في القبيلة ، ويبدو أن ذلك يتم في حالة كون القبيلة قليلة العدد ، مركزه المكان ، وأحياناً يجعلون في كل قبيلة قاض تنضم إليه وظيفة الافتاء ، وإمام للصلوات ، ويتعاونان مع أمير القبيلة في أمور الحياة العامة (١) .

وما لا شك فيه مدى التأثير البالغ لهذه البعث الدينية في أبناء القبائل رغم وجود معارضا لما تأمر به من أوامر شرعية وأحكام دينية نتيجة لاعتقاد قسم من البدو أن هذه الشعائر والأحكام لا تعدو أن تكون جزءاً من مستلزمات الولاة السياسي للدولة النظامية مما يحد من حريته على أن هذه المعارضا نطاقها ضيق ولا تأتي الا نتيجة لتصرف الأمير القبلي المعين من لدن الحكومة ، أو نتيجة لرفض دفع الزكاة أو هما معا مما يستتبع معه رفض بقية الشعائر التعبدية كما سيأتي .

ومن الطبيعي وقد جاءت الدعوة السلفية بتصحيح العقيدة من البدع والخرافات التي رانت عليها عبر فترات التاريخ الاسلامي أن تولي هذا الجانب أهميته في دعوتها المادية نجد . ذلك أن تركيز الشيخ على الوضع الديني لدى بادية نجد قبل الدعوة كان منصباً في عومه على انحرافها العقدي عن التوحيد ثم ان عرض بعض تفاصيل تلك الانحرافات فيما مر يعطى تأكيداً بتركيز الدعوة على هذا الجانب لأنه هو أساس أي توجيه تشريعي بعد ذلك ، ويرى المرء فسي مبايعات القبائل النجدية ، أو ارسال العلماء لها التأكيد على تقرير التوحيد لهم

(١) الريكي : ٥١ ، وقد ذكر ابن بشر : ١٨٦ / ١ أن حرباً بعد مبايعتها الإمام عبدالعزيز بعث معها الشيخ عثمان بن عبد المحسن أبا حسين يعلمهم فرائض الدين وأركان الاسلام ، ويقرر لهم التوحيد حتى دانسوا بالولاة لهذه الدعوة ودولتها وبدأوا بحرب أهل المدينة عن طريق المطاولة كما مر حتى دخلوا في الولاة ، ثم ان الإمام سعود بعث اليهم الشيخ قرناس بن عبد الرحمن حيث أصبح في قلعتها السعودية إماماً ومعلماً وقاضياً يأتي اليه قبيلة حرب فيها كل سنة . انظر للاستزادة (عبد الله البسام : علماء نجد : ٣ / ٧٦٦ ، محمد القاضي : روضة الناظرين : ٢ / ١٥٣ ، ١٥٤ ، العجلاني ، عهد عبدالعزيز : ١٤٠)

بأدي ذي بدء ، وعلى صعيد الحروب والغزوات التي قامت بها الدولة ضد البدو كان الهدف الرئيسى هو تقرير التوحيد أيضا ، وما من شك أن هذا التوجيه وهذه الغزوات قد آتت نتائجها المرجوة فى دخول بعض القبائل البدوية أو أقسام كبيرة منها فى العقيدة السلفية ، وبهذا ما كانت عليه من البدع التي مر ذكر جانب منها فى الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة (١) .

ورغم عدم وجود اشارات من المؤرخين النجديين للمحاولات التي قامت بها الدعوة السلفية لتصحيح الجانب العقدي لدى البدو بالتفصيل ، الا أن الباحث قد يجد فى رسائل الشيخ التي وصف فيها الحياة الدينية قبل الدعوة ما يشير الى أن الدعوة قد راعت أن تعمق فى نفوس البدو واحترام الدين وتقدير أحكامه وتلقيها بالقبول والتسليم ، وتلك قضية عقدية بالدرجة الأولى حيث أن قسما من البدو قبل الدعوة كان يسخر من الدين ، ومن الحضرة الذين كانوا يقيمون أحكامه وشعائره ويؤمنون بمعتقد صحيح الى حد ما ، اضافة الى أن هذه الرسائل تشير الى أن الدعوة قد غرست فى نفوس البدو بأساليبها المتنوعة الايمان بالبعث والنشور ، وهى قضية عقدية رئيسية نعى الشيخ - فيمار - على بعض القبائل عدم ايمانها بها ، ولا شك أن نقد الشيخ للأوضاع العقدية فى الجانب الدينى لدى البدو قبل الدعوة قد دفع بأئمة الدولة السعودية الأولى الى الاهتمام بتعليم البدو هاتين القضيتين العقديتين الرئيسيتين : احترام الدين ومن تمسك به ، والايمان بالبعث والنشور (٢) .

(١) ابن بشر : ١ / ١٠٣ ، ١٨٦ ، الريحاني : ٤٤ ، د : عبد الكريم الغرايبة : ٩١ .
(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم : ٣٩ - ٤٥ ، ١٠٨ ، الرسائل الشخصية : ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ابن غنام : ١ / ١٠٨ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، وفصل " الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة " من هذا البحث .

ومن المعروف أن كتاب التوحيد الذي هو حق الله على المبيد والسدى ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان عماد التعليم والتوجيه لقضايا العقيدة ، ولما كان الذبح لدفع ضرر الجن ، والاستطباب بذلك ما تواتر لدى بعض بادية نجد فقد ركز الشيخ اهتمامه به في هذا الكتاب فعقد له بابا تحت عنوان : "باب ماجاء في الذبح لغير الله" ومن المؤكد أن تعليم البدو هذا الباب بتفاصيله كان له دور رئيسي في اختفاء تلك الظاهرة العقدية السيئة ، والتي كانت متزامنة مع كثرة الأمراض ، وقلة الوعي الصحي المعتمد على التوكل على الله ، وتلسم العلاج في الأسباب الطبيعية المعروفة في تلك الفترة (١) ، ويمكن اعتبار كتاب التوحيد بأبوابه المختلفة مرآة تعكس جانبها من الأوضاع العقدية في نجد قبل الدعوة ، وجهود الدعوة ودولتها في تصحيح هذه العقيدة عن طريق دراسة هذه الأوضاع دراسة علمية ، ونشر هذه الدراسة وتلقيها للمؤيدين للدعوة حاضرة وبادية ، ولا شك أن هذا قد أوجد تأثيرا دينيا نسبيا من البدو خاصة حيث كانوا يفتقدون هذا التأثير عكس الحاضرة الذين كان لديهم مفهوما دينيا واضحا بعض الشيء .

وقد أكد عمق هذا التأثير الديني في البدو والامام عبد الله بن سعود رحمه الله في رسالته لمحمد علي التي عرض فيها وجهة نظره في الصلح بين السعوديين وقوات محمد علي ، والمهم في هذا أنه بين في هذه الرسالة أن حكومة الدرعية قد جاهدت بادية نجد خاصة وشبه الجزيرة الواقعة تحت حكمها عامة ، حتى عرف هؤلاء البدو الصلاة وأقاموها بعد أن كانوا يجهلون الأركان والواجبات اللازمة لقيامها ، وحتى آتوا الزكاة كركن من أركان الاسلام ودفعوها الى بيت المال ، وعرفوا الصيام وأدوه كما ينبغي وكذلك الحج الى بيت الله الحرام حيث عرفوا أحكامه (٢) ، وبالجملة فلم تأت نهاية عهد الامام سعود حتى كانت

(١) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد : ص ١١٧ وما بعدها .

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق : ٣٣٤ ، ٤٣٢ ، ٤ : العجلاني :

عهد عبد الله بن سعود : ٤٦٩ .

البادية في غالبها تعرف أحكام الشرع العامة وتقيم شعائر الدين التعبدية على وجه العموم وإن كان ذلك على نطاق محدود .

أما الاحام عبدالله بن سعود فقد كان هو الآخر حريصا على تعليم أبنائه البادية أمور الدين فلم تنقطع البعث الدينية في عهده ، ورغم أن البلاد بدأت تواجه خطر حملات محمد علي فان السائل الدينية قد لقيت اهتماما كبيرا من الحكومة في عهده حيث كان الأمر باقامة الصلاة جماعة والتشديد في ذلك يمد سمة من سمات عهده كما في عهود أسلافه (١) .

وبينما لا تذكر المصادر النجدية مظاهر التأثير الديني على البدو بالتفصيل فان كتب الرحالة الغربيين تذكر أن من أبرز هذه المظاهر هو ترحيب البدو عند تحولهم الى الدعوة السلفية بالعلماء الذين توفدهم حكومة الدرعية لتعليمهم أمور دينهم ، وكش على ذلك فان عنزة أو أفخاذ منها على وجه الخصوص قد أعلنت ولاها للدعوة ، وانتشر بينها العلماء وأئمة الصلوات الذين اضافة الى تعليم هؤلاء أمور دينهم وامامتهم في صلواتهم ، وحل مسائلهم الشرعية كانوا يقومون بتعليم أطفالهم القراءة والكتابة (٢) .

ونتيجة لذلك فقد عرف البدو أحكام الصلاة وأوقاتها فراعوها بدقة حيث فصل علماء الدعوة في عهد حكومة الدرعية أحكام الصلاة وقصرها لدى البدو فتشير احدى الفتاوى بناء على سؤال من أحد البدو أو من يقوم بتعليمهم أن البدو ليسوا كالمقيمين ولا كالمسافرين ، فاذا نزلوا منزلا ونووا استيطانه مادام المعرى فيه ، أو وقتادون وقت فهم مقيمون وعليهم أحكام الإقامة ، وأما اذا ظعنوا من منزل السى مخزل آخر أو ارتحلوا من ماء الى ماء وما بين هذين المنزلين والمائين مسيرة يومين قاصدين فانهم في حكم المسافرين يقصرون الصلاة ، كما قد بين هؤلاء العلماء أن البدو المتنقلين ليس عليهم جمعة في الحالة التي يكونون فيها في حكم المسافرين أى في حالة الانتقال^(٣) .

(١) محمود شكرى الألوسى : أخبار بغداد وما جاورها من البلاد . مخطوط بمكتبة المتحف العراقي : ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) Burckhardt. Nots. 1/99.

(٣) عبد الرحمن بن قاسم : الدرر : ٢٠٩ / ٤ ، ٢١٠ ، ٢١٣ .

وراعى البدو أحكام الصيام فى رمضان الذى يأتهم أحيانا فى حمارة القيظ فلا يسمحون لأنفسهم بالفطر فيه الا خشية الموت حيث يجوز هنا الفطر ، وقد راعى أئمة الدعوة مجئ رمضان فى الصيف أحيانا وتكلف الرعاة للابل والغنم مشقة الصيام لأجل ذلك فرتبوا بعض الأحكام التى تندرج كلها تحت جواز الافطار خشية الموت من العطش (١) .

وعرف أبناء الهادية الزكاة فأصبح يؤديها قسم كبير منهم طيبة بها نفسه ، وان كان بعضهم يؤديها كرمز من رموز الولاء ، وبعضهم يمتنع عن تأديتها لاحتقان بينهم وبين الأمير المعين من حكومة الدرعية ، وبعد أن كانوا يأخذون الاخوات من المارين بمواطنهم من حجاج ، أو قوافل تجارة ، أو عابري سبيل ، منعت هذه الحكومة كل تلك الاخوات واستبدلتها بالزكاة الشرعية التى انبثت من أعمال الحكومة بجمعونها من القبائل وبوزونها فيها ما أثر على المستوى الاقتصادى للهادية حيث كانت تؤخذ وفق الأمر الشرعى وتوزع فى مصارفها الشرعية ، فلا يؤخذ فيها كرائم الأموال ولا ضعيفها بل أواسطها الا من غيب من ابله أو غنمه شيئاً لتقليلها أمام الخراس (٢) . فانه تؤخذ منه الزكاة بعد أن يلزم باخراج بهائمه كاملة ثم يؤخذ منه النكال بلا ظلم من الخراجيين الذين كان الامام عبد العزيز يوصيهم - قبل انطلاقهم لجمع الزكاة - بتقوى الله وعدم ظلم الناس وضبط اخراج الزكاة ودفعها بشدة ودقة (٣) .

وكان توزيع الزكاة أحيانا يتم عن طريق بعثها للدرعية لحصرها ومن ثم ترسل الى فقراء النواحي والبلدان والبادى ، كما أن أخذها كان يعقب أخذ صاحب الدين دينه من الشخص المراد أخذ الزكاة منه ، وكذلك من سرق له شئ (٤) .

(١) ابن قاسم : ٣٨٣ / ٤ .

(٢) الخراس من الخرس : وهو الحزر والتقدير . فصيحة والمقصود به هنا العامل الذى يرسله ولى الأمر لحصر أملاك الناس وتقدير زكاتها ، ويسمى أحياناً المزكى ، وان كان لا يقبض الزكاة بل تقبضها عوامل أخرى مرسله من الدرعية أو توزع فى بلد ها على أهل الزكاة . (الفيروز آبادى : ٣٠٠ / ٢) .

(٣) ابن بشر : ١٤ / ١ ، ١٧٣ ، الرىكى : ٥٣ ، د : العجلانى : عهد عبد العزيز بن محمد ص ٢٦٧ .

(٤) ابن بشر : ١٧١ / ١ .

ونظرا لكون أداء الزكاة يشكل صورة من صور الولاء السياسي الذي كانت تعتقد به القبائل من هذا الجانب فقط مما أثر على درجة ولائها فيما بعد ، وحرصا من أئمة الدولة السعودية على تركيز المفهوم الشرعي لهذا الركن من أركان الاسلام ، فقد أصبح قسم من أبناء البادية يؤمن بهذا المفهوم نتيجة لتأكيد الامام عبدالعزيز خاصة عليه مما جعله يكسب قلوب رعايه وخاصة أبناء البادية الذين لم يبلغ احترامهم للدولة السعودية درجته كما في عهد الامام عبدالعزيز (١) .

وعلى أى حال فقد أثرت هذه الشخصية في بعض القبائل شديدة المراس كعنزة التي لم تستطع الدولة السعودية في أوائل عهدها اخضاعها ، حيث وافقت متطوعة على أداء الزكاة الذي يبدو أنه كان مظهرا من مظاهرها احترامها لهذا الامام الورع حيث أن قسما من هذه القبيلة لم يدفع الزكاة منذ عدة سنوات بعد وفاة عبدالعزيز (٢) .

والمهم في هذا أن زكاة القبائل النجدية كانت ترد الى الدرعية بانتظام طيلة عهد الامامين عبدالعزيز وسعود وصدر من عهد الامام عبدالله حيث توضح الأرقام التي يوردها المؤرخون النجديون لها أن هذه الزكاة تشكل موردا اقتصاديا رئيسيا للدولة والمجتمع بقدر ما تشكل التزاما دقيقا بركن مهم من أركان الاسلام يؤدي دافعه جانبا من واجباته الشرعية وولائه السياسي وهذا ما يوضح حرص حكومة الدرعية على تأدية اتباعها له بكل دقة (٣) . وقد تمثل حرص هذه الحكومة في الطريقة التي تفخر بها زكاة الموالي بشكل خاص - حيث الخوف من عدم تأديتها - فقد كانوا يبعثون الى البدر

(١) أشنت المصادر المؤيدة للدعوة ، والمعارضة لها ، والتقارير الغربية على شخصية الامام عبدالعزيز ، وعلى سبيل المثال انظر : (ابن بشر : ١٦٧/١ - ١٧٤ ، الريكي : ٣٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، العجلاني : عهد عبدالعزيز بن محمد : ٢٠ - ٢٢ ، ريموند : ص ٢) .
(٢) كان قسم من عنزة بزطامة آل هذال يناوئ الدعوة وآل سعود منذ بدء الدعوة وتكوين الدولة السعودية الأولى . (أمين الريحاني نجد وطحاقتنه ص ١٤)

(Burckhardt. Nots. 1/106)

(٣) ابن بشر : ١٧٣/١ ، ١٧٤ ، ٢٣٢ .

بعضا وسبعين فرقة كل فرقة سبعة رجال : أمير ، وكاتب ، وحافظ دفتر ، وقابض للدراهم التي تباع بها ابل وأغنام الزكاة ، وثلاثة خدم لرعاية شئون الأربعة ، وجمع الابل والأغنام المقبوضة لبيعها ، والذي يظهر من هذه الطريقة أن الزكاة تباع ثم ترسل دراهم للدرعية ، الا أن بركهارت يقرر بأنها تدفع نقدا — صاحب المواشى بعد تقويمها لأنه لا أغلى على البدوى من مواشيه التي يريد ها أن تتكاثر (١) .

وقد حرص ابن بشر على ذكر القبائل البدوية التي تؤدى الزكاة لحكومة الدرعية كرمز لولائها لها وذلك فى نهاية عهد الامين عبدالعزيز وابنه سعود بشكل خاص ، ويستفاد من ذكره للاحصاءات شبه الدقيقة لزكاة كل قبيلة من هذه القبائل أن زكاة البوادرى لا تقل كثرة عن زكاة الحاضرة ان لم تغفها نظرا لكثافة النسبة البدوية بين سكان نجد فى تلك الفترة ، وكثرة الأموال وخاصة المواشى بينهم وفى أوج سعة الدولة السعودية الأولى بلغت نسبة زكاة بوادرى نجد الى نسبة زكاة البلدان النجدية ، والبوادرى والبلدان خارج نجد أكثر من خمس الزكاة الاجمالية (٢) .

وباعتبار الزكاة ركنا من أركان الاسلام ، ومظهرا من مظاهر الولاية ومصدرا اقتصاديا رئيسيا للدولة والمجتمع ، فقد حرص أئمة الدولة السعودية الأولى على الألتزام بدفعها من خلال الخطابات العامة التى يوجهونها ، والسق كائوا يركزون فيها على استثارة الجانب الخير فى النفوس لتأديتها من منطلق شرعى حيث يخوفون مانعيها من عقاب وعذاب الله قبل أن يهددوهم بالعقاب الصادر من الحكومة ، وما من شك فان هذا الأسلوب كان عاملا مهما فى دفع كثير من أبناء البادية لتأدية الزكاة طيبة بها نفوسهم على أن هذا كان يتزامن أحيانا مع أحيانا مع عقاب الحكومة حيث أن قسما من أبناء البادية لا يفيد معهم هذا الأسلوب وحده لأن تأدية الزكاة لا مجال للتهاون فيه (٣) .

(١) ابن بشر : ٢٣٢ / ١ ، Burckhardt.Nots.1/105

(٢) ابن بشر : ١٧٣ / ١ ، ٢٣٢ ، الرىكى : ١٧٠ ، د : عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق : ٢٤٥ .

(٣) د : العجلانى : عهد سعود الكبير : ٢٥٣ .

ويبدو أن من أسباب عدم تأدية بعض البدو للزكاة المترتبة على عدم اعتناقهم الدعوة السلفية هو اعتقادهم أن الزكاة مثلها مثل الجزء الأكبر من الغنائم داخلية ضمن ما كان يلزمهم به زعماءهم من مستلزمات مادية يعجزون عن تحقيقها مما يترتب على ذلك استلاب ثرواتهم من هؤلاء الزعماء قبل الدعوة، فخشى هؤلاء البدو أن يكون دفع الزكاة أسلوباً آخر يضاف إلى هذه المتطلبات المادية المرهقة، ويبدو أيضاً أن هذا الخوف هو ما دفع بأئمة الدولة السعودية الأولى إلى التأكيد على الجانب الشرعي في الزكاة، والمصالح الدنيوية والأخروية المترتبة على أدائها بطبيب نفس، وإلى التأكيد على أن من يعترف بعقيدة التوحيد وشريعة الإسلام لن يضار في نفسه ولا أمواله مادام محققاً لأركان الإسلام في نفسه وأمواله (١) .

ولعل أهم شيء بعد المعرفة التفصيلية الواعية بعقيدة الإسلام، وإقامة أركانه إقامة شرائعه، فعلى ضوء ما مر ذكره من أن بادية نجد كانت تتحاكم فيما بينها إلى أعراف وتقاليد لا تمت إلى الإسلام بصلة، وعلى ضوء نقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتلك الأعراف والتقاليد التي كان من أوضح معطياتها إبطال الحق وإحقاق الباطل، على ضوء ذلك كان اهتمام الدولة السعودية الأولى بتحكيم شريعة الله عبر مصادرها الرئيسية وإحلالها مكان حكم العارفة، فالزمت البادية بالتحاكم إلى الشريعة حيث طبقت فيهم وفيما بينهم وبين غيرهم أحكام الإسلام فأقامت الحدود والعقوبات التعزيرية التي جعلت للشرع هيئته (٢) . وكان النكال المادي وحلق اللحمة من أبرز الأحكام التعزيرية التي تصدرها الحكومة ضد البدو ذلك أن محبة البدو للعمال وتكرمة التام للحمة يوجبان عليه

(١) جان ريموند : ٢٠

(٢) د : عبد الله الشبل : الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٦٦ ،

مجلة الدارة : ٣/٤ ص ٣٨ من مقال للدكتور عبد الله العثيمين ، و ص ١٠٢ من مقال للاستاذ منصور الرشيد عن قضاة نجد .

الخوف من ارتكاب أى محظور لا تسمح به الدولة ، وفى هذا المجال يذكر
بركهارت أن أحد البدو قد ارتكب ذنباً لا يوجب حداً بل تمزيهاً حسب رأى
الحاكم فما كان من سعود بن عبدالعزيز إلا أن أمر بحلق لحيته ، ولما كان
هذا العقاب من أصعب العقوبات على البدوى التمس من سعود أن يقتص
لحيته ، ويدفع بدلاً عن ذلك فرساً ، ولما كان سعود وأئمة الدولة السلفية
عامة فى تلك الفترة ينظرون الى وضع اللحية من منظور شرعى مستند الى
عادة عربية فقد آثر أن يترك له لحيته مقابل الفرس الذى سرطان ماجا به
البدوى ، ويبدو أن أصالة هذا الفرس وحب سعود لبقاء لحية هذا البدوى
بشكل خاص هو ما دفعه الى التنازل عن العقوبة التمييزية الى النكال المادى ،
وتدل هذه الحادثة وغيرها على حرص حكومة الدرعية على تطبيق الأحكام
الشرعية بما يكفل احترام الدين ، كما تدل على احترام بعض البدو للأحكام
الصادرة من هذه الحكومة باعتبارها جهة دينية وسياسية فى الوقت نفسه
والإسلام لا يعرف التفريق بين الدين والسياسة (١) .
ولقد كانت القبائل التى تخضع للدرعية تنعم بنظام قضائى صالح وعادل
لتطبيق أحكام الشرع فيه وفى هذا المجال فإن الامام عبدالعزيز كان يركز على
أبناء البادية بالتزام النظام والاحتكام الى القضاء الشرعى لا العرفى ، وقد توسع
سعود فى ذلك حيث أكثر من القضاة ليشملوا مواطن البدو ، وكان يتشدد فى
اختيار القضاة من أطم الناس وأنزههم ، وقد دعم احترام هذا القضاء الشرعى
لدى البدو كونه عادلاً ونزيهاً على المصوم ، ومجانياً ، ومستقلاً وحراً لسلطان
لأحد عليه حتى ولا الامام ، وهذا ما جعل ابن البادية الذى لم يألف هذا
النوع من القضاء يأسره ، ولا يتصرف الا بحقتضى حكمه ويخضع له ولا يخضع لسواه
كما أن كون القضاء العرفى قبل الدعوة يلزم المتخاصمين دفع أموال للمقاضى
ما يؤثر على عدالة الأحكام الصادرة منه حيث يكون الحكم مع من يدفع ضد من
لا يدفع ، ومن يدفع أكثر ضد من يدفع قليلاً ، كون هذا القضاء بهذه الصورة

(١) د : العجلانى : عهد سعود الكبير : ١٢٩٠ نقلاً عن بركهارت .

وتأكيد حكومة الدرعية على مجانية القضاء ونزاهته أضفى عاملا رئيسا لاحترام البدوى لهذا القضاء الشرعى (١) .

وبالإضافة الى ذلك فان هذا القضاء الشرعى كان أسلوبا من الأساليب التى اتبعتها حكومة الدرعية والتى أدت الى تحضر البدو ووعيهم وهم فسى باديتهم (٢) لأن هذا القضاء قد طبق على البدوى والحضرى والغنى والفقير أحكام الشرع فلم يطبق على الحضر أسلوب البدو والجائرة حتى فيما بينهم ، بل طبق فيهم وفى الحضر الأساليب الحضرية المتمشية مع مبادئ القضاء الشرعى مما أخضع رؤساء القبائل لأحكام هذا القضاء ، وأوجد بالتالى نوعا من العلاقات الاجتماعية الطيبة بين القبائل البدوية فبدأت الأحوال فيما بينهما لأنها أصبحت تتحاكم فيما تختلف فيه الى القضاء العادل بعد أن كانت تتحاكم الى القضاء العرفى الذى يزد هذا الاختلاف ويؤدى به الى التناحر (٣) .

(١) د : المجلانى : المرجع السابق : ٣٢٧ .

(٢) يعتبر أسلوب الدولة السعودية الأولى فى هذا المجال أسلوبا مميذا للنظر حيث حرصت على تحضير البدو وسلوكا وبقائهم على أسلوب معيشتهم وسكناتهم فى الصحراء ادراكا من هذه الدولة بأهمية الحفاظ على الجوانب الايجابية فى حياة البدوى سواء كان ذلك من زوايا اجتماعية ببقاء البدوى محتفظا بعاداته وتقاليده الطيبة والتى يخشى عليها من الاندثار اذا تحضر ، أو من منظور اقتصادى بالحفاظ على مهنة من أهم المهن البدوية التى لا يستغنى عنها أى مجتمع مهما بلغت درجة رقيه وحضارته وهى مهنة الرعى التى تحافظ على التكاثر النوعى والعدوى للمواشى بدرجة لا تستطيع معها الزراعة وتربية المواشى عن طريقها أن تسد حاجة المجتمع منها ، يؤكد ذلك حرص الدول المتقدمة على هذه المهنة وتشجيع من يقومون بها ، وانما كان هذا الأسلوب لم يتح له التطبيق الفعلى على نطاق واسع لعدم تمكن الدولة - لأسباب عديدة - من ذلك فهو على الأقل يمثل جانبا من جوانب التطبيق العملى لنظرة الاسلام للبدو والبداوة .

(٣) د : المجلانى : المرجع السابق : ٣٢٩ .

ولما كان القضاء لدى بادية نجد قبل الدعوة منوطاً بشيوخ القبائل الذين يصدرون أحكاماً عشائرية قد تلزم المتهم - ولو لم يكن مذنباً - بالتزامات أدبية ومادية يعجز عن تحقيقها ، أو منوطاً بالقاضي العرفي الذي يفعل الشيء نفسه . وبأخذ البدوي النجدي الأحكام الصادرة من أي من الجهتين مأخذ التسليم المطلق ، لما كان القضاء البدوي بهذه الصورة فقد جاء تطبيق القضاء الشرعي لوجود نوط من الحرية الشخصية المنظمة لدى البدوي فجعله لا يعترف بالأحكام الصادرة من شيخ القبيلة أو العارفة - وإن كان يعززه - ويأتمر بأوامرها العامة - بل جعله ذلك لا يعترف إلا بحكم الشرع الذي يتقبله منشراح الصدر حتى وإن كان الحكم الصادر ضده (١) .

وكما مر فقد كانت حكومة الدرعية تجعل في كل قبيلة قاضياً ومفتياً وإماماً للصلاة ، وقد تجتمع هذه المهمات في شخص واحد ، إلا أن القاضي يبعث إلى البادية ليجلس سنة فقط ثم يعود ليرسل إلى قبيلة أخرى ويرسل بدله غديره ، ولعل السبب في ذلك خشية الدولة من سيطرة شيوخ القبيلة ووجهائها على سلطة القاضي إما عن طريق إكراهه أو اهانتته ، أو أن الخلافات بينه وبين أفراد القبيلة كانت تكثر ما يستلزم معها إرجاعه وإرسال غيره ، أو أن ذلك يخضع لتنظيمات داخل السلك القضائي تتطلب بعث هذا القاضي أو ذاك إلى هذه القبيلة أو تلك سواء كان ذلك راجعاً إلى شخصية القاضي أو لحجم القبيلة ومكانتها في المجتمع البدوي (٢) .

ولم يقتصر الأمر على هذا فقط بل كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلاميذه من بعده ، والأئمة من آل سعود يرسلون بين الفترة والأخرى رسائل ومواعظ عامة للمسلمين حاضرة وبادية مذكرينهم أحكام الدين وشرائعه ، وقد يلاحظ هؤلاء العلماء والأئمة ملاحظات على أهل بلدة معينة أو قبيلة فيخصونها

-
- (١) الأب انستاس ماري الكرملی : خلاصة تاريخ العراق الى يومنا هذا . مطبعة الحكومة . البصرة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م ص ١٦٥ ، مجلة الدارة ٢ / ٤ ص ١٧ .
- (٢) ابن بشر : ٢٣٩ / ١ ، الريكي : ٥١ ، حسين خلف الشيخ خزعل : مرجع سابق ٣١٧ .

برسالة فيها تذكير بالله سبحانه وأليم عقابه ، والحرص على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان أسلوب هذه الرسائل من الوضوح بحيث يفهمه طامة أهل نجد حاضرة وبادية علاوة على كونه يحوى كثيرا من الألفاظ النجدية العامة (١) .

على أن عدم الاستجابة السريعة من بعض بادية نجد للعبادى الدينية الإصلاحية التى جاءت بها الدعوة قد أوجدت بعض المظاهر السلبية التى ما من شك فى أنها أثرت على درجة التطبيق لأحكام الشرع بل والتزام أحكام الاسلام وبعض أركانها ، فخرج مجاهدة الدعوة ودولتها هؤلاء البدو على معرفة أحكام الدين ورغم التزام بعضهم بذلك وأدائهم الشعائر التعبدية من صلاة وزكاة ، والقائم أكثرهم السلم لهذه الدولة ، رغم كل ذلك فقد بقى قسم من أبناء البادية على بغيتهم وظالمهم وعدوانهم سواء كان ذلك على الحضر أو على من استضعفوه من البدو ومن دخلوا فى الدعوة ، وكانت الحكومة كلما أرادت تأديب مثل هؤلاء استندوا الى القبيلة التابعين لها ظانين أن ذلك يعجز ولاية الأمر من أخذ الحق منهم (٢) .

(١) لقد حفل تاريخ ابن غنام بعدد من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم مجموعة من رسائل الشيخ محمد وأبنائه وتلاميذه والأئمة من آل سعود فى كتاب " الدرر السنية " وقد نشرت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب فى أسبوعه ولكنها لم تحقق التحقيق المطلوب من هذا الأسبوع ، وقد نشرت أكبر رسائل الامام عبدالعزيز بن محمد بواسطة مؤسسة النور بالرياض ، والى الوقت الحاضر وعلماء الدعوة ، والحكام من آل سعود يرسلون بين الفترة والأخرى رسائل تحمل الأسلوب السابق نفسه ، وإن كانت تختلف عنها فى معالجة ما جد فى هذا العصر من القضايا ، وأصبحت كتابة الرسائل منذ تلك الفترة لهذا الهدف تقليدا يحرض علماء الدعوة وحكام آل سعود على التمسك به وتوجيه الناس عن طريقه .

(٢) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : الرسائل المفيدة :

الا أن أئمة الدولة السعودية الأولى كانوا بقوة جانبهم ، وعلى قدر ما يحدثه هؤلاء من البنى والظلم والعدوان والتعاون على اخفائه في أوساط القبيلة ، واستنادا الى النظام البدوى يجعل رئيس القبيلة والقبيلة كلها مسئولة عن أى جريمة يرتكبها فرد من أفرادها حتى يعثر على المجرم المحقيق ويحكم عليه ، استنادا الى ذلك كله فقد ساغ لهؤلاء الأئمة أن يؤدبوا ابن العم فى ابن عمه ليقوم بأداء ما وجب عليه من الحق والطاعة فى المعروف ، ونصرة المظلوم واغاشة الظهوف والبراءة من المحاربين وقطاع الطريق (١) ، ولا شك أن أبرز النتائج التى أعقبت تلك الاجراءات احترام الشرع ، ومبادئ الدعوة والداخلين فيها من قسم كبير من أبناء البادية ، طلاوة على تركيز المفهوم الدينى تجاه هذه الاجراءات المتشكلة فى بيان العقوبة من الله سبحانه على من آوى محدثا (٢) ، والأجبر العظيم منه سبحانه كذلك لمن دل ولاية الأمر على أى محارب أو قاطع طريق ، ومن هنا فانه كما أن لهذه الاجراءات جانبها الأمنى فقد كان لها جانبها الدينى نظرا لأن الأحكام كلها مستمدة من الشريعة الاسلامية التى ركزت على الجانب التأديبى ، وعلى الوعى بفلسفة هذا التأديب وحكمته ، وضافة الى أن هذه الاجراءات قد أدت الى الاحسان للبدو والمؤمنين لقطاع الطرق والمحاربين بتخليصهم من ارتكاب ما حرم الله عليهم ، والتالى فان ذلك كان سببا لصلاح قسم كبير من البدو وصيانة لأحوالهم الأمنية والدينية (٣) .

-
- (١) المرجع السابق : ١٥٦ ، وانظر محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة د : عبد الله العثيمين . ط (١) مطابع المطبوع . الدمام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ص ١٤٣ .
- (٢) ورد فى الحديث الذى رواه البخارى وسلم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لمن الله من آوى محدثا " .
- (٣) عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ : المرجع السابق : ١٥٧ ، وقد ذكر أن تلك الاجراءات هى التى تأولها أئمة الدولة السعودية الأولى وظهرت مصلحتها وقتل مفسدتها ، واستدل على ذلك بمن أخذ النبى صلى الله عليه وسلم ناقته العضباء وقال له : لم تأخذ سابقة الحاج ؟ . ولعل المقصود التى تسبق نوق الحاج فتسلبهم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذتها بجريرة حلفائك من ثقيف " أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وان توسيع نطاق هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) لتشمل
تسامين البادية في عهد هذه الدولة لمن الأسباب التي أدت الى تعميق الوعي

(١) تشبه هذه الهيئة ديوان الحسبة التي عرفها الماوردي بأنها أمر بالمعروف
إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، على أن هذه الهيئة قد
تنقضى اختصاصاتها عن الحسبة ، وكان أساس وجودها في المجتمع المسلم
قول الله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " آل عمران آية ١٠٤ ، أما أساس
تنظيمها في هذه الدولة فهي رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ / ٧٨٠م - ٢٤١هـ / ٨٥٥م) لأن فقرات
هذه الرسالة تقرب من اختصاصات هذه الهيئة ، وكذلك رسالة الحسبة
للإمام ابن تيمية (٦٦١هـ / ١٢٦٣م - ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م) ، وقد أكد الشيخ
وأئمة الدولة السعودية الأولى على أهمية هذه الهيئة حيث حددوا شروط
القائم بها في ثلاثة هي : ١ - أن يعرف ما أمر به ٢ - أن يكون رفيقا فيما
يأمر به وينهى عنه ٣ - أن يكون صابرا على ما جاء من الأذى ، وقد كانت هذه
الهيئة واسعة الصلاحيات في تلك الفترة فمن مراقبة الناس في أداء الصلاة جماعة
ومعاقبة المتخلفين عنها ، والقضاء على مظاهر الفسق والانحراف في المجتمع
الى مراقبة البيع والشراء ومطابقتها للشرع وعدم الخس في المكاييل والموازين
الى مراقبة الناس في تعدى بعضهم على بعض الى مراقبة القضاة وعدم محاباتهم
وجهرهم الى مراقبة أمراء المناطق بل مراقبة الامام نفسه ، وقد ظلت هذه
الهيئة محل تقدير أئمة وملوك آل سعود حتى الوقت الحاضر حيث لا تخضع
لأى سلطة ما عدا سلطة الامام أو الملك ، للتفصيل عن هذه الهيئة : (أحمد
ابن حنبل : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعليق اسماعيل الانصاري
مطابع القصيم . الرياض ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م . نشر دار الافتاء ، على بين
محمد الماوردي : الأحكام السلطانية ط ٣ مطبعة ومكتبة البابي الحلبي .
القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ص ٢٤٠ - ٢٥٩ ، أبو يعلى الفراء الحنبلي
الأحكام السلطانية تعليق محمد حامد الفقي ط ٣ مكتبة ومطبعة البابي الحلبي .
القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ص ٢٨٤ - ٣٠٨ ، أحمد بن تيمية : الحسبة في
الاسلام ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ، ص ٩٩٦ د . عبد الله
المعشيم : الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ص : ١٥١ - ١٥٣ ، جلال الدين -
العمري : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ترجمة عن الأردية محمد أجم -
الاصلاحي . نشر شركة الشعاع . الكويت . الكتاب بأكمله ، د : منير العجلاني : عهد
سعود ٢٤١ - ٢٦٤) .

الدينى لدى البدو ذلك أن قيام هذه الهيئة بمهامها فى أوساط البدو ساعد على التزامهم بأداء الشعائر التعبدية - وخاصة الصلاة جماعة - ومعاينة من لا يحضرها بدون عذر ، ومن المعتقد قيام هذه الهيئة بين البدو بمهام أخرى سواء كانت عقدية أو تعبدية أو مظهرية سلوكية تتناسب مع المهمات الموكولة اليها بين الحضر رغم عدم ذكر المصادر لأدوارها بين البدو بالتفصيل ورغم أن المرء يلمح تأثيرها فيهم ليس قويا لأسباب لعل من أبرزها انشغال الدولة بحروب القوى والقبائل النجدية ، وكذلك القوى غير النجدية ففى آن واحد تقريبا علاوة على مجئ حملات محمد على المدعوة من الدولة العثمانية فى وقت مبكر من قيام الدعوة السلفية ودولتها .

ورغم كل ما سبق فإن ما لا شك فيه وجود أثر لهذه الهيئة فى أضغاث شئ من الطابع الدينى على حياة بعض البدو تمثل فى تظاهر هؤلاء ببعض المظاهر الدينية التى جاءت الدعوة السلفية باقرارها والحث عليها ، ورغم أن بعض هذه المظاهر السلوكية كان التمسك بها بشكل واضح ومستمر مقتصر على زعماء القبائل الذين يلقى نواب (١) هذه الهيئة منهم كل احترام وتقدير باعتبارهم يمثلون أئمة الدولة السعودية الأولى الذين كانوا قد أعطوا هذه الهيئة صلاحيات واسعة وكبيرة ، رغم ذلك ، فقد كان طامة البدو والموالين للدعوة يحرصون على أن يظهروا أمام هؤلاء النواب بالمظهر الإسلامى اللائق بمن هم تابعين للدعوة السلفية على أن ذلك كان لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر الولاء العلنى فقط عند بعض هؤلاء البدو ساعدهم على ذلك جو الصحراء الفسيح ، وكراهية الدولة للتجسس ، وخاصة فى أوساط البدو ، علاوة

(١) كان يطلق على أعضاء هذه الهيئة النواب وواحد منهم نائب منذ عهد الدولة السعودية الأولى كما تطلق الهيئة - بتحريف لفظى - عليهم جميعا أو على أحدهم ، وإلى وقت قريب بل إلى الآن وهذان الاطلاقان ساريان عليهم فى بعض المناطق والبلدان النجدية ، وعن قدم هذه اللفظة : (ابن بشر : ١ / ١٩١) .

على أن دور هذه الهيئة بين البادية - فيما يبدو - لم يكن بالقوة التي كان عليها بين الحضرة (١) .

وكان أئمة الدولة السعودية الأولى من الحذب على هذه الهيئة أن كانوا في رسائلهم العامة للمواطنين بادية وحاضرة يؤكدون على أهمية أدوارها بل يلزمون أمراء المناطق ومشائخ القبائل الموالية لهم بتأييد أعضائها ، والقيام بأدوارها انطلاقاً من تأكيد الدعوة السلفية على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان التعريض بترك الصلوات الخمس أو عدم الاهتمام بوقتها وتجميعها من أطراف البوادي والوارد والمزارع النائية عن البلدان من ملامح تلك الرسائل ، علاوة على نقد الأوضاع الدينية عامة مما تعتبر داخلية في اختصاص هذه الهيئة (٢) .

ولعل من أبرز مظاهر عدم الاستجابة السريعة من بعض البدو الامتناع عن أداء بعض الشعائر التعبدية ، ومنشأ ذلك ما حدث من تغيير اجتماعي في بعض القبائل بعد الدعوة نتيجة رفع أمراء أفخاذ صغار إلى إمارة قبيلة كبيرة كالذي أسره مثلاً الذين رقي فيهم ربيع بن زيد رئيس فخذ المخاريم إلى إمارة القبيلة كلها حاضرة وبادية ما ترتب عليه احتقار كبار مشائخ القبيلة وحسد لهم هذا المنصب ، وعدم اعترافهم بهذه الإمارة العامة عليهم إذ يرى بعضهم نفسه أولاً بهالخاله من رصيد قيادي سابق مما أوجد حاجزاً نفسياً بين زعماء هذه القبيلة الموقوفين قبل الدعوة ومن تابعهم ، والأمير الرسمي الذي لم يكن يملك ولاً جمعياً في القبيلة علاوة على ما يبدو وأنه كان ينتهجه من قسوة في معاملة معارضيه من زعماء أو أفراد ، وهي قسوة لم تكن تألفها هذه القبيلة أو غيرها سواء كان ذلك فيما يتعلق بالولاة الجماعية لأمير عام ، أو الانصياع لحكومة مركزية منظمة ، وهو ما يحتاج إلى شيء من الترويض.

(١) مقدمة تقرير جان ريموند : ص ٣ ، Burchhardt . Nots. 1/106

(٢) د : العجلاني : المرجع السابق : ٢٤٣ ، كما أن الرسائل الوعظية في المرجع

نفسه تؤكد على أدوار هذه الهيئة من ص ٢٤١ - ٢٦٤ .

ولما كانت الزكاة تعتبر مظهرا من مظاهر الولاية للأمر الأقليمي أو القبلي المميز من الحكومة السعودية وبالتالي فهي مظهر من مظاهر السيادة لهذه الحكومة، لما كانت الزكاة كذلك فقد كان عدم أدائها يشكل خرقا لهذا السيادة وتلك السيادة وهو أبرز ما كانت تلجأ إليه الفئات المتمردة عن طاعة حكومة الدرعية، وفي هذا المجال حفظ لنا الشعر الشعبي المروي صورة من هذا القبيل، ويبدو أن لها أثلة في بعض القبائل حيث يوجد فيها بعض المناوئين للحكومة المركزية، أما ما أطلعت عليه في هذا فقد كان في الدواسر حينما حاول ربيع بن زيد أن يشمل بولايته كافة الدواسر كما نص عليه تعيينه ووفق يجمع الزكاة الشرعية رمزا لهذه الولاية، حيث ناوأه قسم من الدواسر كما مر ذكره في الفصل الأول فرفض أداء الزكاة، وجعل ربيعا هدفا لسخريته وتندرته وصاغ ذلك على شكل أهانج حرب، أو أراجيز من تلك التي ترد عند مزاوله أي عمل من الأعمال أو حرفة من الحرف، فمن ضمن ما يروى في هذا الصدد قولهم عن ربيع:

ربيع شيخ هبيل : يبغي من الوادي زكاة (١)

وهذا البيت كما يصور السخرية والرفض عن أداء الزكاة بسبب أن ذلك يتم عن طريق ربيع بن زيد، فانه يصور مظهرا من مظاهر عدم الاستجابة الشرعية لأداء الشعائر التعبدية سواء كانت مالية أو بدنية، وهو بالتالي يعطى تصورا عن نسبة التأثير الديني بحادئ الدعوة السلفية بين القبائل الموالية للدولة كما أنه يعمد إلى الأذهان قصة امتناع بعض القبائل العربية عن أداء الزكاة في أول عصر الراشدين إلا أنه هنا لا يعدو أن يكون جهلا بأهمية الزكاة كركن من أركان الاسلام وكونها عنوانا للالتزام بالنظام الذي لم يألونه، تلاوة على أسلوب بعض الأمراء في تحصيلها وصرفها فيما يبدو.

(١) هبيل : من الهبل وهو الكسب باحتيال، وان كان قد يأتي بمعنى خفة العقل، والوادي : وادي الدواسر، ومعنى البيت استحالة دفع الزكاة لربيع لأن البيت يحمل السخرية منه، والتهديد بالامتناع عن أدائها والبهت الثاني الذي سيأتي الكلام عنه يؤكد هذا المفهوم، (الفيروز آبادي : ٦٧ / ٤)، أما البيت فهو من مروياتي عن أحد الدواسر.

على أن ذلك لم يقتصر على الامتناع عن أداء الزكاة بل تعداه الى الامتناع عن أداء الصلاة أحيانا (١) لدى بعض الفئات من القبائل المؤدية للدعوة كمظهرين من مظاهر التحدى السافر لهذه السيادة الجديدة في نظر تلك الفئات ، ويبدو أن لأسلوب المعاملة الذى تنتهجه بعض القيادات القبلية الجديدة دور كبير فى هذا حيث أساءت به الى الدعوة السلفية ، وإلى المدعوين من قبيلتهم .

يؤكد البيت التالى هذا الامتناع عن أداء الصلاة باعتباره أبلغ فى التحدى لهذه القيادة الجديدة من الامتناع عن أداء الزكاة حيث كانوا يرجزون بعد البيت السابق بقولهم :

لعيون منسوع الجديل : ما عاد نركع للصلاة (٢)

وهغض النظر عن دقة دلالة اللفظ على الواقع الدينى لديهم حيث قد يجوز أن يكون ذلك من باب التلفظ فقط لابرار التحدى ولا يعنى الحقيقة ، فإن ابرار التحدى بهذا الأسلوب ينم عن جهل عميق بالدين الاسلامى كما ينم عن عدم استعداد لتلقى مبادئ هذا الدين ، وهو بالاضافة الى ذلك يبين نسبة التأشير الدينى من قبل الدعوة السلفية بين الدواسر ، ويجدر بالذكر هنا أن هذين البيتين وما يندرج تحتها من مفاهيم لا يمكن أن يكونا نتيجة للتحوّل الدينى بـمين البدو عقب سقوط الدرعية إذ أن ذلك يدخل فى نطاق تحدى بعض الدواسر لربيع بن زيد الذى كان واليا لواءى الدواسر حتى عهد سعود أو أوائل عهد ابنه

(١) اما الامتناع عن ذلك كله أو الامتناع عن اقامته اجماعة ، وهو ما كانت تؤكد عليه تعليمات الدعوة السلفية انطلاقا من تأكيد الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك فى عدد من الآيات والأحاديث .

(٢) لعيون : أى لأجل عيون ، وفيه قسم بغير الله ، الا أن يكون هناك مقدر بلفظ الجلالة فيكون الكلام : والله لأجل عيون ، منسوع : لعلها من النسع بمعنى الظهور ، أو الاسترخاء ، أو الطول ، وكلها دواعى تفضل بشعر المرأة ، الجديل : من فصيل بمعنى مفعول ، وهو الشعر المقتول باحكام ، وكان الجدل من علامات الجمال عند المرأة حتى لتسمى به بعض النساء كجديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير بل أصبح علما لحنى من حمير ينتسب لها ، على أن بعض رجال البدو يجدلون شعورهم كذلك ، ما عاد ، أى لن نعد عن تحليل الكلمات : (الفيروز آبادى : ٣ / ٨٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧) ، أما

عبدالله ثم خلفه ابنه قاعد كما مر بيانه في الفصل السابق (١) .

ولا شك أنه رغم وضوح هذه الصورة لدى قبيلة الدواسر فإن من المؤكد وجود ما يشبهها لدى بعض القبائل النجدية الأخرى بنسب أكبر مما لدى الدواسر ، ويكيد للدعوة ورغبة في القضاء عليها وعلى كيائها السياسي أكثر منه جهلا بأحكام الدين والولاة لحكومة منظمة كما هو الحال لدى الدواسر وبعض البدو .

ولعل أهم قبيلة برزت فيها هذه المظاهر بشكل واضح هي قبيلة الظفير التي اتخذت من تركها لبعض الفرائض الدينية وسيلة للخروج عن طاعة حكومة الدرعية التي كانت ترى في أي خروج جماعي عن تعاليم الدين الاسلامي الأساسية خروجاً عن طاعتها نظراً لأن هذه الحكومة قامت لتتبنى هذه المبادئ ، ولأن ترك هذه الفرائض يسبقها أو يعقبها خروج مسلح على هذه الحكومة ، وهو ما حدث من هذه القبيلة سنة ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م كما أشرت الى ذلك في الفصل الأول حيث قد تزامن تركها لبعض فرائض الدين في تلك السنة مع تحزبها بجموع من بعض القبائل المناوئة للدعوة التي يبدو أنها اتفقت معها في ترك هذه الفرائض اما ابتداءً حيث لم تصلها مبادئ الدعوة السلفية أو لم تدخل في طاعتها رغم علمها بهذه المبادئ ، واما أنها قد دخلت في هذه الطاعة مثلها في ذلك مثل الظفير وأرادت التحلل من هذه الشعائر التعبدية كمظهر من مظاهر تحديدها للدولة السعودية الأولى ، ومعارضتها للدعوة السلفية ، واذ كان ابن بشر لم يبين هذه الفرائض التي كان تركها مع هذا التحزب سبباً في ارسال جيش سعودي عرمرم ضم قسماً كبيراً من البلدان والبادي الموالية للدعوة وبقيادة الامام سعود نفسه ، اذا كان ابن بشر لم يبين ذلك فان ذلك - فيما يبدو - كان متمثلاً في الامتناع عن دفع الزكاة ، وأداء الصلاة كلية ، أو الاجتماع عليها في الموارد والمقاطن وهو ما كان يعتبر مظهراً من مظاهر المتابعة للدعوة السلفية وحكومتها ويلقى المتهاون به التوجيه أو التأديب (٢) .

= البيت فهو كسابقه ضمن افادة شفهية من أحد الدواسر .

(١) ابن بشر: ٢٣٧/١ ، ٢٨١٠

(٢) ابن بشر: ١٨١/١ ، ١٨٢٠

وما من شك في أن الدعوة السلفية رغم كل ماسبق لم تتمكن من حمل البدو على الاهتمام بالأمور الدينية بشكل كبير لانشغال الدولة السعودية الأولى بتوحيد منطقة نجد ثم نشر الدعوة خارجها ، ولم يتسنى لها بعد أن فرغت من ذلك أن تتفرغ للبدو ولتكشف لهم الحملات الدينية لاصطدامها بالقوى غـيـير النجدية ، ولأن الدولة العثمانية قد جدت في القضاء على هذه الدولة الوليدة بأي شكل كان ، إذ لو فرضت العزلة على نفسها حتى تتمكن من تلقين البدو والحضر الدين على حقيقته كما تهدف اليه ، ثم انطلقت بعد ذلك في الفتوحات لاستطاعت أن تحول بين بعض البدو وبين ما كان يروم اليه من التخلص من تعاليم الدين التي جاءت بتجديدها الدعوة السلفية والتي كانوا يعتقدون أنها عقبة في سبيل حريتهم (١) .

ورغم أن قسما كبيرا من القبائل الخاضعة للدولة السعودية خضوعا مباشرا قد اضطرت طيلة عهد هذه الدولة الى مراعاة قواعد الدين الاسلامي الرئيسية مراعاة دقيقة الا أن قسما من بعض هذه القبائل كان يظهر منتهى اليمـان والحماسة في سبيل هذه الدعوة خدمة لمصالحهم الشخصية فقط ، وبقيت قلوب بعضها غلغا بعيدة عن الدين تنتظر أي فرصة تسنح لتتخلص من تعاليمه ، فلم تكدر جيوش محمد علي تقضى على قوة السعوديين حتى يادر قسم من هؤلاء البدو الى التحلل من تلك الطقوس الدينية التي أرهقتهم على حد اعتقادهم (٢) .

ومن أبرز مظاهر هذا التحلل هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط البدو ، علاوة على تعطيل بعض الشعائر التعبدية ، وكذلك تعطيل التحاكم بالشريعة ، وانشغال البدو بالغارات على المدن والبلدان وعلى بعضهم البعض عن اقامة تلك الشعائر مما جر الى انتشار بعض المظاهر الانحرافية عن الدين وأصبح ذلك أمرا مألوفاً بين البدو وبعد ما كان من يقوم به يلقى العقاب من حكومة الدرعية (٣) .

(١) ر . ب . دوزي : تاريخ مسلمي أسبانيا : ١ / ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) المرجع السابق : ٣٤ .

(٣) ابن بشر : ١ / ٢٨٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٢ / ٧ ، د : العجلاني : عهد عبد الله بن سعود : ١٣٥ .

وكان لاهانة ابراهيم باشا بعد سقوط الدرعية وكذلك جنود الحاميات التركية فيما بعد للعلماء وأئمة المساجد النجديين الدور الأكبر في انحراف كثير من النجديين حاضرة وبادية ، علاوة على ما أفرزته تلك الجموع التركية من مؤثرات عقدية منافية للتعاليم السلفية حيث انتشرت مثل هذه المؤثرات في أوساط البدو خاصة وأصبح الاعتقاد بهما ألوفاً لدى هذه الأوساط (١) .

وفي هذا المجال يقول أحد الباحثين الغربيين بعد سقوط الدرعية :
" ان الدين اليوم يكاد يكون منعدماً في الصحراء ، وليس هناك من أحسد يراعى أوامر القرآن ونواهيه " (٢) .

وعلى أى حال فرغم أن الأثر الديني للدعوة السلفية على البادية في تلك الفترة لم يكن على مستوى كبير يرضى طموح هذه الدعوة ، ولم يـُـؤدِ النتيجة التي كان يرجوها علماء وأئمة الدعوة له ، ورغم ما زامنه وأعقبه من مؤثرات دينية مغايرة أثرت على نسبه بين هؤلاء البدو ، رغم كل ذلك فإنه قد شكل أرضية جيدة لمحاولات التوجيه والتوعية الدينية التي حصلت للبدو فيما بعد حيث أن ما حصل عليه البدو من تعاليم سلفية وإن كانت قليلة، ولم تنتشر بين البدو والنجديين عامة قد كونت مادة رئيسية لعودة تلك القبائل للولاة لهذه الدعوة السلفية وكيانها السياسي في أدوارها التي تلت بعد ذلك .

(١) ابن بشر : ٢٨٢/١ ، ٣٠٢ ، مقبل الذكير : طوق الحماة : ٨٦ ،
المعقود الدرعية : ٥٥ ، العجلاني المرجع السابق : ١٣٦ ، محمد
الأحمد السديري : أبطال من الصحراء : ٢٢٢/١ ، ٢٣٢ - ٢٣٤

R. B. Winder, Saudi Arabian. The 19 Century, P. 56.

(٢) دوزي : المرجع السابق : ص ٣٤ .

الفصل الثالث

أثر الدعوة على مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد :

رغم كل ما سبق ذكره في أول الباب من صعوبة تلمس آثار الدعوة السلفية على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد بالتفصيل إلا أن الباحث لا يعدم أن يلمح أشارات من هنا أو هناك تعطى بعض الملامح لآثار الدعوة على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية لدى تلك البادية على اختلاف في تقدير نسبة هذا التأثير بين قبائل البادية النجدية .

ومن المؤكد والدعوة قد ضمت في ولائها عددا من تلك القبائل - على اختلاف في درجة هذا الولاء بينها - أن تكون قد تركت تأثيرا واضحا على بعض جوانب الحياة الاجتماعية لدى تلك القبائل التي طمن شك في أنها في محاولة منها لإثبات ولائها لهذه الدعوة قد أتاحت للمبادئ السلفية من التغلغل إلى بعض جوانب حياتها الاجتماعية فتنازلت عن بعض مظاهر تلك الحياة السيئة وسمحت للمبادئ السلفية بتوجيه المظاهر الاجتماعية الجيدة لديها وجهة دينية على أن هذا التأثير كان نسبيا بين القبائل وبين مظاهر الحياة الاجتماعية فسي القبيلة الواحدة ذلك أن اختلاف الولاء السلفي بين القبائل قد ساعد على اختلاف نسبة هذا التأثير السلفي بينها علاوة على أن أي قبيلة والت الدعوة ولا جيدا لم تكن على استعداد للتنازل عن موروثة اجتماعية قديمة خصوصا وأن الدعوة - فيما يبدو - لم تصطدم بتلك القبائل لأجل الموروثة طامت لاتتعارض مع مبدأ عقدي من تلك التي أكدت الدعوة على تسيير دفة الحياة الاجتماعية على أساسها .

وفى هذا الفصل سأحاول - على ضوء المعلومات المتوافرة - أن أبين جوانبها من التأثير السلفى على بعض نواحي الحياة الاجتماعية لدى البادية النجدية سواء كان ذلك بالنسبة للعادات والتقاليد أو الوضع القبلى الذى نجم عن انتشار هذه الدعوة بين تلك القبائل وسواء ترتب على ذلك تغيير فى الوضع القبلى تحركا بين القبائل أو كان تغييرا اجتماعيا والقبيلة فى مراتبها التى كانت تقطنها قبل الدعوة :

١ - أثر الدعوة على الوضع الأمنى :

ان الأمن المقصود به هنا هو اسم جامع لكل ما يحفظ للانسان حياته وكرامته من أمن جنائى الى أمن غذائى الى أمن اجتماعى ، وهو ما تسعى الحضارات والدول بمختلف أساليبها الى ايجاده لشعوبها ، وما من شك فى أن الاسلام قد حرص - عبر آدابه وتشريعاته الى توفير الأمن بمختلف أنواعه من حثه على الرعى والزراعة والتجارة والصناعة الى قطعه لدايم الجريمة وفساد الأخلاق فى المجتمع الى حرصه على رعاية الفرد والحفاظ على الأسرة باعتبارها عمار المجتمع الى تنبيهه لبدأ التكافل الاجتماعى بجانبه المعنوى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والطاى بتوفير العيش الكريم فى أوساط المجتمع المسلم لمن يحتاجه ولا يستطيعه عبر الزكاة والصدقة وغيرهما من وجوه البر والاحسان فى تفصيل فى ذلك كله ليس هنا مجال البسط فيه .

ولقد حرصت الدولة السعودية الأولى بتطبيقها لمبادئ الدعوة السلفية على تهيئة السبل لتنفيذ كافة أنواع الأمن بين البدو وتمهيدا لاستتباب الأمن المقصود بذلك وهو الأمن فى السبل وبين المراتب التى استفادت منه بالدرجة الأولى حاضرة نجد أكثر من باديةها .

ولما كانت هذه الدولة قد أشبعت نهم البادية فى ككرة غزواتها مستفلة فى ذلك محبة البدوى للغزو علاوة على توجيهها لهذا الغزو نحو

الأهداف السامية التي جاءت بها الدعوة السلفية بجعله جهادا في سبيل الله لا يحد كيان سياسي منظم ، لما فعلت الدولة ذلك فقد قنع البدوي النجدي بذلك لممارسة رياضة الغزو لديه ، ثم انها - في نطاق ذلك - قد سدت حاجة البدو الاقتصادية من هذا الجانب ، فقد أبدلت البدوي الكسب الذي يحصل عليه من جراء غزواته التي كان يقوم بها في فترة ما قبل الدعوة هذا الكسب الذي يعتبر موردا اقتصاديا ضروريا في نظر البدوي ، أبدلته بغنائم الحروب التي كانت تقوم بها ويتم توزيعها على المحاربين وفق الأحكام الشرعية المرتبة لذلك ، ولا شك أن شمول توزيع الغنائم على المحتاجين من الفقراء والمساكين قد أوجد تكافلا اجتماعيا في أوساط البدو وبخلاف توزيع كسب الحروب السابقة ، وأوجد بالتالي ارتياحا عاما من البدو تجاه هذا التوزيع الشرعي ، علاوة على أن كثرة تلك الغزوات وكبر حجمها أحيانا كانا يؤديان إلى مردود مالي جيد بالقياس إلى الغزوات البدوية قبل الدعوة (١) .

ونظرا لكون الضرائب العروية أو الاخاوات تشكل موردا ماليا جيدا للبدو قبل الدعوة سواء تلك التي يفرضونها على القوافل التجارية أو حملات الحج أو أي مجتاز للصحرى ، ونظرا لكون عوائد هذا المردود لاتصل إلا إلى الأقوياء من البدو ، وحرصا من الدولة - من قبل ومن بعد - على توسيع المنافذ المؤدية للأمن في نجد ، نظرا لهذا كله فقد قامت الدولة السعودية الأولى بحرب شعواء ضد هذه الاخاوات ، وهي في سبيل تنفيذ ذلك قد رتبت رواتب مجزية من بيت المال لزعماء القبائل التي تتعرض للطرق وخاصة طرق الحج ، وما من شك في أن هذا الأسلوب يعتبر أسلوبا مثاليا للقضاء على ظاهرة قطع الطرق بتجفيف الروافد المؤدية إلى ذلك بتلبية حاجات الضرورة الاقتصادية الملحة التي تدفع للقيام بهذا العمل

(١) ابن بشر : ٢٢٨ / ١ ، الرعي : ١٧٠ ، د : عبد الرحيم عبد الرحمن : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

طريق اجراء تلك الرواتب ، وأخذ التعهد من الزعماء بعدم القيام بكل ما من شأنه تعكير صفو الأمن في الطرق العامة في نجد وخاصة تلك التي يسلكها حجاج بيت الله الحرام (١) .

وقبل هذا وذاك فقد كان دور الزكاة كبيرا في تحقيق قدر واسع من الأمن الاجتماعي بين البدو إذ كانت من أهم العوامل التي سدت الفراغ الاقتصادي الذي خلفه القضاء على الاخوات ، ولما كانت تشكل موردا ماليا كبيرا لبيت المال سواء تلك التي تجبي من الحضر أو البدو فقد كسبان توزيعها شاملا لمصارفها الشرعية بين الفريقين ، ولا شك أن مجيء تلك الكمية الكبيرة من زكاة البدو - كما مر - دليل على اقتناع البدو بالمرود الاجتماعي الجيد لها اضافة الى معرفتهم بها كركن من أركان الاسلام رغم وجود بعض مظاهر التحدي للسلطة الاقليمية أو المركزية التي كانت تصاحب قبضها كما مر (٢) .

أما الأموال المصادرة أو النكال المادي الذي كان يقضى بضمها الى بيت المال وصرفها في مصارفه فقد كان من أهم أهدافها سد حاجة المحتاجين من أبناء البادية والحاضرة على حد سواء مما يجعلها تحقق قدرا من الأمن الاقتصادي يدفع البدو - بشكل خاص الى سد حاجتهم عن طريق ذلك بدلا من سدها عن طريق الغزو والنهب والسلب مما يجعلها بالتالي تسهم بدور جيد في تحقيق الأمن الجنائي بين البدو أنفسهم وبين البادية والحاضرة (٣) .

(١) ابن بشر: ١٤/١ ، الربيعي: ١٧٠ ، جاكين بيرين: ٢٧٧، ٢٧٨ .

(٢) د: عبدالرحيم عبدالرحمن: ٢٤٢ - ٢٤٦ .

(٣) ابن بشر: ١٦٩/١ ، ١٧٣ ، الربيعي: ٥١ ، د: عبدالرحيم -

عبدالرحمن: ٢٤٧ .

وما من شك في أن هذه الموارد الرئيسية قد أدت دورا رئيسيا في تحقيق أهداف الدولة السعودية الأولى باستتباب الأمن بكافة أنواعه ، وهي إذ قامت بتنفيذ حقوق المسلمين عامة والبدو وخاصة في بيت المال من هذه الموارد فانما أرادت أن تقضى على الدافع الاقتصادي وراء تعكير الأمن في نجد .

ولقد حرصت هذه الدولة على توجيه الصرف من هذه الموارد بما يحقق مبدأ التكافل الاجتماعي وبما يساعد على تخفيف الروافد المؤدية الى الاخلال بالأمن وخصوصا في أوساط البدو ، ومن هنا فقد كان الصرف على المساكين والفقراء ، وأبناء السبيل ومن تحمل بهم كوارث أو يتوفى عائلهم من أوائل أوجه الصرف من بيت المال باعتبار أن هذه الأوجه من مصارف الزكاة الشرعية التي تعتبر موردا رئيسيا من موارد بيت المال فكان الامام ملزما بتقديم الصرف على هذه الأوجه عن غيرها من المصارف الأخرى (١) .

ثم ان تنفيذ الدولة لمبدأ الضمان الاجتماعي كان عاملا من عوامل الاستقرار وشموع الأمن في المجتمع ، ذلك أن كثيرا من أعمال السلب والنهب التي كان يقوم بها بعض أبناء البادية وبعض أبناء الحاضرة أيضا مبعثها الفقر والفاقة وعدم موجود من يمول هذه الأسرة أو تلك ، وفي هذا السبيل يذكر المؤرخون أنه كان اذا مات الرجل في جميع نواحي نجد أتى أولاده الى الامام عبدالعزيز وابنه سعود يستخلفونه (٢) فيعطونهم عطاء جزيلا ، وربما كتب لهم في الديوان راتبها شهريا أو سنويا على شكل ضمان اجتماعي (٣) .

(١) المرجع السابق : ٢٤٨ .

(٢) يستخلفونه : من الاستخلاف بمعنى يطلبون منه أن يكون خليفة لهم عن عائلهم بالانفاق عليهم أو تهيئة فرص العمل للقادر منهم .

(٣) ابن بشر : ١٧٣/١ ، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية

السعودية : ٨٣/١ .

وبالإضافة الى ذلك فقد اهتمت الدولة بالضعفاء والمساكين الذين ربما يؤدى تركهم الى ارتكابهم للجرائم فكان هؤلاء بمجرد قدومهم الدرعية وتقدمهم كتابا يبين حاجتهم وفاقتهم يوافق عليه الامام ولو كان مع أحدهم أكثر من كتاب باسماء متعددة، ولا شك أن في هذا الاجراء قطع لداير الجريمة بقطع مسبباتها وخاصة بين البدو ، كما أن فيه ترسيخ وتعميم لمبدأ التكافل الاجتماعى فى أوساط المجتمع النجدى (١) .

والدولة السعودية بالإضافة الى ذلك قد حرصت على تركيز الاهتمام بالاكثار من الصدقات فى المجتمع النجدى عن طريق ارسال الصدقات من بيت المال وتشجيع الأثرياء بدفع صدقاتهم الى فقراء البلدان والنواحي وضعفاء البوادرى .

وكان شهر رمضان المبارك مجالا رحبا لصرف المزيد من صدقات التطوع والزكاة الشرعية مما جعل فقراء ومساكين نجد حاضرة وبادية يفتدون الى الدرعية ويقيمون فيها طيلة الشهر الكريم يطعمون ويشربون ليحصلوا فى آخره على ملابس وعطاء مالى ، على أن الدولة تأمر أمراء الأقاليم بالانفاق على بيوت الضيافة فيها فى رمضان وغيره وترسل لهم مخصصات لهذا الغرض اذا بقى وفر فى بيت المال بعد ارسال الصدقات الى النواحي والبوادرى لمن لم يتمكنوا من القدوم الى الدرعية فى رمضان (٢) . وكانت المحصلة الطبيعية لهذه الاجراءات التكافلية وغيرها مما ليس هنا مجال التفصيل فيه أن خفت حدة السلب والنهب التى كان يقوم

(١) ابن بشر : ١٧٣/١ د : العجلانى : عبدالعزيز بن محمد ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٢) ابن بشر : ٢٣٠/١ : ٢٣١ .

بها البدو فيما بين بعضهم البعض أو فيما بينهم وبين الحاضرة فتشير مصادر تلك الفترة الى شيوع قدر جيد من الأمن في المجتمع النجدي حاضرة وبادية في جل عهد هذه الدولة (١) .

واستكمالا لتلك الاجراءات الوقائية ضد ما كانت تعاني منه نجد من أمراض اجتماعية نتيجة الفوضى ، فقد كان أئمة هذه الدولة من الحزم والسرعة والدقة في تنفيذ الأحكام التأديبية ضد أي بادرة يشم منها رائحة العودة الى أسلوب النهب والسلب مهما كانت الحادثة المصاحبة لهذا الأسلوب صغيرة أو كبيرة (٢) .

وانا كانت النظرة المتبادلة بين البدو والحضر والملاقاة الاجتماعية المترتبة على ذلك سيئة على ما مر بيانه في الباب الثاني ، فان هذه العلاقة قد تغيرت نسبيا وقلت العدواة بينهما في هذا العهد خوفا من النظام على الأقل - فلهم ذكر عن غزو بدوى على القرى والبلدان النجدية ، بل ولم يذكر عن نهب وسلب قام به أحد البدو ضد الحضر حتى وهم في الصحارى في أيام الربيع وغيره وهم يجمعون العشب أو الحطب (٣) .

ويشير المؤرخون في هذا الصدد الى أن المسافرين يسافرون في عهد الامام عبدالعزيز بن محمد بالأموال ولا يتعرضون له أحد يسلب أو نهسب ، علاوة على أن عامة أهل نجد يتركون مواشيهم ترعى في أوقات الربيع ولا يتعرض لها أحد من أبناء البادية (٤) .

-
- (١) ابن بشر: ١/١٢٠، ١٧١، د: العجلاني: عهد سعود بن عبدالعزيز ٢٣٠، د: محمد عبدالله ماضي: النهضة الحديثة في جزيرة العرب ط (٢) نشر دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م ٧٨/١ .
(٢) د: عبدالرحيم عبدالرحمن: المرجع السابق: ٢٢٨ .
(٣) ابن بشر: ١/١٧١ .
(٤) ابن بشر: ١/١٦٩، ١٧٠ .

ولما كانت المواشى تشكل مصدرا رئيسيا للاقتصاد النجدي في تلك الفترة ولما كانت الابل بشكل خاص ما يعتنى به النجديون حاضرة وبادية ، ويضطرون لرعيها وهي سائبة في أوقات الربيع ما يعرضها للضياع والسرقة ، وهي ما تسمى بضوال الابل أو الهمل (١) بلفة نجد الدارجة ، تلك الضوال التي عنيت بها الدولة السعودية الأولى في نطاق الترتيبات الأمنية التي اتبعت في تنفيذها أسلوب الاسلام في هذا المجال (٢) فقد قضت هذه الترتيبات أن من وجد ابلا ضالة يقدم بها الى الدرعية فيسلمها الى الحكومة التي خصصت لها رجلا يحفظها (٣) ، ويحصل فيها رعاة ، ويتماهاها بكل ما تحتاج حتى كانت تتناسل أحيانا قبل أن يأتي صاحبها للبحث عنها ، وقد عمت الدولة على الناس بأن كل من له شيء منها أن يأتي بشاهدين أو شاهد مع يمينه ويأخذها ، ويهد وأنه فسي حال الضرورة كانت تعرف ثم تباع حتى اذا جاء صاحبها وتحقق منه أعطى ثمنها على طريقة عثمان رضى الله عنه في ذلك (٤) .

-
- (١) الهمل بفتح الهاء والميم يندرج تحتها عدة معان وهي بهذا المعنى فصيحة . (الفيروز آبادي : ٧١/٤) .
- (٢) لقد مر القضاء في ضوال بهيمة الأنعام عموما والابل خصوصا بمراحل لخصها الامام مالك رحمه الله في موطأه تحت عنوان القضاء في الضوال ، فأورد فيه عن سليمان بن يسار أن ثابت بن الضحاك الانصاري أخبره : أنه وجد بعيرا بالحرّة فعقله ثم ذكره لعمر بن الخطاب ، فأمره عمر أن يعرفه ثلاث مرات فقال له ثابت : انه قد شغلني عن ضعفتي ، فقال له عمر : أرسله حيث وجدته ، كما أورد عن سميد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال وهو مسند ظهره الى الكعبة : من أخذ ضالة فهو ضال ، كما روى عن ابن شهاب قوله : كانت ضوال الابل في زمان عمر بن الخطاب ابلا مؤلة - أي متروكة مهلة - تنائج لا يمسها أحد حتى اذا كان زمان عثمان بن عفان أمر بتعريفها ثم تباع ، فاذا جاء صاحبها أعطى ثمنها أه . (الامام مالك : الموطأ ص ٥٣٨) .
- (٣) ذكر ابن بشر اسم الرجل المسئول عن ذلك وهو عبيد بن يميث . (١٧٠/١) .
- (٤) الموطأ ص ٥٣٨ ، ابن بشر : ١٧٠/١ ، صلاح الدين المختار : ٨٢/١ .

ولم يقتصر ذلك على الابل فقط فقد أمنت كافة المواشى ، وفى هذا
الصدر يذكر ابن بشر حادثة نقلا عن علماء نجد (١) أن رجالا من
البدو المشهورين بالتهب والسلب قد وجدوا عنزا ضالة فى أحد مراعى
نجد (٢) وهم جميعا نتيجة بقائهم يومين أو ثلاثة بدون طعام ، فقال
بعضهم لبعض : لينزل أحدكم على هذه العنز فيذبحها لنا لنأكلها
فكل منهم يقول لصاحبه : انزل اليها فلم يستطع أحد منهم النزول خوفا
من العاقبة على الفاعل (٣) .

كما يروى صاحب السلمع - وهو من المصادر غير المؤيدة للدعوة -
قصة مؤداها أن امرأة من بريدة فى القصيم ذات جاء وجمال ومال خرجت
الى الصحراء فى الربيع ببعض خدمها وفى الرجوع الى البلدة وحينما جن
الليل انفردت عنهم فبرز لها أحد لصوص الصحراء فخوفته بحزم وشدة
الامام عبدالعزيز بن محمد ولكنه لم يرعو بل أخذ يتحلق لها حتى أخذ
بعض حليها وخلق سبيلها فاغتنتم تركه لها وهربت فلما وصلت بيتها -
أخبرت زوجها بما حدث فرفع المشكلة الى حكومة الدرعية حيث أخذت تجرى

-
- (١) هو الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الحسينى الناصرى العمرى ،
ولد فى الفرعة - احدى بلدان الوشم - فى سنة ١٢١١هـ / ١٢٩٦م ، وقرأ
على علماء سدير ، والشيخ عبدالعزيز الحصين ، ورحل الى العراق فدرس على
داود بن جرجيس وعلماء غيرهم كان مذبذبا فى موالاة الدعوة السلفية فمسة
يواليها ، ومرة يوالى أعداءها ، ولكنه من علماء نجد البارزين قال عنه الشيخ
على الهندى : " كان ذا فهم حاد " تولى القضاء للامام تركى بن عبدالله وأبنته
فيصل فى جلاجل وحائل ، من أبرز تلاميذه عثمان بن بشر المؤرخ المعروف ،
توفى فى حوطة سدير سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م . للتفصيل : (عبدالله الهسام : علماء
نجد ٢/٣ - ٦٩٣ - ٦٩٩ ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء
نجد ٦٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، محمد القاضى : روضة ٢/٧٦ - ٨٠ ، وعن النواصر : حمد
الجاسر : جمهرة أنساب الاسر المتحضرة فى نجد ٢/٩١١ - ٩١٥) .
- (٢) هو نفوذ السر الرعى المعروف قرب الوشم ، والذي يضم عدة بلدان تتبع
امارة منطقة الرياض ، للتفصيل فيه : (حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافى
١/ ٥٧١ ، سعد الجنيد ل : عالية نجد ٢/ ٦٨١ - ٦٨٥) .
- (٣) ابن بشر : ١/ ١٦٩ ، ١٧٠ ، المختار ١/ ٨١ ، ٨٢ .

تحريراتها التي استمرت أربع عشرة سنة حتى اذا ظفرت به حاكمه الامام عبدالعزيز فأقر بما سرق من تلك المرأة وسلم ما كان موجودا لديه وقيمة المفقود ، فبحث الامام عبدالعزيز في طلب تلك المرأة وزوجها فأطلعهم على ما حدث من قهر على الرجل ومحاكمته واستيفاء المال المسروق منه حتى يعملوا قوة سطوة الحكومة في ملاحقة المجرمين وقطاع الطرق وأعطى المرأة مالها ومثل بالرجل السارق على أساس أنه قاطع طريق تنطبق عليه الأحكام الواردة في آية المحاربة (١) ، وذكر صاحب السمع في نهاية هذه القصة أن حكومة الدرعية قد نفذت عددا من الأحكام في قضايا مثل هذه القضية أو من نوع آخر ونفذ فيها من الأحكام ما يناسبها شرعا (٢) .

أما عن التعرض للحجاج والذي يشكل معلما بارزا في ظاهرة السلب والنهب لدى ابن البادية ، ومصدرا رئيسيا من مصادر حياته الاقتصادية ، أما عن هذا التعرض فتشير مصادر تلك الفترة الى أن حدته قد خففت بسبب أخذ الحكومة العهد على رؤساء البوادي بعد اجراء المرتبات لهم من بيت المال منعا للاخاوة ونهب الحجاج كما مر .

وما من شك في أن سد الجانب الاقتصادي من السلب والنهب وشدة الحكومة في تطبيق الجزاءات الرادعة ضد المتعرضين للحجاج كانت أسبابا رئيسية وراء التقليل من تلك الحوادث التي يبرز بها تاريخ نجد قبل الدعوة ، وفي هذا المجال تذكر لنا المصادر المعاصرة أن أحد الحجاج الإيرانيين قد سرق منه أثناء مرورهم بنجد كيسا فيه بعض الأشياء الزهيدة ، فكتب صاحبها الى الامام عبدالعزيز بن محمد الذي أرسل الى

(١) هي قول الله سبحانه : " انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم " المائدة آية ٣٣ .

(٢) الريكي : ٥٣ ، ٥٤ .

رؤساء تلك القبيلة التي نهب أحد أفرادها فلما حضروا عنده قال لهم ان لم تخبروني بسارق المحفظة أدخلتكم السجن ، وأخذت نكالا من أموالكم فقالوا : نغرمها باضما فثمنها فقال : كلا حتى أعرف السارق ، فطلبوا منه الذهاب الى مرابع القبيلة للتعرف على السارق واخباره به فما كان منه بعد أن علم بشخصه حتى أرسل الى ابيه وكانت سبعين ناقة فباعها وأدخل ثمنها بيت المال نكالا ، وجيء بالمحفظة لم تتغير وكان الايراني قد وصل الى بلده فأرسلها الامام عبدالعزيز الى أمير الزبير وطلب منه أن يرسلها الى صاحبها في ايران (١) .

ولكن صاحب النطم يضيف جانبا آخر في مسألة أمن الحجاج يتلخص في أن حكومة الدرعية قد رتبت سقاية واطعاما للحجاج المارين بالدرعية على طريقة مدن الحجاج الآن اكراما للحجيج ، وتعرفا على أحوالهم حتى لا يفتأوا بقالفة حج تحمل معها الشر للحكم السعودي والدعوة السلفية ومن يخالف هذا الأسلوب لا يؤدب من يتعرض له من البدو بل ترسل له الحكومة من يقدمه بها للحجاج الذين معه الى الدرعية ، ويفهموا أسلوب الحكومة في هذا المجال وعدم العودة الى مثل هذا العمل ، وكان من أهداف هذا الأسلوب التكريس كذلك تعريفهم بمبادئ الدعوة السلفية ، ومن هنا فهي أسلوب من أساليب نشر الدعوة خارج شبه الجزيرة (٢) .

وقد أتاح هذا التنظيم لحجاج بيت الله الحرام أن يعبروا نجدا ومناطق شبه الجزيرة الخاضعة للحكم السعودي دون أن يعترض سبيلهم أحد من البدو ، ويبدو أن حكومة الدرعية قد شكلت مجلسا استشاريا من البدو لضمان تنفيذ عدم التعرض للحجاج ، وكان هذا المجلس يضم رؤساء القبائل ووجهائها (٣) .

(١) ابن بشر : ١ / ١٦٩ ، د : العجلاني : عهد عبدالعزيز بن محمد ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، المختار : ١ / ٨١ .

(٢) الربيكي : ٥٢ / ٥٣ .

(٣) ابن بشر : ١ / ٢٢٦ .

أما عن الأمن بين البد وأنفسهم فقد نعم البد والخاصعون لحكومة
الدرعية بأمن لم يروا أو يسموا بمثله سوا^١ كان ذلك في نجد أو
خارجها ، فيذكر المؤرخون أنه في عهد الامام الامام سعود بن
عبد العزيز كان أعراب قاطنون على ما^٢ قرب الطائف من الهقوم والشلاوى
وعتبية وفي القوم شعرا^٣ فقال شاعر من الشلاوى :

نبا نقضى اللزم ونركب ركائبنا : وأهلنا من الجوبة الين القطانية
نبا شاعر منكم الى الصبح يطربنا : قمر عشروا ضح والثريا رقابهم (١)
فقال الشاعر الثاني وهو من عتبية :

أنا خائف ان العلم يا صل معزنا : يشيله طريقى على كهر علميه
تضيعون فى نجد وحنا يعاقبنا : وحنا على الما لاش نجعه ولانيه (٢)
وتدل هذه الحادثة على توفر قدر جيد من الأمن فى أوساط البد و
فقد خاف الشاعر وهو قرب الطائف من امام الدرعية لأنه على علم بأن استقرار
المساجلة فى الشعر قد يتطور الى ملحمة حربية بعد أن كان ملحمة شعرية
تثير ما فى النفوس من حزازات واجن ورثتها غارات بعض القبائل على بعضها
الآخر (٣) .

-
- (١) نبا نقضى اللزم: أى نريد أن ننهى أمرنا هنا وهو السقى ، الركائب: الابل
المعدة للركوب فصيحة ، الجوبة: هى الحفرة والمكان الوطنى فصيحة
والمقصود بها هنا جوبة ركية قرب الطائف ، الين عامية بدوية من الى والقطانية
بئر برد ها البد وفى وادى قطان فى الجهة الجنوبية منه ، قمر عشر: قمر ليلة
عشر ، وقابية: أى يرقب الثريا من السهبر (الفيروز آبادى: ١/٩٤ ، ٧٥ ، وعن
القصة والابيات ابن بليهد: صحيح الأخبار: ٢/١٣١ ، ١٣٢) .
- (٢) العلم بالخبر ، يا صل: يصل ، معزنا: من التعزيب وهو القيام بالخدمة
ذات أصل فصيح والمقصود لى أمرنا وهو الامام سعود بن عبد العزيز ، يشيله:
يحملة أو ينقله ، فصيحة ، طريقى: تصغير طريق وهو المتجه من جهة السى
أخرى ذات أصل فصيح فالطريق القوم المشاة ، كهر: فصيحة وهى شدة
الهم أو رحله ، عملية: فصيحة قال فى القاموس: "ناقة عملة بكسر الميم عملية
العمالة فارغة" ، وتطلق فى شبه الجزيرة على نوع من نجائب الابل سميت عملية
لاستعمالها وإرسالها فى الكور الهامة ، حنا: عامية من نحن ، لاش: أى لاشى ،
نجمه: جاهزة معدة للأكل فصيحة ، وتطلق على الطعام الأدنى والحيوانى ،
نيه: بكسر النون وتشديد الياء عكس النجمة ، (الفيروز آبادى ١/١٠٤ ، ١٣٠/٢ ، ٨٧/٣ ،
٢٥٧ ، ٤٠٤ ، ٢١/٤ ، ابن بليهد: المرجع السابق ٢/١٣٢) .
- (٣) ابن بليهد: ٢/١٣٢ .

ويمكن القول ان نعمة الأمن التي كان يعكرها قسم من أبناء البادية قبل الدعوة قد استفادت منها حاضرة نجد وذلك بأمنها في بلدانها أو في خروجها عبر الصحراء للاختيار أو الأفضاب والرعى في أوقات الربيع ، كما استفاد منها قسم كبير من أبناء البادية ممن كانت ظاهرة السلب والنهب تقع عليهم بالدرجة الأولى علاوة على أن الهد وعموما قد استفادوا من ذلك بما عوضتهم حكومة الدرعية عما فقدوه من تركهم لهذه الظاهرة من مزايا اقتصادية بحيث أصبحوا يحصلون على مصدر شريف غير مخوف للوزن عبر الغزو المنظم وعبر حقهم الشرعى في بيت المال ، وتعددت هذه الاستفادة بالأمن لتصل الى من هم خارج منطقة نجد من الحجاج والتجار الذين يمرون بمنطقة نجد الى الحجاز أو مناطق شبه الجزيرة الأخرى والذين لم يكونوا يحلمون بالعودة الى بلادهم سالمين فضلا عن أن ترد اليهم أموالهم مهما كانت زهيدة .

وما من شك في أن شيوع هذا القدر الجيد من الأمن يرجع الى أسباب متعددة أبرزها تطبيق هذه الدولة الدقيق والشامل لأحكام الشرع ، وإشراف امام الدرعية نفسه وأحيانا الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دقة تنفيذ الاجراءات الأمنية وسرعتها (١) .

٢ - الخوة وأثر الدعوة فيها :

إذا كانت حكومة الدرعية قد قضت على الخوة من جانبها الاقتصادي باستبدالها باجراء المرتبات النظامية لرؤساء القبائل وتوزيع الزكاة فسي مصارفها الشرعية علاوة على أوجه الصرف الأخرى سواء كان من بيت المال أو من غيره ، إذا كان ذلك كذلك فإن هذه الحكومة قد وجهت الخوة من جانبها الاجتماعى الذى مربطه نحو الوجهة الاسلامية

(١) د : عبد الرحيم عبد الرحمن : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

والقضاء على ما بين القبائل من احسن وخلافات بالتآخي فيما بينهما
باشراف الحكومة وتوجيه العلماء .

وتذكر المصادر الغربية المعاصرة للدولة السعودية الأولى أن
الامام سعود بن عبد العزيز قد قاوم أسلوب الثأر ونجح في ذلك (١) ،
وتتفق هذه المصادر مع المصادر المؤيدة للدعوة التي تذكر أحداثا
تؤكد ذلك وأن أئمة هذه الدولة اذا شعوا رائحة القبلية والتناحر بين
القبائل ولو باللفظ فانهم يقضون عليها باسرع وقت ممكن حتى لا تستفحل
فتقضى على أى مجهود وحدوى تكرر بالدعوة السلفية كل جهودهم
لتحقيقه .

وفي هذا المجال يذكر بن بشر حادثة وقعت بين فيصل بن وطبان
الدويش رئيس قبائل مطير (٢) ، والحميدى بن عبد الله بن هذال رئيس
قبائل عنزة (٣) ، وكانت هاتان القبيلتان من اشد القبائل عداوة فيما

-
- (١) د : المجلاني عهد سعود ١٢٧٩ نقلا عن بركهارت .
(٢) هو فيصل بن وطبان الدويش تولى إمارة مطير بعد أبيه الذى كان أميراً
لمطير في عهد الامام عبد العزيز والدوشان من علوا وقد اشترك فيصل
هذا في معركة الجمانية ضد الشريف كما مر ، ولكنه سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م
اشترك مع محمد بن معمر الذى طمع في خلافة آل سعود بعد سقوط
الدرعية ، وكان له دور كبير مع ابراهيم باشا حينما حاصر الرس ثم والى
القادة الأتراك فقدم مع خليل أغا الذى سجن مشاري بن سعود وأصبح
بعد ذلك يغير على البلدان النجدية بمساعدة هؤلاء القادة وبأخذ
أموالها كما حدث سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م ، وانتهزم سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م
أمام جموع من عنزة بقيادة ابن هذال شر هزيمة وفي سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م
توفي وخلفه على إمارة مطير ابنه محمد الملقب بالحميدى (ابن بشر ١ / ١٣٥
١٧١ ، ٢٣٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٢ / ١٧ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٥٨ ، د : المجلاني
عهد عبد الله بن سعود ٨١ ، ٨٢ ، لوريير : دليل الخليج العربى القسم
التاريخى ٣ / ١٦٢٠) .
(٣) هو محمد أو الحميدى بن عبد الله بن هذال من آل هذال الذين هم من
العبيلان من الجبل من العمارات من عنزة وفيهم إمارة عنزة كان أميراً لعنزة

بينها قبل الدعوة كما مر ذكر جانب من ذلك في البابين السابقين ، ففي
احدى غزوات الامام سعود بن عبد العزيز التقيا فيما بينهما فتناحرا
باللقاب وتنازعا بالالفاظ وأظهر كل منهما نخوته ، فقال أحدهما
للآخر: احمد الله على نعمة الاسلام وسلامة هذا الامام الذى اطال
الله عمره بسببه ، وكساك الشيب بعد أن كان آباؤكم لا يشيبون
ولا ينتهون الى حده بل نقتلهم قبل ذلك ، ثم قال الآخر: احمد الله
على نعمة الاسلام وسلامة هذا الامام الذى كثر الله بسببه مالك وسلم
عيالك ، ولولا ذلك لم تملك ما هنا لك ، ولا نزلت فى تلك الديار
ولا استقر بك فيها قرار ، وكان الامام سعود يسمع كل هذا الجدل
فانتهر اليهم وزجرهم ودكرهم ما انعم الله به عليهم من هذا الدين
والجهاد فى سبيله والاجتماع على الصلوات والدروس التى يتلقونها
من العلماء ، وما أغدقت عليهم الحكومة من الأرزاق ، وأمان الطرق
فيما بينهم ، وشدد عليهم فى ذلك ما جعلهم يكفون عما هم فيه
ويشكرون الله على ما أزاله عنهم من العداوات والبغضاء (١) .

ان فى هذه الحادثة لأقوى دليل ضد الذين يقولون بأن أئمة
الدولة السعودية الأولى كانوا يفتنون القبائل ويلقون الشاجرة بينهم
خشية أن يتفقوا على نقض حكم من الاحكام الصادرة ضد بعض
أفرادهم (٢) ، ان لو كان أئمة هذه الدولة يريدون التفريق بين

= عهد عبد العزيز وابنه سعود ، اشترك مع الامام سعود سنة ١٢٢٨هـ /
١٨١٣م فى غزوة الحناكية ضد جموع من قبيلة حرب ، ثم ضد الحامية
التركية فى المدينة . (ابن بشر ١/١٧١ ، ٢١٥ ، ٢٣١ صلاح الدين
المختار ١/١٢٦ وعن آل هذا: احمد الجاسر : معجم قبائل المملكة
٨٢٨/٢) .

(١) ابن بشر ١/٢٣١ ، ٢٣٢ د : العجلاني عهد سعود ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٢) الريكى ٥٦ .

القبائل - على طريقة فرق تسد - لاستغلال الامام سفود هــ هذا
الجدال ليفذيه مع مرور الزمن علما أنه لا يحتاج الى تغذية فمجرد
تركه لهم يتجادلون كفيلا باشعال نار الحرب بينهم ، لكنه رحمه الله
لم يدعهم ينساقون وراء عصبيتهم بل وقف وقفة الحاكم المسلم ولسان حاله
يقول لهم : دعوها فانها حقتنة ، كما أن قصة الشلاوى والعنان التي مر
ذكرها في هذا الفصل دليل آخر على حرص أئمة هذه الدولة على حسم
كل ما من شأنه العودة الى أسلوب العصبية والقبلية .

وان في شهادة الشيخ عثمان بن سند (١) على المؤاخاة التي
أقامها أئمة الدرعية بين القبائل لأكبر دليل على حرصهم وتأكيدهم

(١) هو الشيخ عثمان بن سند الوائلي النجدي البصري يلقب ببدر الدين
ينتمي الى عنزة مؤرخ وأديب ولد بنجد سنة ١١٨٠هـ / ١٧٦٦م كان
هو والشيخ رسول الكركوكلي صاحب دوحة الوزراء من ضمن المدرسين في
عهد داود في بغداد ، وله وجادة في البصرة ونواحيها وكلامه مقبول
لدى عامة البصريين ، من كتبه : الفرر في وجوه القرن الثالث عشر ، مطالع
السعود بطبيب أخبار الوالي داود وهو ليس كتابا تاريخيا فحسب بل يضم
شعرا ونقدا أدبيا ، وينكشف موقف ابن سند من الدعوة السلفية من
قراءة هذا الكتاب ، وله كذلك : سبائك المسجد في أخبار أحمد نجل
رزن الأسعد . قيل توفي سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م وقيل غيرهما .
للتفصيل : (عثمان بن سند : مطالع السعود : مخطوط من ١٠٣-١٠٥
رسول الكركوكلي : دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزراء ، نقله عن
التركيه موسى كاظم نور مطبعة كرم بيروت ، نشر دار الكتاب العربي .
بيروت ، مكتبة النهضة . بغداد ص ١٠ خليل مردم بك : أعيان القرن
الثالث عشر ط (٢) مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص ١٦٩ ،
التروكلى : الأعلام ٣٦٧/٤ ، يوسف عز الدين : داود باشا ط (٢) ،
مطبعة الشعب بغداد ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ص ٥٢ ، د : عبد العزيز نوار
داود باشا والي بغداد طبع دار الكتاب العربي نشر وزارة الثقافة
القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ص ٣١١ ، ٣١٢) .

بحسب وانها كل أسباب الفرقة والخلاف كما أن فيها أقوى مستند لوجود تأثير قوى للدعوة على الأخوة لدى بدو نجد وتوجيهها نحو الاخوة الاسلامي ، ولو أن ذلك كان بالقوة والحزم ، ويزيد من أهمية هذه الشهادة كون الشيخ عثمان معروفا بعدم ولائه للدعوة وحكم آل سعود .

يقول الشيخ عثمان : " ومنعوا - أي السعوديون - غزو الاعراب بعضهم على بعض وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام كأنهم اخوان أولاد رجل واحد وهذا بسبب تأديب القاتل والسارق والناهب الى أن انعدم هذا الشرف في زمان ابن سعود وانتقلت اخلاق الاعراب المتوحشة الى الانسانية ، وتجد في بعض الأراضي الخصبة - وقصده الرياض المنتشرة في نجد التي يكثر فيها المشرب أوقات الربيع - هذا بيت عنزي وجنبه بيت عتيبي وربما مطيرى ومقرمسه بيت حريس ، وكلهم يرتعون اخوانا ، ولا تجد أحدا يقول هذه ديرتس ولا يطأها الغريب " (١) .

ومن المعتقد أن قدرا جيدا من أهداف إقامة الصلاة جماعة فسي ايجاد نوع من العلاقات الاجتماعية الطيبة قد تحقق ، فأصبح قسم من الهدو يحل الأخوة الاسلامية محل تلك الأخوات والصدقات القائمة على منافع دنيوية ، ومن هنا يمكن فهم تأكيد أئمة الدعوة على أداء الصلاة جماعة باعتبار وجوبها شرعا وباعتبار المعطيات الاجتماعية المثالية التي تتحقق من وراء ذلك (٢) .

وإذا كان في قول ابن بشر " والرجل يجلس ويأكل مع قاتل أبيه وأخيه كالأخوان ولا يلقى صاحب الدم غريمه الا بالسلام عليك يا فلان (٣)

(١) ابن سند : مطالع السعود . مخطوط ورقة ١٣٠ .
(٢) د : العجلاني : عهد سعود الكبير ٢٤٢ ، ٢٥٢ .
(٣) ١٤ / ١ .

إذا كان في ذلك بعض المبالغة فإنه يشم منه أن أى قضية تعرض على الحكومة التى تحسم بما يرضى الطرفين أو ينصف المظلوم من الظالم غالباً مما أوجد نوعاً من الانضباط لم تعرفه نجد من قبل ، لأن إبطال أسلوب القوة والثارات فى حسم الخلافات التى تقوم بين الناس وخاصة البدو ، وإحلال الحكم الشرعى محل الأحكام العرفية ، من المؤكد أنه سيجعل كل فرد يأخذ حقه من الآخر بطريقة منظمة أضفت الرضا والقناعة بين كل متخاصمين ، وحدثت من وقوع الحوادث وتكررها (١) .

وحين انتشرت الدعوة السلفية فى المجتمع النجدى أصبح لدى البدوى النجدى الاستعداد لأن يحل الأخوة الإسلامية محل الافتخار بالأخوة العرقية أو بالمعشر والقبيلة ، وكل هذا نتيجة للجهود التى بذلتها الدعوة والدولة لتحقيق هذه الأخوة بوجهتها الصحيحة ، إذ بعد ما كان البدوى إذا أراد أن يقدم على عمل مهم انتخى بقوله : أنا أخو فلان أو فلانه أو ابن فلان أو بنى فلان أصبح يقول : أنا أخو من طاع الله حيث صار ذلك مثلاً بعد انتشار الدعوة فى البادية ، وأصبح شعاراً للجميع متضمناً الاعتراف بأخوة المؤمنين الطاهرين لله ولو كانوا من قبائل أو أجناس شتى (٢) .

ومن المعتقد قدم هذه النخوة ولو أن من المتبادر للذهن أنها من نتاج الحركة السلفية فى صورتها الأخيرة فى عهد الملك عبدالعزيز

-
- (١) حسين خلف خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٣٨ .
(٢) محمد العبودى : الأمثال العامة ٢١٦ / ١ ، ٢١٧ مثل رقم ٣٠٦ ،
عبد الكريم الجبهان : الأمثال الشعبية ٦٨ / ٣ مثل رقم ٢٣٢٧ ،
وهروى الشل : خيال التوحيد أخو من طاع الله ، وقد بقى الانتخاب
بالأخت أو الأخ أو سائر أفراد الأسرة والقبيلة موجوداً الى الوقت لدى
بادية نجد وحاضرتها على نطاق محدود .

غير أن ذلك لا يعد وأن يكون استعادة النخوة دينية كانت من آثار الدعوة السلفية في مرحلتها الأولى ، ويمكن أن يستأنس المرء بهذه الأدلة على قدم هذه النخوة وأن لم ترد بنصها في المصادر المعاصرة : أ - أن ابن بشر وغيره قد أشاروا إلى تأخي القبائل البدوية أو أفراد منها على الأقل كما مر فمن الطبيعي أن يصدر في مصاحبة هذا التأخي ألفاظ تؤكد عمقه ، وإذا كان هذا قد حصل بالفعل فإن انتخاها البدوي بمثل هذه اللفظة أمر يسير عليه وقد حقق التأخي فعلا ففسى نفسه بل من المتوقع أن يكون انتشار اللفظ واسعا ولو لم يدل على حقيقة الحال والاقتناع بهذا التأخي فقد يدخل في سبيل التوضيعة للحكومة والعلماء (١) .

ب - أشار بعض الباحثين إلى قدم هذه اللفظة وأنها كانت متزامنة - إلى حد ما - مع لفظة الوهابية التي أطلقت على السلفيين فسي فترة متقدمة من هداية الدعوة (٢) .

ج - أن الأمثال ما هي إلا شعار لتجارب الأمم وما تتعرض له أوضاعها الاجتماعية من تغيير فمن المتوقع أن تكون هذه اللفظة - وقد سارت مثلا - نتاجا للتغيير الاجتماعي بعد انتشار الدعوة السلفية في مرحلتها الأولى ، وأن يكون ما حدث بعد ذلك صدى للتغيير الأول .

وعلى أي حال فمن الطبيعي أن تطبق هذا المثل بعض القبائل التي آمنت بالدعوة وأن تبقى بعض القبائل الأخرى على عصبيتها - لقبيلتها ، كما أن من المشكوك فيه هل كان إيمان القبائل التي آمنت

(١) ابن بشر ١/ ١٤ ، ١٧١ ، ٢٣١ ، ابن سند : المصدر السابق والورقة السابقة .

(٢) محمد انعم غالب : من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ٢٩ .

به شاملاً كما هو مفهومه أو أنها تطبقه على الموالين للدعوة من قبيلتها أو أحلافها .

كما أنه من غير المعروف هل هذا القول من نظرة البدوي للحضري بشكل طبيعي ، أو غيرها تحت سطوة الحكم الحازم من أئمة آل سعود ، أو أنه لم يغير من هذا شيئاً فاستمر البدو على احتقارهم للحضر ، وبقي الحضر على نفورهم من البدو ، ويبدو أنه قد غـسـسـر مستويات محدودة من الفريقين لفترة محدودة عادات العصبية والتناحر والنظرة السيئة بين الفريقين جذعة ليفقد هذا القول دلالة ، ويصبح مثلاً يتندر به البدو فيما بينهم ، ويتندر به الحضر على البدو ، يؤكد هذا تلك الغزوات التي تعرضت لها البلدان النجدية من بادية نجد بعد سقوط الدرعية ، وتلك الغزوات بين القبائل البدوية نفسها فـسـسـن آن واحد .

٣ - أثر الدعوة على التحرك الجماعي وزعامة القبيلة :

لقد مر بنا في فصل مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية ذكر أحداث أدت إلى تحرك جماعي لبعض قبائل نجد إلى خارجها نتيجة لهذه المواقف ، كما مر بنا ذكر أحداث أدت إلى تغيير قيادي فـسـسـ بعض القبائل البدوية النجدية .

ومن الطبيعي والدعوة السلفية حركة اسلامية تجديدية هدفها التغيير الاجتماعي ليمتشي مع مبادئ الاسلام أن تصطدم بقوى معارضة من بادية نجد وأن تلجأ هذه القوى في النهاية بعد عجزها عن الاستمرار في مناوأتها إلى الجلاء عن نجد حتى تعيش حياتها كما تريد بعيداً عن منطقة نفوذ الدعوة والدولة ، وأن ترغب هذه القوى والدعوة في آن واحد في تحقيق الجلاء لما يعود بالنفع لكل منهما بحسب الهدف والوجهة التي هو موليها .

ولما كانت قبيلة الظفير من أوائل القبائل البدوية النجدية معاداة للدعوة رغم وجود ولاء من بعض أفعالها في فترات محدودة فقد كانت من أوائل القبائل جلاء عن منطقة نجد وبتحرك جماعي اكبر من القبائل الأخرى ، وقامت في هذا التحرك على مرحلتين كبيرتين (١) .

ففي المرحلة الأولى واثراً للمعارك الأولى من الدعوة ضد هذه القبيلة رحل قسم منها وقطن جنوب غربي العراق إلا أن قسماً من هذه القبيلة بقي في نجد وعلى عدم ولائه للدعوة وإن كان ذلك مذبذباً على فترات محدودة (٢) .

ويبدو أن هذا القسم الذي بقي في نجد لم يتقبل المتغيرات الاجتماعية التي واكبت انتشار الدعوة بل لم يقبل أن يؤدي بعض فرائض الدين اعتقاداً منه أنها ترمز إلى الولاء للدعوة والدولة ، وما من شك أن حكومة الدرعية لا يمكن أن تسكت بتطور عدم الولاء الذي هذه الدرجة خصوصاً وأن هذه القبيلة قد ضمت إليها المناوئين للدعوة وضافتهم وامدادهم بما يتمكنون به من مواصلة هذه المناوأة وهذا تضيف هذه القبيلة عاملاً آخر لا يقل أهمية عن العوامل السابقة في نطاق منازعتها للدعوة ما دفع بها وبالدعوة في آن واحد إلى تكثيف غزواتها التي أدت إلى كسر شوكة هذه القبيلة والتقليل من دورها الرئيسي في نجد نتيجة لرحيلها إلى البلدان المجاورة وخلود القسم القليل الذي بقي منها في نجد إلى التحضر والدعة (٣) .

-
- (١) انظر فصل الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة من الباب الثاني ، وفصل مواقف بادية نجد من الدعوة من الباب الثالث .
- (٢) ابن بشر ١ / ١٥٠ ، حسين خلف خزعل ٣٠٢ . والفصل السابق من الباب الثالث من هذا البحث .
- (٣) ابن بشر ١ / ١٨١ ، ١٨٢ .

وتعتبر غزوة سعود بن عبد العزيز لهذه القبيلة في أوائل حكمه سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م تلك الغزوة التي انتهت لصالح سعود كما مر ، تعتبر هذه الغزوة بداية المرحلة الثانية والكبيرة لجلالة هذه القبيلة عن نجد أو بمعنى أصح بداية النهاية لوجودها الكبير ودورها الرئيسي في نجد ، فيبدو أن هذه القبيلة قد آثرت بعدها الانتقال بجماعات كبيرة الى خارج منطقة نجد في شمال شرقي شبه الجزيرة العربية — وجنوب العراق وجنوب غربيه ، وقد شكلت من مراتب القسم الأول الذي جلى عن نجد ، كما شكلت من منازل قبيلة المنتفق نواة لموطنها فسي هذه المناطق كما كانت من كبارها سابقا في نجد (١) .

وما من شك في أن رحيل قيادة هذه القبيلة الى هذه المناطق قد دفع بتلك الجموع الكبيرة الى الرحيل اليها حتى أصبحت الظفير قبيلة عراقية أكثر منها نجدية ، ويجد الباحث التفصيل في أفخاذ هذه القبيلة وزعمائها وأخبارها في كتب التاريخ العراقي في مقابل الشح في كتب التاريخ والأنساب النجدية ، وهذا يؤكد لنا أن رحيل هذه القبيلة الى هذه المناطق كان بكميات أكبر من القبائل المناوئة الأخرى وأنها حددت وجهة واحدة تقريبا لنزوحها بعكس بعض القبائل الأخرى كما سيأتي بيانه بعد قليل (٢) .

أما عنزة فقد كانت تشكل الطرف الآخر في الثنائي الظفيري العنزي الذي وقف من الدعوة موقف العداء كما قرر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكما دلت على ذلك الغزوات الكثيرة بينهما وبين الدعوة .

(١) ابن بشر ١ / ٥٨ ، ١٨٢ .

(٢) عبد الجبار الرازي : البادية ٢٣٦ - ٢٤٢ وقد فصل الكلام عن هذه القبيلة وأفخاذها وزعمائها وانظر لوتكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٨٢ ، وإلى وقت قريب والمنتفق والظفير يخفرون على قبائل نجد حاضرة وبادية أو يتمرضون لها في طريق استيادها من العراق . (الريحاني : نجد وملحقاته ٣٠٥ ، ٣٠٦) .

ولا شك أن هذه الغزوات قد أدت إلى جلاء قسم من عنزة إلى بادية الشام والعراق ، على أن وجود هذه القبيلة في هاتين المنطقتين كان متقدما جدا عن مجيء الدعوة وذلك في نطاق تحرك الموجات البشرية المتتالية التي حفل بها تاريخ القبائل العربية والتي تحركت من قلب شبه الجزيرة تحت عوامل شتى من جذب وحروب وتفسيـرات اجتماعية (١) .

وإذا كانت عداوة عنزة للدعوة وبخاصة بيت آل هذال قديمة (٢) فإن آل هذال قد خضعوا للدعوة في أوج قوة دولتها (٣) على أن رحيل هذه الأسرة إلى جنوب العراق كان هو الآخر متقدما (٤) ولكنه لم يؤثر على كثافة رحيل تلك القبيلة من نجد كما حدث من الظفير رغم وجود قسم كبير من عنزة في الشام والعراق منذ فترة متقدمة فقد بقي قسم كبير منها في نجد وإلى الدعوة ولم يتأثر بموقف آل هذال أو القسم المناوئ للدعوة من القبيلة ، ويمكن رصد أوجه الخلاف في التحرك الجماعي بين القبيلتين فيما يلي :

أ - كان رحيل عنزة بكثافة أقل من الظفير حيث بقي وجود عنزي حضري وبدوي في نجد أكثر من الظفير التي لم يبق منها إلا فئات قليلة في نجد ، وبشكل عدد من الأسر البادية والحضرية ثقل الوجود المنزلي في نجد .

-
- (١) البديري : حوادث دمشق اليومية ٨٨ ، ١٠١ ، ١٨٦ ، لونكريك ١٠٤ الراوى ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
(٢) الريحاني ٤٥ .
(٣) كما مر ذكره في الفقرة السابقة وكذلك فصل مواقف بادية نجد من الدعوة .
(٤) الراوى ٢٢٩ .

ب - إذا كانت الظفير قد حددت جهة واحدة لتحركها القبلي فسان
عنزة قد تحركت باتجاهين هما بادية الشام وبادية العراق حيث
الوجود العنزي متقدما في هاتين المنتطقتين .

ج - لم تتأثر الفئات الباقية في نجد من عنزة برحيل زعيمها فبقيت فسي
منطقتها على حين رحل قسم كبير مع ابن سويط زعيم الظفير الذي
جنوب غرب العراق وشمال شرقي الجزيرة ، ويبدو أن قوة زعماء الأفخاذ
تختلف درجته فيما بينهما .

ويبدو أن الوجود العنزي متساويا الى حد ما بين بادية الشام
وبادية العراق على حين يقل ذلك في بادية نجد الا ما كان فسي
شمالها القصل بهاتين الباديتين ، أما الحاضرة فتكثر في نجد منذ
فترة متقدمة (١) .

وتملك قبيلة شرعى الأخرى وجودا متقدما في بادية الشام
والعراق فمنذ سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م عندما رحل فارس الجربا
الأول (٢) بجموع كبيرة من شرعى الى الجزيرة العراقية بسبب محال
أصاب نجدا واستقر به المقام وطاب أرسل الى جموع أخرى من قبيلته
لتقدم اليها حيث المرعى الجيد ثم أخذ يوسع منطقة نفوذه حتى أصبح
لشعر مكانة كبيرة تهاهبها القبائل المحيطة بها وبحسب العاصرون
لنماز لها ألف حساب ، ومن هنا تحول قسم من شعر لبادية الشام ،
وقصة أول قدوم لشعر للعراق ليس هنا مجال التفصيل فيها (٣) .

-
- (١) للتفصيل في قبيلة عنزة وأفخاذها وأرائها وأخبارها في التاريخ العراقي
الراوى : البادية ٢٢٨ - ٢٣٦ ، لونكريك ٥٦ ، ١٠٤ ، ٢٤٢ ، ٢٩٠ ،
٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٩ .
- (٢) تميزا له عن فارس الثاني الذى قتل سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م وبالجملة
فاسم فارس يكثر في أسرة الجربا كما يكثر فيها اسم صفوق وفرحان .
- (٣) للتفصيل في ذلك وفي أخبار شعر في العراق : الراوى ٢٤٤ - ٢٥٦ ،
لونكريك ١٠٤ ، ١٢٠ ، ١٨٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٩٠ ،
٢٩٥ ، والكتاب بمجمله يضم أخبارا كثيرة عن شعر .

ورغم ما سبق بيانه من أن ولاء قسم من شمر للدعوة كان متقدما فان هذا القسم قد رجع عن ولائه كما سبق علاوة على أن القسم الآخر قد بقي على عدم ولائه للدعوة ما دفع بحكومة الدرعية الى شن غزواتها عليها كما ذكرت بعضها في الفصل الأول من هذا الباب تلك الغزوات التي أشعلت ولاء شمرها حضريا وهدوا للدعوة ولكنه غير شامل للقبيلة كلها .

ولما كانت أسرة الجرباء مثلة في مطلق بن محمد الجرباء هي التي كانت تتولى زعامة شمر قاطبة (١) وكانت قد رحلت الى العراق منذ فترة متقدمة ، وتعتبر أبرز أسرة شمرية تناوئ الدعوة خصوصا بعد مقتل مصلط بن مطلق على يد جيوش الدرعية ، لكل هذه الأسباب ، فقد دفع مطلق بجموع شمرية كبيرة الى بادية الشام والعراق ، على أن صاحب اللع ذكر أن الامام عبد العزيز هو الذي أجلا قسما من شمر بزعامة مطلق بسبب ما بدر منه من خلاف بعد أن أهد الدعوة لفترة محدودة (٢) ولعل هذا الخلاف هو اغارته على القسم الحضري من شمر والذي أهد الدعوة واشتكى من ذلك ، أو تأييده للقوى السياسية المناوئة للدعوة واشترائه في غزواتها ضد الدرعية سواء تلك التي انطلقت من العراق أو من الحجاز كما سبق تفصيل ذلك في الفصل الأول من هذا الباب .

وسواء كان مطلق هو الذي جلى بقومه عن مناطق نفوذ الدعوة رغبة في عدم الولاء لها ، أو أن الامام عبد العزيز هو الذي جلاهم مع قومه فان دفعه بتلك الجموع الشمرية خارج منطقة نجد قد أثر على

(١) فهد المارك : من شيم العرب ١ / ٨٦ .

(٢) الرينكي ٦٢ ، ١٠٠ ، حسين خزعل ٢٩٩ .

حجم القبيلة فيها كما أثر على ذلك تلك التحركات الجماعية من هذه القبيلة قبل الدعوة ، أو أثناء حكم آل رشيد للجبل ، أو بعد ذلك .

وتتفق شمر مع عنزة في بقاء قسم كبير منها في نجد بعد كل تلك التحركات الجماعية التي قامت بها ، وفي تحركها باتجاهى بادية الشام والعراق ، وفي عدم تأثر الفئات الباقية في نجد أو تلك التي رحلت الى الشام بتحديد رحلة زعيمها وأُسرتها الى جنوب العراق .

وقد شكل الثلاثي الظفيري الشمرى العنزى الذى كان يعقد تحالفا في بعض الاحيان بزعامة الجرباء ، شكل قوة قبلية في جنوب العراق شرق نهر الفرات وغربه ، وساهمت هذه القوة في أكثر الحركات السياسية والاجتماعية التي مرت بها المنطقة ، على أنه يحدث بينهما أحيانا نزاعات على عادة القبائل العربية ، وقد هز الوجود الشمرى حليفه في ذلك التأثير السياسى والاجتماعى ولكنه كان أحيانا أيضا وانفردت شمر وعنزة بالوجود في بادية الشام (١) .

ويمكن القول ان الدعوة بما أحدثته من متغيرات دينية واجتماعية وسياسية في المجتمع النجدى حاضرة وبادية بتوجيهها هذه النواحي نحو الوجهة الاسلامية الصحيحة قد أثرت بشكل مباشر ورئيسى ففى هذه التحركات الجماعية لهذه القبائل الثلاث ، على أن هذا لا يعنى عدم وجود تحرك جماعى من قبائل أخرى لم تسعفنا المصادر المعاصرة بشئ عنه ، وبهذا تكون الدعوة قد ساهمت بدور رئيسى فى اشراك الوجود العربى فى هذه المناطق بغض النظر عن مناوأة النازحين لها وتأثير هذه المناوأة على درجة انتشار الدعوة ان أن ذلك هو السبب الرئيسى وراء هذا الاثر .

(١) الراوى ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، المارك ١ / ٨٦ .

وكما كان لانتشار الدعوة وتحقيق كيائها السياسى دور فى تلك الهجرة لأقسام من بعض القبائل النجدية خارجها ، فقد كان لها دور فى هجرة معاكسة لأفخاذ من قبائل البلدان المجاورة باتجاه نجد ان اتخذت هذه القبائل سواءً بمناراتها للدعوة واشتراكها فى الغزوات ضدها فى مهداً الأمر أو موالاتها بعد ذلك ، اتخذت من ذلك مجالا للدخول لمنطقة نجد وتكثيف وجودها السابق فيها كما حدث من حرب عتيبة .

ويبدو أن اشتراك عتيبة فى الجيش الذى بعث به الشريف غالب سنة ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م لمانزلة قحطان المؤيدة للدعوة كان من ضمن دوافعه بالنسبة لعتيبة منافستها لقحطان على أهم مناطق نجد - الرعوية وهى عاليتهما ما يجعل هذه الغزوة وما شابهها تدخل فى نطاق الغزوات التى دفعت الى التحرك القبلى شبه الجماعى من قبائل الحجاز باتجاه نجد (١) .

على أن دخول قسم كبير من عتيبة فى الدعوة كان عاملا من العوامل التى دفعتها الى التسلل الى عالية نجد أيضا والاستيلاء على أهم مراتعها بغرض النظر عن كون ذلك أحد الأسباب الكامنة وراء هذا الدخول فى هذه الطاعة أولا ، فالمهم فى هذا أن ولا عتيبة للدعوة استتبعه طرد قحطان من قسم كبير من مراتعها والتحضر والسكنى فى بعض البلدان النجدية ، وراء ذلك كله اخلاص من هذا القسم العتيبى فى الايمان بالدعوة بعد ذلك لا يقل عن اخلاص قحطان (٢) .

-
- (١) دحلان : خلاصة الكلام ٢٦٣ .
(٢) تعتبر عتيبة من القبائل التى أهدت الدعوة باخلاص فيما بعد ، واندمجت فى المجتمع النجدى الحضرى حيث تشكل الأسر المتحضرة العائدة الى عتيبة قسما من حاضرة نجد .

أما حرب فان وجودها كان كبيرا في نجد قبل الدعوة الا أن الباحث يمكن أن يعتبر موالاتها للدعوة والدولة مجالا لتكثيف وجودها في نجد بصرف النظر عن كون ذلك أحد الأسباب الكاشنة وراء هذا الولاء أم لا ، وبهذا تكون نجد قد عوضت الفراغ السكاني الذي خلفه رحيل الظفير وقسم من عنزة وشمر .

أما أثر الدعوة على التغيير القيادي للقبيلة في نجد فيشمل فئسي التغيير القيادي الذي طرأ على قبيلتي قحطان والدواسر اللتين أمدتنا المصادر المعاصرة بمعلومات تبين كيفية هذا التغيير ومدى استمراريته والظروف التي واكبته ، وتدلل على اقتصار هذا التغيير على هاتئين القبيلتين تقريبا .

ولقد كانت مبايعة هادي بن غانم الجندري الملقب بهادي بسن قرملة للشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز بن محمد سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م على السمع والطاعة والجهاد هي بداية التغيير القيادي في هذه القبيلة ، ولم يكن هادي هذا من كبار قادة قحطان الا أنه يعتبر أحد أفراد فخذ الجحادر وهو فخذ كبير في قحطان له أهميته وقد يكون من وجهاء هذا الفخذ ولكن لم تشر المصادر التي ترؤسه هذا الفخذ ، الا أن صفات القيادة القبلية موجودة لديه فيما يبدو واجتمعت فيه مع الصدق والاخلاص في الولاء للدعوة والدولة السعودية حتى استطاع أن يضم قحطانا الى طاعة هذه الدولة وأن ينال الثقة منها في توليته زعيما عاما لقحطان نجد (١) .

ولم تشر المصادر الى زعيم قحطان في تلك الفترة ويبدو أن سلطة رؤساء الأفخاذ قد فاقت في قوتها سلطة زعيم القبيلة كما لم تشر الى اختلاف قحطان عليه ما يبدو معه أن مشائخها كانوا يدينون لئسه

بالطاعة على أساس أنه مثل الدعوة ودولتها فيهم ، ومن هنا يمكن القول ان هذا التغيير القيادي في قحطان لم يلق معارضة تذكر منها فاستمر هادي على زعامته لها حتى اذا توفي خلفه ابنه محمد بن هادي الذي ظل على ولائه وزعامته للقبيلة طيلة بقية عهد الدولة السعودية الأولى والثانية ، وقد أثمر هذا التغيير القيادي ظهور قيادات عسكرية من هذه الأسرة القحطانية تمثلت في هادي ، وابنيه مبارك ومحمد ، وأخيه سعد علاوة على ولاء قحطان الشامل للدعوة السلفية (١) .

أما الدواسر فقد بدأ التغيير القيادي فيها عندما بايع ربيع وبن ابننا زيد الدوسري رئيس المخاريم سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م ، ولما كانت الدواسر من القبائل المناوئة للدعوة حتى هذه السنة فقد آثرت حكومة الدرعية أن تولي ربيع قيادة قبيلة الدواسر كلها حاضرة وبادية مما أثار حفيظة بقية الدواسر خاصة الرجبان والوداعين فبرزوا معارضتهم لامارة ربيع في عدة أساليب وفي فترات متعددة ، على الرغم من أن ربيع يختلف عن هادي في كونه أمير فخذ أو ابن أمير ، إلا أن الدواسر استنكفوا أن تكون امارتهم العامة بيد المخاريم على أن المصادر لا تبين لنا في أي الأفخاذ الامارة العامة ومن هم اسم الأمير قبيل الدواسر ، وقد مر بنا في الفصل الأول والثاني من هذا الباب صور من معارضة الدواسر لامارة ربيع الذي عرفت الدرعية له مكانته ودوره في نشر الدعوة في الجنوب واخضاع الدواسر لطاعة الحكومة فأبته على امارته العامة ليخلفه ابنه قاعد بعد ذلك .

(١) ابن بشر ١ / ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ،

١٥١ ، ١٦٢ ، ٢١١ ، ٢١٨ / ٢ ، ٤٨ ، ٩٠ ، ١٤٧ ، ١٧٤ دحلان :

٢٨٢ ، ٢٨٤ .

ويمكن رصد أوجه الخلاف في التغيير القيادي بين الدواسر والقحطانيين استنادا لما سبق فيما يلي :

أ - أن هادي بن قرملة لم يكن زعيما قحطانيا قبلها لدعوتيننا كان ربيع زعيما وابن زعيم دوسري .

ب - لم يلق هادي معارضة تذكر أو على الأقل لم تكن بالدرجة التي لقيها ربيع .

ج - ثبات مركز ربيع في وادي الدواسر بحاضرتة السليل لكونه أميرا بدويا حضريا بينما كان هادي زعيما بدويا ان لم يتحضر قسم كبير من قحطان في تلك الفترة .

د - استمرار امارة قحطان بيد هادي وابنه حتى نهاية الدولة السعودية الثانية بل حتى الآن بينما لم تشر المصادر السنية استمرار امارة ربيع وابنه الا الى نهاية عبد الله بن سعود وذلك بلا شك راجع الى قوة معارضة الدواسر لربيع وابنه (١) .

ومن تتبع سلسلة زعماء القبائل التي والت الدعوة في الدوسر السعودي الأول - ولو لفترات متقطعة - يتضح عدم وجود تغيير في هذه القيادات ان بقيت القيادة العامة في الأسرة التي كانت قبل الدعوة والتي استمرت بعدها كذلك فيما عدا هاتين القبيلتين اللتين يمكن أن يكون لعدم بروز قيادة عامة لهما في تلك الفترة ، أو عدم الولاء الشامل السريع دور رئيسي في ذلك التغيير (٢) .

-
- (١) كان أمير الدواسر في عهد الامام تركي بن عبد الله هو سلطان بن قويد ولم يتبين لي هل هو من أسرة ربيع بن زيد أم لا (ابن بشر ٢/ ٤٧)
- (٢) ذكر العجلاني في عهد سعود بن عبد العزيز ص ٣٣٣ نقلا عن مانجان سلسلة زعماء القبائل النجدية على تحريف في الأسماء ، وأبرز ما في التحريف خزيم بن لحيان زعيم السهول الذي يرسه خزيم ، وكذلك قاعد بن ربيع الذي رسم قائد بن ربيعان ، وكذلك محمد بن هادي بن قرملة الذي رسم محمد بن عاملة .

والخلاصة أن تلمس آثار الدعوة السلفية في هذا الجانب لم يظهر
لي إلا في هذه الجوانب الثلاث وهي :

أ - التحركات الجماعية لبعض القبائل الى خارج منطقة نجد كما
حدث من الظفير وشمر وعنزة .

ب - التحركات الجماعية لبعض القبائل باتجاه منطقة نجد كما حدث من
عشيرة وحرب .

ج - التغيير القيادي لبعض القبائل كما حدث من الدواسر وقحطان (١)

٤ - أثر الدعوة على بعض أساليب الحياة العامة والعادات والتقاليد لدى
بادية نجد :

لقد وقفت دولة الدعوة في وجه العادات والتقاليد البدوية السيئة
كما كيفت - الى حد ما - أساليب الحياة العامة بما يتماشى مع مبادئ
الدين ، ومن أبرز ما تم القضاء عليه أو وجه توجيهها اسلاميا ما يلي :

أ - نظام الدخيل والربيط :

لقد بادرت هذه الدولة بالقضاء على نظام الدخيل بصورته الجائرة
التي سبق بيانها في الباب الثاني ، والتي كانت أسلها من أساليب
تكريس الظلم ، وإحقاق الباطل وإبطال الحق ، وخرجت بالاجارة لمشروعة

(١) أفادني أحد القحطانيين أن امارة قحطان العامة قبل هادي بن قرملة
بيد العماج - واسرته لا تزال معروفة وقد أسست هجرة العماج قرب
الرياض ومارتها فيها - ولعل العماج كان كبيرا في السن أو ضعيفا
أو عقيما ، وكان هادي من كبار رجاله ولكنه ليس مشهورا بالزعامة ، فخلف
العماج على الامارة وكان قد بايع الشيخ محمد والامام عبد العزيز وقد
بنى هادي بعد فتح الحجاز مسجد أقرب قصر السقاف لا يزال يسمى
مسجد هادي ، وخلفه على الامارة ابنه محمد وكان عقيما فخلفه أخوه
عمرو امارة قحطان العامة في عقبة الى الآن وهم يسكنون هجرة الريس
قرب القويمية ، وانظر : (ابن جنيد : عالية نجد ٢ / ٦٤٧) .

عن هدفها الخير ، وفي هذا السبيل ألزمت الدولة رؤساء القبائل بتسليم أى مجرم يلجأ الى شخص آخر الى الدولة لتنفيذ فيه أحكام الشرع ويؤدب المجير أو يواجه من قبل رئيس القبيلة أو أمير البلدة لئلا يجير مجرماً بعد ذلك (١) .

على أن الدولة كانت تشجع نواحى الخير فى الدخالة كما اشارت الى ذلك قصة الشبرمى (٢) أمير سميراء فى عهد الامام سعود بن عبد العزيز ، وهى قصة تحمل فى مضمونها عفو الدولة عن افساد الشبرمى تحت تأثير ابنته لفريق من حرب نهبوا مواشى من القصيم عندما اطمأن الامام سعود لهدف الشبرمى الخير من وراء تلك الدخالة (٣) .

-
- (١) د : العجلانى عهد سعود بن عبد العزيز ٣٣٠ .
(٢) الشبارمة يرجعون الى شبرمة من بنى وهيب من بنى تميم يوجد منهم أسر فى سميراء والقصيم ويرجع اليهم بعض الأسر النجدية الاخيرة سواء فى نجد أو الزبير أبرزهم آل مانع وآل شيحة وآل حبيب فى سدير والسواك فى الزلفى والقصيم ، وآل أبا حسين فى أشيقر . (حمد الجاسر : معجم الاسر المتحضرة ١ / ٤٤١ ، ٤٤٢) .
(٣) ملخص القصة أن فريقاً من حرب أخذوا ابلاً لأهل القصيم فبعث فى أثرهم حجيلان بن حمد سرية لحقت بهم حتى وصلت سميراء وهناك الشبرمى ان لم يسلم الحروب مع مواشيهم فحاول تسليمهم تحت تأثير ابنه الا أن ابنته - وكانت شاعرة - عابت عليه ذلك ، وطلبت منه أن يسلم لأهل القصيم ما اخذ منهم من المواشى فقط ، ولكن الشبرمى - وقد نفذ ما اشارت به ابنته - خاف من سطوة حجيلان فاشارت عليه بالقدوم على الامام سعود بن عبد العزيز وعرض الوضع عليه فلما قدم على الدرعية واخبر سعوداً بذلك غضب عليه عدم اطاعة أوامر حجيلان ، الا أن أحد جلساء الامام انصف الشبرمى واشئى على رأى ابنته الصائب فأعجب الامام بها وخطبها من أبيها وأمره أن يرجع راضياً مرضياً وكتب الى حجيلان بعدم معارضة الشبرمى بعد ذلك وأن يجهزه وابنته للقدوم الى الدرعية فقدموا اليها وتزوجها الامام سعود ، وليس ممن المعروف هل أنجبت له أولاداً أم لا ، وكانت الشبرمية قد قالت أبياتاً

ومن المعتقد أن الدولة قد قضت أيضا على نظام الربيط الذي كان من اسباب اشغال الفتن بين القبائل لنهب هذا الربيط أو ذاك ، أما من كان لديه ثأر أو أى من الحقوق فانه يلجأ الى الدولة التى تقيم له القصاص ان كان عمدا أو الدية ان كان شبه عمد أو خطأ ، وتأخذ لكل ذى حق حقه .

ب - وضع المرأة :

اذا كانت المرأة البدوية تعيش قبل الدعوة فى حرية وكرامة ، فقد اكدت الدعوة استنادا لمبادئها الاسلامية على تكريم المرأة وعدم غمطها حقها مما أضفى على ذلك الوضع التكريمى قبل الدعوة توجها من التنظيم وابرار بعض الحقوق التى كانت تفتقد لها المرأة البدوية قبل الدعوة وقد حفلت الرسائل الوعظية التى كان يوجهها ائمة الدرعية بالحث على تكريم المرأة (١) .

= تنمى فيها الرأى القائل بتسليم الحروب منها :
بعذر السحاب لوتزبرولا هــلـ وبعذر ولى العرش لوما سقانا
أخذ القصير وزا بن البيت ما حل لولاه يا من جالنا ما نصانا
المرء الاخرى يجنب الـسى ذل يلقى الدروب مفتحات بلاننا
تهزموا يا الفوش ترى ما لكم دل ولو مرشد حي بسيفه حماننا
ويروى الشطر الثانى من البيت الثالث : (ما ضاقت الدنيا عليهم
احذانا) كما يروى الشطر الثانى من البيت الرابع (ولو والدى حسى
بسيفه حمانا) ومعنى هذا أنها ليست بنتا لأمر سيرا الذى الجأ
الحروب وربما كانت أخته . للتفصيل فى القصة ورواياتها : (عبد الله
اللويحان روائع من الشعر الشعبى ط (٢) مطابع القوات المسلحة
السعودية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ابن رداى : شاعرات
من البادية ٢١١ ، ٢١٢) .

(١) د : العجلانى عهد سعود بن عبد العزيز ٢٥٤ .

ومن الطبيعي والدعوة السلفية دعوة تجديدية أن تولى المرأة جانبها من اهتمامها ، وأن تجعل من توجيهاتها انصاف المرأة والدفاع عن حقوقها التي كفلها لها الله ورسوله ، بل يمكن القول ان من أسس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا الانصاف والتكريم للمرأة ، ومحاولة الرفع من مكانتها الاجتماعية بالقدر الذي تسمح به الأوضاع الاجتماعية السائدة ولا يتعارض مع تلك المبادئ التكرمية (١) .

وإذا كانت الأوضاع العامة في البادية قبل الدعوة قد أعطت المرأة - في نطاق تكريمها - الحرية الكاملة في التصرف بالشئون العامة للأسرة واستقبال الضيوف لدى بعض القبائل ، إذا كان ذلك كذلك فإن الدعوة قد أرادت تهذيب هذا التكريم لينسجم مع طبيعة المرأة التي خلقها الله عليها .

وقد نظر علماء الدعوة في أهم قضية كانت تعاني منها المرأة البدوية وتقف حجر عثرة في سبيل تكريمها وهي قضية التحجير أو التحجير أو التحمين التي مر تفصيلها في الباب الثاني فأفتوا بتحريم ذلك وشددوا النكير على فاعله ، وإذا كان العلماء في ذلك لم يقضوا على هذه الظاهرة قضاء تاماً فقد أصبحت تمارس على نطاق أقل من السابق وإن كان ذلك إلى وقت قريب (٢) .

وقد راعت الدعوة جهل كثير من البدو بأحكام النساء فأفتى بعض العلماء بالتأخير بالمعذر بالجهل لمن تزوج في عدة الطلاق جاهلاً ، ولكن يفرق بينهما حتى تنقضي العدة الأولى من الطلاق الأول ثم تعتمد من وطئه في عدتها فإذا انقضت العدتان حلت للزوج وهو

(١) حمد الجاسر: المرأة في حياة امام الدعوة . بحث قدم لأسبوع الشيخ محمد عبد الوهاب ص ١ .

(٢) ابن قاسم: الدرر السنية ٦ / ٣٢١ .

واحد منهم ، ولا شك أن هذه الفتوى قد سرت ابن البادية وجعلته يتقبل الدعوة بهيسر وسهولة خصوصا اذا علمنا أن هذه الفتوى قد ردت في مضمونها على من قال ان حكم المتزوج في عدة الطلاق حكم الزاني (١) .

ج - اللباس :

لقد وهم قسم كبير من البدو والذين أعلنوا ولاهم للدعوة أن هذا يقتضى منهم الاقتصار على نوع معين من اللباس ، الا أن علماء الدعوة وأئمتها كانوا لا يرون الاقتصار على نوع معين من الأزياء ما دام مباح المادة ليس حريرا كاملا أو مشوها به ، ولم يقصد به التشبيه بالكفار ، ساترا للمعورة غير مسهل ، وليس خاصا بأهل دين معين (٢) .

وحتى العمامة التي كان أهل البادية يعتقدون بأن لبسها كان دليلا على الدخول في الدعوة ، ويوالى على ذلك ويهادى عليه ، قد بين علماء الدعوة بأن ليس في السنة ما يفيد بأن لم يلبس العمائم فقد أتم ، بل اللباس على أى كيفية من المباحات وموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم ليس في الاقتصار على لبس العمامة التي هي زى مثل أى زى آخر ، لانه ليس للمؤمنين شئ يتميزون به في الظاهر من الألبسة المباحات فلا يتميزون بلبس دون لباس - اذا كان مباحا - به - يلبسون ما جرى العرف بلبسه ، والرسول صلى الله عليه وسلم ليس جميع أنواع الألبسة الموجودة في عهده والمتوافرة لديه ، واللباس كما يقال عادة وليس عبادة اذا كان متمشيا مع القواعد العامة في المجتمع وتوفرت فيه الشروط الشرعية السابقة (٣) .

-
- (١) ابن قاسم : المصدر السابق ٣٢٨/٦ .
(٢) عبد الرحمن بن سليمان الرويشد : الوهابية حركة الفكر والدولة الاسلامية ط (٢) ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م دار العلوم للطباعة القاهرة ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) للتفصيل في رأى علماء الدعوة باللباس : ابن قاسم : العدد ١١٥ / ١ - ١٣١ ، وانظر ابن تيمية : الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ط (٤) المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ص ٢٣ .

وقد التزم أئمة الدعوة بهذه المبادئ فلم يؤثر عن أحد منهم أنه تعمم ، وحتى الامام عبد العزيز وهو أشدهم تمسكا بمبادئ الدعوة لم يتعمم ، بل كانوا جميعا يلبسون ملابس ترى فيها آثار نعمة الله من الثراء والبساطة وأبرز ما كانوا يلبسون على الرأس العصائب التي تشبه العقول وتقوم مقامها ، على اختلاف بينهم في التزام جانب البساطة أو الترف المحدود في ذلك (١) .

ويؤكد علماء الدعوة بشكل عام على عدم الخيلاء في اللباس والتزام البساطة في هذا المجال مع إبراز نعمة الله سبحانه على المسلم في الثوب الحسن والنعل الحسنة لان الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على خلقه ، ولهذا فقد كانوا لا يرون العيب ملبوسا خاصا بأهل التقى والورع كما تصور كثير من الناس في بدايئة انتشار الدعوة فيما يبدو (٢) .

د - المشرب ورأى الدعوة في بقية العادات :

لقد مر بنا أن مشروبات البادية لم يجد عليها جديد يستدعى النظر وابداء الراى الشرعى فيها ما عدا القهوة والتبغ ، وقد رأينا طرفا من رأى العلماء في نجد في هذين المشروبين .

ولما كانت الدعوة تسير نحو تحقيق أهدافها السلفية وفسق الأسس العقديّة والتشريعات الاسلاميّة التي تتبع المبدأ القائل : " يجد للناس من الأقضية ما يجد لهم من القضايا " فانها قد قامت ببحث كل ما يجد ويحدث من العادات والتقاليد المكتسبة لتحديد موقفها منها بما يتفق مع أحكام الاسلام المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح ، ومن هنا فقد نظر

(١) الويكى ١٧٢ .

Burckhardt. Nots. 1/102.

(٢)

علما الدعوة في هذين المشرويين وأصدروا فيهما من الأحكام ما يتلائم مع طبيعتهما استنادا الى مبادئ الاسلام وتشريعاته .

أما التبغ فانه اذا كان علما الأمة الاسلامية قد بحثوه — من الناحية الفقهية واختلفوا فيه ما بين مبيح ومكره ومحرم ، فان علما نجد قبل الدعوة كان فيه كلام طويل خلصوا فيه الى التحريم كما مر بيـان ذلك عند مشرب البادية قبل الدعوة .

ولما رأَت الدعوة في التبغ — استنادا الى طبيعته والى آراء العلماء فيه قبل الدعوة — تبذيرا واضاعة للمال ، واضارا بالصحة ، وشيئا من التخدير والتغدير وافساد الأمزجة فانها لم تقف فيه عند حد الرأى الفقهى بل أوعزت للدولة بملاحقته في كافة المناطق التابعة لها وتأديب من كانوا يتعاطونه عن علم بمضاره وحكمه ، وانه لغفر يسجل للدعوة ودولتها في ملاحقة هذا المشروب الضار منذ مائتى سنة — سابقة في هذا الحملات التى تقوم بها وزارات الصحة والمنظمات الصحية الدولية والاقليمية للحد من انتشاره (١) .

ولما كان التبغ قد انتشر في البادية قبل الدعوة كما مر ، وأصبح لدى بعضها عنوانا للرجولة والشهامة والكرم كما سلف ، فان الدعوة قد حاربتة في مبدأ الأمر بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولما كان ابن البادية يحب البساطة في الأمور الدينية ، وتعليل الأحكام — ان اشعاره بمضار التدخين وتحريمه على أساس هذه المضار كان كافيا لاقلاع قسم كبير من البدو عنه ممن وقر الدين في قلوبهم ، بل محاربتة من منطلق العارفين به مذكرين ابنا البادية الآخرين بأضراره ، ولقد كان من مظاهر الولاء للدعوة السلفية بعد أدا أركان الاسلام

(١) عبد الرحمن الروشد : المرجع السابق ص ٢٥ ، وقد أوصت منظمة الصحة الدولية مؤخرا بمنع زراعة وتصنيع التبغ ، والقيام بكافة اشكال الدعاية والاعلان له ، وتشجيع الذين يقلعون عنه . (انظر صحيفه الجزيرة عدد ٣٧٠٢ الاثنين ٢٢ محرم ١٤٠٣ هـ / ٨ نوفمبر ١٩٨٢ م ص (١١) .

الاقلاع عن التدخين الذى أصبح يلقى عقوبة تعزيرية قد تصل السس أربعين جلدة أو أكثر أو أقل ولكنها لا تصل الى مستوى عقوبة الخصر فى شدة الضرب وهذا يدل على سبق فى مكافحة هذه الآفة الضارة (١)

وقد أصدر أبنا^١ الشيخ وتلاميذه تحريمهم للتبغ لا على أساس أنه بدعة كما ذكر ذلك بعض الكتاب الغربيين بل على أساس مضاره ، وهم فى الوقت نفسه قد نعو على العلماء قبلهم أو المعاصرين لهم عدم تحريمهم لهذا المشروب الضار ، وما من شك أن هذا وعى فقهى توفر لعلماء الدعوة بسبب صفا^٢ المنهل الذى يستمدون منه أحكامهم (٢)

وقد اعتبر بعض المعارضين للدعوة السلفية من الفئات الاسلامية الأخرى تحريم التدخين والعقاب على شربه مطعنا من المطاعن على الدعوة ، على أن هذه العقوبات لم تكن من أوليات الدعوة بقدر ما هى مقارنة لهذا المشروب بغيره من المشروبات التى ورد الدليل بتحريمها وتحديد عقوبتها ، ثم انه من سخف الحاقدين على الدعوة أن يركزوا على منع التدخين الذى يعتبر حسنة من حسنات هـذـه الدعوة المباركة (٣) .

وعلى أى حال فقد ظل الهد وطوال عهد الدولة السعود ية الأولى يحتفظون بمظهر من الولاء للدعوة فيما يتعلق بالتدخين ، فقد امتنع رؤ ساءهم على الأقل عن تعاطى شربه ، أما بعض عامة البـد و

(١) ابن قاسم : الدرر ٤ / ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، د ماضى : المرجع السابق ١ / ٦٢ ، Burckhardt . Nots.1/102.

(٢) ابن قاسم : الدرر ٤ / ٤٥٣ ، د عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٤٤ .

(٣) محمد جواد مغنية : هذه هى الوهابية ط (١) بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ص ٧ ، محن الأمين العالمى : كشف الارتياح فى اتباع محمد بن عبد الوهاب . ط (٣) مطبعة بن زيدون بدمشق ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

فانهم يشربون التبغ بالخفا^١ يساعدهم عليه جو الصحراء الفسيح ،
وكراهية الدولة للتجسس ، لكنهم يكونون للدعوة والدولة كل مظاهر
الولاء والاحترام بحيث أنهم اذا شعوا اطلاعا من الدولة على شربهم
يختمون عنه وقد يكون هذا نهائيا في اكثر الحالات (١) .

أما القهوة فلم يذكر عن علماء الدعوة في تلك الفترة أو بعدها
كراهتها فضلا عن تحريمها بل انهم كانوا يتعاطونها في مجالسهم
ولم ينكروا على من يشربها أو يكره تعاطيها مزاجا لا شرعا .

وقد ألف أحد علماء الدعوة رسالة في اباحة القهوة ورد الشبه
التي اعترضت من كرهها أو حرمتها التي سبق بعضها في مشرب
البادية قبل الدعوة سواء من العلماء قبل الدعوة أو بعدها ، وما من
شك في أن هذا الموقف قد سر أبناء البادية الذين يعتبرون القهوة
عنونا للرجولة والكرم معتبرين هذا الموقف من الأدلة على واقعية
الدعوة التي تستلهم مبادئها من أحكام الاسلام الواقعية ، والتي
تبيح كل نافع وتحرم كل ضار (٢) .

واستنادا الى رأى الدعوة في القهوة فقد كانت حكومتها تدعم
هذا المشروب خاصة في شهر رمضان المبارك حيث يشرب مع الافطار ،
وفي العشر الأواخر حيث يتطلب القيام بالليل الترويح عن النفس يشرب
القهوة مع السماع للذكر واصبحت هاتان العاداتان من أبرز عادات
النجديين في هذا الشر الكريم حتى الآن ، ومن الطبيعي أن يشمل
هذا الدعم البدو حيث كان يمثل في ارسال أكياس البن ، أو بيعه

(١) تقرير جان ريموند ص ٣ ، Burckhardt, Notes. 1/106.

(٢) من الغريب أن يشن المعارضون حملة على الدعوة على أنها حرمت
القهوة علما أن موقف الدعوة في هذا واضح كل الوضوح ولم يستطع
بعض الباحثين المناوئين انكاره . (عبد الرحمن الرويشد ص ٢٥ ،
محسن العاملي ١٤٦) .

نقوم يشتري بها بنا للأغراض السابقة توزع في كل المساجد والنواحي والبادية التي يوجد فيها تجمعات سكانية (١) ولا شك أن هذا شجع التجديين بادية وحاضرة على ادخال هذه الاغراض ضمن مشاريع الخير في رمضان ، وشجعهم كذلك على التمسك بعادة شرب القهوة وتقديرها لكل ضيف قادم مهما كان صغيرا أو كبيرا .

وقد نظر بعض علماء الدعوة في بعض المعتقدات الطبية لدى البادية والتي لها أصل قديم عند العرب ، فقد تواتر لدى قسم كبير من بادية وحاضرة نجد منذ زمن متقدم أن دم الهرزان (٢) يشفى من داء الكلب (٣) ، وقد أفاد بعض هؤلاء العلماء بأن ذلك لا أصل له في الشرع وأن التداوى بالنجس - كالدّم - حرام . ولم ينكر هؤلاء العلماء دعوى نفعه لداء الكلب بالتجربة إذا فتوا بأن هذه الدعوى لا تبطل ما دام أن التداوى بالدم أصلا حرام ،

-
- (١) ابن بشر ١/١٧٣ ، ٢٣٠ .
 (٢) ذكر الشيخ ابن قاسم في الدرر ٤/٢٤٧ الحاشية أن الهرزات من سبع وهو يقصد الهرزات الذين هم من السهول على الرأي القائل بأن السهول يرجعون الى سبع ، ولكن المقصودون بعلاج داء الكلب هم الهرزان أحد أفخاذ بربه من مطير والنسبة اليهم برازي . (حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة ١/٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٢٧٥) .
 (٣) داء الكلب ويسمى رهبة الماء : مرض خطير يصيب الحيوانات عادة وخاصة الكلاب والقطط والذئاب والثعالب سببه فيروس يصيب الجهاز العصبي ويوجد في اللعاب من الحيوان المصاب ومن ثم ينتشر بالعض ومن اعراضه الشراسه والضراوة وسرعة الانفعال ثم الوهن والكآبه فالشلل والموت ويخاف الانسان المصاب به من الماء لأنه مرتبط بالفتن بالموت ، وله علاجات وأمصال معروفة طبيا : للتفصيل (الموسوعة العربية الميسرة ٧٧١ مادة داء ، وصحيفة الجزيرة عدد ٣٨٨٥ الثلاثاء ٢٧ رجب ١٤٠٣ هـ / ١٠ مايو ١٩٨٣ م ص ٣١ ، عدد ٣٩٦١ الاربعاء ٢٤ شوال ١٤٠٣ هـ / ١٣ أغسطس ١٩٨٣ م ص ٧) .

ومعنى هذا أن هؤلاء العلماء قد أطلعوا أو سمعوا من ثقات شہوت
نفعه لهذا الداء (١) .

ورغم ما حدث من نقاش حاد حول هذا الموضوع مؤخرا بين ناف
لذلك ومعه خرافة من الخرافات التي حفل بها تاريخ الطب عند
العرب ، ومن مؤكده سواء من أبناء هذه القبيلة الذين أبدوا
استعدادهم لتطبيق التجربة على مرأى من أهل العلم والنافين له
أو من غيرهم ممن يؤكدون نجاح هذه التجربة معهم (٢) ، رغم
كل هذا فمن الصعب نفى نجاح التجربة أو تأكيد صحتها وبقاها بين
ذلك وبين صحة الاقتناع بها والتي ما من شك في أن أول أسبابها
ناحية نفسية إجتماعية لا أقل ولا أكثر (٣) ، إذ من المعروف أن
الحاجة أم الاختراع ، والبدون محراثهم ينقصهم الكثير من
المستحضرات والمساحيق الطبية ومن هنا فقد تفتقت أذهانهم عن
علاجات جيدة وغير جيدة واقتنع النجديون حاضرة وبادية بتلك
العلاجات الجيدة حتى الآن إذ ما زالوا يعتقدون بأن هناك أمراض
لا ينجح معها إلا الطب الشعبي المشتهر لدى البدو وتلك ناحية
نفسية قد تأصلت في نفوس النجديين ، ولعل لما عرف عن هذا الفخذ
من صفات الكرم والرجولة والشهامة أصل في هذا إذ أن اغاثة الملہوف
ومعالجة المريض بنفوس رضية وما شابه ذلك أمور تبين أصالة معدن القائم
بها والاقتناع بالتالي بما يمارسه من صنوف الاستطباب ، على أن هذا

-
- (١) ابن قاسم : الدرر ٢٤٧/٤ .
(٢) حفلت الصفحة ما قبل الأخيرة من صحيفة الجزيرة بهذا النقاش ففى
أعداد كثيرة منها ٣٧٨١ ، ٣٨٢٢ ، ٣٨٧٠ ، ٣٨٧٢ ، ٣٨٧٤ ،
٣٨٧٩ ، ٥٨٨٥ ، وأبرز المناقشين فيه الشيخ حمد الجاسر .
(٣) صحيفة الجزيرة عدد ٣٨٨٥ ص ٣١ من مقال للدكتور سعد الصويان .

لا يمنع بتاتا أن يكون لدى هذا الفخذ حصانة ضد هذا المرض بأي سبب من الأسباب (١) . ولعل عدم نفي علماء الدعوة له - رغم التحريم الصادر منهم دليل على صحة وقوعه وشيوعه - نفع تجربته ، وكأنهم فيما يبدو - يرون البحث عن علاجات أخرى فإذا لم يتمسكوا بذلك وخشى على المريض الهلاك عولج بذلك .

وإذا كان جو الصحراء الفسيح قد فرض على البدوي نوعاً من الحرية ما جعله يستجيب لكل ما تعلية عليه مشاعره سواء كان ذلك وهو يرى الابل أو الغنم ، أو وهو يعيش حالات الغرام أو الحزن لممكن هذه الاستجابة بالغناء بالربابة (٢) أو بدونها إذا كان ذلك كذلك فإن الدعوة قد دخلت لتهدب هذا الأسلوب وتجعله ينسجم مع الوضع الديني الجديد الذي يجب أن يعينه البدوي ، وهو الانصهار في بوتقة تعاليم الدين والتي تجعله يعيش حياة جادة لا تخلو من بعض الترويح البريء الضروري للنفس ، وفي هذا المجال

(١) صحيفة الجزيرة عدد ٣٨٧٩ ص ٣١ من مقال بقلم محمد الأحيدب من كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود .

(٢) الربابة أو الرباب بفتح الراء ، قال في القاموس آلة لهو يضرب بها ، ومدود بن عبد الله الواسطي الربابي يضرب به الشل في معرفة الموسيقى بالرباب ، وقد اختلف في أصل تسميتها ، ف قيل ان أصلها عبري من لبيب وأبدلت اللام بالراء ، وقيل ان أصلها فارسي ، ولعل أرجحها كونها عربية الأصل ، وقد عرف المجتمع الإسلامي في عصوره المختلفة سبعة أنواع من الربابة ، والمشهور لدى بادية نجد هو النوع المربع أو المستطيل وهو يتألف من هيكل خشبي مربع أو مستطيل ، وجلد مدود على الوجه والظهر ، وعنق اسطوانتي من الخشب كذلك ، وله وتر واحد أو وتران يستمد هما البدوي من شعر الخيل يجربهما أو بأحدهما ، وعى ابلغ ما يطرب البدوي ويشير شجونه ويخفف من أحزانه ، وقد قل أثرها في بادية نجد بعد الدعوة ، ويفرق فهد المارك بينها وبين ربابة الصلب التي يقول عنها : انها آلة هزلية تعترف بها فئة سافلة لتفخر أخلاقاً منحطة ، للتفصيل : (الفيروز آبادي ٧١/١ ، فهد المارك : من شيم العرب ٤٢/١ ، الحاشية ، دائرة المعارف الإسلامية ١١/١ - ١٨) .

حرمت الدعوة على أتباعها من البدو الغناء بالربابة وغيرها ولكنها
أباحت لهم أن يحدوا على ابلهم أو اغنامهم ، أو يجلوأحدهم
ما بخاطره بأبيات لا تشتمل على محرم يصوغها بالحن لا تشتمل على
اسفاف أو مجون (١) .

وعلى هذا الأساس فإن الغناء والموسيقى والرقص والألعاب
المشروطة على جعل كلها محرمة في هذه الحياة الجادة الجديدة ،
ورغم أن البدوى قد تمسك بالغناء كأسلوب من أساليب الترويح
عن النفس في هذه الصحراء المقفرة فإنه كان على استعداد لتلقى
مبادئ الدعوة في هذا المجال ، ومحاولة تكيف حياته عليها
بالتقليل من ممارستها لهذه الأشياء ولو كظهر من مظاهر السولا
للدعوة ودولتها عند بعض البدو (٢) ، ان ما من شك في أن اشتهار
البدوى بالربابة جعل قسما من البدو يعودون الى ممارسة الغناء
عن طريقها بعد سقوط الدرعية عندما انعدمت الرقابة الحكومية
لتنفيذ مبادئ الدعوة (٣) .

(١) ابن قاسم : المصدر السابق ٣٦٠/٦ .
burckhardt. Nots. 1/103, 106. (٢)
(٣) ابن بشر ٢٨٣/١ .

الخاتمة

سأتناول هذه الخاتمة أبرز النتائج التي خلصت اليها من خلال الموضوعات التي لها صلة مباشرة بعنوان الرسالة صارفا النظر عمن الموضوعات غير المباشرة المبثوثة في ثنايا البحث حيث سبق أن قد منعت عرضا عاما عن العناوين التفصيلية لهذه الرسالة في مقدمتها ، وغنى عن البيان أن هذه النتائج أو غيرها من تلك التي مرت في هذه الرسالة ليست كلها تتسم بطابع الجدة فبعضها معروف لدى النجديين سواء كانوا باحثين أو غير باحثين ، وقد عرضت لى - كما قد تكون عرضت لفيرى - أثناء الاطلاع على المصادر والمراجع المكتوبة أو السماع للروايات الشفوية ، إلا أن جمع مثل هذه الروايات من مصادرها المحلية وغير المحلية وتحليلها وعرضها قد يكون شيئا جديدا ، ولا يمكنى بأى حال من الأحوال اعتبار ما توصلت اليه من نتائج قضايا مسلمة وتعبير تعبيراً صادقا عن المجتمع البدوى النجدي سواء قبل الدعوة أو بعد هــا ، فبالرغم من الجهد المبذول في هذه الرسالة ، فإن شأنه شأن أى عمل بشرى يمتوره النقص والخلل ، إلا ان لى من ملاحظات أستاذى المشرف السابقة واللاحقة والأساتذة المناقشين ومن يطلع على هذه الرسالة بعد هم ما عساه أن يسد بعض جوانب النقص كما أن أى نقد لأى وضع اجتماعى سواء كان قبل الدعوة أو زامنها أو أتى بعدها لا يمكن إلا أن يعد صفحات من التاريخ ولا يعبر عن أى اتجاه ، تلك أمة قد خلصت لـها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعطون " .

وبصورة عامة فإن أبرز ملامح التحولات القبلية التي مرت ببادية نجد منذ العصر الجاهلى وحتى قيام الدعوة السلفية هو تعرض هذه البادية لموجة التحضر بدرجة متفاوتة فيما بينها ، هذه الموجة التي حولت قبيلة كبيرة الحجم متعددة الأفخاذ كتميم من قبيلة بدوية خالصة قبل الاسلام الى قبيلة حضرية بأكملها حيث لا يوجد بين أفخاذها

أو أفرادها رُحِّل قبيل قيام الدعوة السلفية وحتى العصر الحاضر ، بينما حافظت قبيلة كبيرة الحجم متعددة الأفخاذ كذلك مثل طيء على درجة كبيرة من بداوتها خلال تلك الفترة حيث اتصفت أفخاذ منها بالطابع البدوي أكثر من الطابع الحضري حتى العصر الحاضر ، وقد تَكَثَّرت هذه القبيلة ببروز بعض أفخاذها قبل القرن العاشر الهجري وبعد ، حتى سيطرت على أغلب المناطق الرعوية في نجد كما حصل من أفخاذ لام الطائية ،

ومن أبرز مظاهر الوضع القبلي لبادية نجد منذ ما قبل الاسلام وحتى العصر الحديث اختفاء الأسماء القبلية القديمة وظهور أسماء أخرى لأفخاذ قوية في القبيلة أخذت زمام السيطرة فيها دون بقية الأفخاذ الأخرى ، كما أن من أبرز مظاهر هذا الوضع هو اختفاء قبائل أو أفخاذ معينة كانت لها الصولة والجولة في مضمار التنافس في البادية نتيجة لقوة قبائل أو أفخاذ أخرى أما أن تكون قد قدمت نجدا من مصدرى الامداد البشرى في شبه الجزيرة (الحجاز أو اليمن) أو قد تكون من القبائل أو الأفخاذ النجدية نفسها تمكنت تحت عوامل عدة — من فرض سيادتها القبلية على أغلب بادية نجد ، و طردت من كانت تتسنىم ذروة الزعامة القبلية قبلها .

ان اعتبار الباحث الضَّلَب " الخلاوية " فئة بدوية وأن السبب الرئيسى له اجتواء الصلب القرى والبدان والعيش في الصحراء " الخلا " — كما ير — عاما كاجتواء البدوان اختلقت أساليب المعيشة والعادات والتقاليد والصفات الجسمية والأصل الاجتماعى بين هاتين الفئتين البدويتين ، فان احتواء الصلَب بالقبائل البدوية وعقدتها معها ما يشبه الحف والجوار من أجل الحماية لقاء اتاوة معلومة ، يؤكد ما ذهبنا اليه

من أن البحث في الحياة الاجتماعية لدى الصلب يمكن إدراجه ضمن
البحث في الحياة الاجتماعية لدى البدو والصحراء، هذا بالإضافة إلى
بروز الطابع القبلي لدى الصلب حيث تنفر هذه الفئة إلى مجموعة كبيرة
من القبائل تضم عدداً من الأنحاز والعشائر والبطون كما مر .

وما من شك في أن اختلاف الآراء في أصل الصلب الاجتماعي
انما يعود إلى الأرواح الاجتماعية المتعددة التي تقوم بها هذه الفئة
في أوساط المجتمع النجدي من أغلب النواحي الحياتية ، ويبدو أن
جذورا تاريخية من تلك النظرة الاجتماعية من التي كانت موجودة لدى
عرب الجاهلية تجاه أرباب الحرف تعد من أهم العوامل في وجود تلك
النظرة النجدية تجاه الصلب وتعد تلك الآراء في أصلهم الاجتماعي .

ان استكاف مؤرخي نجد عن الإشارة إلى الوضع الاجتماعي للصلب
قد أوجد فرصة كبيرة أمام الباحثين الغربيين للخوض في تفاصيل الحياة
العامة لهذه الفئة حينما وجدوا هؤلاء المؤرخين وإلى حد كبير علماء
الدعوة السلفية - عدا إشارة بسيطة أوردتها فيما سبق - قد تركوا
الباب مفتوحاً أمام هؤلاء الغربيين كل يدلي بدلوه في تفاصيل تلك الحياة
ما أوقعهم في بعض الأخطاء في كثير من نواحي تلك الحياة رغم موافقة
بعض ما ذكروا لما تواتر لدى النجديين ، ويلمح الباحث أو المطلع على
أبحاث هؤلاء الغربيين وضوح جانب كبير من التخرصات في حديثهم عن
الحياة الدينية لدى الصلب حيث حفلت هذه الأبحاث بذكر عدد كبير من
المعتقدات الدينية لدى هذه الفئة كما مر ، وإذا كان من الممكن
القبول بوجود بعض هذه المعتقدات فلا يمكن القبول بوجود هذا الزخم
الهائل منها ، ولعل بعض هؤلاء الباحثين الغربيين قد أوردوا مثل
تلك المعتقدات وخاصة النصرانية في محاولة منهم لإضفاء الأصل الصليبي
على هذه الفئة النجدية التي عدّها علماء الدعوة من ضمن كفار البوادي

قبل الدعوة ، والمهم هنا أنه لولا التعظيم المطلق على أخبار هذه الفئة من المؤرخين المحليين لما تمكن هؤلاء * الغربيون من الخوض فى تفاصيل الحياة العامة لها دون الرجوع الى ما كتبه أبناء المنطقة عنها .

وقد وضح لنا فى الحديث عن الجانب الدينى من الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد قبل الدعوة بجانبها الدينى بعد هذا الجانب عن الدين الصحيح ، وكونه - فى الوقت نفسه - قد جعل من نفوس أبناء البادية أرضا بكرًا لا لقبول مبادئ * الدعوة السلفية فحسب بل للدفاع عنها ونشرها داخل نجد وخارجها ، وقد تمكنت من خلال تحليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لبعض جوانب الحياة الدينية لدى البادية قبل الدعوة التعرف على ملامح هذه الحياة سواء بشكل عام أو بمرور ببعض المعتقدات السيئة لدى بعض القبائل التى ذكرها الشيخ نفسه ، ورغم أن تحليل الشيخ الذى سبق التفصيل فيه فى الفصل الأول من الباب الثانى يعتبر أوفى تحليل عن الحياة الدينية لدى البادية إلا أنه لا يخلو من بعض النقص فى إعطاء الصورة الكاملة عن هذه الحياة وقد سدت الإشارة التاريخية والشعر العامى بعض هذه الثغرات مما يمكن الباحث من الخروج بتصوّر لا بأس به عن الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة وهو ما حاولت أن أقوم به فى ذلك الفصل .

وبصورة عامة فانه يمكن النظر للحياة الاجتماعية لدى بادية نجد قبل الدعوة من زاويتها السلبية والايجابية مثلها فى ذلك مثل ظواهر الحياة الاجتماعية لدى أى فئة أو مجتمع فيه الجوانب المشرقة وفيه الجوانب السيئة ، وأبرز ظواهر هذه الحياة تلك النظرة السيئة من البدوى للحضرى كما سلف الا من الضرورى الاشارة هنا الى أن هذه النظرة ليست موجودة لدى البدوى فقط بل كانت متبادلة بين البدوى والحضرى ، ومن هنا فان ما قد تجرّه من نتائج يتحمل أضرارها كـ

الفريقين ، وقد حفل التاريخ الاجتماعى لحاضرة نجد بالعديد من
الاشارات التى تبين أن هذه النظرة كانت متبادلة بين الحاضرة
والبادية ولم يكن البدوى النجدى فى تلك الفترة يدعى وجود مثل
تلك النظرة لديه فقد كانت متأصلة فى البدوى العربى منذ القدم ،
وهى موجودة فى المجتمعات الأخرى كذلك بل ان الذين يعيشون حياة
مخضمة بين البادية والحاضرة كـ بعض سكان القرى والأرياف ينظرون
النظرة نفسها لأبناء المدن ، على أن مجال العلاقات الاجتماعية بين
البادية والحاضرة فى نجد فى تلك الفترة قد حفل بوجود جوانب
مشرقة تعطلت فى الصداقات العميقة بين أفراد من الفريقين مرات اشارات
لبعضها فى ثنايا البحث ، ثم ان التكوين الاجتماعى فى بعض القبائل
النجدية بوجود حاضرة وبادية فيها يفرض وجود علاقات طيبة بين أقسام
كبيرة من الحاضرة والبادية ويجعل من الجوانب السيئة لتلك النظرة
غير ذات تأثير عميق فى مجال العلاقات الاجتماعية بين الفريقين الا فى
فترات الفوضى وغياب السلطة السياسية .

ومن بين النتائج التى توصلت اليها فى هذه الرسالة وضع المرأة
فى مجتمع بادية نجد قبل الدعوة كان وضعا جيدا لولا وجود قضية
المضل " التحجير" ، وبهذا يتبين لنا أن المرأة البدوية قد بزت زميلتها
المرأة الحضرية فى كثير من مظاهر التكريم الذى تفتقده كثير من نساء
الحاضرة بغض النظر عن وجود نساء فرضن وجودهن على عالم الرجال من
خلال بعض الصفات التى جعلت بعض الرجال يفسحون المجال أمامهن
للقيام ببعض الأدوار الاجتماعية ، وما من شك فى أن اضافة هذا الطابع
التكريمى للمرأة البدوية وملازمته - فى الوقت نفسه - لوجود ظاهرة التحجير
قد أوجد اختلافا فى درجة التكريم التى تلقاها المرأة البدوية ، ولا يبعد

أن يكون قد نجم عنه بعض النتائج السيئة التي لازمت هذا التكريم في بعض القبائل أو أفخاذ منها على الأقل ، وقد بلغت درجة التكريم هذه حدا جعلت البدوى يخاف على زوجته من الحسد خاصة اذا كانت شابة أو جميلة أو ذات صفات أخرى ممتازة فيصفها بأنها عجوز رء لعين الحُسَد (١) .

ويقف الباحث معجبا بنظرة البدوى النجدي للرقيق والخدم الذين حظوا بوضع تكريمى ربما لم يتسن لأمثالهم في المجتمعات الأخرى أو حتى لدى الحاضرة في نجد ، ولعل أبرز مظاهر هذا الوضع التكريم اللائق طيلة الرق أو الخدمة ثم اتاحة الفرصة للمعتق وتهيئة كافلة الوسائل للعيثر الكريم بعدها ، وبغض النظر عن الهدف وراء الاكثار من المعتق في اضافة نوع من الابهة تبعا لكثرة الحاشية فان الانعام على اعداد كبيرة من الأرقاء بالمعتق قد أتاح للمجتمع النجدي الاستفادة منهم في مجالات العمل المتعددة فيه وخاصة تلك التي يستتف منها أبناء القبائل البدو أو الحضر ، ولقد كان من لم يتمكن من الأعتاق أو يمتنع عن ذلك في حياته يضع بنداً مهما في وصيته يتضمن اعتاق أكبر قدر ممكن من أرقائه .

وكما مر بنا فقد كان الكرم علامة مميزة بل شمعة مضيئة بين مظاهر الحياة الاجتماعية لدى البدو وان تعتبر هذه الظاهرة من أعرق المظاهر الاجتماعية البدوية حيث تأصلت فيه منذ القدم ، ولم تزد ها الأيام الا رسوخا ، وزاد من رسوخها وتأصلها تشجيع الاسلام على انتشارها ، ومن هنا فلا غرابة أن يتجاوز البدوى في تمسكه بهذه الظاهرة أسلوب الكرم الحاقى الى أسلوب الكرم الابراهيمي الذي ورد ذكره في القرآن

(١) جاكين بيرين ١٢٦ و هذا الخوف متأصل في البدوى منذ القدم ولا زال موجودا لديه حتى العصر الحاضر .

الكريم كما سلف ، و البدوى فى اتباعه أسلوب الكرم الابراهيمى بل جمعه بين هذين الأسلوبين الذين يكمل أحدهما الآخر انما يهدف الى الوصول لقمة الكرم ، وهو فى هذا النطاق على استعداد لتسخير كافة مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى لخدمة الكرم سواء كان ذلك فى المشرب بادخال ما كان معروفا أو ما يجد من مشروبات أخرى كالقهوة والتبغ مثلا ضمن مظاهر ذلك الكرم على اختلاف بين البدوى فى درجة اعتبار التبغ مشروبا تكريميا ، أو سواء كان ذلك بتكليف العادات والتقاليد الأخرى لتتنشى مع هذه الظاهرة كالأكل حيث يهتم البدوى باشباع ضيفه ولو أدى ذلك الى استدانته ، وكتكليفه أسلوب الفوز بل حتى السلب والنهب والرهيق والدخيل بحيث يحرض البدوى وهو يمارس مثل هذه العادات أن لا تتعارض مع ما اشتهر عنه من الكرم ، ومن أبرز مظاهر هذا التكليف - كما مر - أنه لا يجوز أن يسلب من المخيمات أو من القبائل الصديقة بل يسلب من الأعداء فقط ، وفى حرب مكشوفة ، كما أن سلب النساء يعد أمرا معيبا فى أوساط المجتمع البدوى ، وهذا بلاشك يلتقى من قريب أو بعيد مع ظاهرة الكرم التى يمكن اعتبارها جماعا لكل خلق أصيل ، و اذا حدثت تجاوزات لهذين الأمرين فى بعض الأحيان فلأن ذلك يلحق المقت من عقلاء البدو وحكائهم ، ومن هنا يمكن اعتبار الكرم بجانبه المادى والمعنوى هو الموجه الغالب لكثير من تقاليد البدو وعاداتهم .

أما الخوة من جانبها الاجتماعى فيمكن اعتبارها أساسا للعلاقات الاجتماعية سواء بين البدو وأنفسهم من قبيلة واحدة أو نتيجة حلف أو جوار أو تحت مظلة الصداقة ، أو معبرة عن لون من ألوان العداة ، أو بين البدو والحضر الذين قد يجتمعون مع البدوى فى أصل أو حلف أو جوار أو يتعاملون معهم تعاملًا عاما كما أن أقساما من الفريقين قد

يضمّر العداء للفريق الآخر ، ولكنهم تحت ضغط الظروف القاهرة قد يلجأون للتعامل الاجتماعى مع بعضهم البعض، وفى هذه الحال تنطبق عليهم علاقات العداوة التى مر ذكرها ، والمهم فى هذا أن الخوة من جانبها الاقتصادى تخضع لنوع العلاقة التى تتم بها الخوة من جانبها الاجتماعى التى تجاوزت بعلاقاتها المتعددة لتشمل كافة الفئات الاجتماعية فى نجد كالصلب مثلا الذين رغم أنهم لا يتعرضون غالبا لاعتداء من القبائل البدوية فقد يمنحهم بعض البدو - بمقابل - أو بدون مقابل - جوارا ، على أنهم قد يقومون بنوع من أنواع الخوة وهو الدلالة فى الطريق الذى رغم أنه لا يوفر الحماية لمجازر الصحراء لعدم استئاده الى ركن شديد من قبيلة قوية ، أو عدم توفر السلاح مع الصلب ، فانه قد يوفرها بطريقة أخرى نتيجة معرفة الصلب بمفاوز الطرق ومسالكها الآمنة ، ومن هنا فانه يمكننا القول ان الخوة بجانبها الاجتماعى والاقتصادى تعد أهم ركيزة يقوم عليها المجتمع النجدى بشكل عام والبدوى بشكل خاص ، وكانت هى النمط الاجتماعى المنظم للحياة فى الصحراء أثناء غياب السلطة السياسية ولهذا فقد كان العابرون نجدا والقادمون اليها يضعون فى أوليات رحلتهم الاستفادة من خوة احدى قبائلها الموهوبة ، ويرصدون لذلك ما يتطلبه من مرتبات أو جوائز مقطوعة حيث كانت تشكل موردا ماليا جيدا لابن البادية ، ومن هنا كانت الخوة بجانبها الاقتصادى والاجتماعى بعلاقاته المتنوعة تشكل موردا ماليا داخليا وخارجيا للمجتمع النجدى ، كما تقوم بكافة أنواع العلاقات الداخلية والخارجية بما توفره من أموال من النجديين ، وغيرهم ، وبما توفره من فرص الاحتكاك والاتصال بين فئات المجتمع النجدى ، وبين المجتمع النجدى والقادمين اليه من البلدان الأخرى ، وهذا ما يسمح لنا بأن نطلق عليها " دبلوماسية البدو " حيث تقوم بكافة مهام الدبلوماسية بأنواعها الهادئة والعنيفة .

أما آثار الدعوة السلفية على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد فقد تطلبت منى القيام باستعراض تاريخى لمواقف القبائل الرئيسية فى نجد فى تلك الفترة من الدعوة السلفية ، وهذه المواقف كانت مبنية على وجود عدد من الغزوات التى قامت بها حكومة الدرعية ضد هذه القبائل وأنفخان منها سواء بمفردها أو بالاشتراك مع قبائل أو أنفخان أخرى أو قوى سياسية نجدية أو غير نجدية مناوئة للدعوة ودولتها ، كما كانت مبنية على وجود عدد من الغزوات التى قامت بها هذه القبائل أو هذه الأنفخان ضد الدعوة سواء كان ذلك بمفردها أو بتحزبها مع قبائل وقوى سياسية أخرى ، كما كانت مبنية أيضا على محاولات الدعوة السلمية الدخول الى قلوب هؤلاء البدو وعلى الاستعداد النفسى من بعض هذه القبائل رغم بعض المناوئات السابقة على الدخول فى الدعوة ، وقد وضح لنا أن هذه المحاولات الحربية والسلمية قد أثرت ولا شبة جماعى بين كثير من القبائل بل أثرا استعدادا نفسيا لدى بعضها لنشر هذه الدعوة داخل نجد وخارجها ، والتصدى للقوى السياسية سواء كانت بدوية أو حضرية نجدية أو غير نجدية تلك التى كانت تترهب بالدولة الوليدة الدوائر ، ورغم الملابسات التى اكتتفت بعض هذه المواقف فى وجود غزوات من الدولة ضد بعض القبائل المعروف ولائها التى يمكن أن يدرجها الباحث تحت المراحل الأولية لهذه المواقف أو أن ذلك نتيجة عدم وجود ولا جماعى فى هذه القبيلة أو تلك ، رغم هذه الملابسات فإن المرء يمكنه - بالاطلاع على مصادر البلدان المجاورة ، والمراحل المتأخرة لعلاقات هذه القبائل بالدولة - أن يخرج بتصوور شبه دقيق عن هذه المواقف تمثلت فى تفانى بعض القبائل فى السمو للدعوة ودولتها كسبيح وقحطان والدواسر وأنفخان من مطير وعتيبة وحرب وعنزة وشمر ، كما تمثلت فى مناوئة بعض هذه القبائل للدعوة ودولتها كالظفير وأنفخان من شمر وعنزة ، على أن أقساما من تلك القبائل المناوئة قد اتخذت من أسلوب التحضر والدعة وسيلة للدخول

فى طاعة الدولة السعودية الأولى ، وبغض النظر عما تبع ذلك من نقض كبير من هذه القبائل لهذه الطاعة حينما بدأ الانهيار يحل بالدولة السعودية الأولى نتيجة حملات محمد على عليها ، فانه يمكننا القول بأن هذه الدولة فى أوج قوتها — فى عهدى الامامين عبد العزيز بن محمد وابنه سعود — قد استطاعت أن تحدد مواقف تلك القبائل الرئيسية من الدعوة السلفية ، وكان من المنتظر انه لو مد الله فى عمر هذه الدولة — بالقوة نفسها — لتمكنت من تحضير قسم كبير من البادية النجدية — وهى فى مراتبها — وحملتها على الاستمرار فى تلك المواقف المؤيدة للدعوة ودولتها ، ومن هنا فانه يمكننا التماس الاسباب فى عدم ثبات بعض القبائل أو الانحياز على الولاة للدولة السعودية حينما تعرضت لحملات محمد على فى أنها لم يتح لها الانصهار فى بوتقة تعاليم الدعوة ، ولم تستطع استيعاب المحاولات التنظيمية التى قامت بها حكومة الدرعية لقصر مدة هذه الحكومة ، ولما ران على هذه القبائل من سنى الفوضى والقبلية الممقوتة ان لم تعرف نجد حكومة منظمة منذ عهد الراشدين وحتى قيام الدولة السعودية الأولى ، رغم خضوعها للولايات التابعة للخلافة الاسلامية ، ولبعض الحركات الثائرة والديلات المنفصلة التى لم تترك تأثيرات اجتماعية على البادية النجدية من تلك التى تركتها الخلافة الراشدة والدولة السعودية الأولى على اختلاف بين هاتين الدولتين فى درجة قوة ذلك التأثير واستمراره .

ولما كانت المؤثرات الدينية هى التى توجه الحياة الاجتماعية ، وهى ما كانت تقوم به الدعوة السلفية ، فكان لا بد من استعراض لآثار هذه الدعوة على الحياة الدينية لدى بادية نجد ، حيث تمثلت هذه الآثار فى تطبيق بعض القبائل البدوية لأحكام الاسلام ومبادئ السلفية تطبيقا جيدا ان أتاحت هذه القبائل لمبادئ الدعوة السلفية الدخول

في حياتها الدينية ، وسمحت للبعوث الدينية التي كانت تهتم بها
حكومة الدرعية بالتجوال في مراتبها وتوجيه حياتها العامة بما يتفق
مع أحكام الاسلام ، كما تمثلت في بعض مظاهر عدم الاستجابة السريعة
لدى بعض القبائل أو أنفاد منها ، هذه المظاهر التي كان أبرزها
رفض تأدية الزكاة للأمير القبلي المعين أو المؤيد من حكومة الدرعية
ان تنظر هذه القبائل أن دفعها يعني الخضوع لحكومة منظمة تلغي
مشيخة القبيلة أو ما يصدر عنها من أعراف وتقاليد ، ويبدو أن هذه
القبائل ما كانت ترفض دفعها لأنها ركن من أركان الاسلام الا بقدر ما كان
ي صاحب قبضها من قسوة بعض الأمراء القبليين أو جباة الزكاة ، على أن
دفعها لحكومة منظمة يعتبر من الأشياء الجديدة على حياة البدو
الذي يتطلب شيئاً من الترويض والتوعية كما أن ذلك الرفض قد دخل
في باب الاحتقار لبعض الأمراء القبليين الذين تم تعيينهم أمراء عاميين
على بعض القبائل بتأييد من حكومة الدرعية نتيجة اتباعهم مبادئ الدعوة
السلفية وتغانيهم في خدمة الدولة السعودية ، وهم لم يكونوا أصحاب
رصيد قيادي قوى في قبيلتهم كربيعة بن زيد أمير الدواسر كما مر .

ومن مظاهر عدم الاستجابة السريعة للدعوة السلفية امتناع بعض
الأنفاد أو أفراد منها على الأقل عن تأدية الصلاة سواء بالكلية أو جماعة
في المساجد وهي أمور ما كانت تقبل حكومة الدرعية التنازل عنها للأمر
الشرعي بذلك وللمعطيات الاجتماعية المثالية التي تتحقق من أدائها
جماعة ، ويبدو أن الامتناع عن تأدية الصلاة هو الآخر يدخل في نطاق
عدم الانصياع للحكومة ان يعتقد بعض أفراد البدو أن ذلك يعني
الخضوع للأمير القبلي ، وبالتالي الخضوع للحكومة المركزية وترك
أوضاع سلطة شيخ القبيلة عليه ، وقد مرت بنا إشارة عن هذه الظاهرة

فى قبيلة الدواسر صراحة فى الأرجوزة التى مرت ، وفى قبيلة الظفير
تحت لفظة عامة ذكرها ابن بشر بقوله : " تضييع بعض فرائض الدين ^(١) " ،
وعدا هاتين الظاهرتين اللتين يمكننا اعتبارهما حالات خاصة فى الأفراد
أو الأنفاز على الأكثر ، كما يمكننا ادراجهما تحت عدم الفة البدوى
النجدى للتنظيمات الحكومية و جهله المطبق بتعاليم الدين ، عدا
هاتين الظاهرتين فقد استطاعت مبادئ الدعوة التغفل فى نفوس كثير
من أبناء البادية ورغم أن هذا التغفل لم يكن شاملا أو عميقا فقد
شكل أرضية جيدة للمحاولات التوجيهية والتنظيمية التى حصلت للبدو
من الدولة السعودية الثالثة كما سلف ، ومن هنا يمكن القول ان صعوبة
مراس البدوى فى عدم سرعة تقبله للمبادئ التنظيمية والتعاليم الدينية
يقابلها ثغان قوى وتحمس شديد فى اتباع هذه المبادئ والاعتقاد
بتلك التعاليم اذا رضى بالقيادة السياسية واعتقد بصدق تطبيق تلك
القيادة لهذه المبادئ والتعاليم .

و كنتيجة طبيعية جاءت آثار الدعوة السلفية على بعض مظاهر
الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد مستمدة من تلك المواقف والتأثيرات
الدينية ، ولعل من أبرز تلك الآثار ان لم يكن أبرزها على الإطلاق هو
دور الدعوة ودورها فى تحقيق قدر جيد من الأمن فى أوساط المجتمع
البدوى استفادت منه البادية النجدية كما استفادت منه الحاضرة بقدر
ما استفادت منه العابرون لنجد والقادمون اليها من البلدان الأخرى ،
وما من شك أن هذا الدور كان محصلة طبيعية لفقدان الأمن قبل الدعوة
وللحاجة الماسة اليه بل معاناة المجتمع النجدى ومن يمر بنجد من
فقه ، ومن هنا فقد كان شغل الدولة الشاغل تحقيق هذا الدور من

الأمن عبر تهيئة السبل المؤدية لتحقيقه ، وتجفيف بل سد المنافذ المؤدية الى الفوضى ، وقد أثمر هذا تخفيف حدة السلب والنهب بين القبائل والبلدان النجدية والمارين بها ، علاوة على تحسن النظرة السيئة المتبادلة بين البادية والحاضرة هذا التحسن الذى كان من أوضح معطياته عدم التعرض للحاضرة بأى لون من ألوان العداء حتى وهم يجاورون البدوى مرابعم أيام الربيع ، وإذا كان هذا التحسن قد يكون نتيجة الرهبة من سطوة السلطة الحاكمة فانه قد أثمر علاقات اجتماعية جيدة بين الفريقين التى أبرزها زوال الحاجز النفسى الذى كان يقف حائلا بين قيام علاقات طيبة بين بعض البدو وبعض الحضر .

ولقد كان من أبرز مظاهر استتاب الأمن العناية بضوال الماشية أو " السهل " تلك العناية التى استندتها الدولة السعودية من تنظيم الاسلام للقضاء فى بهيمة الأنعام الضالة ، وتأتى أهمية هذه العناية من تعدد الأوبار التى تقوم بها الماشية فى المجتمع النجدى ، ومعاناة الحاضرة والبادية من فقدان مواشيهما أو استيلاء اللصوص عليها قبل قيام الدعوة .

ولعل من أبرز ما استفاد من استتاب الأمن فى السبل النجدية هم الحجاج الذين كانوا يعانون من فقدانه فى السابق ، وكان لا تتابع الدولة عدة سبل لتحقيق استفادة هؤلاء الحجاج من هذا الأمن دورا كبيرا فى تحقيق مثل تلك الاستفادة ومن أهم تلك السبل أخذ الدولة العهد على رؤساء القبائل ووجهائها بعدم التعرض للحجاج وتسليم من يقوم على ذلك الى الحكومة بسرعة ، علاوة على ترتيب سقاية واطعام للحجاج المارين بالدريعية على طريق مدن الحجاج الآن حيث يتم فى أثناء ذلك التعرف على أحوال الحجاج وراثيتهم حول الحالة الأمنية ،

والاستماع الى شكواهم ، كما يتم فيه تعريفهم بعبادى^٥ الدعوة السلفية ليكون من يقتنع بها أداة لنشرها فى بلده ، وقد مرت بنا فى ثنايا البحث أحداث تؤكد سهر الدولة على تحقيق قدر جيد من الأمن عبر طرق نجد المؤدية الى الحجاز ما يتوقع معه وجود زيادة مطردة فى أعداد الحجاج عن الفترة التى سبقت قيام الدعوة السلفية ، على أن دخول الحجاز تحت الحكم السعودى قد أضفى زيادة أخرى على هذه الأعداد ان لم يكن هم الحاج وشغله الشاغل الا أمنه وسلامته فى طريقه ، وفى الأماكن والمشارع المقدسة ، وما من شك فى أن دخول بعض القبائل المحيطة بمكة والمدينة فى طاعة الدولة السعودية كأفغان من حرب وعتيبة وجهينه قد سهل مهمة التحكم فى مسألة أمن الحجاج و سلامتهم ان أن أحداث التعرض للحجاج كانت من هذه القبائل غالباً وخاصة فى منطقة الحجاز أو ما بين نجد والحجاز ، وفى المقابل فأن ولاء القبائل النجدية كان من أبرز مظاهره مساعدة الدولة فى التحكم فى أمن الطرق النجدية الموصلة للحجاز ، ومن تكرار القول أن ذلك التحكم كان نتيجة طبيعية لتطبيق الدولة الدقيق والشامل لأحكام الشرع وإشراف أئمة آل سعود وأحياناً الشيخ محمد بن عبد الوهاب على تنفيذ الأحكام الشرعية بدقة وحزم وسرعة ، ومن هنا فان أثر الدعوة ودولتها على استتباب قدر جيد من الأمن الشامل فى منطقة نجد يعتبر أهم الآثار الاجتماعية للدعوة على بادية نجد التى كان لها الدور الأكبر فى تعزيز صفو الأمن قبل قيام الدعوة السلفية ، ويمكن اعتبار الأثار الأخرى آثاراً جانبية له الا أن قصر مدة هذه الدولة وخاصة فترة قوتها يجعلنا لا نفرط فى تصوير مدى قوة هذا الأمن واستمراره ان لم يتسن للبداوى النجدى استيعاب محاولات الدولة وجهودها فى هذا السبيل الا فى فترة قوتها خوفاً من الدولة وتأديبها لمن يخل بالأمن .

ولقد كانت جهود الدولة في احلال الأخوة الاسلامية محسوسا
الخوة من جانبها الاجتماعي في علاقاتها المتنوعة القائمة على القبلية
والمصالح المشتركة فقط جيدة الى حد ما حيث تشير الأحداث التي
مر ذكرها على حرص الدولة على قطع دابر أي علاقة يشم منها العودة الى
الخوة القبلية والتعامل الاجتماعي على أساسها ، ونتيجة لذلك فقد
خفت أساليب التأثير والتنازع بالمظاهر القبلية المقوتة اذا لم يكن ذلك
تحت مظلة الاخاء الاسلامي فعلى الأقل للحفاظ على الأمن والخوف من
الدولة ، على أن قسما من البدو قد رضى باحلال الأخوة الاسلامية محل
الاخوة السابقة وبعض هذا القسم كان رضاء هذا عن اقتناع ، والبعض
الآخر قد جامل الدولة في حرصها على الأخوة الاسلامية ، ولم يكن على
اقتناع بجدوى مثل هذه الأخوة ، وكان تمثله بها ظاهرا أمام الدولة
والعلماء ، ورضى من هذا التمثل بالتشدد بالفاظ يرضى بها ولاية الأمر
وعلماء الدعوة حتى اذا سقطت الدرعية أعاد الخوة — في علاقاتهم —
المتنوعة — كأسلوب للتعامل الاجتماعي الذي يعتقد به .

وكما أوضحت فقد تركت الدعوة ودولتها آثارا واضحة في نطاق
التحرك الجماعي لبعض القبائل ، والتغيير القيادي في بعض القبائل ،
فقد حدث أن جلت أقسام من عنزة وشمر والظفير — بدرجة كبيرة —
الى شمالي الجزيرة وجنوبي العراق والشام نتيجة عدم تأقلمها مع الوضع
الاجتماعي الجديد مما ساعد على اثره الوجود العربي البدوي في تلك
المناطق وتحضر بعض الاقسام الباقية في نجد وأتاح للدعوة ودولتها
الانطلاق في تنفيذ أهدافها الاجتماعية اصلاحية ، كما أن تدخل
الدولة في تعيين بعض شيوخ القبائل قد أوجد بعض المؤثرات الاجتماعية
تجاه الدعوة ودولتها سواء من ناحية سلبية في وجود بعض مظاهر
التحدي لدى بعض الدواسر ، أو من ناحية ايجابية في وجود ولاء عام

وشامل في القبيلة كما في قحطان ، ولا يبعد أن يكون مثل هذا الولاة في هذه القبيلة أو غيرها قد دفع بعجلة التحضر قدما عن طريق الإقامة في بعض القرى والبلدان النجدية ، أو تأسيس بلدان جديدة ، على أن الدعوة كما تركت آثارا اجتماعية عن طريق جلاء بعض الأفاضل البدوية وتحضر بعضها فقد أتاح لأفخاذ من قبائل أخرى ذات وجود قبلي محدود في نجد قبل الدعوة تكثيف وجودها في نجد كما حدث من عتبية وحرب القبيلتين الحجازيتين النجديتين .

وبالاضافة الى تلك الآثار السابقة فقد تركت الدولة آثارا اجتماعية كقضائها على نظام الدخيل والرهيط بعدم اجارة أى مجرم ، مع تشجيع لنواحي الخير في الاجارة — في الوقت نفسه — بما لا يتعارض وأهداف الدولة في ملاحقتها المجرمين وقطع دابر الجريمة ، كما نظر علماء الدعوة في أهم قضية تعاني منها المرأة البدوية وهي التحجير فأفتوا بتحريمها وحفلت الرسائل الوعظية الصادرة من أئمة الدرعية بالحث على تكريم المرأة ، كما أفتى علماء الدعوة بعدم التنطع باللباس الذي كان متداوله البدويين وأن له هيئة خاصة في الحياة الاجتماعية الجديدة وقد أكد علماء الدعوة بجواز لبس ما جرت العادة بلبسه مادام مباح المادة ، وغير مشبه للباس الكفار ، وسائر اللعورة وغير مسبل ، كما بحث علماء الدعوة في أهم مشروعين جاء على حياة البدوي والنجدي عموما وهما التبخ والقهوة فحرموا الأولى — استنادا الى أضرارها — وأباحوا الأخرى بل دفعوا بالدولة الى تشجيع انتشار شربها واعتبارها — من علامات الكرم في نجد ، وبالجملة فقد كانت آثار الدعوة على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد ذات مستوى جيد من الإصلاح ولو قد رلدولة عمر طويل لتمكنت من زيادة مثل هذه الآثار وتقويتها وقد أمكنني تلخيص بعض هذه الآثار في محاولات الدولة الإصلاحية ، وآراء العلماء الذين

يلقون من الدولة كل تقدير واحترام ، وتتنهى الدولة آراهم وتنشرها
فى أوساط المجتمع النجدى حاضرة وبادية فى كافة مجالات الحياة
الاجتماعية .

وبعد : فان قيام دراسات متخصصة عن المجتمع البدوى فى نجد
أمر ضرورى فى كافة مجالات الدراسة وعبر فترات التاريخ المتعاقبة حتى
لا نقع فيما وقع فيه مؤرخونا السابقون من اغفال لهذه الفئة الرئيسية
فى المجتمع ، ومن المؤسف أن يدرك الباحثون الغربيون السابقون
والمعاصرون هذه الأهمية دون غيرهم ، على أن بعض الباحثين من
البلدان المجاورة قد أدركوا جانباً من هذه الأهمية حيث أخرجوا بعض
الكتب والأبحاث عن جوانب بؤادى مناطقهم ، وهم فى هذا قد تأثروا
بما كتبه الغربيون الذين يعتبر بحسب رائدا فى هذا المجال رغم ما يشوبه
من عدم وضوح الرؤية عند الحديث عن تلك الأوضاع البدوية علاوة على وجود
بعض الأهداف المربكة لدى بعض هؤلاء الغربيين ، ولا شك أن جودة
ما كتبه هؤلاء قد جاء نتيجة معاناتهم الشخصية فى العيش بين البدو و
دراسة أحوالهم مما أوجد بينهم مجموعة من الباحثين المتخصصين فى
الأوضاع البدوية قد يما و حديثاً ، وان اطلاقاً عاماً على الأعمال
الاستشراقية لتؤكد هذه الحقيقة ، ان يوجد بينهم من تخصص فى عادات
وتقاليد البدو ، ومن تخصص فى لهجات البدو ، بل ان بعضهم قد قام
بأصدار موسوعات خاصة عن البدو شاملة لتاريخهم ، ومعالم الحضارة
لديهم ، وقبائلهم فى مناطقهم المربية ، ومن هنا فان تولى الجامعات
للدراست البدوية وتوجيه جانب من أبحاثها نحو هذا الفرض يعد من
واجباتها الأولى ، ولا شك أن المجالات المتعددة لتلك الدراسات
ستثرى البحث فى أى جانب منها ، فى محاولة لا عطاء هذه الفئة الرئيسية

حقها من البحث والدراسة ، وعدم ترك هذا المجال قاصرا على الغربيين أو على وسائل الاعلام المختلفة التي رغم جهدها الملموس في هذا الصدد فلم تستطع أن تؤدي الدور المطلوب تجاه هذه الفئة ، وهذا عائد لوضعها المحدود في أعطاء معلومات قصيرة عن الموضوعات العامة التي قد تتطرق اليها .

ان تشابه أساليب الحياة العامة البدوية القديمة والحديثة يعطى البحث في البادية عمقا تاريخيا ان يستطيع الباحث عقد مقارنات بين بعض نواحي الحياة في قبيلة معينة كبنى تميم أو طى مثلا ورصد المتغيرات الكاملة أو الجزئية التي مرت بها عبر فترات التاريخ ، ومن هنا فان دراسة الحياة العامة لقبائل بادية نجد لا تنفك عن دراسة القبائل البدوية القديمة لوجود مثل ذلك التشابه ، فعلى سبيل المثال تعتبر النظرة البدوية للحياة الحضرية ، والاغارات وما يندرج تحتها من غزو وسلب ، وأسلوب الكرم وما ينضوي تحته من عادات وأخلاق كريمة ، ظواهر اجتماعية يمكن عقد مقارنة بين البدو وقديما وحديثا فيها ، على أن هناك مجالات دقيقة يمكن عقد مقارنة فيها كوسم المواشى مثلا وهو أسلوب لحفظ هذه المواشى يختلف من قبيلة لأخرى بل من فخذ لأخر أحيانا ، وهذا الأسلوب متأصل في البدوى منذ القدم وحتى العصر الحاضر .

ان عدم الاهتمام بالدراسات البدوية المتخصصة من شأنه اهمال جانب كبير وأصيل من تاريخنا المحلي بل من تاريخنا الاسلامي العام نظرا للدور الأكبر الذي قام به قسم كبير من بدو شبه الجزيرة في نشر الاسلام في مراحل الأولى ببرز قبائل معينة فيه كبنى تميم وباهلة وطيء مثلا ، ولا غرابة في ذلك فالبدو مادة الاسلام كما قرر ذلك الخليفة

الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وان نظرة فى أحداث التاريخ الاسلامى ، وكتب الأنساب لتؤكد هذا الدور سواء على مستوى القادة العسكريين أو على مستوى العلماء ، وما يؤسف له أن هذا هو الآخر قد لقي بعض الاهتمام من الغربيين على حين غفلة وعدم اهتمام من الباحثين المحليين .

هذه بصورة عامة أهم الأفكار التى ضمتها هذا البحث فى أبوابه وفصوله الرئيسية وأبرز النتائج التى أسفر عنها هذا العرض ، وكما سبق أن قلت فإن بعض هذه النتائج جاءت تأكيداً لاجتهادات باحثين سابقين ، وبعضها الآخر قد أسمح لنفسى بوصفه بالجدة نوعاً ما ، وفى نهاية هذه الخاتمة أرجو أن أكون قد قد مت صورة شبه واضحة عن أبرز معالم الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها حتى سقوط الدرعية ، وكلى أمل فى التماس العذر لى فى بعض الأخطاء والنواقص التى حفل بها هذا البحث من أساتذتى المناقشين ومن يطلع بعدهم على هذه الرسالة لشح المصادر فى هذا السبيل ، وعدم وضوح الصورة فى المتوفر منها ، وما توفيقى الا بالله والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

أ- المصادر والمراجع:

- ١- المخطوطات .
- ٢- المطبوعات .
- ٣- الدوريات .
- ٤- الكتب الأجنبية .

ب - محتويات الرسالة .

أ - المصادر والمراجع:

أولا : المخطوطات :

- ١ - الألوسي : محمود شكرى (١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م - ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م) .
أخبار بغداد وماجاورها من القرى والبلاد ، مكتبة المتحف
العلمى العراقى رقم ١٠١٤٦ .
- ٢ - ابن بسام : عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (١٢٦٨هـ / ١٨٥١م -
١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م) .
تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق ، نقله عن الأصل
نور الدين شريعة سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .
- ٣ - ابن حميد : محمد بن عبد الله (١٢٣٢هـ / ١٨١٦م - ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)
السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، نسخة مصورة عن مخطوطة
خد ابخثر بته .
- ٤ - ابن سند : عثمان النجدى البصرى (١١٨٠هـ / ١٧٦٦م - ١٢٤٢هـ /
١٨٢٦م) .
مطالع السعود بأخبار الوالى داود ، كتبه ابراهيم الدرويسى
عام ١٣٦٢هـ مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، وله صورة فى مكتبة
المتحف العلمى العراقى رقم ٤٩٩ .
- ٥ - الذكير : مقبل بن عبد العزيز (١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م - ١٣٦٣هـ /
١٩٤٤م) .
طوق الحمامة فى أخبار اليمامة ، مكتبة الدراسات العليا
كلية الآداب جامعة بغداد رقم ٥٦٩ .
- ٦ - " : العقود الدرية فى تاريخ البلاد النجدية ، المكتبة السابقة
٥٧٠ .

ثانيا : المطبوعات:

- ٧ - أبا بطين : عبد المحسن بن عثمان
المجموعة البهية من الأشعار النبطية، ط (٣) فشر مكتبة
الرياض الحديثة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م.
- ٨ - ابراهيم : محمد حافظ (١٢٨٧هـ / ١٨٧١م - ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) .
ديوان حافظ ابراهيم، تصحيح وشرح أحمد أمين وزميليه،
ط (٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ٩ - ابن الأثير : أبو الحسن علي بن محمد (٥٥٥هـ / ١١٦٠م - ٦٣٠هـ /
١٢٣٣م) .
الكامل في التاريخ، ط (٢) دار الكتاب العربي - بيروت
١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- ١٠ - أبو الملا : محمود .
جغرافية شبه جزيرة العرب، ط (٣) مؤسسة سجل العرب
القاهرة ١٩٧٥م.
- ١١ - أسد : محمد (ليوبولد فايس سابقا) .
الطريق الى مكة، ترجمه عفيف البعلبكي تحت اسم الطريق
الى الاسلام ط (٢) دار العلم للملايين بيروت ١٣٨٤هـ /
١٩٦٤م.
- ١٢ - الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين القرشي .
الأغاني، تحقيق ابراهيم اليازجي، طبعة دار الشعب
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ١٣ - الأصفهاني : الحسن بن عبد الله (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) .
بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر، د . صالح العلي، ط (١)
نشر دار اليمامة الرياض ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م على خلاف بينهما
في نسبة الكتاب فبينما يقول الجاسر: انه للأصفهاني يقول
العلي : انه للأصمعي، والله أعلم.

- ١٤- أغاريد السعدية : شاعرة شعبية رمزت لاسمها بهذا اللقب
صدى الذكرى : ديوان شعر ، ط (١) المطابع الاهلية
للأوفست ، نشر دار الناصر الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٥- الألبانسي : محمد ناصر الدين
سلسلة الأحاديث الصحيحة ط (٢) المكتب الاسلامي بيروت ،
دمشق ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ١٦- الأميين : عبد الامير محمد
المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧م / ١١٦٠هـ
١٧٧٨م / ١١٩٢هـ) ، ترجمة هاشم لازم ، مراجعة مكي المؤمن
مطبعة الارشاد بغداد نشر مركز دراسات الخليج العربي
البصرة ، توزيع الدار الوطنية . بغداد ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ١٧- أنيس : محمد
الدولة العثمانية والشرق العربي ، ط دار الجيل ، نشر
مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة .
- ١٨- أولندر : جونار
ملوك كندة من بني آكل المدار ، ترجمة وتعليق د . عبد الجبار
المطلبي طبع دار الحرية ، ومطبعة الحكومة بغداد ، نشر
جامعة بغداد ١٣٥٣هـ / ١٩٧٣م .
- ١٩- البسام : عبد الله بن عبد الرحمن
علماء نجد خلال ستة قرون ، ط (١) مؤسسة الخدمات الطباعة
بيروت ، نشر مكتبة النهضة الحديثة . مكة المكرمة
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٢٠- البسام : محمد (ت ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م)
الدرر الفاخر في أخبار العرب الأواخر ، تحقيق سمير
العجمي ، ط (١) ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢١- ابن بشر : عثمان بن عبد الله (١٢١٠هـ/١٧٩٥م - ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م)
عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن
ابن عبد اللطيف آل الشيخ ، ط (٣) طبع ونشر وزارة المعارف
السعودية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٢٢- ابن بطوطة : محمد بن عبد الله (٧٠٣هـ/١٣٠٤م - ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
رحلة ابن بطوطة طبعة دار صادر بيروت

٢٣- البغدادي : عبد المؤمن بن عبد الحق (٦٥٨هـ/١٢٦٠م - ٧٣٩هـ/١٣٢٨م)
مرآة الاطلاع على أسماء الأكنة والبقاع ، ط (١) دار المعرفة
بيروت ، نشر دار الباز . مكة المكرمة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

٢٤- البكري : عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق
مصطفى السقاء ، ط (١) لجنة التأليف والترجمة والنشر .
القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .

٢٥- البلاذري : عاتق بن غيث
معجم معالم الحجاز ، ط (١) دار مكة . ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٢٦- : نسب حرب ، ط (٢) دار مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٢٧- بلانست : اللیدی آن
رحلة الى بلاد نجد ، ترجمة محمد أنعم غالب ، ط (١) نشر
دار اليمامة . الرياض ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

٢٨- ابن بليهد : محمد بن عبد الله (٣١٠هـ/١٨٩٢م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، راجعه
وضبطه وصنع فهرسه محمد محيي الدين عبد الحميد
ط (٢) ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

- ٢٩- بند قجلى : حسين حمزة
جغرافية المملكة العربية السعودية ، ط (٢) المطبعة
الفنية الحديثة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٣٠- البهلول : أحمد بن حسين (ت ١١١٣هـ / ١٧٠١م)
ديوان البهلول ، مراجعة وتحقيق أحمد الزاوي الطرابلسي
ط. (٤) نشر مكتبة القاهرة . بالقاهرة ، المكتبة الاسلامية
بالبحرين ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ٣١- المهوتى : منصور بن يونس (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م - ١٠٥١هـ / ١٦٤١م)
شرح منتهى الارادات ، نشر مكتبة الرياض الحديثة . الرياض
- ٣٢- بيريين : جاكليسن (ولد سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م)
اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة قدرى قلعجى ، دار الكاتب
العربى . بيروت ، مكتبة النهضة . بغداد .
- ٣٣- الترمائيسى : عبد السلام
الرق : ماضيه وحاضره ، سلسلة عالم المعرفة ، مطابع
البيقطة . الكويت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٣٤- الترمذى : محمد بن عيسى (٢٠٩هـ / ٨٢٤م - ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)
الجامع الصحيح ، المعروف بسنن الترمذى ، نشر دار الفكر
بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٣٥- توتيشل : ك، س، ادوارد جورجى
المملكة العربية السعودية و تطورات مصادرها الطبيعية ،
ترجمة شكيب الأموى ، دار احياء الكتب العربية . القاهرة
١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .
- ٣٦- ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم (٦٦١هـ / ١٢٦٣م - ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م)
الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، ط. (٤) المطبعة
السلفية . القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- ٣٧- الشيمسرى : محمد بن أحمد
الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية ، المطبعة العمومية
بدمشق ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٣٨- الجاسر : حمد بن محمد
مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ط (١) نشر دار اليمامة
الرياض ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ٣٩- " : مقدمة المعجم الجغرافى للبلاد السعودية ، ط (١)
مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٤٠- " : شمال المطكة ، ط (١) المطبعة العربية الحديثة . القاهرة
نشر دار اليمامة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ٤١- " : فى شمال غرب الجزيرة ، ط (١) مطبعة المتنبي . بيروت
نشر دار اليمامة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- ٤٢- " : أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحديد المواضع ، ط (١) نشر
دار اليمامة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ٤٣- " : معجم أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ، ط (١) مطبعة
نهضة مصر . القاهرة ، نشر دار اليمامة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٤٤- " : معجم قبائل المطكة العربية السعودية ، ط (١) المطابع
الأهلية . الرياض ، نشر نادى الرياض الادبى
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٤٥- " : المنطقة الشرقية ، ط (١) مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ٤٦- " : المرأة فى حياة امام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،
بحث قدم لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب . الذى
عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميــــــــــــــــة
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٤٧- ابن جبير : محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى (٥٤٠هـ / ١١٤٥م -

٦١٤هـ / ١٢١٧م)

رحلته المسماة " تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الأسفار " طبع
دار صادر ودار بيروت ، نشر دار الباز . مكة .

٤٨- الجزيرى : عبد القادر بن محمد (٨٨٠هـ / ١٤٧٥م - ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م)

درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ،
المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

٤٩- الجميل : مكى

البداءة والبدوى فى البلاد العربية ، مطابع الشركة الثلاثية .
عمان . الأردن ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

٥٠- ابن جنيدل : سعد بن عبد الله

عالية نجد ، مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة ضمن
المعجم الجغرافى للمملكة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٥١- الجهمان : عبد الكريم

الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ، ط (٢) دار الثقافة
بيروت ، نشر دار أشبال العرب . الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٥٢- الحاتم : عبد الله بن خالد

خيار ما يلتقط من الشعر النبط ، ط (٣) نشر دار ذات
السلاسل . الكويت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٥٣- أبو حاكمسة : أحمد مصطفى

تاريخ الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، نشر لجنة تاريخ الكويت
١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

٥٤- " : تاريخ شرقى الجزيرة العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت .

٥٥- الحريشي : ابراهيم بن اسحاق (١٩٨هـ/١٨١٥م - ٢٨٥هـ/١٨٩٨م)
المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق
حمد الجاسر، مطبعة المتنبى . بيروت . نشر دار اليمامة
١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٥٦- ابن حزم : محمد بن علي (٣٨٤هـ/٩٩٤م - ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار
المعارف . القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

٥٧- حسن : حسن ابراهيم
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،
ط (٧) مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ، نشر مكتبة
النهضة المصرية . القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٥٨- : وبلاشتراك مع أخيه علي
النظم الاسلامية ، ط (٤) مطبعة السنة المحمدية ، نشر
مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٥٩- ابن حسين : محمد بن محمد
الشيخ بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية ، ط (١)
مطابع اليمامة . الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦٠- آل حسين : محمد بن عبد الله (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م - ١٣٨١هـ/١٩٦١م)
الزوائد في فقهِ الامام أحمد بن حنبل ، ط (٢) مطبعة
البيان ، ومطبعة الفجالة الجديدة . القاهرة .

٦١- الحقييل : حمد بن ابراهيم
كنز الأنساب وجميع الآداب ، ط (٥) ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٦٢- الحلاق : أحمد البديري
حوادث دمشق اليومية (١١٥٤هـ/١٧٤١م - ١١٧٥هـ /
١٧٦٢م) تنقيح الشيخ محمد سعيد القاسمي ، تحقيق

د . أحمد عزت عبد الكريم ، ط (١) مطبعة لجنة البيان
العربي . القاهرة ، نشر الجمعية المصرية للدراسات
التاريخية ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

٦٣- الحموى : ياقوت بن عبد الله (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م - ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت .

٦٤- الحميدان : عبد اللطيف الناصر
امارة العصفوريين ، بحث مستل من مجلة كلية الآداب جامعة
البصرة عدد ٥ السنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م . مطبعة جامعة
البصرة .

٦٥- ابن حنبل : الامام أحمد بن محمد الشيباني الوائلي (١٦٤ هـ / ٧٨٠ م -
٢٤١ هـ / ٨٥٥ م)

المسند ، ط (٢) دار الفكر ، والمكتب الاسلامي . بيروت
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٦٦- ، ، : رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تعليق اسماعيل
الانصارى ، مطابع القصيم ، نشر دار الافتاء السعودية
١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٦٧- الخريوطي: علي
الحضارة العربية الاسلامية ، المطبعة العربية الحديثة ،
نشر مكتبة الخانجي . القاهرة .

٦٨- خزعل : حسين خلف
حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ط (١) مطابع دار الكتب
بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

٦٩- الخطيب : عمر عودة
نظرات اسلامية في مشكلة التمييز العنصري ، ط (٢) مؤسسة
الرسالة ، نشر الشركة المتحدة بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٧٠- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢هـ/١٣٣٢م - ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الأعلمي .
بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

٧١- ابن خميس : عبد الله بن محمد
المجاز بين الإمامة والحجاز ، نشر دار الإمامة
١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

٧٢- " : معجم الإمامة ، ط (١) مطبعة الفزوق ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٧٣- " : راشد الخلاوي ، نشر دار الإمامة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٧٤- " : الأدب الشعبي في جزيرة العرب ، ط (٢) مطابع الفزوق
الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٧٥- " : من أحاديث السمر ، ط (١) مطابع شركة حنيقة للأوفست
الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٧٦- " : الدرعية . العاصمة الأولى ، ط (١) مطابع الفزوق ١٤٠٢هـ/
١٩٨٢م .

٧٧- الخويطر : عبد العزيز العبد الله
عثمان بن بشر : منهجه ومصادره ، ط (٢) مطابع الإمامة
الرياض ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٧٨- ابن خياط : خليفة (قيل ولد سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م - ٢٤٠هـ/٨٥٤م) .
تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د . أكرم العمري ، ط (٢)
مطبعة معهد الكتيبى نشر دار القلم ومؤسسة الرسالة .
بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٧٩- أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢هـ/٨١٧م -
٢٢٥هـ/٨٨٨م)

السنن ، تعليق عزت الدعاس ، وعادل السيد ، ط (١) نشر
و توزيع دار الحديث . حمص سورية .

- ٨٠- د حـلان : أحمد زيني (١٢٣٢هـ/١٨١٧م - ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)
خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ، تصوير عن الطبعة
الأولى . المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م .
- ٨١- دوزي : رينهارت بيمترآن (١٢٣٥هـ/١٨٢٠م - ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)
تاريخ مسلمي أسبانيا ، ترجمة د . حسن حبشي ، دار المعارف
القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
- ٨٢- ديكسون : هـ . ر . ب .
الكويت وجاراتها ، ط (١) نشر جاسم الجاسم ١٣٨٤هـ/
١٩٦٤م .
- ٨٣- ديورانست : و . ل .
قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ط (٣) لجنة التأليف
والترجمة والنشر . القاهرة ، نشر الادارة الثقافية بجامعة
الدول العربية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
- ٨٤- الراوى : عبد الجبار
البادية ، ط (٣) ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- ٨٥- الريمسان : فهد المحمد
العريقات ، مطابع البادية الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- ٨٦- السيد رجب : عمر الفاروق
دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ، ط (٢)
شركة الخدمات الصحافية والطباعة . بيروت ، نشر دار
الشروق . جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- ٨٧- ابن ردام : عبد الله بن محمد
شاعرات من البادية ، دار اليمامة . الرياض .

٨٨- الريحاني : أمين بن فارس (١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م - ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م)
نجد و ملحقاته ، ط (٤) مؤسسة الريحاني . بيروت
١٣٩٥هـ / ١٩٧٠م .

٨٩- الرويشد : عبد الرحمن بن سليمان
الوهابية : حركة الفكر والدولة الاسلامية ، ط (٢) دار
العلوم للطباعة . القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٩٠- الريكسي : حسن بن جمال بن أحمد
لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق
د . أحمد أبو حاكم ، مطابع بيبيلوس الحديثة ، بيروت
١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، نشر دار الثقافة . بيروت .

٩١- ريموند : جان
مذكرات في أصل الوهابيين ، تقرير مقدم الى ديه شامباني
وزير الخارجية الفرنسي في عهد نابليون ، كتب سنة ١٢٢٣هـ /
١٨٠٨م ، وهو مستخرج من محفوظات تلك الوزارة ، و مترجم
الى العربية و مطبوع على الآلة الكاتبة .

٩٢- الزبيدي : محمد مرتضى بن محمد الحسيني الواسطي (١١٤٥هـ /
١٧٣٢م - ١٢٠٥هـ / ١٨٩٠م)
تاج العروس من جواهر القاموس ، نسخة مصورة عن الطبعة
الأولى . المطبعة الخيرية مصر سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م نشر
دار مكتبة الحياة . بيروت .

٩٣- الزركلي : خير الدين بن محمود (١٣١٠هـ / ١٨٩٣م - ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م
الأعلام . قاموس تراجم ، ط (٣) بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

٩٤- ، : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ط (٢) دار العلم
للملايين بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

- ٩٥ - زيدان : جورجى بن حبيب ١٢٧٨هـ / ١٨٦١ م -
١٣٣٢هـ / ١٩١٤م)
طبقات الأمم، دار التراث . بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ٩٦ - السباعى : أحمد
تاريخ مكة ، ط (٤) دار مكة للطباعة نشر نادى مكة
الثقافى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ٩٧ - السديرى : محمد الأحمد
أبطال من الصحراء ، مطابع دار الكتب . بيروت
١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ٩٨ - ستودارد : لو شروب
حاضر العالم الاسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ، اضافات
شكيب أرسلان ، ط (٤) دار الفكر . بيروت ، القاهرة
١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م .
- ٩٩ - السعدى : عبد الرحمن بن ناصر (١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م -
١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م)
تيسير الكريم الرحمان فى تفسير كلام النان ، تحقيق
محمد زهرى النجار ، مطابع الدجوى . القاهرة ، نشر
المؤسسة السعيدية . الرياض .
- ١٠٠ - أبو السعود بن محمد العمادى (٩٠٠هـ / ١٤٩٤م - ٩٨٢هـ /
١٥٧٤م)
ارشاد العقل السليم مزايا الكتاب الحكيم ، تحقيق
عبد القادر عطا ، مطبعة السعادة . القاهرة ، نشر
مكتبة الرياض الحديثة . الرياض .
- ١٠١ - سعيد : أمين
سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبع سنة
١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

- ١٠٢- سعيد : أمين
الخليج العربي ، مطابع الفد ، نشر دار الكاتب العربي
بيروت .
- ١٠٣- السليمان : علي بن حسين
العلاقات الحجازية المصرية زمن صلاطين الماليك ،
الشركة المتحدة للنشر والتوزيع . القاهرة ، توزيع دار
حرا . القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- ١٠٤- السمعاني : عبد الكريم بن محمد التميمي (٥٠٦هـ / ١١١٢م - ٥٦٢هـ /
١١٦٦م)
الأنساب ، ط (٢) نشر محمد أمين دمج بيروت ١٤٠٠هـ /
١٩٨٠م صدر منه حتى الآن ١٠ أجزاء بتحقيق عدد من
الباحثين والعلماء كل جزء بتحقيق واحد أو مجموعه منهم .
- ١٠٥- السويدي : محمد أمين بن علي (١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م)
سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، نشر دار احياء
العلوم . بيروت .
- ١٠٦- شاكر : محمود
شبه جزيرة العرب (نجد) المكتب الاسلامي . بيروت
دمشق ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- ١٠٧- ، : قفاسيا ، ط مؤسسة الرسالة ، نشر الشركة المتحدة
للتوزيع . بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ١٠٨- الشهيل : عبد الله بن يوسف
تاريخ نجد والدولة السعودية ، مطابع جامعة الامام
محمد بن سعود الاسلامية .

- ١٠٩- الشبل : عبد الله بن يوسف
محمد بن عبد الوهاب . حياته ودعوته ، مطابع جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية ، نشر أسبوع الشيخ
محمد بن عبد الوهاب ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١١٠- " :
أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية .
دراسة تحليلية . رسالة دكتوراه من جامعة
الاسكندرية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م لم تنشر بعد .
- ١١١- الشريف : عبد الرحمن
جغرافية المملكة العربية السعودية ، ط (١) مطبعة
نهضة مصر ، نشر دار المريخ . الرياض
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ١١٢- شلبي : أحمد
مقارنة الأديان (المسيحية) ، ط (٥) نشر مكتبة
النهضة المصرية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ١١٣- الشوكاني : محمد بن علي (١١٧٣هـ / ١٧٦٠م - ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)
فتح القدير ، ط (٢) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلي . مصر ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .
- ١١٤- آل الشيخ : عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١١٩٣هـ /
١٧٧٩م - ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م)
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، نشر وتوزيع الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
الرياض .
- ١١٥- آل الشيخ : عبد الرحمن بن عبد اللطيف
مشاهير علماء نجد وغيرهم ، ط (١) دار اليمامة
الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

- ١١٦- آل الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م -
١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م)
الرسائل المفيدة ، تصحيح عبد الرحمن الرويشد ،
دار العلوم للطباعة ، القاهرة .
- ١١٧- العابونى : محمد على
صفوة التفاسير ، ط (١) شركة الطباعة العربية السعودية
المصرية . الرياض ، نشر دار القرآن الكريم بيروت
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١١٨- الصالح : صبحى
النظم الاسلامية . نشأتها وتطورها ، ط (٤) دار العلم
للملايين . بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ١١٩- الصاوى : محمد اسماعيل
شرح ديوان جرير ، ط (١) المكتبة التجارية الكبرى
القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م .
- ١٢٠- الصقرى : عبد الله بن سمود
من نوادر الأشعار ، ط (١) مطابع الرياض ١٤٠١هـ /
١٩٨١م .
- ١٢١- ابن صقيه : عبد الله بن على
بنو تميم فى بلاد الجبلين ، المطابع الأهلية للأوفست
ودار اليمامة الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١٢٢- الصياد : محمد محمود
الرحالة الأجانب فى الجزيرة العربية فى القرن التاسع ،
بحث قدم للندوة الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة
العربية . مطابع جامعة الملك سعود ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- ١٢٣- الطامسى : ابراهيم بن سليمان
نزهة النفس الأدبية فى القصص والحكايات الغريبة ،
مطبعة كرم / دمشق ١٣٨٤ / ١٩٦٤ م.
- ١٢٤- الطهرى : محمد بن جرير (٢٢٤هـ / ٨٣٩م - ٣١٠هـ / ٩٢٣م)
تاريخ الأمم والملوك ، تصوير دار الفكر . بيروت
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م عن طبعة المطبعة الحسينية المصرية .
- ١٢٥- الطميس : صالح بن ناصر
مدينة حرملاء ، مطابع المجد . الرياض .
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ١٢٦- العاملى : أحمد رضا
قاموس رد العامى الى الفصح ، ط (٢) دار الرائد
العربى . بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١٢٧- العاملى : محسن الأمين
كشف الارتباب ، ط (٣) مطبعة ابن زيدون . دمشق
١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م .
- ١٢٨- عبد الحميد : سعد زغلول
فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار النهضة العربية .
بيروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- ١٢٩- ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله (٣٦٣هـ / ٩٧٣م - ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)
الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ط (١) مطبعة السعادة
مصر ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م .
- ١٣٠- ابن عذريه : أحمد بن محمد الاندلسى (٢٤٦هـ / ٨٦٠م - ٣٢٨هـ / ٩٤٠م)
العقد الفريد ، دار الفكر . بيروت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

- ١٣١- عبد الرحيم : عبد الرحيم عبد الرحمن
الدولة السعودية الأولى ، ط (٢) مطابع دارنافع
نشر معهد البحوث جامعة الدول العربية
١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م
- ١٣٢- آل عبد المحسن: ابراهيم بن عبيد
تذكرة أولى النهى والعرفان ، ط (١) مطابع مؤسسة
النور . الرياض .
- ١٣٣- ابن عبد الوهاب: الشيخ محمد (١١١٥هـ / ١٧٠٣م - ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م)
مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مطابع
الرياض نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- ١٣٤- " : الرسائل الشخصية ، جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية ، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
- ١٣٥- العبودي : محمد بن ناصر
الأمثال العامة في نجد ، المطابع الأهلية للأوفست
الرياض . نشر دار اليمامة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
- ١٣٦- " : بلاد القصيم ، مطبعة نهضة مصر القاهرة ، نشر دار
اليمامة ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م
- ١٣٧- ابن عتيق : سعد بن حمد (١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م - ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م)
مجموعة رسائل ، نشر دار الهداية - الرياض .
- ١٣٨- العثيمين : عبد الله المالح
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مطبعة نهضة مصر . القاهرة
نشر دار العلوم . الرياض .

١٣٩- المجلاني : منير

تاريخ البلاد العربية السعودية في دورها الأول باجزائه الأربعة .

١٤٠۔ عزالدین : یوسف

داود باشا ونهاية الماليك في العراق ، ط (٢) مطبعة الشعب . بغداد ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

١٤١- المسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣هـ / ١٣٧١م) -

Y045/43314)

الإصابة في تمييز المحابة ، ط (١) مطبعة السعادة
مصر ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

۱۴۲- " : فتح الباری بشرح صحیح البخاری، مراجعة و تعليق طه

عبد الرؤوف سعد وزميلي ، شركة الطباعة الفنية ،
نشر مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

١٤٣- العشش : عرفات كامل

رجال ونساء أسلموا ، ط (١) الدار الكويتية . الكويت
١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

١٤٤- العصامي : عبد الملك بن حسين (١٠٤٩هـ / ١٦٣٩م -

(P1799/51111)

سط النجوم الموالى فى أبناء الأوائى و التوالى ، المطبقة
السلفية . القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .

١٤٥ - العقار : صلاح

رحلة كارستن نيبور ، بحث قدم للندوة العالمية الأولى
لدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية بجامعة الطوك
سموع . مطابع جامعة الطوك سموع ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- ١٤٦- العقيلي : نجيب
المستشرقون ، ط (٤) دار المعارف . القاهرة
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١٤٧- أبو عليسة : عبد الفتاح حسن
الدولة السعودية الثانية ، مؤسسة الانوار للنشر والتوزيع
الرياض .
- ١٤٨- العمري : حلال الدين
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ترجمه عن الأردية
محمد أجمل الاصلاح ، شركة الشعاع . الكويت .
- ١٤٩- المنزلي : عبد الله
ديوان الوائلي . شعرو أنساب قبائل عنزة ، مطابع
الخرجس . الرياض .
- ١٥٠- ابن عيسى : ابراهيم بن صالح (١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م -
١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)
تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، نشر دار اليمامة .
- ١٥١- غالب : محمد أديب
من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي . دار
اليمامة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- ١٥٢- الفريسيه : عبد الكريم
قيام الدولة السعودية العربية ، مطبعة الجبلاوي ، نشر
معهد البحوث العربية بجامعة الدول العربية
١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- ١٥٣- ابن غنام : حسين بن أبي بكر (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م)
روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتمداده

غزوات نذوى الاسلام ، ط (١) شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، نشر المكتبة
الأهلية بالرياض ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .

١٥٤- الفاخرى : محمد بن عمر (١١٨٦هـ / ١٧٧٢م -
١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م)
الأخبار النجدية ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله
الشبل ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه
نشر لجنة البحوث والترجمة والنشر بالجامعة . الكتاب
رقم (١٠) .

١٥٥- الفاسى المكي : محمد بن أحمد الحسيني (٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) -
٨٣٢هـ / ١٤٢٩م)
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد ،
مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

١٥٦- أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن علي (٦٧٢هـ / ١٢٧٣م -
٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة . بيروت .

١٥٧- الفراء : أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي (٣٨٠هـ / ٩٩٠م -
٤٥٨هـ / ١٠٦٦م)
الأحكام السلطانية ، تعليق محمد حامد الفقي ، ط (٣) .
مكتبة ومطبعة البابي الحلبي . القاهرة .
١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

١٥٨- الفرج : خالد بن محمد (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م -
١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م)
ديوان النبط ، المطبعة العربية . القاهرة ، نشر
المكتبة الأهلية . الرياض .

- ١٥٩- : عبد الله الفرج في شعره العاصي النبطي ، منشورات دار
ذات السلاسل . الكويت .
- ١٦٠- فـرـوـخ : عـمـر
تاريخ الجاهلية ، مطابع دار الكتب . بيروت ، نشر
دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- ١٦١- الفيروز ابادي : محمد بن يعقوب (٧٢٩هـ / ١٣٢٩م - ٨١٧هـ / ١٤١٥م)
القاموس المحيط ، نشر دار العلم للجميع . بيروت .
- ١٦٢- ابن قائـد : عثمان بن أحمد النجدي (٩٧٣هـ / ١٦٨٥م)
هداية الراغب لشرح عدة الطالب ، تحقيق الشيخ
حسنين محمد مخلوف ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية
القاهرة .
- ١٦٣- قاسـم : جمال زكريا
الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين الى نجد والحجاز
خلال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، بحث قدم
للتدويع العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية .
مطابع جامعة الملك سعود ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ١٦٤- ابن قاسـم : عبد الرحمن بن محمد العاصي النجـدي
(١٣١٩هـ / ١٩٠١م - ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)
الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ط (٢) مطبوعات دار
الافتاء السعودية ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
- ١٦٥- القاضـي : محمد عثمان
روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ،
مطبعة الحلبي القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١٦٦- قطـب : سيد (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م - ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م)
في ظلال القرآن ، ط (٥) دار أحياء التراث العربي
بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .

- ١٦٧- دى قوصيل : بـيـر
الحياة فى العراق منذ قرن (١٨١٤م - ١٩١٤م)
ترجمة أكرم فاضل ، ط المؤسسة العامة للصحافة
والطباعة . بغداد ، نشر وزارة الأعلام والثقافة
العراقية . سلسلة الكتب المترجمة رقم (٤)
١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ١٦٨- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبى بكر (٦٩١هـ / ١٢٩٢م —
٧٥١هـ / ١٣٥٠م)
زاد المعاد فى هدى خير العباد ، مراجعة وتقديم
طه عبد الرؤوف طه ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى
الحلبى وأولاده . القاهرة . ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- ١٦٩- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٠١هـ / ١٣٠٢م -
٧٧٤هـ / ١٣٧٣م)
البداية والنهاية ، ط (٣) مكتبة المعارف . بيروت .
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١٧٠- " : التفسير ، ط (١) دار الفكر . نشر مكتبة الرياض الحديثة
الرياض . ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١٧١- كعالة : عمر رضا
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط (٢) دار
العلم للملأين . بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ١٧٢- كرد عيسى : محمد بن عبد الرزاق (١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م —
١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م)
الاسلام والحضارة العربية ، ط (٣) لجنة التأليف
والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ١٧٣- الكركوكلى : رسول بن حناوى (ت . ١٢٤هـ / ١٨٢٤م)
دوحة الوزرا* فى تاريخ وقائع بغداد الزورا* ، نقله عن

التركية موسى كاظم نورس ، مطبعة كرم . بيروت ،
نشر دار الكاتب العربي . بيروت ، ومكتبة النهضة
بغداد .

١٧٤- الكرطى : الأب أنستاس مارى (١٢٨٣هـ / ١٨٦٦ م —
١٣٦٦هـ / ١٩٤٧ م)

خلاصة تاريخ العراق الى يومنا هذا ، مطبعة الحكومة .
البصرة ١٣٣٧هـ / ١٩١٩ م .

١٧٥- كشك : محمد جلال
السعوديون والحل الاسلامى ، ط (٣) شركة مودى
جرافيك ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

١٧٦- كمال : محمد سميد
الأزهار النادية من أشعار البادية ، صدر منها حتى
الآن سبعة عشر جزءا صغيرة ، ط (١) مطابع دار
الكتاب العربي . القاهرة ، نشر مكتبة المعارف .
الطائف .

١٧٧- كيلسى : جون . ب .
بريطانيا والخليج (١٧٩٥م - ١٨٧٠م) ترجمة
محمد أمين عبد الله ، مطبعة عيسى الحلبي . القاهرة
نشر وزارة التراث القومى والثقافة بسلطنة عمان .

١٧٨- ابن لعبون : حمد بن محمد (ت ١٢٥٥هـ / ١٨٢٩م)
تاريخ ابن لعبون ، ط (١) مطبعة أم القرى . مكة
المكرمة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م .

١٧٩- لوبسون : غوستاف
حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيترة ، ط (٣) دار احياء
الكتب العربية القاهرة ، نشر دار احياء التراث العربى
بيروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٩ م .

- ١٨٠- لوريمر : جون غوردون
دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ترجمة مكتب الترجمة
بدويان أمير قطر ، الدوحة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ١٨١- لونكريك : ستيفن هيمسلي (ولد سنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م)
أربعمئة سنة في تاريخ العراق الحديث ، ترجمة
جعفر الخياط تحت اسم أربعة قرون من تاريخ العراق
الحديث ، ط (٥) نشر مكتبة التحرير ، بغداد .
- ١٨٢- اللويحان: عبد الله
روائع من الشعر الشعبي ، ط (٢) مطابع القوات المسلحة
السعودية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ١٨٣- ابن ماجه : محمد بن يزيد (٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م - ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م)
السنن ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ،
دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٨ م .
- ١٨٤- المارك : فهد (ت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)
من شيم العرب ، ط (٣) ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ١٨٥- ماضي : محمد عبد الله
النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ط (٢) نشر
دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .
- ١٨٦- مالك بن أنس (الامام) (٩٣ هـ / ٧١٢ م - ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)
الموطأ : رواية يحيى بن يحيى الليثي ، اعداد أحمد
عروشر ، ط (٥) دار النفائس بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ١٨٧- قطعة أخرى برواية ابن زياد ، تقديم وتحقيق محمد
الشاذلي النيفر ، ط (٣) دار الغرب الاسلامي .
بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- ١٨٨- المانع : محمد
توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة د . عبد الله
الصالح العثيمين ، ط (١) مطابع المطوع . الدمام
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٨٩- المختار : صلاح الدين
تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ،
ط (١) منشورات دار الحياة بيروت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .
- ١٩٠- مجموعة مستشرقين :
دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندي
وزملائه ، نسخة مصورة عن طبعة عام ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م
انتشارات جهان طهران .
- ١٩١- مجموعة باحثين عرب : باشراف محمد شفيق غربال
الموسوعة العربية الميسرة ، صورة طبق الأصل عن طبعة
دار الشعب ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .
القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٩٢- مدكور : ابراهيم ، ونخبة من أساتذة علم الاجتماع
معجم العلوم الاجتماعية ، ط الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، نشر اليونسكو ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ١٩٣- مرسى عباس : السيد أحمد
فهارس عنوان المجد لابن بشر ، ط (١) مطبعة المدينة
الرياض ، نشر دار الملك عبد العزيز . الرياض
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ١٩٤- مردم بك : خليل
أعيان القرن الثالث عشر ، ط (٢) مؤسسة الرسالة .
بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

١٩٥- المفسرى : عبد الرحمن بن حمد
الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب ، مطبعة المدنى
القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ، نشر الشيخ على بن
عبد الله آل ثانى .

١٩٦- المسعودى : على بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
مروح الذهب ومعادن الجواهر ، ط (٤) مطبعة
السعادة ، نشر المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة
١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

١٩٧- : التنبيه والاشراف ، نشر دار التراث بيروت .
١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

١٩٨- مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٤هـ/٨٢٠م - ٢٦١هـ/٨٧٥م)
صحيح مسلم بشرح النووي ، ط (٢) دار الفكر . بيروت
١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

١٩٩- المعراتى : على مصطفى
ابن غلبون مؤرخ ليبيا ، ط (٢) دار العودة ، مطبعة
المتنبى . بيروت ، نشر دار الفكر طرابلس ليبيا
١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٢٠٠- مفنيقة : محمد جود
هذه هى الوهابية ، ط (١) بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

٢٠١- ابن منقذ : أسامة بن مرشد
(٤٨٨هـ/١٠٩٥م - ٥٨٤هـ/١١٨٨م)
المنازل والديار ، ط (١) المكتب الاسلامى . دمشق
١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

٢٠٢- المنقور : أحمد بن محمد (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م - ١١٢٥هـ/١٧١٣م)

تاريخ المنقور ، تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز الخويطر

ط (١) مطابع الجزيرة الرياض ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

٢٠٣- " : الفواكه الجديدة في المسائل المفيدة ، ط (٢) نشر

دار الآفاق الجديدة . بيروت .

٢٠٤- " : جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ، تحقيق محمد زهير

الشاويش ، ط (٣) المكتب الاسلامي . بيروت و دمشق

١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

٢٠٥- مهران : محمد بيومي

دراسات في تاريخ العرب القديم ، المطابع الأهلية

للأونست . الرياض ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود

الاسلامية . المكتبة التاريخية (١) ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

٢٠٦- مؤلف مجهول :

كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ،

تحقيق د . عبد الله الصالح العثيمين ، مطابع دار

الهدى للرياض . نشر دار الطك عبد العزيز

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

٢٠٧- الميدانسي : أحمد بن محمد (٥١٨هـ/ ١١٢٤م)

مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

ط مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ، نشر وتوزيع

دار الباز . مكة المكرمة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م

٢٠٨- نانسي : محمد ميروك

تاريخ العرب . عمر ما قبل الاسلام ، ط (٢) مطبعة

السعادة . مصر ١٩٥٢م

- ٢٠٩- السندوى : مسعود
محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتى عليه،
ترجمة عبد العليم البستوى ، ط (١) مطبعة زمزم
مكة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٢١٠- النسائى : أحمد بن على بن شعيب (٢١٥هـ / ٨٣٠م —
٣٠٣هـ / ٩١٥م)
السنن الكبرى ، شرح جلال الدين السيوطى ، وحاشية
الامام السندى ، نشر المكتبة العلمية بيروت ، مكتبة
الباز . مكة المكرمة .
- ٢١١- ابن نفيسة : سعد بن محمد
اضامة من التراث ، نشر دار الوطن . الرياض .
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٢١٢- نسوار : عبد العزيز سليمان
داود باشا والى بغداد ، دار الكاتب العربى ، نشر
وزارة الثقافة . القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ٢١٣- ابن السردى : عمر بن مظفر (٦٩١هـ / ١٢٩٢م - ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)
تتمة المختصر فى أخبار البشر ، اشراف أحمد رفعت
البدوى ، ط (١) دار المعرفة . بيروت
١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .
- ٢١٤- ابن الوزير : الحسين بن على المغربي (٣٧٠هـ / ٩٨٠م —
٤١٨هـ / ١٠٢٧م)
أدب الخواص فى المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها
وأنسابها وأيامها ، أعد للنشر حمد الجاسر ، المطابع
الأهلية للأوقفت . الرياض ، نشر نادى الرياض الأدبى
بإشراف دار اليمامة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٢١٥- ويلسون : أرزنولد . تالموت

(١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م - ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م)

الخليج العربي . ترجمة د . عبد القادر يوسف ،
مؤسسة المرزوق الصحفية الكويت ، نشر مكتبة الأمل
الكويت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٢١٦- ابن هشام : عبد الطك (ت ١٢٣هـ / ٦٢٨م)

السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا وزميليه ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .

٢١٧- الهمداني : الحسن بن أحمد (٢٨٠هـ / ٨٩٣م - ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)

صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوح ، نشر دار اليمامة
الرياض ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٢١٨- هولفريتز : هانـز

اليمن من الباب الخلفي ، تعريب خيرى حماد ، نشر
المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر . بيروت .

ثالثا : الدوريات :

- ١ - مجلة الحرس الوطني السعودي . الرياض
- ٢ - مجلة الدارة . الرياض
- ٣ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . الكويت
- ٤ - مجلة العرب . الرياض
- ٥ - مجلة العربي . الكويت
- ٦ - مجلة قافلة الزيت . الظهران
- ٧ - مجلة كلية الآداب جامعة الطك سعود (الرياض سابقا)
- ٨ - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية . الرياض
- ٩ - مجلة الكويت . الكويت
- ١٠ - صحيفة الجزيرة السعودية . الرياض
- ١١ - صحيفة الرياض السعودية . الرياض
- ١٢ - صحيفة السياسة الكويتية . الكويت

رابعاً : الكتب الأجنبية :

1- Bu Khardt, John, Lewis

Note on the bedouins, and, Wahabys, London. 1831

2- Winder, R.B.,

Saudi Arabia, in the nineteenth Century,

New York, 1965.

3- Al-Therayan, Mohammed.

History. writting in Nagd (A.H. 1000-1150/ A.D. 1591- 1737)

A thesis submitted to the University of Exeter, for the Degree of
Doctor, of Philosophy, 1976.

ب - محتويات الرسالة :

الصفحة	الموضوع
١ - ق	المقدمة
	المدخل : أبرز ملامح نجد الجغرافية والتاريخية حتى قيام الدعوة السلفية
١	أ (نجد : الموقع والملاح الطبيعية . . .
١	١- الموقع
١٤	٢- التضاريس
	٣- المناخ وأثره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية
١٨	١٨
٣٢	ب (استعراض عام لتاريخ نجد قبل الدعوة
٦٢	الباب الأول : توطئة
٦٨	نظرة الاسلام للأنساب
٨٣	موقف الاسلام من البدو والبدو
	الفصل الأول : ملامح الوضع القبلي لبادية نجد حتى قيام الدعوة السلفية
١١٥	١١٥
١٤١	الفصل الثاني : الصلب : دراسة تاريخية واجتماعية أصلهم
١٤١	١٤١
	حياتهم الاجتماعية ومدى تأثير الدعوة السلفية فيها
١٥٧	١٥٧
	الفصل الثالث : حاضرة نجد : أبرز الملامح العامة لحركة التحضر
١٦٩	١٦٩

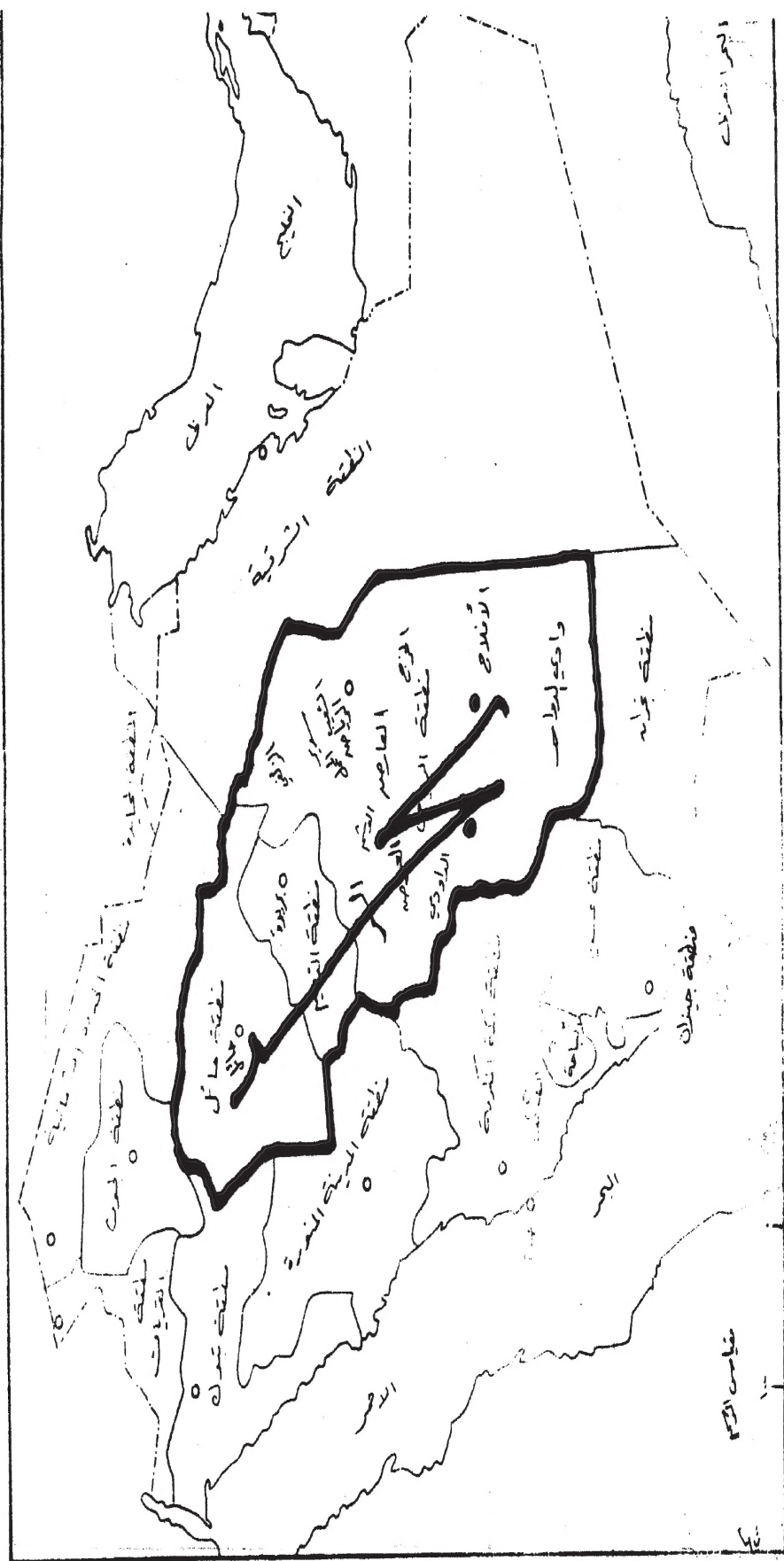
	الباب الثاني : الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد
	قبل الدعوة
	الفصل الأول : ملامح الحياة الدينية لدى بادية
١٩٩	نجد قبل الدعوة
	الفصل الثاني : أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية
	والعادات والتقاليد لدى بادية
	نجد
٢١٥	١- نظرة البدوي للحضري
٢٣٧	٢- وضع المرأة البدوية ووظيفتها
	٣- الرق والأرقاء
	أ (الرق ونظرة الاسلام اليه
٢٤٥	(نبذة موجزة)
	ب (لمحة عن الرقيق في الخليج
	والجزيرة العربية في العصر
٤٥٨	الحديث
	ج (الرقيق والخدم لدى بادية
٢٦٠	نجد قبل الدعوة
	٤- أمثلة من العادات والتقاليد
	البدوية
٢٦٧	أ (الكرم
٢٦٨	ب (المسكن
٢٧٠	ج (الطيبس
٢٧٦	د (المأكل
٢٨٤	هـ (المشرب
٢٩٥	و (الخوة أو دبلوماسية البدو

٣٠٠	ز (نظام الغزو
٣٠٥	ح (السلب والسرقة
٣٠٦	ط (نظام الربيط والدخيل
	الباب الثالث : أثر الدعوة السلفية على الحياة الاجتماعية	
	لدى بادية نجد
٣١٢	توطئة
	الفصل الأول : مواقف بادية نجد من الدعوة	
٣١٥	السلفية
	الفصل الثاني : أثر الدعوة على الحياة الدينية	
٣٨٨	لدى بادية نجد
	الفصل الثالث : أثر الدعوة على مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد	
٤١٢	توطئة
٤١٣	١- أثر الدعوة على الوضع الأمني	
٤٢٤	٢- الخوة وأثر الدعوة فيها
	٣- أثر الدعوة على التحرك القبلي	
٤٣١	وزعامة القبيلة
	٤- أثر الدعوة على بعض أساليب الحياة العامة والعادات والتقاليد	
	لدى بادية نجد
٤٤٢	أ (نظام الدخيل والربيط
٤٤٤	ب (وضع المرأة
	ج (الطبس
	د (المشرب ورأى الدعوة في بقية العادات
٤٤٧		

٤٥٥	الخاتمة
	الفهارس
٤٧٤	أ) المصادر والمراجع
٥٠٦	ب) محتويات الرسالة
	الخرائط والمصور

الخرائط والصور

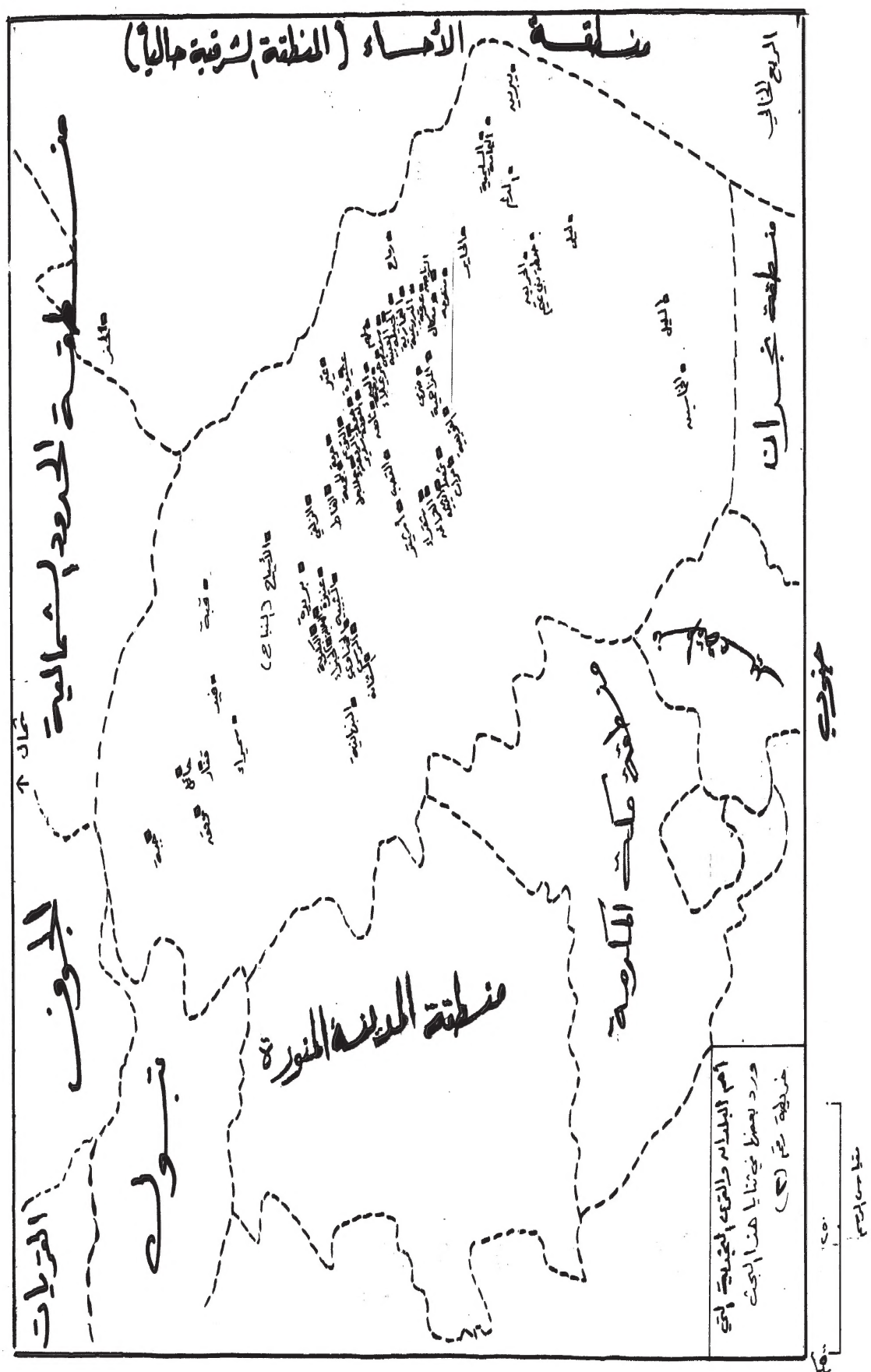
- ١- أقاليم نجد وموقعها ضمنه الناطقة الإدارية في المملكة العربية السعودية في العصر الحاضر .
- ٢- أهم البلدان والقرى النجدية الواردة في هذه الرسالة .
- ٣- أماكن قواعد القبائل الواردة في العصر الحاضر .
- ٤- الشخص : صورتان لإحدى مراحل السك التي مر بها .



خريطة العراق
المملكة العراقية الحديثة، وتحتل هذه الخريطة مساحة كبيرة من
أهم المصادر الحديثة للدولة العراقية.

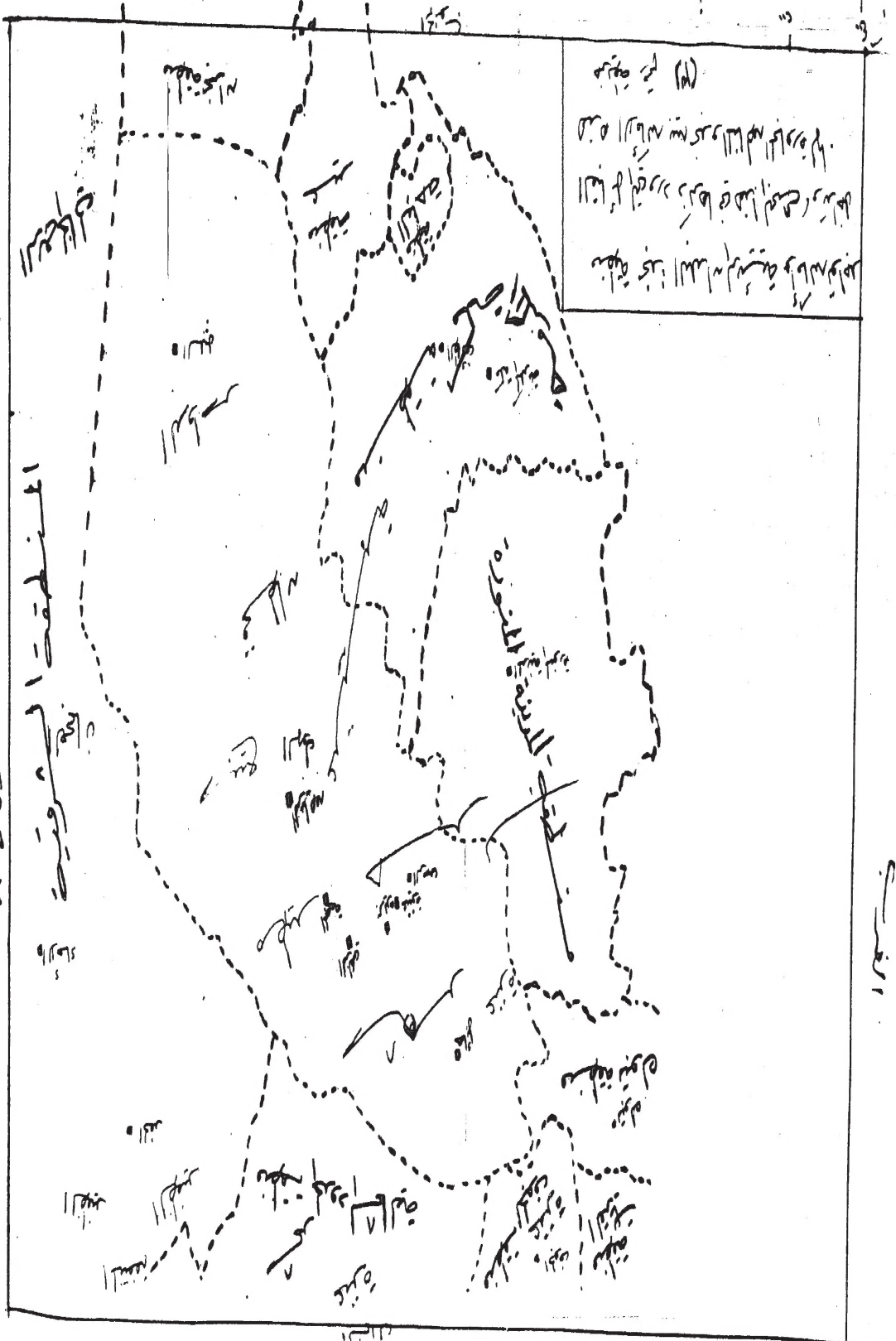
خريطة رقم (1)

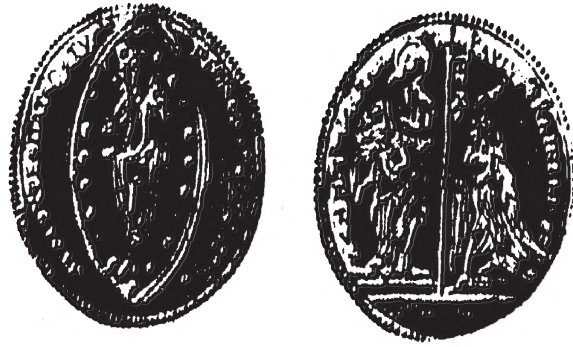
الحدود السياسية لمنطقة بغداد



(١٨) لواء حماه

لواء حماه هو اللواء الذي يقع في
الجزء الشمالي من سورية وهو
يحتوي على عدة مدن وقرى
منها حماه وحمص ودرعا و
اللاذقية وصيدا وبيروت





نقلت هاتيه لصورتيه من كتاب «عبد الرحمن الجبري: دراسة وبحث» من مقال الدكتور عبد الرحمن منهي بعنوانه
«التقود المتداولة أيام الجبري رقم الصورة [١٦] وهما ~~للتد البندقي~~ أو الدولات التي تعرف في نجد
والمناطق المجاورة لها بالمشهد والتي ورد تعريفها في حاشية ص ٣٥٤ .